www.christianlib.com

القرآن

تحليل وبيان

٣

محمد المسيّح

مالك مسلماني

www.christianlib.com

القرآن

تحليل وبيان

٣

WATERLIFE
PUBLISHING

www.christianlib.com

www.christianlib.com

الفهرست

www.christianlib.com

www.christianlib.com

فهرست الكتاب

مقدمة المجلد الثالث	٩
إله القرآن	١٥
حبر الأمة والأحجيات الأربع	٤٣
كيف تقرأ هذا الكتاب	٦٧
تحليـل وبيـان النص القرآني	٧١
سورة الشعراء	٧٣
سورة النمل	٩٥
سورة القصص	١١٩
سورة العنكبوت	١٤٣
سورة الروم	١٥٩
سورة لقمان	١٧٣

www.christianlib.com

سورة السجدة	١٨٥
سورة الأحزاب	١٩٥
سورة سبـأ	٢١٩
سورة فـاطر	٢٣٥
سورة يس	٢٤٥
سورة الصافات	٢٥٩
سورة ص	٢٧٥
سورة الزمر	٢٨٧
سورة غـافر	٣٠٣
سورة فصلت	٣١٥
سورة الشورى	٣٢٧
سورة الزخرف	٣٤١
سورة الدخان	٣٥٩
سورة الجاثية	٣٦٩
سورة الأحقاف	٣٨١
سورة محمد	٣٩٩
سورة الفتح	٤٠٩
سورة الحجرات	٤١٧
سورة قاف	٤٢٧
جدول أسمـاء الله	٤٤١
جدول الكلمات الأجنبية في القرآن	٤٥١
فهرست الأعلام	٤٦٩
تعريفات مختارة	٤٧٧
قائمة المراجع العربية	٤٩١
قائمة المراجع الأجنبية	٥٠٥

www.christianlib.com

مقدمة المجلد الثالث

www.christianlib.com

www.christianlib.com

القراءات المختلفة

عالجت الأجزاء السابقة موضوع تطور القراءات المختلفة للقرآن، فتناولت وجود قراءات عديدة ومصاحف مختلفة. وبسبب غياب التنقيط وعلامات التشكيل لم يتمكّن القرّاء الأوائل من تمييز حروف القرآن وكلماته، فصارت قراءة بعض المفردات القرآنية معتمدة على الاختيارات اللُغوية للقُراء، والتي كانت بدورها معتمدةً على تخمين الحروف والكلمات الغامضة التي تحتمل - ولا شك- معاني كثيرة.

استغرق الأمر أكثر من مئة عام بعد موت محمد حتى تمّ الانتهاء من وضع علامات التشكيل والتنقيط وتضمينها في مخطوطات القرآن. في تلك الأثناء سبّب انتشار القراءات المختلفة على نطاق واسع تفاقم إشكالية الحصول على مصحف واحد مقبول لدى جميع المسلمين. (راجع مقال «مقدمة قراءات القرآن المختلفة» في المجلد الأول من هذه الكتاب ١: ٨٧).

المحتويات

يتضمّن هذا الكتاب دراستيْن علميتيْن: «إله القرآن» وهي دراسة مختصرة، وافية عن إله الإسلام كما قدمه القرآن، وكذلك «حبر الأمة والأحجيات الأربع»، وهي دراسة شاملة لفحص الكلمات المبهمة في القرآن (راجع جدول «الكلمات الأجنبيّة في القرآن»، وهي دراسة موسَّعة قيّمة لهذه الظاهرة، صفحة ٤٥١).

أدوات البحث

يجد القارئ كمًّا كبيرًا من المعلومات عن القراءات المختلفة للقرآن، مأخوذة من المصادر الإسلامية. وقد استندت دراسة القراءات المختلفة المقدمة في هذا الكتاب على معياريْن:

- النموذج الأفضل للمادة بحسب أحسن الروايات والأخبار.
- النموذج الأهم والأكثر ضرورة للبحث في موضوع النقاش.

والاختيار النهائي الذي اعتُمِدَ، بحسب المعياريْن السابقيْن، قد تقرّر بعد غربلة وقراءة ودراسة المصادر بعناية وتحليلها بشكل علميّ.

www.christianlib.com

مقدمة المجلد الثالث

يتناول الكتاب الثالث من هذه السلسلة، تحليلاً لخمسة وعشرين سورة من القرآن (٢٦ - ٥٠). والتي تعادل تقريبًا رُبع القرآن. تناولنا في الكتاب الأول السور من ١-٩، وفي الكتاب الثاني السور من ١٠-٢٥، ونواصل في هذا الكتاب الدراسة التي بدأناها، مُتَّبعين نفس منهجية الكتابين السابقين؛ بالتعليق على آيات مهمة مختارة من كل سورة من ثلاث زوايا مختلفة:

- **التحليل النقدي**: ويحتوي تعليقات نقدية بخصوص مسائل تاريخية أو لُغوية في القرآن.
- **الناسخ والمنسوخ**: الآيات التي أُلغيت أو أُبطلت.
- **القراءات المختلفة**: المسائل اللُغوية والعقدية التي أحدثتها القراءات المختلفة لآيات بعينِها لدى المسلمين.[1]

---

١. لمزيد من التفاصيل عن هذه الزوايا الثلاث يُرجى مراجعة مقالات «مقدمة التحليل النقدي»، «مقدمة الناسخ والمنسوخ»، «مقدمة قراءات القرآن المختلفة»، في المجلد الأول من هذا الكتاب، الصفحات ٧٣، ٧٩، ٨٧ على التوالي.

www.christianlib.com

والهدف الأسمى لهذه الدراسة هو تقديم بحث مفصل ودقيق، للقارئ، ومقترن بالمصادر العلميّة المحايدة.

ترجمة تاريخيّة وموضوعية

عبر صفحات هذا الكتاب، وفي كل أقسامه، سيلاحظ القارئ الكثير من التعليقات والملاحظات التي تُقيّم مادّة الكتاب وتمتحنها جيدًا. ليس غريبًا أن يسأل القارئ إن كانت هذه التعليقات لها مكانها الشرعي والمستحَق في الشروحات التي تتسم بالموضوعية. والجواب على ذلك هو أن البحث الاجتماعي الموضوعي لا يعني أن أحداث التاريخ لا يمكن أن تُمتَحن. فلذا، حينما يرغب الباحث في دراسة التاريخ وفهمه، يتعيّن عليه أن يتناول تحليل وتقييم صناع التاريخ، حتى يتمكّن من الوصول إلى تفسيرات مقبولة.

ومع ذلك فإن عملية تقييم المصادر يجب أن تستند على معايير مناسبة للفترة الزمنية لمدروسة وللأشخاص الذين عاشوا فيها. وبكلمات أخرى، فعندما يطالع القارئ تقييمًا ما، في هذا الكتاب، يجد أن معايير هذا التقييم تُبنى على القيم الموجودة في ذلك الزمان الذي جرى فيه الحدث موضوع الدراسة، لا القيم التي يتبنّاها المجتمع المعاصر. ترتيبًا على ذلك، فإن التقييم في هذا الكتاب يعتمد على نظام القيم الإنسانية الذي كان معروفًا وشائعًا بين أبناء القرن السابع الميلادي في شبه جزيرة العرب، أي فترة الدعوة المحمديّة. فعلى سبيل المثال، ورد في (التوبة ٩: ٣) نصُّ يُخيّر المشركين بين خياريْن: الإسلام أو الحرب «وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ **فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**» (التشديد لنا).

ومن حق الباحث تقديم وجهة نظر نقدية لهذه الآية استنادًا على مقاييس وقيم كانت في زمن محمد وفي وطنه مكة، حيث دأب «المشركون» على قبول التعدديّة الدينية ولم يكن هناك أبدًا دعوة للحرب أو تحريض عليها بسبب الاختلافات الدينية.

www.christianlib.com

كما ورد في القرآن صورة للتسلسل الهرمي الاجتماعي في العلاقات الزوجية:[٢]

> الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي **تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ** فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا.

وإنه لأمر مشروع للباحث أن يُقدّم تعليقاتٍ نقديّة حول مبدأ منح الأزواج السلطة لضرب زوجاتهم.

وكما سبق، فالموضوعية تفترض أن نقد الشخصيات التاريخية يتم وفقًا لمنظومة القيم التي كانت سائدة في تلك العصور التي عاشت فيها هذه الشخصيات. ومع ذلك، فالحيادية لا تعني أن نفسّر أحداث التاريخ بطريقة سلبية تتجاهل التقييم، أو بالامتناع عن تصنيف هذه الشخصيات التاريخيّة باعتبارهم مصلحين أو طغاة، أو متمردين أو إرهابيين، أو إنسانيين أو معادين للإنسانية، أو غيرها من أنواع التصنيف والتقييم.

يلعب الإسلام دورًا أساسيًا في الحياة الاجتماعية للمسلمين. كما أن للإسلام تأثيرًا هائلاً على مستوى العالم؛ وهذا التأثير واضح وجلي للجميع، وهو إما ناتج عن قوة الدول الإسلامية الغنية، أو المؤثرة التي تسكنها غالبية مسلمة، أو بسبب الأقليات المسلمة الكثيرة التي تعيش في الدول الغربية.

إن هذا الحضور المتنامي للإسلام في العالم المتقدِّم يجعل من هذا الكتاب، مرجعًا لا غنى عنه للقرّاء. إن القراء الذين ينوون معرفة الإسلام بشكل أكثر عُمقًا، والقراء الذين يريدون فهمًا أكبر للسياسات الدولية سيجدون ضالتهم فيه.

---

٢. النساء ٤: ٣٤، التشديد لنا.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

إلٰه القـــرآن

www.christianlib.com

إله القرآن

الله هو الاسم الذي يُطلقه المسلمون على الإله، وقد ورد اسم الله حوالي ألف مرة في القرآن. ودراسة صورة الله في القرآن تساعد على فهم الإسلام بصورة صحيحة، فالألوهية هي حجر الزاوية في أي دين، وأي مسعى لفهم الإسلام لا بُد أن يمر بالتصور الذي قدّمه القرآن عن الإله. وتكتسب معرفة الله أهمية أكبر لأن القرآن يتحدّث عن الله الواحد المتعالي، وهذا ما يدفع القارئ من مختلف الخلفيات الدينية والفكرية للتساؤل عما يُميِّز الإله الواحد في القرآن عن الإله الواحد في الكتاب المقدس وفي غيره من الكتب المقدَّسة لدى كل الديانات.

وفي البداية نود أنْ نشير إلى ثلاث مسائل:

١. إن البحث الحالي لا يهدف إلى إجراء دراسة مُقارنة بين إله الكتاب المقدس وإله القرآن، فهذا الأمر خارج نطاق هذه المادة، ولكن في جزئية مُحدَّدة سترد بعض المقارنات الهدف منها فهم المزيد عن الإله القرآني.

٢. مرجع البحث هو القرآن، ولكن النص القرآني يُقرأ بمساعدة التفاسير والأحاديث التي تُوضِّح معاني القرآن؛ ولهذا كان لا بُد من الاستعانة بهذه المصادر. فبالإضافة إلى أنها تُجلي معاني القرآن، فهي بما تقدِّمه من شروحات تلعب دورًا كبيرًا في تكوين مفهوم الله عند المسلم. ولمقتضيات البحث فإن الدراسة الحالية ستستعين أيضًا بالمصادر غير الإسلامية التي عالجت الموضوع.

www.christianlib.com

٣. تحديد مفهوم الإله هو أمر أقرب للاستحالة لأن هذا المفهوم مختلف عليه بسبب الفهم الخاص لكل مؤمن به، فالوثني غير التوحيدي، ورؤية دين معيّن تختلف عن رؤية دين آخر. كذلك لدينا اختلافات المدارس الفلسفية التي أعطت تصورات مختلفة عن الإله. ولهذا سنستعمل مفردة **الإله** كتسمية تخص الإله الواحد وفق التحديد التوحيدي، وحينما يتعلّق الأمر بإله المسلمين، فسنستخدم لفظة **الله**؛ والهدف هو وضع تمييز داخل البحث بين الإله، كتصور عن الواحد الأعلى الذي يؤمن به كثيرون من غير المسلمين، **والله**، الواحد الأعلى عند المسلمين. فعدم التمييز بين المصطلحات يترك انطباعًا لدى القارئ غير المسلم، لا سيّما الغربي، أن تصور المسلمين يُماثل تصور اليهود أو المسيحيين؛ في حين يترك انطباعًا لدى المسلم أن مفهومه للإله هو المفهوم الصحيح ما دام الاسم الإسلامي (أي الله) مُستخدمًا في الحديث عن إله الأديان الأخرى، وبالتالي سيفترض ضمنًا أن مفهومه للإله هو المفهوم المعياري الذي يجب أن تُقاس عليه عقائد الآخرين. هذه الاعتبارات تفرض تمييز **(الإله)** عن **(الله)** داخل هذا البحث، إلا أنه في بعض الأحيان تستدعي الضرورة ذكر مفردة الله في سياق لا يتصل بالإيمان الإسلامي، وبالتحديد عندما يدور الكلام عن عرب قبل الإسلام، وحينها سنضع مفردة الله التي لا يُقصد بها إله الإسلام ضمن مزدوجتيْن: « ... »، لتكون كالتالي: **«الله»**.

مفهوم الإله عند العرب قبل الإسلام

تُقدِّم لنا أمهات التفسير والتاريخ معلومات عن عقائد العرب خلال حقبة ما قبل الإسلام. والمعلومات الأوفر نجدها متصلة بعرب مكة والمدينة.[١] وسنبدأ بما يُقدِّمه القرآن عن هذه الحقبة:

عندما يتحدّث القرآن عن تصور عرب قبل الإسلام للإله، يقول إنهم يستعملون بشأنه اسم «الله». ويخبرنا أن الوثنيين كانوا يؤمنون بأن للإله ‹الأَرْضُ وَمَن فِيهَا... [وهو] رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ... [و] بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ›.[٢] وإنه خالق الكون، فهو ‹مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ›[٣] وخالق البشر،[٤] ويُدبِّر الكون لمصلحة البشر.[٥] يرزق البشر عندما ينزل عليهم المطر[٦] وهذا المطر

١. جواد علي، المُفصَّل ٦: ١٠٢ ـ ١٠٣.
٢. المؤمنون ٢٣: ٨٤ ـ ٨٩.
٣. العنكبوت ٢٩: ٦١؛ لقمان ٣١: ٢٥؛ الزمر ٣٩: ٣٨؛ الزخرف ٤٣: ٩، ٨٧.
٤. الزخرف ٤٣: ٨٧.
٥. العنكبوت ٢٩: ٦١.
٦. العنكبوت ٢٩: ٦٣.

www.christianlib.com

تحيا به الأرض بعد موتها.[٧] وحينما يقع هؤلاء العرب في محنة، فإنهم يرجعون للإله[٨]، فهو ملجأ وقت الضر: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.[٩]

كما يُخبرنا القرآن أن هؤلاء كانوا يُقسِمون بالله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.[١٠] ونقلت إلينا المصادر تلك الأقسام التي تعكس هذا الإيمان بالإله المتعالي، فمن إيمانهم: «لا والذي يراني من فوق سبعة أرقعة»، أي: سبع سماوات.[١١] و«لا وفالق الأصباح، وباعث الأرواح». و«لا ومُجري الرياح».[١٢] و«لا ورافعها بغير عمدٍ، لا وسامكها، لا وباسطها ... وداحيها».[١٣] وأيضًا مثل: «لا وبارىء الخلق» و«يمين الله لا آتيك»، وغيرها من الأقسام التي تدل على إيمان عرب قبل الإسلام بوجود خالق للكون.[١٤] وقد جاء أنهم كانوا يُقسمون بعبارة: «أقسم بالله»،[١٥] وهو قسم احتفظ به الإسلام.

كما كان عرب قبل الإسلام يستهلون رسائلهم بجُملة: «باسمك اللّهم». ويُعتقد أن هذا الاستهلال كان مقتصرًا على قريش، وأن محمدًا اتبعه لبعض الوقت قبل أن يتحوّل إلى البسملة: «بسم الله الرحمن الرحيم».[١٦]

كان الاعتقاد بالإله، رب الأرباب، فوق الآلهة القبلية، منتشرًا بين عرب قبل الإسلام و«لا يختص بقبيلة واحدة».[١٧] ومكان هذا الإله الكبير حسب إيمان أصحابه فوق الأرض.[١٨] إلا أننا لا نملك معلومات عن كيفية خلق السماوات والأرض من وجهة نظر عرب قبل الإسلام، والقرآن بدوره لم يذكر آراءهم بهذا الصدد.[١٩]

ويُشير القرآن إلى وجود فئة من الناس أنكرت البعث: ﴿وَقَالُوا: «مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا؛ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ»﴾.[٢٠] ولا يتضح لنا إن كانت هذه الفئة تؤمن بالإله الخالق،

٧. الأنعام ٦: ١٠٩؛ النحل ١٦: ٣٨.
٨. دائرة المعارف الإسلامية ١٠٠٩.
٩. النحل: ١٦: ٥٣. قارن العنكبوت ٢٩: ٦٥؛ لقمان ٣١: ٣٢.
١٠. الأنعام ٦: ١٠٩؛ النحل ١٦: ٣٨؛ فاطر ٣٥: ٤٢.
١١. النجيْرَمي، أيْمان العرب في الجاهلية ١٤.
١٢. نفس المصدر ١٨.
١٣. نفس المصدر ٢٢. البسط والدحي للأرض.
١٤. جواد علي، المُفصّل ٦: ١٠٨.
١٥. النجيْرَمي، أيْمان العرب في الجاهلية ٢٩.
١٦. جواد علي، المُفصّل ٦: ١١٣.
١٧. نفس المصدر ٦: ١١٨.
١٨. نفس المصدر ٦: ١٢٠ ـ ١٢١.
١٩. نفس المصدر ٦: ١٠٣، و١٠٥.
٢٠. الجاثية ٤٥: ٢٤.

www.christianlib.com

أم أنها تنتمي لفئة أخرى. ويقسّم الشهرستاني الاعتقادات السائدة عند عرب قبل الإسلام إلى العديد من الفئات، منها:[٢١]

- **الأولى**، التي أنكرت الخالق والبعث، وعن هذه الفئة وردت الآية: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾.[٢٢]
- **الثانية**، فئة أقرت بوجود الخالق وأنكرت البعث. ويقول الشهرستاني إن القرآن أشار إليها بالآية: ﴿قَالَ: «مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟»﴾.[٢٣]
- **الثالثة**، الفئة التي كانت تؤمن بوجود الخالق وتعبد الأصنام بوصفها شُفعاء «عند الله في الآخرة»، ويُفهم أن هذه الفئة تُؤمن بالبعث، ولكن الشهرستاني لا يستفيض أكثر في تفصيل إيمانهم الآخروي هذا.

إذًا، كان المكيّون بكل مذاهبهم يؤمنون بإله متعالٍ. وهذا الإله المتعالي كان يُطلق عليه اسم «الله».[٢٤] وكانوا يقولون إن «الله» في السماء وإن الآلهة الصغرى تلعب دور الوسطاء بين الله وبين الإنسان.[٢٥] وكانوا يرون أن هذه الآلهة تشفع عند «الله»[٢٦]، إذ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىَ اللهِ زُلْفَى﴾.[٢٧] ولهذا كانوا يخصّصون أنعامًا لا يذكرون اسم «الله» عليها لدى نحرها[٢٨]، بل يذكرون عليها اسم الإله المُقرّب له، معتقدين أن ذلك وصية «الله» «لتكون خالصة القربان لما عُيّنت له».[٢٩] ويبدو أن هذا التخصيص للأوثان كان يحتوي على غاية اجتماعية:[٣٠]

> كانوا يعينون من أنعامهم وزرعهم شيئًا يحجرون على أنفسهم الانتفاع به، ويعينونه لمن يشاءون من سدنة بيوت الأصنام، وخدمتها، فتنحر أو تذبح عندما يرى من عُيِّنَت له ذلك، **فتكون لحاجة الناس والوافدين على بيوت الأصنام، وكذلك الزرع والثمار تدفع إلى من عُيّنت له، يصرفها حيث يتعيّن.**

٢١. الشهرستاني، الملل والنحل ٥٨٢ ـ ٥٨٣.
٢٢. الجاثية ٤٥: ٢٤.
٢٣. يس ٣٦: ٧٨.
٢٤. دائرة المعارف الإسلامية ١٠٠٧. قارن EI, NE 1: 406. Art. Allāh.
٢٥. النجم ٥٣: ٢٦.
26. Bell/Watt, 149.
٢٧. الزمر ٣٩: ٣.
٢٨. الأنعام ٦: ١٣٨ ـ ١٣٩.
٢٩. ابن عاشور، تفسير ٨: ١٠٨. قارن الزمخشري، الكشاف ٢: ٤٠٢.
٣٠. ابن عاشور، تفسير ٨: ١٠٦، التشديد لنا.

www.christianlib.com

يُخبرنا القرآن أن عرب قبل الإسلام كانوا يقولون إن «الله» بنين وبنات،[٣١] وأنهم قالوا إن الملائكة بناتُ الله.[٣٢] ومصطلح «بنات الله» لا تعني وجود علاقة أسرية نظير ما نجد في الميثولوجيا اليونانية ولكن هذه الكلمات تُمثِّل علاقة تجريدية. وتأويل المصطلح يعني الإيمان بوجود كائنات إلهية صغرى تخضع للإله الأعلى، أو كائنات صغرى تشترك في خاصية الألوهية.[٣٣] وقد كانت هذه الاعتقادات الشركية بالنسبة للمؤمنين بها جزءًا من إرادة الإله، فهو الذي سمح بذلك؛[٣٤] بمعنى أن هؤلاء كانوا يقرّون بتعالي الإله ويرون أن عبادتهم للأوثان يقع ضمن مشيئة «الله»، وليس بالضد من مشيئته.

والقرآن إذ استنكر على المشركين مقولة إن للإله بنات،[٣٥] فإنه خصَّ بالذكر ثلاثة معبودات: اللّاتَ، والْعُزَّى، وَمَنَاةَ[٣٦] اللواتي قال المشركون عنهن إنهن بنات الله.[٣٧] ويكتفي بنفي أن تلك المعبوادت بنات الله دون أن نجد فيه أي تفاصيل تفيدنا عنها، ولكن التفاصيل التي لدينا عنها مأخوذة من مصادر إسلامية.[٣٨]

١. **اللآت**: كانت صخرة مربعة بالطائف، بنى عليها أهلُ ثقيف بيتًا يُروى إنه كان يُماثل الكعبة، فكان لها سدنة وكسوة، وكان واديها منطقة حرام.[٣٩] «وقد عُرف البيت الذي بُنِيَ على اللّات ببيت الرّبة، ويقصدون بالرّبة اللآت، لأنه أنثى في نظر عابديه».[٤٠] واللّات «من الأصنام القديمة التي ورد ذكرها في كتابات النبط والصفويين».[٤١] وقد دُمِّرت بعد دخول ثقيف إلى الإسلام.[٤٢]

٢. **العُزَّى**: صنم كانت بوادي نخلة الشامِية (قرب مكة). «وكانت أعظم الأصنام عند قريش».[٤٣] وقد أقر محمد أنه قدَّم ذبيحة للعُزَّى، فقال: «لقد أَهْدَيْتُ للعُزَّى شاةً عفراءً، وأنا على دين قومي».[٤٤] وكان العُزَّى «من الآلهة المعبودة عند عرب العراق وعرب بلاد الشام، وعند النبط والصفويين».[٤٥]

٣١. الأنعام ٦: ١٠٠؛ النحل ١٦: ٥٧.

٣٢. الطبري، تفسير ٩: ٤٥٥، و١٩: ٦٤١.

33. Bell/Watt, 149.

٣٤. الأنعام ٦: ١٤٨؛ النحل ١٦: ٣٥.

٣٥. الصافات ٣٧: ١٤٩؛ الزخرف ٤٣: ١٦؛ الطور ٥٢: ٣٩.

٣٦. النجم ٥٣: ١٩ـ ٢٠.

٣٧. الكلبي، التسهيل ١٩.

38. Encyclopaedia of the Qur'an, 2: 483. Art. *Idols and Images.*

٣٩. جواد علي، المُفصّل ٦: ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

٤٠. نفس المصدر ٦: ٢٢٩.

٤١. نفس المصدر ٦: ٢٢٩.

٤٢. الكلبي، التسهيل ١٦ ـ ١٧.

٤٣. نفس المصدر ١٨.

٤٤. نفس المصدر ١٩.

٤٥. جواد علي، المُفصّل ٦: ٢٣٩.

www.christianlib.com

٣. **مَنَاة**: كانت معبودة لهُذيل وخُزاعة، وكانت قريش وجميع العرب تعظِّمها.[٤٦] وموقع مَنَاة محل خلاف بين المؤرِّخين، فقيل بالمُشَلَّل (على مقربة من المدينة)، وقيل بِقُدَيْد (بين مكة والمدينة)، وقيل في وَدَّان (بين مكة والمدينة). وقيل بفَدَك (قرب المدينة).[٤٧] وثمة اختلاف على شكلها، فقيل مَنَاة صخرة، وقيل صنم.[٤٨] ويستنتج المستشرق وعالم الآثار، وخبير الخطوط الفرنسي رينيه دوسو (René Dussaud) من أحدث الأبحاث المتعلقة بالمعتقدات السامية التي يقدمها العابد أنه يتعبَّد «لا للحجر نفسه بل للإله الذي يمثله هذا الحجر».[٤٩]

٤. **هُبَلُ**: كان مكانه فوق سطح الكعبة.[٥٠] وقال الكلبي إنه كان في جوف الكعبة.[٥١] وقال آخرون كان حولها. وكان أكثر أصنام قريش تعظيمًا.[٥٢] ويتفق المؤرِّخون المسلمون على أنه كان «على هيئة إنسان رجل».[٥٣] ورأى مستشرقون إن هُبل «هو رمز إلى الإلَه القمر، وهو إله الكعبة، وهو الله عند الجاهليين».[٥٤] بينما يرى دوزي (Dozy) أن هُبل يطابق بعل.[٥٥]

وأكثر ما يلفت النظر أن القرآن لا يذكر هُبَل. وكان من المفترض لكتاب يدعو إلى نبذ الأصنام والتخلّي عن الشرك أن يتعرّض له. و«لعل السبب أن المكيّين كانوا يماثلونه مع الله. وهذا ما يُفسِّر صمت محمد عن الموضوع».[٥٦]

أما بالنسبة للآلهة الثلاث الأولى (اللات والعزى ومناة) فتكمن أهميتها في ارتباطها بحادثة الغرانيق، وهي الحادثة الشهيرة المعروفة في المصادر الغربية باسم «الآيات الشيطانية»، حينما جاء محمد ذات مرّة إلى مجلس لقريش وتلا عليهم: ‹وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى...› فلما انتهى إلى القول: ‹أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى؟›[٥٧] قرأ: «تِلْكَ الْغَرَانِيق الْعُلا، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ

٤٦. الكلبي، التسهيل ١٤ ـ ١٥.
٤٧. جواد علي، المُفصّل ٦: ٢٤٦.
٤٨. نفس المصدر ٦: ٢٤٧.

49. Henninger 114; see J. Ali 6: 247.

٥٠. الشهرستاني، الملل والنحل ٥٨٥.
٥١. الكلبي، التسهيل ٢٨.
٥٢. نفس المصدر ٢٧. قارن جواد علي، المُفصّل ٦: ٢٥٢.
٥٣. جواد علي، المُفصّل ٦: ٢٥١.
٥٤. نفس المصدر ٦: ٢٥١ ـ ٢٥٢.

55. Zwemer, 28.
56. Ibid.

٥٧. النجم ٥٣: ١ ـ ٢٠.

www.christianlib.com

لَتُرْتَجَى».[٥٨] وقد رحّبت قريش بخطوة محمد هذه للتقارب معها، وعبّرت عن فرحتها الكبيرة، وحتى المسلمين الحاضرين في اللقاء لم يظهر عليهم أي بوادر امتعاض لتصرف محمد، لا بل أظهروا ردًا إيجابيًا من جانبهم حينما قام الجميع ـ بمن فيهم محمد ـ بالسجود للإله المتعالي: مسلمون وقرشيون غير مسلمين، سواءً بسواء.[٥٩]

الله في القرآن

نشأت الدعوة الإسلامية في بيئة تقر بوجود إله متعال، ولهذا لا يحتوي القرآن على براهين لإثبات وجود الإله، بل يفترض وجوده ضمنًا. و«القرآن لا يبرهن على [وجود] الله، بل يُشير إليه من الكون الموجود».[٦٠] ونجد في القرآن مجموعة صفات بارزة عن الله:

الله أحدٌ

عندما يتناول القرآن الله، فإنه يُولي اهتمامًا لمعارضة اعتقادات المشركين، إذ يرفض القرآن تعدُّد الآلهة، ويؤكِّد على وحدانية الله، فيعلن: ‹لاَ إِلَهَ إلاَ اللهُ›،[٦١] و‹لَا إِلَه إِلَّا هُوَ›،[٦٢] وأن ليس لله ندٌ: ‹وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ›.[٦٣] وقد جاء نفي أي ألوهية إلّا عن الله في معرض الجدل ضد الوسط المكي الذي بدأت فيه الدعوة المحمدية. وقادت طبيعة المواجهة ضد قريش المُشركة محمدًا إلى أن يُشدِّد على وحدانية الإله ونفي المثيل أو الشريك له.[٦٤]

يستنكر القرآن على من يأخذ أولياءً أو شركاءً لله[٦٥] ويقول إن الآلهة الوثنية عاجزة عن خلق أي شيء،[٦٦] ولا حتى ذبابة.[٦٧] وهذه الآلهة لا تستجيب: ‹يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ

٥٨. ابن كثير، تفسير ١٠: ٨٤ ـ ٨٥.
٥٩. الطبري، تفسير ١٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٤.

60. Fazlur Rahman, 10.

٦١. الصّافات ٣٧: ٣٥؛ محمد ٤٧: ١٩.
٦٢. البقرة ٢: ٢٥٥؛ آل عمران ٣: ١٨؛ النساء ٤: ٨٧؛ طه ٢٠: ٨.
٦٣. الإخلاص ١١٢: ٤.

64. Bell/Watt, 149.

٦٥. الرعد ١٣: ١٦.
٦٦. الفرقان ٢٥: ٣؛ الأحقاف ٤٦: ٤.
٦٧. الحج ٢٢: ٧٣.

www.christianlib.com

لَهُ›.[٦٨] وتشدِّد سورة الرعد ١٣ على صفات الله، خالق الطبيعة، وتعرّف به من خلال الظواهر الطبيعية والجغرافية.[٦٩]

في المرحلة المكية المبكرة نجد أقوى التشديدات على وحدانية الله، وإنه هو واحد أحد،[٧٠] بينما يُعلن القرآن على لسان الله ‹إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَ أَنَا›[٧١]. [٧٢] وإضافة للتشديد على التوحيد، فإن السور المُبكِّرة تعلن ربوبية الله على الخليقة. ويتم التشديد على قرب يوم القيامة.[٧٣]

الله لَمْ يَلِدْ

ينفي القرآن الأبوة عن الله،[٧٤] ويأتي البرهان على عدم أبوة الله بأن ليس ‹لَّه صَاحِبَةٌ›،[٧٥] أي ليس له نظير مؤنث. وهذه المُقدِّمة عن عدم وجود نظير مؤنث لله ملفتة، فالقرآن لا يشير إلى أن المشركين كانوا يقولون بنظير مؤنث للإله، كما أنه لا يوجد في تاريخ الديانتيْن اليهودية والمسيحية كائن علوي مؤنث. ومثل هذه الإشارة تدفع للتساؤل إن كان محمد يعالج آراء دينية وثنية معاصرة له، تقول بآلهة مؤنثة لم يصل إلينا خبرها. ولعل القرآن كان يشير إلى اعتقاد معروف بالنسبة للسامعين فلم يشرح أكثر.

الله خيرُ الرازقين

كانت مكة مدينة تجارية تقع على مفترق طرق، ولا بُد أن المعجم العربي المكي كان متأثرًا بهذه البيئة، وعلى ذلك فإن القرآن يستعمل صورًا مأخوذة من المعجم التجاري، فالله هو الذي يُفضِّل البعض: ‹عَلَى بَعْضٍ›؛[٧٦] إذْ فضّل بعض الناس على البعض الآخر عند توزيع الرزق.[٧٧] والله هو الذي يوفر الرزق للإنسان ‹مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ›.[٧٨] وهذا التفاوت الطبقي بإرادة الله: ‹وَرَفَعْنَا

٦٨. الأحقاف ٤٦: ٥.
٦٩. الرعد ١٣: ٢ ـ ٤، ١٢ ـ ١٣، ١٧.
٧٠. الإخلاص ١١٢.
٧١. طه ٢٠: ١٤.

72. *The Encyclopedia of Islām*, 1: 407. Art. Allāh.

٧٣. النجم ٥٣: ٥٦ ـ ٥٧؛ القمر ٥٤: ١.
٧٤. الإخلاص ١١٢: ٣؛ مريم ١٩: ٨٨، ٩١ ـ ٩٢.
٧٥. الأنعام ٦: ١٠١.
٧٦. النساء ٤: ٣٢.
٧٧. النحل ١٦: ٧١.
٧٨. يونس ١٠: ٣١.

www.christianlib.com

بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًا›.[٧٩] وحتى التفاوت الجنسي بين الرجل والمرأة وقيمومة الرجال على النساء هي بتفضيل الله.[٨٠]

نِعَم الله لا تحصى؛[٨١] عنده خزائن كل شيء،[٨٢] ‹خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ›،[٨٣] وهو رَزَقَ البشر ‹مِّنَ الطَّيِّبَاتِ›،[٨٤] الله رازق الكل،[٨٥] يُؤتي الرزق بمقدار.[٨٦] و‹يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ›،[٨٧] وهو يرزق كل كائن.[٨٨] وخلافًا لآلهة المشركين الذين ‹يَعْبُدُونَ... مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا›،[٨٩] فإن الله هو الرزاق.

الله الذي ينصر

وفي المدينة ظهر جانب جديد لله، فالنصر لا يأتي إلا من عند الله،[٩٠] فهو من نَصَر المسلمين في بَدْرٍ؛[٩١] وقاتل بنفسه عنهم: ‹فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ. وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى›،[٩٢] كما تدخّل لتغيير اتجاه المعركة في حُنين.[٩٣]

عندما يتدخّل الله لنصرة المسلمين، فإن النصر سيكون إلى جانبهم، وليس لأحد أن ينتصر عليهم؛[٩٤] فكل معبود يلجأ إليه الإنسان لا ينصر،[٩٥] فالله وحده من ينصر.

الله الذي يهدي ويضل

ترسم آيات القرآن خطيْن بشأن دور الله في هداية البشر:

---

٧٩. الزخرف ٤٣: ٣٢.
٨٠. النساء ٤: ٣٤.
٨١. إبراهيم ١٤: ٣٤.
٨٢. الحجر ١٥: ٢١.
٨٣. المنافقون ٦٣: ٧.
٨٤. النحل ١٦: ٧٢.
٨٥. فاطر ٣٥: ٢٩؛ يس ٣٦: ٤٧.
٨٦. الشورى ٤٢: ٢٧.
٨٧. الإسراء ١٧: ٣٠.
٨٨. العنكبوت ٢٩: ٦٠.
٨٩. النحل ١٦: ٧٣. قارن ‹إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ، لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا› (العنكبوت ٢٩: ١٧).
٩٠. آل عمران ٣: ١٢٦؛ الأنفال ٨: ١٠.
٩١. آل عمران ٣: ١٢٣ ـ ١٢٦.
٩٢. الأنفال ٨: ١٧.
٩٣. التوبة ٩: ٢٥ ـ ٢٦.
٩٤. آل عمران ٣: ١٦٠.
٩٥. الأعراف ٧: ١٩٧؛ الشعراء ٢٦: ٩٢ ـ ٩٣؛ يس ٣٦: ٧٤ ـ ٧٥.

www.christianlib.com

الأول، يتضمن مجموعة آيات تفيد أن الإنسان مسؤول عن ضلاله؛[٩٦]

الثاني، يفيد أن الهداية تتم بمشيئة الله. وتتوزّع الأقوال على النحو التالي:

- اللهُ يهدي من يشاء.[٩٧]
- الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.[٩٨]
- الله يضل الإنسان؛ وبالتالي فمن العبث محاولة هدايته: ‹فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟›.[٩٩]
- الله لا يهدي من قرّر الانحراف، فهو ‹لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ›؛[١٠٠] و‹لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ›،[١٠١] وهو لا يهدي ‹الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ›،[١٠٢] إلى آخر التأكيدات التي تنفي عمل هداية الله عمن ضلّ.[١٠٣]

وفي القرآن نجد التأكيد على أن ليس للإنسان حرية الاختيار، بل كل شيء مقرَّر سلفًا بإرادة الله. فمسار الأمور مرسومة منذ الأزل، وإن عمل الإنسان لا جدوى منه. وفي القرآن نجد إن إرادة الله هي التي تدفع لعدم الإيمان، فالله يريد ‹أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ›،[١٠٤] ومحمد لا يملك أن يُغيرّ المسار الذي أراده الله ‹فِتْنَتَهُ... أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ›.[١٠٥] ومن ‹يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ؛ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا›.[١٠٦] وقبل محمد قال نوح لقومه: ‹وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي، إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ؛ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ›.[١٠٧] فالله قد خلق البشرية وفق مسار مُحدَّد، فخلق «هؤلاء لجنتِه، وهؤلاء لنارِه، وخلق هؤلاء لرحمتِه، وخلق هؤلاء لعذابِه».[١٠٨]

لقد قرَّر الله أن يملأ جهنم بالناس: ‹وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا، وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي: «لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»›.[١٠٩] ورغم هذه الجبرية، فإن مَن سُيِّرَ في طريق

---

٩٦. البقرة ٢: ٢٦؛ النحل ١٦: ١٠٤.
٩٧. النور ٢٤: ٣٥؛ القصص ٢٨: ٥٦.
٩٨. إبراهيم ١٤: ٤؛ النحل ١٦: ٩٣.
٩٩. القصص ٣٠: ٢٩.
١٠٠. البقرة ٢: ٢٥٨؛ آل عمران ٣: ٨٦؛ المائدة ٥: ٥١؛ الأنعام ٦: ١٤٤؛ التوبة ٩: ١٩ و١٠٩؛ القصص ٢٨: ٥٠؛ الأحقاف ٤٦: ١٠؛ الصف ٦١: ٧؛ الجمعة ٦٢: ٥.
١٠١. المائدة ٥: ١٠٨؛ التوبة ٩: ٢٤ و٨٠؛ الصف ٦١: ٥؛ المنافقون ٦٣: ٦.
١٠٢. البقرة: ٢٦٤؛ المائدة: ٦٧؛ التوبة: ٣٧؛ النحل: ١٠٧.
١٠٣. البقرة ٢: ٢٦٤؛ آل عمران ٣: ٨٦؛ الأنعام ٦: ١٤٤؛ التوبة ٩: ١٩، ٢٤، ٣٧، ٨٠؛ النحل ١٦: ١٠٧؛ القصص ٢٨: ٥٠؛ الصف ٦١: ٧؛ الجمعة ٦٢: ٥؛ المنافقون ٦٣: ٦.
١٠٤. آل عمران: ٣: ١٧٦.
١٠٥. المائدة ٥: ٤١.
١٠٦. الأنعام ٦: ١٢٥.
١٠٧. هود ١١: ٣٤.
١٠٨. الطبري، تفسير ١٢: ٦٣٤.
١٠٩. السجدة ٣٢: ١٣.

www.christianlib.com

الشر الذي رسمه الله، فإن الله يقول: ‹لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ. إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ›.[١١٠] فالمُسيَّر لا يستحق محبة الله، وهنا ينشأ سؤال إنه ما دام الكافر مُكرَهًا من جانب الله، فلماذا يرسل الله الرسل إذًا؟!

كذلك اقتضت مشيئة الله أن تدخل البشرية في صراعات دموية: ‹وَلَوْ شَاء اللهُ، مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم.... وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ›.[١١١] ونقرأ: ‹وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ؛ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ›.[١١٢]

يضع القرآن إرادة البشر وفق إرادة الله، فما يشاء الإنسان إلا أن يشاء الله: ‹وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ›[١١٣] فتختفي الإرادة وتصبح حياة المرء خاضعة لجبرية صارمة.

مثل هذه النظرة الموجودة في القرآن تصل بالباحث في القرآن إلى استنتاج مفاده «**أن الله ليس ملزمًا بأي معيار عدالة**».[١١٤] وجعل بعضهم يجد «صعوبة بالغة في التفرقة بين الله وإبليس».[١١٥] `انظر جدول «التشابه بين الله والشيطان في القرآن» في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ١٥١).

الله جسم

القرآن يقول إن الله ‹لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ›،[١١٦] ورغم هذا التصريح فإن القرآن يُقارب الله بلغة تجسمية، إذ يُصوِّر القرآنُ أن لله وجهًا،[١١٧] وعينينْ،[١١٨] ويديْن،[١١٩] وجالسًا على العرش.[١٢٠] كما يتصف الله بصفات بشرية، فهو يسخر، [١٢١]وينسى: ‹نَسُواْ اللهَ، فَنَسِيَهُمْ›،[١٢٢] ويستدرج الكافرين.[١٢٣] لا بل

---

١١٠. الروم ٣٠: ٤٥.
١١١. البقرة ٢: ٢٥٣.
١١٢. هود ١١: ١١٨ ـ ١١٩.
١١٣. الإنسان ٧٦: ٣٠؛ التكوير ٨١: ٢٩.

114. Zwemer, 54-55, *italicized by the author.*

١١٥. عبد النور، محنتي ٢٥٨.
١١٦. الشورى ٤٢: ١١.
١١٧. البقرة ٢: ١١٥، ٢٧٢؛ الأنعام ٦: ٥٢؛ الكهف ١٨: ٢٨.
١١٨. هود ١١: ٣٧؛ المؤمنون ٢٣: ٢٧.
١١٩. آل عمران ٣: ٧٣؛ المائدة ٥: ٦٤؛ ص ٣٨: ٧٥. قارن ‹جَمِيعًا قَبْضَتُهُ› (الزمر ٣٩: ٦٧).
١٢٠. الأعراف ٧: ٥٤؛ يونس ١٠: ٣؛ طه ٢٠: ٥.
١٢١. التوبة ٩: ٧٩.
١٢٢. التوبة ٩: ٦٧.
١٢٣. الأعراف ٧: ١٨٢.

www.christianlib.com

إن الله يرد على أي تآمر بتآمر آشد ‹وَمَكَرُوا مَكْرًا، وَمَكَرْنَا مَكْرًا›[١٢٤] و‹إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا›،[١٢٥] بل هو أفضل المتآمرين طرًا ‹وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ›.[١٢٦]

وهذه الصفات وإن كانت مجازية وليست تجسيمًا حرفيًا، إلا أنها غدت لاحقًا مادة للاختلاف في التفسير والكلام، حيث قدّمت الفرق الإسلامية تفسيرات مختلفة لهذه الآيات.

غاية الله من خلق العالم

في أوائل الدعوة أعلن القرآن أن خلق الإنسان لم يكن عبثًا، ففي سورة مبكرة ورد: ‹أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ›،[١٢٧] وهذه الآية أعطاها ريتشارد بِل Richard Bell في ترجمته معنى، أم خُلقتم بدون غاية.[١٢٨] ويجد المرء أن ترجمة بِل تتطابق مع شروح المفسِّرين، إذ ورد لدى الطبري: «أم خُلِقوا لغير شيء؟».[١٢٩] وفي نص يعود لنفس الحقبة ينفي القرآن الخلق العبثي للإنسان، ويؤكِّد على وجود حكمة في الخلق: ‹وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ›.[١٣٠] ويضيف القرآن القول إنْ أعملَ الإنسان فكره في خلق السماوات والأرض لأدرك أن الله ما خلق ‹هَذا بَاطِلًا›.[١٣١] ويُرجع بِل هذه الآية إلى فترة محمد المبكرة في المدينة، حينما بدأ يتصل مباشرةً باليهود.[١٣٢]

وإذ يقول القرآن إن الله لم يخلق البشر ‹عَبَثًا›،[١٣٣] إلا أنه لا يُقدِّم سوى سببينْ عن سبب الخلق: **الأول**، جاء في آية مكية يقول إن خلق ‹الْجِنَّ وَالإِنسَ› جاء لِيَعْبُدُوا الله،[١٣٤] فالله لم يخلق الإنسان ويتركه يعمل ما يشتهي ‹أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً›.[١٣٥]

١٢٤. النمل ٢٧: ٥٠.
١٢٥. الطارق ٨٦: ١٥ ـ ١٦.
١٢٦. آل عمران ٣: ٥٤؛ الأنفال ٨: ٣٠.
١٢٧. الطور ٥٢: ٣٥.
128. O'Shaughnessy, S. J., 195.
١٢٩. الطبري، تفسير ٢١: ٥٩٦.
١٣٠. الدخان ٤٤ ـ ٣٨ ـ ٣٩. قارن الأنبياء ٢١: ١٦ والأحقاف ٤٦: ٣.
١٣١. آل عمران ٣: ١٩١. قارن ص ٣٨: ٢٧.
132. O'Shaughnessy, S. J., 196.
١٣٣. المؤمنون ٢٣: ١١٥.
١٣٤. الذاريات ٥١: ٥٦.
١٣٥. القيامة ٧٥: ٣٦.

www.christianlib.com

الثاني، جاء في نصيْن من أوائل الفترة المدنية القول إن الإنسان خُلق ليُمتحَن[١٣٦]: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[١٣٧] و﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.[١٣٨]

ويضيف القرآن إشارة إلى سر خلق النساء، فهن خُلقن لأجل الرجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ: أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.[١٣٩] ويتسم هذا النص بنزعة ذكورية، فالنساء خُلقن بشكل رئيس لأجل الأزواج، والمعنى أن الله خلق المرأة لكي يتمتّع الأزواج بأفضلية الصحبة.[١٤٠] وتأكيد هذا المعنى موجود في التفاسير، إذ شرح الحسن بن علي (حفيد محمد) المعنى بقوله: «**المودة كناية عن الجماع**، والرحمة عن الولد»؛[١٤١] وهذا القول يتشاطره مجموعة من الشارحين.[١٤٢]

أسماء الله

لإله القرآن أسماء أطلق عليها القرآن «الأَسْمَاء الْحُسْنَى».[١٤٣] واعتمد العديد من الباحثين الإسلاميين في تسميتها وتحديد عددها على حديث لمحمد يقول: «إِنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا... مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»؛[١٤٤] للمزيد عن هذا الموضوع انظر جدول «أسماء الله»، صفحة ٤٤٢.

من خلال جدول «أسماء الله» نتوقّف عند بعض الأسماء لما لها من خُصوصية نتناولها فيما يلي:

الله

الله هو اسم الإله في القرآن. وقد صارت مفردة الله مستعملة بين مختلف الأقوام الذين يدينون بالإسلام بلفظها العربي.

---

136. O'Shaughnessy, S. J., 201.

١٣٧. هود ١١: ٧.
١٣٨. الملك: ٦٧: ٢.
١٣٩. الروم ٣٠: ٢١.

140. O'Shaughnessy, S. J., 202.

١٤١. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٧١. التشديد لنا.
١٤٢. القرطبي، تفسير ١٦: ٤١٢.
١٤٣. الأعراف ٧: ١٨٠؛ الإسراء ١٧: ١١٠؛ طه ٢٠: ٨؛ الحديد ٥٧: ٣؛ الحشر ٥٩: ٢٤.
١٤٤. الطبري، تفسير ١٠: ٥٩٦؛ القرطبي، تفسير ٩: ٣٩١.

www.christianlib.com

مفردة الله هي المرادف الدقيق لمفردة ὁ θεός في اليُونانيّة. ويعتقد البعض أن المفردة ترجمة في العربية للمفردة العبرية، אֵל (إلـ).[١٤٥] و«إله» العربية تتطابق مع لفظة يهوه אֱלוֹהַּ وهو اسم الله في العهد القديم.[١٤٦]

يُرجِّح علماء الإسلام أن اسم الله مشتق من مفردة «الإله»،[١٤٧] وهي مُؤلَّفة من أداة التعريف «ال»، و«إله». ومفردة الله بحد ذاتها لا جمع لها، ولكن يُستعمل في العربية «آلهة» جمعًا من إله. وقد رأينا عند تناولنا لديانة عرب قبل الإسلام أن مفردة الله كانت تُتداوَل في الجزيرة العربية لفترة طويلة قبل عصر محمدٍ، وأن اسم «الله» كان يتداوله المكيّون المشركون أيضًا، كما كان عرب قبل الإسلام يُسمّون «عبد الله».[١٤٨] وتقول المصادر إن اسم أبي مُحَمَّد كان «عبد اللّه»، ومنذ سحيق الزمن كانت الكعبة تدعى «بيت الله»، وهو ما يرادف العبرية בֵּית־אֵל (بيت إل)، أي بيت الرب.[١٤٩]

ترد مفردة «إل» في نصوص أوغاريتية عند الإشارة إلى إله شخصي أكثر من مجرد مصطلح عام.[١٥٠] ويعتقد بعض العلماء أن مفردة «الإله» من الآرامية أو السريانية ܐܠܗܐ [لَوُهو]. ولدينا نقوش لأشعار كُتبت قبل الإسلام تدل على أن المفردة كانت متداولة في الجزيرة العربية، وربما كانت المفردة تعني: «الإله» بالنسبة لقبيلة مُحدَّدة، أو «الإله الأعلى»، أو «الإله» بالمعنى التوحيدي.[١٥١] ولم يكن المستشرق لِهَوْزن [Wellhausen] بعيدًا عن هذا الرأي، إذ رأى أن مفردة «الله» كانت «صفة تشير إلى الألوهية المجردة، وإن كان أفراد كل قبيلة يقصدون بها صنمهم الخاص بهم. استعاضوا بها عن ذكر اسم الصنم»، ولكن لاحقًا حدثت تطورات في تطبيق المفردة، فصارت تفيد «المعنى الذي صارت عليه في الإسلام».[١٥٢]

مهما كان شكل تطور مفردة الله ومصدرها، فإن هذه المفردة صارت في الإسلام اسمًا للإله المتعالي، وبعد أن كانت تدل على الإله الأعلى، فإن القرآن أخذها وطبّقها على الإله الواحد.

145. John C. Blair, 22-23.

146. Stanton, 32; *Encyclopaedia of Islam* 3: 1093. Art. *Ilâh*.

147. Dā'irat 1159; see also Zwemer, 25; Allah, *Encyclopedia of Islam* [Houtsma, ed.] 1: 406. See also Sulayman b. Dawud, *Encyclopedia of Islam*: New Edition 9: 822. See same entry in Arabic Dā'irat 5837.

١٤٨. النّجيْرَمي، أيْمان العرب في الجاهلية ١٨.

149. John C. Blair, 23. Cf., Zwemer, 26.

150. Máire Byrne, 26.

151. Bell/Watt, 152.

١٥٢. جواد علي، المُفصّل ٦: ١١٦.

www.christianlib.com

الرحمن

لفظة الرحمن من أصل سامي רחם، وردت في التلمود كاسم للإله רחמנא [رحمن]. كذلك في الترجوم وكتابات تدمر، وفي الكتابات العربية الجنوبية.[١٥٣] اسم الرحمن وُجد لدى عرب جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان اسم الرحمن اسم علم.[١٥٤] كما كان اسم «عبد الرحمن» متداولاً لدى عرب قبل الإسلام.[١٥٥]

جاءت مفردة الرحمن في السور المبكرة، لا سيّما في سور المرحلة المكيّة. ويقترح هوبرت جريمّه Hubert Grimme أن استعمال هذا الاسم مرتبط بالتأكيد على التشديد على رحمة الإله، وأن هذا التشديد كان يتلاءم مع حالة التوتر لدى المسلمين بسبب الفشل والاضطهاد ويشير إلى المعرفة المتنامية بالكتب المسيحية بالأخص.[١٥٦]

كانت الإشارة إلى الله بالرحمن في العهد المكي مترافقًا مع تعاليم تركّز على القوة الإلهية في الطبيعة والأحداث التي جرت مع الأنبياء السابقين.[١٥٧] ولعل سبب اختفاء مفردة الرحمن بعد ذلك أن البعض صار يعتقد أن الله والرحمن إلهيْن منفصليْن؛[١٥٨] إذ يخُبرنا المفسرّون أن محمدًا بشرَّ بالإله باسم الرحمن، ولما سمع القرشيّون هذا الاسم ظنّوا أن محمدًا يدعو إلى إلهيْن، فجاء النفي سريعًا من محمد قائلًا: ‹قُلِ: «ادْعُواْ اللّهَ، أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ، أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»[١٥٩]›.[١٦٠] وقد تكرّر نفي محمد أنه يدعو لعبادة إلهيْن: الله والرحمن عندما رد محمد على من قال إنه يدعو لإلهيْن: ‹ولله الأَسْمَاء الْحُسْنَى[١٦١]›.[١٦٢]

في الحقبة المكيّة الثالثة توقّف تقريبًا استعمال لفظة الرحمن.[١٦٣] ولكن هذا لا يعني أن مفردة الرحمن قد غابت نهائيًا عن لغة القرآن، فكما جاء في الخبر عن أن المكيين رفضوا كتابة اسم الرحمن في افتتاحية نص معاهدة الحُدَيبِيَة (٦ هـ/ ٦٢٨ م).[١٦٤]

---

153. Jeffery, *Foreign Vocabulary*, 140-141. Cf., Bell/Watt, 152-153.
154. The Encyclopedia of Islām, 1: 406.

١٥٥. النجيْرَمي، أَيْمَان العرب في الجاهلية ١٨.

156. Bell/Watt, 153.
157. Ibid. 110.
158. Ibid. 153.

١٥٩. الإسراء ١٧: ١١٠.
١٦٠. الطبري، تفسير ١٥: ١٢٣، ١٢٤.
١٦١. الأعراف ٧: ١٨٠.
١٦٢. القرطبي، تفسير ٩: ٣٩١.

163. Bell/Watt, 110.

١٦٤. الطبري، تفسير ١٣: ٥٣٠ ـ ٥٣١.

www.christianlib.com

يرى نولدكه أن محمدًا كان في حيرة من أمره بشأن اختيار اسم الإله، وأن اختياره وقع على الرحمن كاسم علم لأن اسم الله كان مستعملًا بالأصل من جانب الوثنيين، إضافة لواقع أن اسم الرحمن كان اسم الإله العبري المفضَّل لدى يهود الجزيرة العربية.[165]

على أية حال، لدينا ربط يُجريه القرآن بين اسم الرحمن وبين أهل الكتاب، إذ جاء في آية: ‹وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا؛ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ؟›[166] حيث يُطلَب من محمد أن يسأل أهل التوراة والإنجيل[167] عن الإله الأعلى ـ الرحمن. ويشير طلب الآية سؤال أهل الكتاب عن «الرحمن»، إلى أن هذا الاسم كان معروفًا ومستخدمًا لدى أهل الكتاب كاسم لله. وطلب الآية التحقق المباشر من أهل الكتاب موجود في قراءة تعود لابن مسعود «وسِلِ الَّذِينَ يَقْرَءُون الكِتابَ مِن قِبْلِكَ».[168]

الرب

وردت المفردة لأوّل مرّة في سورة العلق (٩٦) التي ربما كانت أوّل السور التي أُوحيت إلى محمد. ونلاحظ أن مفردة ‹رَبِّك› وردت في نفس السورة ثلاث مرّات.[169] وقد أضيفت مفردة رب إلى الكعبة في سورة مكية مبكرة: ‹فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ›.[170]

ونجد لفظة رب רב [رب] في النقوش الآرامية.[171] ويرى شبرنجر Sprenger أن محمدًا استعمل مفردة رب في القرآن تحت تأثير السريانية.[172] ويظهر من الشعر قبل الإسلامي إن المفردة كانت تُستعمل بخصوص الزعماء والآلهة،[173] ويُعتقد أن المصطلح كان يُستخدم لقبًا للكهنة قبل الإسلام، هو استعمال موازٍ للمصطلح רב (حبر) الذي كان يُطلق على أحبار الديانة اليهودية.[174]

---

165. Zwemer, 27.

١٦٦. الزخرف ٤٣: ٤٥.

١٦٧. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٤؛ الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٤٦.

١٦٨. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٥.

١٦٩. العلق ٩٦: ١، ٣، ٨.

١٧٠. قريش ١٠٦: ٣.

171. Jeffery, *Foreign Vocabulary* 137.

172. Ibid.

173. Ibid.

174. Firestone, 81.

www.christianlib.com

الملك

لفظ «ملك» العربي له مقابل بالعبري: מֶלֶךְ. والصورة القرآنية عن الله كملك لها جُذور في الشرق القديم، إذْ تصوِّر النصوص الأوغارتية إل [El] كملك في مجلس إلهي، يُحيط به آلهة صغرى.[١٧٥] ووصف الإله الملك موجود في أساطير الشرق. ولدينا تحليل مهم عن تصور الله كملك في القرآن في دراسة للمستشرق أندرو ريبّين.[١٧٦]

تلاحظ الدراسة أن القرآن يصوِّر الله جالسًا على الكرسي،[١٧٧] والعرش.[١٧٨] ثماني من هذه الآيات هي في سياق الخلق، التي قد تُشير إلى وجود بقايا طُقوس تتويج؛ بينما تشير المجموعة الثانية إلى رب العرش. وتحيط حول عرش الملك حاشية من الملائكة.[١٧٩] وتعزِّز صورة الله كملك في القرآن[١٨٠] بالإشارة إلى جيش من الملائكة بأمر الملك. وهو الملك ذو الخزائن.[١٨١] والذي يُعطي السلطان.[١٨٢]

وبحسب الدراسة، فإن القرآن يستعير تعبيرات مستمدة من تصور الملك: الصفة الرئيسة للملك حيازته للقوة،[١٨٣] تأكيد على القوة؛[١٨٤] رعاياه عبيد.[١٨٥] كما تظهر قوة الملك في خوض الحروب، فهو له أعداء،[١٨٦] وهو عدو لآخرين.[١٨٧] وهو يحارب،[١٨٨] يدمّر،[١٨٩] ويهلك،[١٩٠] ويقاتل،[١٩١] ويقتل.[١٩٢]

175. Máire Byrne, 32.
176. Andrew Rippin, 227-228.

١٧٧. البقرة ٢: ٢٥٥.
١٧٨. الأعراف ٧: ٥٤؛ التوبة ٩: ١٢٩؛ يونس ١٠: ٣؛ هود ١١: ٧؛ الرعد ١٣: ٢؛ الإسراء ١٧: ٤٢؛ طه ٢٠: ٥؛ الأنبياء ٢١: ٢٢؛ المؤمنون ٢٣: ٨٦، ١١٦؛ الفرقان ٢٥: ٥٩؛ النمل ٢٧: ٢٦؛ السجدة ٣٢: ٤؛ الزمر ٣٩: ٧٥؛ غافر ٤٠: ٧، ١٥؛ الزخرف ٤٣: ٨٢؛ الحديد ٥٧: ٤؛ الحاقة ٦٩: ١٧؛ التكوير ٨١: ٢٠؛ البروج ٨٥: ١٥.
١٧٩. الزمر ٣٩: ٧٥. وجاء أيضًا أن الملائكة تحمل العرش وتسبح بحمد الرب: غافر ٤٠: ٧ والحاقة ٦٩: ١٧.
١٨٠. الفجر ٨٩: ٢٢.
١٨١. الأنعام ٦: ٥٠؛ هود ١١: ٣١.
١٨٢. آل عمران ٣: ١٥١؛ هود ١١: ٩٦؛ الإسراء ١٧: ٨٠؛ المؤمنون ٢٣: ٤٥.
١٨٣. البقرة ٢: ١٦٥؛ الكهف ١٨: ٣٩؛ الذاريات ٥١: ٥٨.
١٨٤. الأنفال ٨: ٥٢؛ هود ١١: ٦٦؛ الحج ٢٢: ٤٠، على سبيل المثال.
١٨٥. آل عمران ٣: ١٨٢؛ الأنفال ٨: ٥١.
١٨٦. البقرة ٢: ٩٨؛ الأنفال ٨: ٦٠؛ التوبة ٩: ١١٤؛ فصلّت ٤١: ١٩، ٢٨؛ الممتحنة ٦٠: ١.
١٨٧. البقرة ٢: ٩٨؛ طه ٢٠: ٣٩.
١٨٨. البقرة ٢: ٢٧٩.
١٨٩. محمد ٤٧: ١٠.
١٩٠. الأعراف ٧: ١٦٤؛ القصص ٢٨: ٧٨؛ الملك ٦٧: ٢٨.
١٩١. التوبة ٩: ٣٠؛ المنافقون ٦٣: ٤.
١٩٢. الأنفال ٨: ١٧.

www.christianlib.com

القهّار

ليس ببعيد عن صفة الملك صفة الإله المقاتل المحارب في صفة القهار: ‹هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ›.[١٩٣] حيث يتم تأكيد سيادته على البشر، فـ «القهر هو الهيمنة والاستعلاء، وهو شيمة اللهِ في علاقته مع خلقه. فهو خالقنا ومن حقِّه أن يكون القاهر فوقَنا».[١٩٤] وتتكامل صفة القهر مع صفة الهيمنة، فمن صفات الله أنه ‹الْمُهَيْمِنُ[١٩٥]›.[١٩٦] والإله المهيمن هو إله متكبر، لا بل هو ‹الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ›.[١٩٧]

يلفت جون بلير الانتباه إلى تشابه بين بعض أسماء الإله في الْقُرْآن، وتلك الموجودة في الأفِستا بخصوص الكائن الأعلى (أهورا مازدا)، وهذا التشابه يدفعه للاستنتاج «أن مُحَمَّدًا اقتبس بعضًا من أسماء الله من الأفِستا»، لأن الأسماء الأفِستية للإله الأعلى كانت منتشرة في الجزيرة العربية.[١٩٨] والجدول الذي يُورده الكاتب للبرهنة على مقولته هو:[١٩٩]

اسم الإله في القرآن	اسم الإله في الأفِستا
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (الأنعام ٦: ١٠٢)	الخالق (أورمازد ياست، ٨، ١٣)
الرب (فصلت ٤١: ٣٠، ٤٦)	أهورا (الرب، أورمازد ياست، ٨)
الْعَلِيمُ (الحجر ١٥: ٢٥؛ سورة الذاريات ٤١: ٣٠)	مازداو (عليم بكل شيء، أورمازد ياست، ١٢)
بَصِيرٌ (الحج ٢٢: ٦١، ٧٥)	الواحد بصير بالكل (أورمازد ياست، ٨، ١٢)
قوي (الحج ٢٢: ٤٠)	الواحد القوي (أورمازد ياست، ٧)
الْعَزِيزُ (سبأ ٣٤: ٦)	العزيز (أورمازد ياست، ١٢)
الْقَهَّارُ (الرعد ١٣: ١٦)	الواحد الذي لا يقهر (أورمازد ياست، ٨)
حَكِيم (المائدة ٥: ٣٨)	الواحد الحكيم (أورمازد ياست، ١٥)
سَرِيعُ الْحِسَابِ (المائدة ٥: ٤)	الذي يجري حسابًا قويمًا (أورمازد ياست، ٨)
الْكَبِيرُ (لقمان ٣١: ٣٠)	الواحد الكبير (أورمازد ياست، ١٥)

١٩٣. الرعد ١٣: ١٦.
١٩٤. عبد النور، محنتي ٣١٧.
١٩٥. الحشر ٥٩: ٢٣.
١٩٦. عبد النور، محنتي ٣١٨.
١٩٧. الحشر ٥٩: ٢٣.

198. John C. Blair, 30-31.
199. Ibid. 31, ft 2.

www.christianlib.com

إله الكتاب المُقدَّس والإله القرآني

إجراء مقارنة بين إله الكتاب المقدَّس والإله القرآني مردّها الأمور التالية:

١. إعلان القرآن أن محمدًا وأتباعه يؤمنون بنفس الإله الذي يؤمن به اليهود: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ؛ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢٠٠] أي: «معبودُنا ومعبودُكم واحدٌ».[٢٠١] وهنا يجب أن نفحص هذه الدعوى إن كان الإله واحدًا عند الجميع أم لا.

٢. لفظة الله كاسم للإله تُستعمل من جانب المسلمين، كذلك من جانب الناطقين بالعربية من اليهود والمسيحيين. وهذا ما قد يُوحي باحتمال أن أصحاب الديانات الثلاثة يعبدون إلهًا واحدًا.

٣. يمكن للمرء أن يجد عناصر متشابهة، مثلما يوجد في العهد القديم الذي يتناول أوصاف وأفعال الله بلغة تجسيديّة.[٢٠٢] والقرآن يُقارب الله بلغة تجسيديّة أيضًا، فيعتقد المرءُ أن الإله في الأديان الثلاثة هو نفسه.

هذه العناصر الثلاثة تفرض علينا تناول مسألة إن كان إله القرآن هو نفسه إله الكتاب المقدَّس أم لا.

١. أبوة الله

في الوقت الذي يُشدِّد القرآن على عدم أبوة الله، فإن المسيحية تُشدِّد على أبوة الإله، وعلى سبيل المثال فإن مصطلح αββα هو كتابة بأحرف اللغة اليونانية للمصطلح الآرامي «آبا». تستخدم الترجمة العربية للعهد الجديد (فاندايك)[٢٠٣] الحروف الآرامية لكلمة Abba مع الأخذ بالتفسير اليوناني للكلمة التي تعني «أب»، وذلك في ثلاث آيات،[٢٠٤] تُنشيء اثنتان منهما علاقة التبني بين الله وعابديه: «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: «يا أَبَا [Abba] الآب»» (رومية ٨ : ١٥)، وأيضًا الآية: «ثم بما أنكم أبناءٌ، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا: «يا أَبَا [Abba] الآب»» (غلاطية ٤ : ٦).

٢٠٠. العنكبوت ٢٩: ٤٦.

٢٠١. الطبري، تفسير ١٨: ٤٢٢.

202. Stanton. 33.

203. Van Dyke.

٢٠٤. والآية الثالثة وردت في مرقس ١٤: ٣٦.

www.christianlib.com

ومن منطلق علاقة البنوة أوصى الرَسُول بولس المسيحيين: «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ»،[٢٠٥] ومثل هذه الفكرة بالنسبة للمسلم كُفرٌ مركبٌ، فالله واحد أحد لا يمكن أن يكون له أولاد، ولا يمكن لأحد قط أن يشابهه.[٢٠٦]

كما قدّم محمد في القرآن تصورًا يفيد أن الله «حاكمًا متعاليًا بشكل مطلق، عليمًا، جبارًا، قدوسًا، عادلًا، رحيمًا، وغفورًا، وكما تصوره أيضًا، متعاليًا، وبعيدًا عن البشر ـ الإله الذي بينه وبين عباده هُوة لا يمكن عبورها. بيد أن الحقيقة العظيمة عن أبوة الإله المقدّسة، ألا وهي حُبه اللامتناهي في جسر الهوة، وقدومه أقرب صوب عباده من أجل أن يمنحهم قوته الإلهية الخاصة، كي يمكنهم أن يصيروا مقدسين مثله... هذه الحقائق العظيمة للرب كانت مجهولة بالنسبة لمُحَمَّد، وكانت غائبة عن تعاليم القُرْآن».[٢٠٧]

في القرآن، لا يوجد الله الآب تجاه الإنسان، ومن هنا فإن الأخوة في الإسلام هي أخوة حصرية بين المؤمنين بالإسلام، لا تشمل كل البشر، فالله حصري للمؤمنين وليس أبًا لكل البشر. وهذه الخاصية يجد زويمر أنها تُفسّر في الإسلام «الروح المتعصّبة والكبرياء المتشامخ».[٢٠٨] ويقتبس زويمر عبارة لكلارك J F. Clarke الذي كتب: «في حين يعلّم محمد أن الله فوقنا؛ يُعلّم موسى أن الله فوقنا ومعنا؛ أما يسوع المسيح فيُعلّم إن الله فوقنا، ومعنا، وفينا».[٢٠٩]

ويجد المرء في التناخ أن مفردة אב، (فَإِنَّكَ أَنْتَ أَبُونَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنَا إِبْرَاهِيمُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِنَا إِسْرَائِيلُ. أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ)،[٢١٠] أي الآب وتتعلّق بالإله.[٢١١]

---

٢٠٥. أفسس ٥: ١.

206. Zwemer, 118.

207. John C. Blair, 30.

208. Zwemer, 110.

209. Ibid. 76.

٢١٠. مثلاً إشعياء ٦٣: ١٦.

211. Máire Byrne, 45.

www.christianlib.com

٢. محبّة الله

حب الإله في المفهوم المسيحي يعني أن محبته للبشر مطلقة.[٢١٢] ولكن القرآن لا يذكر هذه الناحية،[٢١٣] بل كل ما نقرأ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾.[٢١٤] وهذا العبارة تُشرَح بمعنى أن هؤلاء المشركين، يُحبّون آلهتهم «كما يُحبُّ الذين آمنوا الله».[٢١٥] وفي (المائدة ٥: ٥٤) ثمة إشارة إلى محبة الله، ولكنها تُشرح بأنه عندما يخرج المؤمن عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم خيرٍ منهم، «يُحِبُّهم اللهُ ويُحبُّون اللهَ».[٢١٦] فمحبة الله كما تتضح من هذا العدد هي مشروطة بالإيمان به ولكنها ليست عامة. وإن نظرنا إلى هاتيْن الآيتيْن الاستثنائيتيْن نجد أن التباين واسع مع التعاليم الكتابية بخصوص المحبة التي يطلبها الإله من الإنسان والتي تنبع من الإله نحو الإنسان.[٢١٧]

٣. مشيئة الله

عبارة «إن شاء الله» تتردّد كثيرًا على ألسنة الناس في العالم الإسلامي استنادًا إلى الأمر القرآني: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ: «إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا» إلاَ «أَن يَشَاءَ اللهُ»﴾.[٢١٨] وهذه العبارة القرآنية تماثل، في ألفاظها، العبارة الكتابية «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ»،[٢١٩] لكن معنى العبارة القرآنية لا يتماثل مع معنى العبارة الكتابية؛ فبالنسبة للمسلمين فإن إرادة الله حتمية لا مرد لها، في حين أن العبارة الكتابية تعبِّر عن خضوع المسيحي لأن يضع مسار حياته بما يتلاءم مع مشيئة الرب، وهذه رغبة قلبيّة. والمرء لا يسمع هذه العبارة تتردّد على أفواه المسيحيين كما يسمعها على أفواه المسلمين. فحينما يعلن المسيحي في الصلاة: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» فإنه يعبِّر عن تمنيه بأن يتم مخطط الرب الخلاصي للبشر. وعبارة: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ»[٢٢٠] بالنسبة للمسلم تُعتبر

---

٢١٢. مثلاً ١ يوحنا ٤: ٧ ـ ١١.

213. Zwemer 101.

٢١٤. البقرة ٢: ١٦٥.

٢١٥. الطبري، تفسير ٣: ١٧.

٢١٦. نفس المصدر ٨: ٥١٧ ـ ٥١٨.

217. Zwemer, 100-101.

٢١٨. الكهف ١٨: ٢٣ ـ ٢٤.

٢١٩. يعقوب ٤: ١٥. قارن أعمال الرُسُل ١٨: ٢١.

٢٢٠. إنجيل متى ٦: ٩.

www.christianlib.com

كفرًا.[٢٢١] إن العبارة الإسلامية تُعبرّ عن إطاعة المسلم لِله بقبوله لقدره المحتوم، في حين أن العبارة الكتابية تفيد بتحرّك الإنسان طائعًا بقرار منه في خطة الرب المُعدة له، كخطوة في سبيل تحقيق الخطة الأشمل لخلاص البشر.

مصادر عقيدة الله

وفقاً لزويمر،[٢٢٢] فقد تأثر محمد «بالوراثة والبيئة» التي عاش فيها خلال سنوات تكوينه في مكة أثناء القرن السابع، في مجتمع عربي متعدد الآلهة، «وما كان يسوده من أفكار وثنية عن الإله».[٢٢٣] هذه التجارب الشخصية الناجمة عن نشأته في هذا المجتمع أثرت بلا شك على فهمه ومعتقداته عن الإله.[٢٢٤] ويذكر زويمر مصدرين آخرين يعتقد أنهما قد أثرا على إدراك محمد لطبيعة الإله:

- **الطبيعة**: استخلص محمد من الطبيعة فهمًا عن الله. يعتبر زويمر أن الآيات التي تؤكد على إعلان الطبيعة عن الله من أجمل المقاطع الشعرية التي وردت في القرآن[٢٢٥].
- **الأديان الأخرى**: تعلم محمد عن إله إبراهيم وتعاليم الكتاب المقدس من اليهود والمسيحيين في شبه الجزيرة العربية والحبشة القريبة منه (إثيوبيا حاليًا).[٢٢٦] وخلاصة القول، يؤكد زويمر أن محمدًا قد «استخلص أفكاره عن الله من الوثنية العربية والتلمود اليهودي والمسيحية الشرقية».[٢٢٧]

بينما يرى بلير من تحليل فهم محمد لعقيدة الثالوث، أن محمدًا فهم أنها تتألّف من الرب، ومريم، ويَسُوع.[٢٢٨] ثم يصل بلير إلى نتيجة مفادها «أن المصدر **الرئيس** لفكرة مُحَمَّد بشأن وحدانية الإله لا يوجد في المسيحية أو اليهودية، بل... في الاعتقادات الدينية القديمة لبني جلدته».[٢٢٩]

221. Zwemer, 98-99.
222. Zwemer.
223. Zwemer 19.
224. Ibid.
225. Ibid.
226. Ibid.
227. Ibid. 28.

٢٢٨. النساء: ٤: ١٧١؛ المائدة: ٥: ٧٢، ١١٦.

229. John C. Blair, 30.

www.christianlib.com

كما يركّز بلير على الجانب التلمودي، فيرى أن معرفة محمد **بالتلمود** أو التقاليد اليهودية المستقاة منه، ساعدته على تثبيت إيمانه بوحدانية الإله. ويقول بلير إن ما جاء في **سورة البقرة** عن استدعاء يعقوب لأبنائه حين حضر أجله، الذين أكدوا له إيمانهم بـ «إلهٍ واحدٍ»، «إله إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ»،[٢٣٠] مأخوذة من الرواية الحبرية لهذا الحدث، والتي جاء فيها أنهم قالوا: «إن الرب إلهنا، وهو الواحد». ثم يضيف إن رسالة البراخوت،[٢٣١] في شرحها لصيغة جمع אֱלֹהִים **(إلوهيم)** للإله، تُشدِّد على وحدانية الإله.[٢٣٢] كما يجد بلير إن صلاة الـ שְׁמַע (شِماع)، التي يتلّوها اليهود المتدينون صباحًا ومساءً تبتدأ بإعلان وحدانية الإله: «اسمعْ يا إسرائيل، إنَّ الإله ربنا هو الإله الواحد»،[٢٣٣] ويعالجها التلمود بتعمق. وهنا يجد بلير أن الجزء الأول من شهادة المسلمين، والتي تكررت في الآية: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[٢٣٤] تشبه صلاة (شِماع).[٢٣٥]

٢٣٠. ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ، إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: «مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي»، قَالُواْ: «نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»﴾ (البقرة ٢: ١٣٣).

231. John C. Blair, 28. **Note**: Blair's reference for the Berakhoth is Jeru. Talmud, fol. 12b, col. 2.

232. Ibid. 27-28.

233. Ibid. 28; see footnote 1: Midrash Rabbah on Gen., par. 98, and on Deut., par. 2.

٢٣٤. البقرة ٢: ١٦٣.

235. John C. Blair, 27-28.

www.christianlib.com

تأثير التصوُّر الإسلامي على شخصية المسلم

قدَّم الإسلام صيغة بسيطة وسهلة من جهة الاعتقاد بالإله الواحد، هي: الله واحد أحد. عبارة بسيطة نشأت بالأصل في بيئة شبه بدائية، ولكن البساطة والصرامة في التأكيد على التوحيد جعلتا وحدانية الإله القرآنية تلغي التعدُّد في التفكير الإسلامي، فخلافًا للصورة الكتابية عن الإله المتفاعل مع العالم، فإن رفض كل مفهوم متفاعل من جانب الله مع العالم جعل الله «يقف في مرتفع سامٍ فوق البشرية».[٢٣٦] وإذ صار الله بعيدًا عن الإنسان، فإن المسلم بدوره صار بعيدًا عن دائرة الإنسانية.

في الإسلام، خُلق الإنسان ليعبد الله، وحينما يمتثل الإنسان لهذا الشرط فحسب، فإن الله يقبل به، ويقابله بالحب.[٢٣٧] أي أن المحبة الإلهية حسب القرآن هي محبة مشروطة، ومثل هذا المفهوم للمحبة المشروطة يُساهم في تكوين شخصية المسلم. فالقرآن يؤسِّس الإيمان على الخوف من الله لا على الحب، ومن هنا فالمسلم يعمل واجباته حسب أوامر الله مدفوعًا بالخوف، لا بالشوق نحو الله. إنَ المسلم الذي لا يعيش تفاعلًا بينه وبين الله، بل يشعر بالخُضوع فحسب لله، يدفع به هذا النمط من العلاقة مع إلهه إلى أن يعكس هذه الطريقة على المجتمع، فيغدو المسلم أسيرًا لرؤية مفادها أنه بقدر ما يكون المجتمع خاضعًا لرغباته أو أوامره بقدر ما يستطيع قبول أفراده، ولهذا لا يجوز تجاهل العامل الديني في عدم خروج المجتمعات الإسلامية إلى اليوم من التسلّط والدكتاتورية.

أيضًا، العلاقة المشروطة التي صمّمها الله في القرآن تجعل الحرية معدومة في عالم المسلم، فإن كان يمكن للمرء أن يجد آيات تسمح بالحرية، إلا أن الفكر الغالب، والآيات القرآنية والعقيدة المنبثقة منها هي أن الله قدّر مسبقًا كل شيء؛ الخير والشر، والإنسان يسير نحو مصيره المحتوم. وإن كانت هذه النظرة الجبرية قابلتها نظرة مضادة من جانب القدرية، الذين قالوا إن كل إنسان «خالق لفعله».[٢٣٨] إلا إن الفكر المهمين في العقيدة الإسلامية جعل النظرة الجبرية هي المسيطرة على العقل الإسلامي. والنظرة الجبرية التي تسم العقل الإسلامي، لا بُد أن يُنظر لدورها في تحجيم التطور التاريخي للعالم الإسلامي؛ فهذه النظرة «هي التي تجعل الأمم الإسلامية في حالة انحطاط، غير مبالية بالتطور الذاتي، ولا تلقي بالًا لضرورة التطور».[٢٣٩]

236. Zwemer, 102.

٢٣٧. المائدة ٥: ٥٤.

٢٣٨. الجرجاني، التعريفات، ١٨١.

239. *The Faith of Islam*, 277.

www.christianlib.com

خاتمـــة

انطلقت الدعوة الإسلامية من مكة، وفي هذه البيئة المكيّة تحديدًا نشأ الكثير من تصورات القرآن، ومنها تصور القرآن عن الله، وقد سجّل القرآن تصورات عرب قبل الإسلام، ومنه عرفنا أن هؤلاء العرب كانوا يؤمنون بإله متعالٍ، وأنه كان يُسمّى «الله»، وبالتالي فشهادة القرآن حاسمة في هذا الميدان لأنها تأتي من طرف مضاد للعقيدة القرشية. وأبرز ما يلفت الانتباه هو حادثة الغرانيق التي تروي لنا عن مجموعة مسلمة وغير مسلمة اشتركت في طقس سجود واحد. وبغض النظر إن كان الاجتماع مرتبًا أو جرى عفوًا، فمعنى أن يشترك الفريقان بطقس سجود واحد، فهذا يشير إلى أن المسلمين لم يروْا انقطاعًا تامًا بينهم وبين قريش، وهذا يعني أن تصورات محمد عن الله نبتت من تربة الوثنية القرشية ثم أنها تطورت مع سنوات الدعوة. وخير دليل على هذا التطور أن محمدًا كان يتبنّى في بدء أمره اسم الرحمن، ثم تخلّى عنه تقريبًا إلى اسم الله.

ونجد في صورة الإله كما قدّمها القرآن انعكاسات دينية: مؤثرات عربية، كتابية، وربما زرادشتية، ولكن القرآن لا يعني أنه مجرّد جمْع عناصر في توليفة عشوائية، بل إن القرآن قدّم تصورات عن الله وفق نمو التجربة الدعوية لمحمد.

كان القرآن في مكة مشغولًا بدحض فكرة الشرك بالله، ولكن في مرحلة المدينة صار يتعرّض بالنقد لعقيدة الثالوث، وقد كُتب الكثير عن مفهوم القرآن الخاطئ لعقيدة الثالوث، ولكن برأينا أن أحد أسباب سوء فهم محمد لعقيدة الثالوث المسيحي هو الحاضنة المكيّة، فقد كان عرب قبل الإسلام يقولون إن لله بنات: ملائكة أو معبودات، والراجح أن محمدًا سمع عن الثالوث بشكل مبهم، فقاسه في ذهنه على الشرك العربي.

فالقرآن لا يقارب الفكر اللاهوتي الخاص بالله، ولا يتوسّع في سبب خلق العالم، بل يَعْبر عليه سريعًا ويضعه في إطار أن الإنسان خُلق للعبادة، وقد أضيف سبب آخر للنساء هو أنهن خلقن ليوفرن للرجل الصحبة، فصار هذا التبرير لخلقهن يزيد من نقيصتهن في الإسلام.[٢٤٠]

٢٤٠. انظر مقال «المرأة في القرآن»، الجزء الأول من هذا الكتاب ١: ٢١٩.

www.christianlib.com

إن المقارنة التي أجريناه بين التصور الإسلامي وتصوُّر الكتاب المقدَّس للإله كانت تهدف إلى البحث عن المختلف بين الرؤية الكتابية والرؤية الإسلامية، لأن الدعوى القرآنية تعلن واحدية الإله بين الأديان، وبالتالي ففحص الدعوى يتم من خلال التحقق من وجود المختلف أو عدمه. وعندما انتهينا من هذه الجزئية وجدنا عدم تطابق بين التصورَيْن الإسلامي والكتابي. وعند هذا الحد توقّفنا، فلم نجرِ مقارنة لنصل إلى حُكم لصالح أي من التصورَيْن، فالحكم بالأفضلية متروك للقارئ، ولم نُشرْ إلاَّ لِمامًا لأسماء الإله في الكتاب المقدس، لأن عملية كشف المختلف من أسماء الإله كانت ستبعدنا عن الهدف الأساس من هذا البحث؛ ألا وهو التعريف بإله القرآن، فتجاوزناها رغم أهمية إجراء دراسة مقارنة بين أسماء الإله في الكتاب المقدس وأسماء الله في الإسلام لكسب المزيد من الفهم بخُصوص اليهودية والمسيحية والإسلام.

وبغض النظر عن كيفية تطور عقيدة الله في الإسلام، وما المنابع التي خرج منها مفهوم الإله القرآني، فإن هذه المنابع والمصادر انصهرت في بوتقة واحدة وشكّلت كلًا واحدًا في روح الشعب (*ethos*) في عصر محمد، وبالتالي فعندما نقول إن صفات الإله القرآني مركّبة، لا نقصد أنها جُمعت اعتباطًا، بل إنها دخلت في العقيدة القرآنية بما يتلاءم مع روح الشعب في ذلك المكان والزمان حيث نشأ الإسلام. إن مفهوم إله القرآن الذي جسَّد روح شعب الجزيرة العربية في القرن السابع ميلادي، ما زال هو المفهوم الذي يعمل داخل العقل الإسلامي إلى يومنا هذا، وهذا بالذات ما يشكّل مأساة العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

حَبْر الأُمّة والأحجيات الأَربع

www.christianlib.com

حَبْر الأُمّة والأحجيات الأَربع

لطالما تحدّث مُفسّرو القرآن عن فصاحة لُغته، وبيان معانيه، وبديع أسلوبه، وتمّ تأليف الكثير من المُصنّفات الإسلامية في هذا الباب[١]، استنادًا إلى ما جاء في القرآن من آيات تُشير إلى بيانه، مثل: ‹بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ›[٢]، ‹...وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ›.[٣] والمقصود بعبارة «لسان عربي مبين» كما شرحها ابن كثير: ‹هَذَا الْقُرْآن الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْك[٤] (أَنْزَلْنَاهُ) بلسانك الْعَرَبِيّ الْفَصِيح الْكَامِل الشَّامِل، لِيَكُونَ بَيِّنًا وَاضِحًا ظَاهِرًا، قَاطِعًا لِلْعُذْرِ، مُقِيمًا لِلْحُجَّةِ، دَلِيلًا إلى الْمَحَجَّة›.[٥]

لكن التاريخ يُظهر أن هذا «الوضوح»، «والبيان» في القرآن يسوده عوار مركّب بما يحتويه من مفردات غير مفهومة، أو غير عربية، حتى إن كبار علماء الإسلام، مثل حبر الأمة ابن عباس، الذي نشأ في كنف محمد، وكان قريبًا منه، لم يستطيعوا التيقن من معاني هذه المفردات وبالتالي تفسير معانيها تفسيرًا قطعيًا بما لا يدع مجالًا للشك. وسوف نتطرّق فيما يلي لأمثلة من الآيات غير المفهومة في القرآن ثم إلى نماذج من كلمات غير عربيّة.

آيات غير مفهومة في القرآن

يبدأ العديد[٦] من سور القرآن بـ «المقطّعات»[٧]، التي حيّرت معانيها القرّاء لقرون عديدة.[٨] وفيما يلي جدول بالحروف المُقَطّعة ومواضعها في السور:

---

١. نذكر منها: كتاب أسرار البلاغة للجرجاني، والبيان في علوم القرآن للقرعاوي، و بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز للشيخلي.
٢. الشعراء ٢٦: ١٩٥.
٣. النحل ١٦: ١٠٣.
٤. يا محمد.
٥. ابن كثير، تفسير ١٠: ٣٧٠.
٦. تبدأ تسعة وعشرون سورة من القرآن بالمقطعات.
٧. انظر الطبري، تفسير ٥: ٢٠٠، وقد عَرَّف الطبري، تفسير الحروف المقطعة بأنها: «الحروف المقطعة المتشابهات».
٨. انظر التعليق على المقطعات، في التحليل النقدي لـ (البقرة ٢: ١)، بالمجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

الحروف المُقَطَّعة ومواضعها في السور

عدد الحروف	الفاتحة	تكرارها	اسم السورة ورقمها	هل تُعتبر آية
١	ص	١	ص (٣٨)	لا
	ق	١	ق (٥٠)	لا
	ن	١	القلم (٦٨)	لا
٢	طه	١	طه (٢٠)	نعم
	طس	١	النمل (٢٧)	لا
	يس	١	يس (٣٦)	نعم
	حم	٦	غافر (٤٠)، فُصِّلت (٤١)، الزخرف (٤٣)، الدخان (٤٤)، الجاثية (٤٥)، الأحقاف (٤٦)	نعم
٣	ألم	٦	البقرة (٢)، آل عمران (٣)، العنكبوت (٢٩)، الروم (٣٠)، لقمان (٣١)، السجدة (٣٢)	نعم
	الر	٥	يونس (١٠)، هود (١١)، يوسف (١٢)، إبراهيم (١٤)، الحجر (١٥)	لا
	طسم	٢	الشعراء (٢٦)، والقصَص (٢٨)	نعم
٤	ألمص	١	الأعراف (٧)	نعم
	ألمر	١	الرعد (١٣)	لا
٥	كهيعص	١	مريم (١٩)	نعم
	حم عسق	١	الشورى (٤٢)	تُعتبر آيتان

لم تحسب المدرسة البصرية الحروفِ المُقَطَّعة آيات مستقلة، بل عدّتها جزءاً مما يليها. أمّا تقسيم بعضها إلى آيات مستقلة أو جزء من آيات، فيعود إلى المدرسة الكوفية.*

* السيوطي، البرهان في علوم القرآن ١: ١٧٠-١٧١.

www.christianlib.com

على الرغم من محاولات المُفسّرين لتأويل هذه الأحرف وبيان مغزاها، إلا أنه لا يوجد أي مُفسّر استطاع أن يقطع الشك باليقين في شرحها، لأنها من المتشابهات التي نهى القرآن غير الراسخين في العلم عن الخوض فيها، بموجب الآية: ‹هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...› (آل عمران ٣: ٧). وَرَوَى مُسْلِم عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير، أنه سمع محمدًا يقول:[٩]

> الْحَلَال بَيِّن، وَالْحَرَام بَيِّن، وَبَيْنهمَا أُمُور مُتَشَابِهَات، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَات، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَات، وَقَعَ فِي الْحَرَام، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْل الْحِمَى يُوشِك أَنْ يَقَع فِيه...فَمَنَعَ مِنْ الْإِقْدَام عَلَى الشُّبُهَات مَخَافَة الْوُقُوع فِي الْمُحَرَّمَات، وَذَلِكَ سَدٌّ لِلذَّرِيعَة.

وهذا يعني أنه لا داعي للدخول في محاولة فهم هذه الآيات، لأنها من المتشابهات، لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم. وفي واقع الأمر، ليس هناك مُفسّر إسلامي يستطيع الجزم بصحّة رأيه، إذ غالبًا ما يختمون تأويلهم بـعبارة «الله أعلم»! ثم ينتهي الحال بالمُفسّرين إلى أنهم يُعزون هذه الحروف غير المفهومة إلى الإعجاز اللغوي للقرآن؛ مما يتنافى مع بيان معاني القرآن الذي تجزم به الآيات.

كلمات غير عربيّة في القرآن

قوبل الحديث عما هو غير عربي في نص القرآن بالكثير من الاعتراضات من قِبل علماء الإسلام، بل إن البعض منهم مال إلى الإقرار بذلك. وذكر السيوطي قول أبي عبيد القاسم بن سلام عن بعض الألفاظ الموجودة في القرآن:[١٠]

> والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعًا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فصادق.

وهذا اعتراف ضمني بأن بعض ألفاظ القرآن وردت بغير لغة العرب. وكأمثلة على ذلك، ذكر الثعالبي عبارة «وأباريق»[١١] التي قال عنها الجواليقي إنها فارسية معرَّبة. واعتبر ابن أبي حاتم قول

---

٩. القرطبي، تفسير ٢: ٢٩٥٥.

١٠. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٤٠-٩٤١، وذكر السيوطي أن الجواليقي وابن الجوزي وآخرون قد مالوا إلى هذا القول.

١١. ‹بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ› (الواقعة ٥٦: ١٨).

www.christianlib.com

وهب بن مُنَبِّه «آبلعى»[١٢] أنه باللغة الحبشية. وقال الواسطي إن كلمة «أخلد»[١٣] تعني رَكَنَ بالعِبرية، والقائمة طويلة. أُنظر «الكلماتُ الأجنبية في القرآن»، صفحة ٤٥٣.[١٤]

أما بالنسبة لقول عبيد القاسم بن سلَّام «فصارت عربية»، فهو لا يحسم الجدل حول وجود كلمات أعجمية في القرآن. فعندما تستعير اللغة العربية مفردة أعجمية، فإن استخدامها بكثرة في اللغة العربية لا يجعلها ‹لسان عربي مبين› (النحل ١٦: ١٠٣). وإن أخذنا كلمة «طور»[١٥] ذات الأصل السرياني[١٦] كمثال، فلا يمكن القول إنها كلمة عربية بأي حالٍ من الأحوال، خصوصًا أنها لم تكن تُستعمل في عهد محمد حتى بين العرب أنفسهم. فقد كانوا يقولون: «جبل أحد» وليس «طور أحد»، ويدعم هذا القول وجود عشرات الآيات من القرآن، سواءً بصيغة الجمع[١٧] أو بصيغة المفرد.[١٨] والأغرب من هذا، أن هذه الكلمة تعرّضت للتحريف، لأن حرفَي الراء (ܪ) والدال (ܕ) في السريانية، لا يُميَّز بينهما سوى موقع النقطة في أعلى الحرف أو أسفله. هذا الفارق الطفيف في التنقيط قد يؤدي إلى حدوث خلط كهذا. وبالتالي، فإن كلمة «الطور» السريانية التي تعني الجبل، تتحول في سورة الشعراء[١٩] لتصبح ‹الطود› التي لا تعني شيئًا. ومن المدهش أن علماء الإسلام أعطوها نفس المعنى (جبل)، واعتبروها كلمة عربية فصيحة، لا بل «استخدمها» البعض في أشعارهم ليضفوا عليها المصداقية. ومن الجدير بالذكر، أن الخطأ في نقل هذه الكلمة لم يقف عند هذا الحد، بل إنها تعرّضت لتحريف آخر في رأي المستشرقين، لتصبح ‹طوى›.[٢٠]

وقد اعترف أقرب المقرّبين من محمد في حياته وكذا خلفاؤه من بعده: أبو بكر وعمر بن الخطاب، بأنهما لا يعرفان معاني بعض الكلمات في القرآن، ككلمة ‹وَأَبًّا›[٢١] في سورة عبس؛ حيث ذكر كل من الطبري وابن كثير حديثًا عن أنس بن مالك، قال فيه: «قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ‹عَبَسَ وَتَوَلَّى› فَلَمَّا أَتَى

١٢. هود ١١: ٤٤.
١٣. ‹وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ.....› (الأعراف ٧:١٧٦).
١٤. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٤١-٩٧٢.
١٥. ‹وَطُورِ سِينِينَ› (التين ٩٥: ٢).
١٦. عن مجاهد: هو الجبل بالسرياني (الطبري، تفسير ٢١: ٥٦٠).
١٧. ‹وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ› (الحجر ١٥: ٨٢)، ‹وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا› (طه ٢٠: ١٠٥)، ‹وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا› (الطور ٥٢: ١٠).
١٨. ‹قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...› (هود ١١: ٤٣)، ‹لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...› (الحشر ٥٩: ٢١).
١٩. الشعراء ٢٦: ٦٣.
٢٠. انظر التحليل النقدي لآية طه ٢٠: ١٢، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٣١١.
٢١. عبس ٨٠:٣١.

www.christianlib.com

عَلَى هَذِهِ الْآيَة: ‹وَفَاكِهَة وَأَبًّا› قَالَ: قَدْ عَرَفْنَا ما الْفَاكِهَة؟ فَمَا الْأَبّ؟"[22] فقَالَ: لَعَمْرك يَا بْن الْخَطَّاب إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّف».[23] وعن نفس هذه الآية ‹وَفَاكِهَة وَأَبًّا›، سُئل أبو بكر[24] عن معناها فأجاب: «أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني إن قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم».[25] ونرى أبا بكر هنا قد جعل الأمر يبدو وكأنه لا يعطي معنى للكلمة، خوفًا من العقاب الإلهي الذي قد يحدث له، مُظهرًا بذلك وجود كلمات مبهمة في القرآن لا يقدر على فهمها حتى المُقرّبين من محمد أبناء ذلك الزمان والمكان.

وإذا أرجع البعض عدم فهم هذه المفردات إلى تعجيز البشر عن الإتيان بمثل القرآن، نجد أنه إذا كان هناك إعجاز، كما قال المُفسّرون، فإنه قد يُفسَّر على العجز عن الإتيان بتراكيب وصيغ مفهومة على غرار آيات القرآن لا بإدراج كلمات غير مفهومة وأعجمية، فما أيسر أن ينشأ عدم الفهم عن ذكر تعبيرات تنتمي إلى لُغة أخرى، تمامًا كما وردت كلمات في القرآن ليست بالأعجمية ولكن عدم بيانها كان ناشئًا عن أسباب أخرى، كما سنتبين فيما بعد.

ابن عباس حبر الأمة

هو شخصية محورية في التاريخ الإسلامي، وهو ابن عم محمد. وقد أُطلق عليه «حبر الأمة»، و«البحر» لكثرة علمه، وعن ذلك قال ابن الأثير: «يُسمّى البَحْر، لسَعَةِ علمه، ويُسمّى حَبْرَ الأمة. وُلِد والنبي وأهل بيته بالشِّعْب من مكة، فأُتِيَ به النبي فَحنَّكهُ بِرِيقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين»[26]، أي سنة ٦١٩م. في تلك الفترة، انتقل القرآن شفهيًا إلى الكُتّاب وبطريقة عشوائية، عَبْرَ محمد وهو في مكة، إذ لم يكن هناك اهتمام بعد بتدوين القرآن.[27] ومن هؤلاء الكُتّاب عبد الله بن أبي سرح. ثم مرّت عملية النقل بمرحلة ثانية في المدينة، وكانت أكثر تنظيمًا وتدوينًا من سابقتها، وجرت على أيدي عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب وسالم مولى أبي حُذيفة ومُعاذ بن جبل وغيرهم.[28]

---

٢٢. والحديث عن أنس بن مالك.

٢٣. ابن كثير، تفسير ١٤: ٢٥٣، الطبري، تفسير ٢٤: ١٢٠. انظر ابن منظور، لسان العرب ٣٩١٧، «تكلّفت الشيء: تجشّمته على مشقّة وعلى خلاف عادتك».

٢٤. الخليفة الأول بعد محمد.

٢٥. ابن كثير، تفسير ١٤: ٢٥٣.

٢٦. ابن الأثير، أُسْد الغابة ٣: ٢٩٢.

٢٧. انظر مقال جمع القرآن، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

٢٨. القرطبي، تفسير ١: ٩٣.

www.christianlib.com

وعند تولّي أبو بكر الخلافة، رأى بتشجيع من عمر بن الخطاب، ضرورة أن يتم الجمع الأوّل للقرآن. ولم يك ابن عباس قد أكمل الخامسة عشرة من العمر حين صار هذا الجمع (٦٣٣م). حيث لم يك عود ابن عباس قد اشتدَّ ليكون مراقبًا لعملية الجمع هذه بإشراف زيد بن ثابت (١٢هـ). وفي عهد عثمان بن عفان (٦٥٠م) جاءت مرحلة الجمع الثاني (٣٠هـ) عندما كثرت المصاحف والقراءات، ولم يعد يُعرف أيُّها الأصح. هذا الأمر حمل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان على إحراق كل المصاحف، ما عدا مصحف واحد فقط. ومن الواضح أن المصاحف التي أُحرقت كان فيها الكثير من الاختلافات عن القرآن الذي جمعه عثمان، فلذا كان من الطبيعي التخلص منها.[٢٩]

أثناء الجمع الثاني للقرآن، كان ابن عباس ملمًّا ببعض الأخطاء التي وقعت في مصحف عثمان. بدليل إشارته إلى نقل كلمة «ووصى»،[٣٠] وكتابتها خطأ: «وقضى». ويضيف ابن عباس مُبَرِّرًا قوله: «ولو كان على القضاء [أي: ‹وَقَضَى›] ما عصى الله أحد قَط؛ لأن خلاف قضاء الله ممتنع».[٣١]

كما أورد الطبري مثالًا آخر بإسناد صحيح، يُشير إلى إلمام ابن عباس بنصوص الجمع الثاني، حيث ذكر أن ابن عباس كان يقرأ «أفلم يتبيّن»، بدلًا من ‹أفلم يَاْيْـَٔسِ› في (الرعد ١٣: ٣١). وقد علّق ابن عباس على الخطأ في قراءة المصحف قائلًا: «كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ».[٣٢]

وبعد إتمام جمع المصحف العثماني، أُرسلت ستة مصاحف منسوخة عنه إلى الأمصار.

وهكذا، بالإضافة إلى المفردات التي شكك في صحّتها ابن عباس، كانت المحصلة النهائية للمراحل التي مر بها النص القرآني، فيما يخص بحثنا، هي وجود كلمات لا يعرفها «البحر» و«حبر الأمة» عبد الله بن عباس! حيث أعلن صراحة أنه لا يعرف معاني بعض الكلمات، إذ قال: «كل شيء في القرآن أعلمه إلا أربعةً: غِسْلِين[٣٣] وحَنَان[٣٤] والأَوَّاه[٣٥] والرَّقِيم[٣٦]»[٣٧]، وليس هذا فحسب، بل إن ابن عباس أقسم أنه لا يدري ما هي![٣٨] وفيما يلي نتطرّق إلى سياق ورود هذه المفردات القرآنية وتأويلاتها.

٢٩. انظر مقال جمع القرآن، في المجلد الأول من هذا الكتاب.
٣٠. ‹ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... › (الإسراء ١٧: ٢٣).
٣١. الرازي، تفسير ٢٠: ١٨٥. أنظر القراءات ١٧: ٢٣، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٢١٩.
٣٢. الطبري، تفسير ١٣: ٥٣٧.
٣٣. الحاقة ٦٩:٣٦.
٣٤. مريم ١٩:١٣.
٣٥. التوبة ٩:١١٤.
٣٦. الكهف ١٨:٩.
٣٧. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١.
٣٨. نفس المصدر ١٣: ٤٢٤، الطبري، تفسير ١٥: ٤٧٧.

www.christianlib.com

غِسْـــلِين

يقول القرآن في سورة الحاقة ٣٦:٦٩ ‹وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ›، ولم يكن ابن عباس وحده الذي لم يعرف معنى كلمة «غِسْلِين»[٣٩]، إذ قال ابن زيد: «الْغِسْلِين وَالزَّقُّوم لَا يَعْلَم أَحَد مَا هُوَ».[٤٠]

وقد اختلف المُفسِّرون في معنى هذه الكلمة، مقترحين المعاني التالية: (١) «مَا يَسِيل مِنْ صَدِيد أَهْل النَّار».[٤١] (٢) «شَر الطَّعَام وَأَخْبَثه وَأَبْشَعه»[٤٢]. (٣) «مَا انْغَسَلَ مِنْ لُحُوم أَهْل النَّار وَدِمَائِهِمْ».[٤٣] (٤) «غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم».[٤٤]

على الرغم من أن الكلمة غير معروفة لدى ابن عباس وابن زيد، إلا أنه من سياق الآية يمكن استنتاج أن «غِسْلِين» هو «أكل أهل النار».

وقد وردت في القرآن عبارة أخرى تحمل نفس المعنى، وهي: ‹غَسَّاقٌ› في سورة ص ٥٧:٣٨. فتأويل «غِسْلِين» يطابق تأويل ‹غَسَّاقٌ› الوارد فيما يلي بحسب آراء المُفسِّرين: (١) «...مَا يَسِيل مِنْ صَدِيدهمْ». [٤٥] (٢) «...مَا يَسِيل مِنْ بَيْن جِلْده وَلَحْمه».[٤٦] (٣) «...الصَّدِيد الَّذِي يَخْرُج مِنْ جُلُودهمْ».[٤٧] (٤) «...مَا يَسِيل مِنْ صَدِيدهمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَب مِنْ مَعْنَى الْغُسُوق».[٤٨]

من خلال التأويلات الكثيرة التي ذُكِرَت في معنى هاتيْن الكلمتيْن «غِسْلِين» و«غَسَّاقٌ»، يبدو أنهما تعنيان طعام أهل النار. هذا التشابه في المعنى يرجِّح كونهما من أصل واحد، خاصّة وأن تأويلات التعبيريْن في التفاسير تكاد تكون متطابقة.

إلا أن كلمة «غَسَّاقٌ» قريبة في الرسم من كلمة أخرى هي «غَاسِقٍ» (الفلق ١١٣: ٣)، وبإهمال الألف الممدودة في كليهما[٤٩]، نرى أن لهما نفس الأصل «**عسق**». وقد وردت كلمة «غَاسِقٍ» بمعانٍ

---

٣٩. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١، الرازي، تفسير ٣٠: ١١٦.
٤٠. الطبري، تفسير ٢٣: ٢٤١.
٤١. نفس المصدر ٢٣: ٢٤٠.
٤٢. نفس المصدر ٢٣: ٢٤١.
٤٣. القرطبي، تفسير ٢١: ٢١١.
٤٤. الزمخشري، الكشاف ٦: ٢٠٢.
٤٥. الطبري، تفسير ٢٠: ١٢٧.
٤٦. نفس المصدر ٢٠: ١٢٨.
٤٧. القرطبي، تفسير ١٨: ٢٣٠.
٤٨. الطبري، تفسير ٢٠: ١٣٠.
٤٩. ألف المد في وسط الكلمة نادرًا ما كانت تُكتب أو ترسم في المصاحف الأولى.

www.christianlib.com

كثيرة منها: (١) الليل.[٥٠] (٢) هُوَ غُرُوب الشَّمْس إِذَا جَاءَ اللَّيْل.[٥١] (٣) ذَلِكَ الْكَوْكَب هُوَ الثُّرَيَّا.[٥٢] (٤) الْقَمَر.[٥٣] (٥) النَّجْم.[٥٤]

هذا التباين الواضح، والتخبُّط في تفسير تعبيرات «غِسْلِين»، «غَسَّاقٌ»، «غَاسِقٍ»، يُظهران أن هذه الكلمات الثلاث غير معروفة عند المفسِّرين، فراحوا يبذلون قصارى جهدهم لتفسيرها بحسب سياق الآيات. ولهذا، فمن المحتمل أن تكون هذه الكلمات من أصل غير عربي. وهو أمر متكرر في القرآن، حيث أشار السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» إلى وجود العديد من الكلمات الأعجمية في القرآن، (انظر «الكلمات الأجنبية في القرآن»، صفحة ٤٥٣) مثل كلمة «الرحمن» وهي مفردة عبرانية، وكلمة «حواريون» وهي مفردة نبطية.[٥٥]

وعند دراسة الكلمتيْن «غسق» أو «عسق»[٥٦]، نجد أن لهما أصلًا واحدًا في اللغة السريانية، وهو كلمة «ܥܣܩ»، التي تعني «صَعُبَ».[٥٧] ويُشتق التعبير: «عَسِقَ بِهِ» من كلمة «عسق»، ويعني «لزق به ولزمه»[٥٨]، أي صعب فراقه. فإذا رجعنا إلى التفسير المرجح لكلمة «غَاسِقٍ»، نجد أنها تعني الليل أو الظلام أو الغروب، حيث تصعُب الرؤيا في الظلمة. ومنها يشتق أيضًا تعبير: «غَسَقَتْ عينه»، وتعني «دمعت، وقيل: انصبَّت، وقيل: أظلمت»[٥٩]، فعندما تدمع العين تصعب الرؤيا. أما إذا أخذنا «وَغَسَّاقٌ» بمعنى طعام أهل النار، فذلك يشير إلى أن طعامهم هذا صعب البلع، إذ يلتصق هذا الطعام في البلعوم. ويُؤيّد هذا الرأي ما استخلصه المفسِّرون من معنىً لهاتيْن الكلمتيْن من خلال سياق الآيات، حيث استنتجوا أن كلتا الكلمتيْن تشيران إلى طعام أهل النار.

ونتناول فيما يلي تحليلًا تقنيًا لإشكالية مدلول كلمة «غِسْلِين»، حيث وقع الكاتب في خطأيْن عند نقله لهذه الكلمة:

---

٥٠. الطبري، تفسير ٢٤: ٧٤٦.
٥١. نفس المصدر.
٥٢. نفس المصدر ٢٤: ٧٤٧.
٥٣. نفس المصدر ٢٤: ٧٤٨.
٥٤. نفس المصدر ٢٤: ٧٤٩.
٥٥. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ١٣٦.
٥٦. حرف العين هو نفسه حرف الغين في السريانية.
٥٧. خوشابا، زهريرا قاموس عربي- سرياني ٦٥٠.
٥٨. ابن منظور، لسان العرب ٢٩٤٤.
٥٩. نفس المصدر ٣٢٥٥.

www.christianlib.com

- نقل حرف الألف لامًا، يشير إلى أن أصل كلمة «غسلين» هو «غساين»، الخطأ الذي تكرّر في مخطوطة سمرقند، حيث رُسِمَت «والصلبين» [٦٠]، بدل كلمة «والصابئين» (البقرة ٢:٦٢).
- كما أن الكاتب أخطأ في كتابة آخر الكلمة، حيث كتب «ين» بدلًا من حرف القاف. وربما أن التشابه القريب بين رسم «ين» وحرف القاف في المخطوطات القديمة قد يكون سببَ حدوث هذا اللبس. ولتوضيح هذا التشابه نعرض كلمتين تنتهيان بـ «س»، وبـ «ق» من مخطوطة باريس؛ ففي الصورة الأولى[٦١] تظهر كلمة «خلدين» (آل عمران ٣: ٨٨)، وفي الصورة الثانية[٦٢] تظهر كلمة «لا نفرق» (آل عمران ٣: ٨٤). ولذا، فالأرجح أن أصل كلمة «غسلين» هو ‹غَسَّاقٌ› كما وردت في سورة ص ٥٧:٣٨، أو «غَاسِقٍ» كما وردت في الفلق ١١٣: ٣، من «غسق» أو «عسق»[٦٣]، أي: صعب البلع، وهو ما يُؤيِّد ما عرضناه من قبل.

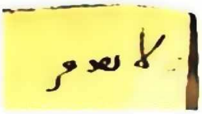

(Figure 1 (Q 3.84)

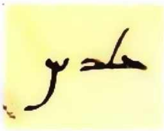

Figure 2 (Q 3.88

.Source: ***Arabe 328a*. MS. Bibliothèque Nationale (BN), Paris**

حَنَـــــانًا

وردت كلمة «حَنَانًا» في سورة مريم ١٣:١٩ ‹وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا›. اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْحَنَان، مقترحين المعاني التالية: (١) الرَّحمة.[٦٤] (٢) العطف.[٦٥] (٣) المحبة.[٦٦] (٤) الشفقة.[٦٧] (٥) الرزق والبركة.[٦٨] (٦) التعظيم.[٦٩]

---

٦٠. مصحف سمرقند، الرقعة ٩/ب.

61. Arabe 328a Folio 4r.

62. Ibid.

٦٣. خوشابا، زهريرا قاموس عربي- سرياني ٦٥٠.

٦٤. الطبري، تفسير ١٥: ٤٧٥، القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٤، الزمخشري، الكشاف ٤: ١٠.

٦٥. الطبري، تفسير ١٥: ٤٧٩، الزمخشري، الكشاف ٤: ١٠.

٦٦. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٤.

٦٧. نفس المصدر، الزمخشري، الكشاف ٤: ١٠.

٦٨. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٥ عن ابن الأعرابي.

٦٩. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٥ عن ابن عطية.

www.christianlib.com

وعلى الرغم من عدم معرفة ابن عباس لمعنى كلمة الحَنَان[٧٠] في سياقها، بل وقسمه بالله أنه لا يدري ما «الحَنَان»[٧١]؛ إلا أنه حاول تأويلها في قولين: «أَحَدهمَا: قَالَ: تَعَطُّف اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ. وَالْقَوْل الْآخَر مَا أُعْطِيه مِنْ رَحْمَة النَّاس حَتَّى يُخَلِّصهُمْ مِنْ الْكُفْر وَالشِّرْك»[٧٢]؛ وقد لخص الطبري قوليّ ابن عباس بعبارة واحدة: «وَرَحْمَة مِنْ عِنْدنَا».[٧٣]

وقد وحّد الزمخشري المعنى الأول (الرحمة)، والثاني (العطف)، والرابع (الشفقة)، في طرح واحد، نسبه إلى والديّ النبي يحي وأتباعه قائلًا: ««وَحَنَانًا»: رَحْمَة لأبويْه وغيرهما، وتعطفًا وشفقة».[٧٤] وهذا المعنى له ما يبرّره في القرآن، حيث يخبرنا المُفسّرون أن النبي زكريا كان شيخًا متقدمًا في السن، وكانت زوجته عاقرًا، فاستجاب الله دعاءه بأن رزقه غلامًا اسمه يحي[٧٥]؛ وبالتالي، فعبارة «وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا» تعني تَحَنُّنًا وتَرَؤُفًا مِنا على زكريا وزوجته.

وفي تفسير كلمة «وَحَنَانًا» في العديد من المراجع الإسلامية[٧٦]، تكرّر حديثٌ لبلال حيث رُوِيَ عن زيد بن عمرو بن نُفَيل أنه قال فيه: «والله لئن قتلتم هذا العبد لأتخذن قبره حَنَانًا». وذكر هذا الخبر الهرويُّ، فقال: وفي حديث بلال: ومرَّ عليه ورقة بن نوفل وهو يعذَّب فقال: والله لئن قتلتموه لأتخذنَه حَنَانًا، أي: لأتمسحنّ[٧٧] به».[٧٨] ونحن نرجّح هذا المعنى لسببيْن:

السبب الأول: لورود حديث «نبوي» في بعض المراجع الإسلامية[٧٩]: فقد قَالَ محمد: «لَوْ أَعْرِفُ قَبْرَ يَحْيَى بْن زَكَرِيَّا[٨٠] لَزُرْتُهُ»[٨١]، وعن ابن الأثير حديث يخبرنا أن المانع أمام محمد من زيارة قبر يحي بن زكريا كان عدم معرفته بمكانه.[٨٢] وهذا يشكّل دليلًا على أن المقصود من كلمة «حنانًا» هو المعنى الأخير، أي: مزار للتبرُّك بهذا النبي.

---

٧٠. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١، الطبري، تفسير ١٥: ٤٧٨.
٧١. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٤، الطبري، تفسير ١٥: ٤٧٧.
٧٢. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٤.
٧٣. الطبري، تفسير ١٥: ٤٧٥.
٧٤. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٠.
٧٥. مريم ١٩: ٢-٧.
٧٦. القرطبي، تفسير، والشوكاني، والثعلبي، وابن عطية، المحرر الوجيز، وخزائن الألباب لعبد القادر البغدادي، وغيرها.
٧٧. المقصود وضع يد الشخص على القبر أو الضريح ثم مسحها وتمريرها على جسده إيمانًا منه بالحصول على البَرَكَة.
٧٨. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٥.
٧٩. جامع المسانيد والمراسيل والاستيعاب في معرفة الأصحاب للسيوطي، وأُسْد الغابة لابن الأثير، وغيرها من المراجع.
٨٠. الاسم الذي يشير به القرآن للنبي يوحنا المعمدان.
٨١. ابن الأثير، أُسْد الغابة ٢: ٣١٩.
٨٢. نفس المصدر.

www.christianlib.com

السبب الثاني: في زمن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وورقة بن نوفل (ت ٦١١م) كان المفهوم؛ أنه في حالة استشهاد بلال، سيتَّخذه زيد بن عمرو بن نُفَيل، أو ورقة بن نوفل شفيعًا، لأنهما كانا يظنّاه من الأحناف مثلهما.[٨٣] ففي حال استشهاد بلال بن رباح، يمكنه أن يشفع لسبعين من أهل بيته بحسب المفهوم الإسلامي، حيث رُوِيَ حديث قال فيه محمد: «(يشفع الشهيد) في سبعين من أهل بيته»[٨٤]، وفي حديث آخر: «يُشفَّع في سبعين إنسانًا من أقاربه».[٨٥]

تُخبرنا المصادر الإسلامية أن المسلمين الأوّل كانوا على معرفة باستشهاد يحيى بن زكريا، حيث ذُكِرَ حديث عن أسماء بنت أبي بكر[٨٦] قالت فيه: «وما يمنعني من الصبر وقد أُهديَ رأس يحيى بن زكريا إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل»[٨٧] الأمر الذي يشير إلى أن أسماء كانت تعلم باستشهاد يحيى بن زكريا، بل أن قصّة استشهاده قد وردت في بعض هذه المصادر.[٨٨]

أوّاهٌ

وردت كلمة «أوّاه» مرتيْن في القرآن: (١) في سورة التوبة: ‹وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ› (التوبة ٩: ١١٤). (٢) في سورة هود: ‹إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ› (هود ١١: ٧٥).

وقد أعلن حبر الأمة ابن عباس صراحةً أنه لا يعرف معنى كلمة «أوّاه»،[٨٩] إلا أنه حاول تأويلها بثلاثة أقوال (٣، ٤، ٧)، من بين المعاني الخمسة عَشَر التالية التي اختلف فيها المُفسِّرون: (١) الدَّعَّاء.[٩٠] (٢) الرَّحِيم.[٩١] (٣) الْمُوقِن، بلسان الحبشة.[٩٢] (٤) الْمُؤْمِن، بِلُغَةِ الْحَبَشَة.[٩٣] (٥) الْمُسَبِّح.[٩٤]

---

٨٣. قارن الطبري، تفسير ٥: ٤٨٦.
٨٤. ابن كثير، تفسير ١٣: ٦٤. رواه أبو داود عن أبي الدرداء.
٨٥. ابن كثير، تفسير ١٣: ٦٣. وقد أخرجه الترمذي وصحّحه، وابن ماجة.
٨٦. عندما جاء ابن عمر ليعزّيها في ابنها عبد الله بن الزبير الذي صلبه الحجاج بن يوسف الثقفي.
٨٧. ابن أبي شيبة، المصنّف ١١: ٩٥، كتاب الفضائل باب «ما ذكر في يحيى بن زكريا».
٨٨. انظر البغوي، تفسير ٥: ٧٧.
٨٩. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١.
٩٠. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٠، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠١، الطبري، تفسير ١٢: ٣٤. قَالَه اِبْن مَسْعُود وَعُبَيْد بْن عُمَيْر.
٩١. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢، الطبري، تفسير ١٢: ٣٥. قَالَه الْحَسَن وَقَتَادَة.
٩٢. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠١، الطبري، تفسير ١٢: ٣٨-٣٩، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢. قَالَه خَالِد وَعِكْرِمَة وَرَوَاهُ اِبْن عَبَّاس.
٩٣. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠١، الطبري، تفسير ١٢: ٤٠، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢. قَالَه اِبْن عَبَّاس.
٩٤. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠١-٣٠٢، الطبري، تفسير ١٢: ٤١، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢. قَالَه الْكَلْبِي وَسَعِيد بْن المسيب والشعبي.

www.christianlib.com

(٦) الْكَثِير الذِّكْر للهِ.[٩٥] (٧) تَلَّاءً لِلْقُرْآن.[٩٦] (٨) الْمُتَأَوِّه.[٩٧] (٩) الْفَقِيه.[٩٨] (١٠) الْمُتَضَرِّع الْخَاشِع.[٩٩] (١١) الَّذِي إِذَا ذَكَرَ خَطَايَاهُ اِسْتَغْفَرَ مِنْهَا.[١٠٠] (١٢) الحفيظ الوجل.[١٠١] (١٣) الْمُعَلِّم لِلْخَيْر.[١٠٢] (١٤) الشَّفِيق.[١٠٣] (١٥) الرَّاجِع عَنْ كُلّ مَا يَكْرَه اللهُ.[١٠٤]

خاض ابن عباس مع المفسرين في محاولات لتأويل «أوّاه»، فلجأ إلى ربطها بشخصية إبراهيم والسياق الذي عاش فيه، وإن كان ما خلص إليه يدل، بالفعل، على أنه لم يكن يعرف ما تعنيه الكلمة.

محاولات ابن عباس لتأويل «أواه»

القول الثالث: ارتكز ابن عباس فيه، على الأرجح، إلى آية سورة الأنعام ٦: ٧٥: ‹وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ› (الأنعام ٦: ٧٥)، ليخبرنا أن معنى «أوّاه» ربما يكون: «الْمُوقِن، بلسان الحبشة».

القول الرابع: استند ابن عباس على ما جاء في (آل عمران ٣: ٦٧): ‹مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ›. وتعني «أوّاه» بحسب هذا التفسير: «الْمُؤْمِن، بِلُغَةِ الْحَبَشَة»، لأن نبي الله إبراهيم، من وجهة النظر القرآنية، كان مسلمًا حنيفًا ولم يكن من المشركين.

القول السابع: أما ما جاء في هذا القول: «تَلَّاءً لِلْقُرْآن»، فيُظهِر وكأن إبراهيم كان يتلو القرآن!

ثم لماذا في هذا السياق المتعلّق بإبراهيم كان الحديث، وفقًا لابن عباس، بلغة أهل الحبشة؟ فهل كان لهجرة المسلمين الأوائل للحبشة دخلًا في تأثرهم بلغة أهلها المسيحيين، فنقلوا هذه «الصفة» (أواه) عن إبراهيم اعتقادًا منهم أنها تعني مصطلحًا محدّدًا يشير إلى ملة أو اتجاها عقائديًا في حد ذاتها، مثل حنيفًا دون أن يدركوا أنها كلمة عادية، فكان بالأحرى عليهم ترجمتها للعربية.

---

٩٥. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠١، الطبري، تفسير ١٢: ٤١، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢. قَالَهُ عُقْبَة بْن عَامِر.
٩٦. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٢، الطبري، تفسير ١٢: ٤٢، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢. مَرْوِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس.
٩٧. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢، الطبري، تفسير ١٢: ٤٢، ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٢. قَالَهُ أَبُو ذَرّ. وأضاف القرطبي، تفسير: «كَانَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام يَقُول: «آهْ مِنْ النَّار قَبْل أَلَّا تَنْفَع آهْ».
٩٨. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٣، الطبري، تفسير ١٢: ٤٣، القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٣. قَالَهُ مُجَاهِد وَالنَّخَعِيّ، وأبو جعفر بن جرير.
٩٩. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٣، ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٠-٣٠١، الطبري، تفسير ١٢: ٤٣. رَوَاهُ عَبْد اللَّه بْن شَدَّاد بْن الْهَادِ.
١٠٠. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٣، ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٢، الطبري، تفسير ١٢: ٤٤. قَالَهُ أَبُو أَيُّوب.
١٠١. ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٢. وأضاف ابن كثير، تفسير: «يذنب الذنب سرًّا ثم يتوب منه سرًّا».
١٠٢. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٣. قَالَهُ سَعِيد بْن جُبَيْر.
١٠٣. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٣. قَالَهُ عَبْد الْعَزِيز بْن يَحْيَى. وَكَانَ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُسَمَّى الْأَوَّاه؛ لِشَفَقَتِهِ وَرَأْفَته.
١٠٤. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٤. قَالَهُ عَطَاء. وَأَصْله مِنْ التَّأَوُّه، وَهُوَ أَنْ يُسْمَع لِلصَّدْرِ صَوْت مِنْ تَنَفُّس الصُّعَدَاء.

www.christianlib.com

ونتساءل: هل كان نبي الله إبراهيم يتكلم اللغة الحبشية؟ أم أن القرآن نقل الكلمة بلغة الأحباش؟ ومن ناحية أخرى، متى «نزل» القرآن على إبراهيم؟

ربما توافق معظم هذه التأويلات شخصية إبراهيم، إلا أن ما يمكن أن يُوضِّح معنى كلمة «أوّاه» حقًّا، هو سياق الآيتيْن. فكلتاهما تفيدان بأن إبراهيم تأوّه:

الآية المكية: ‹إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ› (هود ١١: ٧٥)، يخبرنا السياق عن فترة ما بعد البُشرى التي أتى بها الرسل (الثلاثة) إلى إبراهيم، بحيث أعلموه بما سوف يحدث لقوم لوط: ‹وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ...› (العنكبوت ٢٩: ٣١)، فبدأ ابراهيم بمجادلتهم فيما أخبروه به: ‹فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ›.[١٠٥] وتأوه ابراهيم للمرة الثانية حين علم أن أمر الإهلاك غير مردود[١٠٦]، وأن الملائكة يطلبون منه التوقُّف عن المجادلة في الأمر: ‹يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ...›.[١٠٧]

الآية المدنية: ‹وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ› (التوبة ٩: ١١٤)، والحديث هنا عن الفترة التي كان إبراهيم فيها بين أهله وعشيرته، وهو قد تأوّه بسبب رفض أبيه قبول دعوته للإيمان بالله: ‹يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا›.[١٠٨] كما أن أباه قد طرده رافضًا دعوته: ‹قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا›.[١٠٩] وعلى الرغم من ذلك، فقد وعد ابراهيم أباه بأن يطلب له الغفران: ‹قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا›[١١٠]، ثم اعتزل قومه، وتمنىّ ألا يكون طلبُ الغفران لأبيه سببًا لشقائه، بمعنى رجاءه أن يستجيب الله لدعائه: ‹وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ...›.[١١١] لكن عندما تبينّ لإبراهيم أن أباه لم يقبل

١٠٥. هود ١١: ٧٤.
١٠٦. هود ١١: ٧٥.
١٠٧. هود ١١: ٧٦.
١٠٨. مريم ١٩: ٤٣.
١٠٩. مريم ١٩: ٤٦.
١١٠. مريم ١٩: ٤٧.
١١١. مريم ١٩: ٤٨-٤٩.

www.christianlib.com

الإيمان بالله، وبقي على كفره، تبرأ منه مُتَأَوِهًا[١١٢]، ومتحسّرا على المصير الذي كان ينتظر أباه، لأن ما كان خائفًا منه قد تحقّق. وخوف ابراهيم من مماطلة أبيه كان واضحًا في الآية التي تقول: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.[١١٣]

إن فشَلُ إبراهيم في إقناع أبيه بدعوته بحسب القرآن، وعدم قبول الله لاستغفاره لأبيه، جعلاه يتأوّه من الحسرة والحزن... كما تأوّه في المرة الثانية عندما فشل في إقناع الرسل بعدم إهلاك قوم لوط.

فالقول الثامن «الْمُتَأَوِّه» هو الأقرب إلى معنى كلمة «أوّاه» المأخوذة من كلمة «آه»، التي تفيد التوجع.[١١٤] إذًا فالمعنى يشير إلى التأوّه أي التألم والصياح بالآهات. ولكن الإشكالية أن المفسرون قد اختلفوا في معنى الكلمة على أكثر من خمسة عشر رأيًا، والأهم أن الجيل الأول من أهل التأويل كمجاهد وابن مسعود وعكرمة لم يكن المعنى معروفًا لهم، ويبدو أنه قد صار معروفًا لاحقًا كما ذكر الطبري، وغيره من المفسرين عندما ذكروا أنها من التأوه.[١١٥] فيبدو أن الكلمة أصبحت فيما بعد عربية بحتة، كما حدث مع كلمات كثيرة مع تطور اللغة، وعلى سبيل المثال لا الحصر «العولمة».

الرَّقِيم

وردت كلمة «الرقيم» في سورة الكهف ١٨: ٩: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.[١١٦] وقد احتار علماء الإسلام في تفسير هذه الكلمة بشكل دقيق، فيما أعلن حبر الأمة ابن عباس أنه لا يعرف معناها.[١١٧] وفي مكان آخر قال: «ما أدرِي ما الرَّقيمُ، أكتابٌ أم بُنْيانٌ؟».[١١٨]

من الصعب معرفة المعنى الحقيقي لكلمة «الرقيم» في هذه الآية، بسبب اختلاف المفسِّرين في مغزاها، حيث تضاربت تأويلاتهم كما يلي: (١) الوادي الذي فيه الكهف.[١١٩] (٢) دراهمهم.[١٢٠] (٣) اسمُ

١١٢. التوبة ٩: ١١٤.

١١٣. مريم ١٩: ٤٥.

١١٤. ابن منظور، لسان العرب ٤٧٢٦.

١١٥. القرطبي، تفسير ١٠: ٤٠٢، الطبري، تفسير ١٢: ٤٢، ابن كثير، تفسير ٧: ٣٠٢. قَالَهُ أَبُو ذَرّ. وَأضاف القرطبي: «كَانَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَم يَقُول: «آهْ مِنْ النَّار قَبْل أَلَّا تَنْفَع آهْ».

١١٦. الكهف ١٨: ٩.

١١٧. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١.

١١٨. الطبري، تفسير ١٥: ١٦٠.

١١٩. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١، الطبري، تفسير ١٥: ١٥٨. قاله مجاهد، وعطية، وقتادة.

١٢٠. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٢. قاله النقاش عن قتادة.

www.christianlib.com

قرية.[١٢١] (٤) الصخرةُ التي كانت على الكهف.[١٢٢] (٥) كتابٌ في لوح من رصاص.[١٢٣] (٦) كتابٌ في لوح من نحاس.[١٢٤] (٧) كتاب مرقوم.[١٢٥] (٨) كلب أصحاب الكهف.[١٢٦] (٩) الدَواةُ.[١٢٧] (١٠) بلدة بالروم فيها الغار.[١٢٨] (١١) أصحاب الغار.[١٢٩] (١٢) اسم جبل أصحاب الكهف.[١٣٠] (١٣) لوح من ذهب.[١٣١]

أشار الطبري إلى أن هناك من المفسِّرين مَن يقولون إنه لم يكن كلبًا، وإنما «كان إنسانًا من الناس طبَاخًا لهم تبعهم».[١٣٢]

ونتساءل: لماذا يشتمل القرآن على ألفاظٍ يحار في معناها كبار المفسِّرين، وفي آية على غرار آية سورة الكهف تعتبر الرقيم من آيات الله، أي أن معنى كلمة الرقيم كان أساسيًا لإدراك عظمة الله في هذه الآية تبعًا للتعبير القرآني؟ ولماذا لم يسأل المسلمون محمدًا عن معنى «الرقيم» حينما تلا عليهم الآية، بدلًا من أن يقدِّم لنا الفقهاء كل هذه التخمينات عن معناها؟

ومن جهة أخرى، تُرجّح إحدى الدراسات أن «الرقيم» هو اسم مكان في صحراء فلسطين الجنوبية، كما جاء في الأدب الترجومي.[١٣٣] إن صحَّت هذه الدراسة، يصبح من غير الواضح كيف دخلت هذه الكلمة إلى القرآن؟

ومع مجافاة تفاسير العلماء المسلمين السابقة لمعنى الآية، تركيبتها اللغوية، وتسلسل الأحداث، مما استدعى محاولة فهم هذه الكلمة «الرقيم» من جانب المستشرقين، وفي إحدى هذه المحاولات طرح المستشرق الألماني بلامي (J. A. Bellamy) رأيًا يستعرض فيه تطور الكلمة عن طريق فرضية تغيير ثلاثة حروف منها، حيث أزاح حرف الواو في أول الكلمة، ثم غيّر حرف الياء إلى الواو

---

١٢١. الطبري، تفسير ١٥: ١٥٧. قاله كعب الأحبار.
١٢٢. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١. قاله السُّدِّيّ.
١٢٣. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١.
١٢٤. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١١ ، الطبري، تفسير ١٥: ١٥٩. قاله ابن زيد.
١٢٥. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٢.
١٢٦. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٢. أنس بن مالك، والشعبي.
١٢٧. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٢. قاله عكرمة.
١٢٨. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٣. قاله الضحّاك.
١٢٩. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٢.
١٣٠. الطبري، تفسير ١٥: ١٥٩-١٦٠.
١٣١. القرطبي، تفسير ١٣: ٢١٢.
١٣٢. الطبري، تفسير ١٥: ١٩١-١٩٢.
133. Jeffery, *Foreign Vocabulary*, 143-144..

www.christianlib.com

«الرقوم»، ثم غيّر الميم إلى دال «الرقود»، فأصبحت الآية بحسب نظريته «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ الرُّقُودِ [صفة لأصحاب الكهف] كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا».[١٣٤]

وهناك دراسة أخرى جديرة بالاعتبار، للمستشرق كريستوف لوكسنبرج (Chritoph Luxenberg)، يقدّم فيها شرحًا مستفيضًا يفيد بوقوع أخطاء في نقل كلمة «الرقيم» إلى المصحف، خلال مرحلتيْن على الأقل. وخلاصة البحث هي أن كلمة «الرقيم» أصلها «الرقيد» أو «الرقاد»[١٣٥] حيث تتماشى مع المعنى المراد من الآية والحادثة بأكملها؛ والبحث الذي أجراه لوكسنبرج ارتكز على المراحل التالية لتطور الكلمة:

المرحلة الأولى: تبديل الدال إلى راء (الرقيد ⇦ الرقير)

القرآن الأصلي كان مكتوبًا بالخط الكرشوني (لسان عربي وخط سرياني)،[١٣٦] ثم نُقل إلى الأحرف العربية فيما بعد. وفي أثناء عملية النقل هذه حدث العديد من الأخطاء في نقل القرآن،[١٣٧] وخاصَة الخلط بين حرفيَ الدال (ܕ) والراء (ܪ) المتشابهيْن في الأبجدية السريانية، إذ لا يفرق بينهما سوى موضع النقطة سواء تحت الحرف أو فوقه. وقد نتج عن هذا الخطأ كتابة كلمة الرقيد بالراء، لتصبح «الرقير».

وهذا الخطأ كان شائعًا في تلك المرحلة. فعلى سبيل المثال، ذكر لوكسنبرج أن كلمة «ركزا»[١٣٨] هي في الأصل «ذكرا»، وأن كلمة «الطود» أصلها «الطور».[١٣٩]

المرحلة الثانية: تبديل الراء إلى ميم (الرقير ⇦ الرقيم)

في هذه المرحلة، وقعت أخطاء من الكُتّاب في النقل من خط عربي إلى خط عربي آخر، فتحول حرف الراء في آخر الكلمة «الرقير» إلى ميم «الرقيم»، لأن حرف الميم في آخر الكلمة شبيه بحرف

---

134. Luxenberg, *The Syro-Aramic Reading*, 81.

135. Ibid. 80-85.

136. Luxenberg, "Relikte syro-aramäischer Buchstaben" 377-414.

١٣٧. يعتقد لوكسنبورغ أن القرآن كان أولاً مكتوبًا بالخط الكرشوني، بمعنى: خط سرياني وقراءة عربية، ثم نقل بعد ذلك إلى الخط العربي، مما سبّب بعض الأخطاء في النقل، ولاسيما الخلط بين الراء والدال لتشابه الحرفيْن في الخط السرياني. هذا بالإضافة أيضًا إلى وقوع أخطاء وقع فيها الكتاب في النقل من العربي للعربي؛ (وعلى سبيل المثال كلمة ‹وقضى› و كلمة ‹ووصى› انظر التعليق على القراءات (الإسراء ١٧ : ٢٣)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٢١٩، والتي تُعتبر «المرحلة الثانية» من الأخطاء التي وقع فيها ناقلوا القرآن).

١٣٨. مريم ١٩:٩٨.

١٣٩. الشعراء ٢٦:٦٣.

الراء في خطي الحجازي والكوفي القديم. ويبدو هذا التشابه الواضح على سبيل المثال في عبارة «يا مريم» (آل عمران ٣:٤٥)، التي تظهر بالشكل التالي في مخطوطة سمرقند .[١٤٠]

ولم يكن هذا الخطأ هو الوحيد من نوعه في النقل من خط عربي إلى خط عربي آخر. فنرى ابن عباس نفسَه يشير إلى خطأ مماثل وقع في نقل كلمة «ووصى» لتصبح «وقضى» (انظر التعليق على الإسراء ١٧: ٢٣). وهذا الخطأ الأخير يُعتبر «الجيل الثاني» من الأخطاء التي قام بها كتبة القرآن.

ويلاحظ أن الياء في «**الرقيم**» ما هي إلا ألف؛ مثلها في ذلك مثل كلمة ‹فسواهن›[١٤١] التي هي في رسم المصحف: «**فسويهن**». وبالتالي، فالآية تصبح بحسب رأي لوكسنبرج: ‹أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّقَادِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا›.[١٤٢]

وبما أن أصحاب الكهف كانوا رقادًا (نائمين)، فكلمة «الرقاد» توضِّح المقصود بأصحاب الكهف. وبالتالي، يصبح المعنى أن أصحاب الكهف والنوم (حالة نومهم) كانوا من آياتنا عجبًا. وعلى الرغم من هذا البرهان الذي يتصل بالمعنى، إلا أن لوكسنبرج اعتمد على علم اللسان، ومنهجيته العلمية، فتوصل إلى فرضية تغيير الحرف الأخير من كلمة «الرقيم» مرتين:

- الأولى من حرف الدال إلى حرف الراء (الرقاد ⇦ الرقير).
- الثانية من حرف الراء إلى حرف الميم (الرقير ⇦ الرقيم).

بالنظر إلى نهج كلٍ من بلامي ولوكسنبرج، نرى استخدامهما أكثر من تغيير للوصول إلى استنتاجاتهما. لكننا نحاول البحث عن أصل الكلمة باتباع ذات المنهجية العلمية المتمثلة في اختلاف صورة الحرف المكتوب أصلًا عن نقله، ولكن عن طريق افتراض تغيير حرف واحد فقط وقع الخطأ في نقله، وذلك بغية التوصل أيضًا إلى الكلمة التي تنسجم أكثر من حيث المعنى مع سياق الآية وأحداث وملابسات القصة. ولمحاولة إيجاد هذا الحرف في كلمة «الرقيم»، وجب علينا التمعن في القصة بأكملها. البداية كانت في آية: ‹أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا› (الكهف ١٨: ٩) التي نحن بصدد دراستها، حيث توالت الأحداث إلى أن دخل هؤلاء الفتية إلى الكهف. ففي آخر هذه الآية: ‹فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ

---

١٤٠. مخطوطة سمرقند، الرقعة ٤٧/ب، آل عمران ٣: ٤٥.

١٤١. البقرة ٢:٢٩.

142. Luxenberg, *The Syro-Aramic Reading*, 80-85.

www.christianlib.com

لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا› (الكهف ١٨: ١٦)، نجد أن كلمة «مِرفَقًا» تدل في السياق على أن الله يُهيئ لهم ما يرتفقون به، ويكون لهم رحمة وعونًا. ولا يُفهم من هذه الكلمة «مِرفَقًا» أنها مرفق اليد، وذلك لسبب وجود عبارة «وَيُهَيِّئْ لَكُمْ» التي تعني «يُعِدُّ لكم»؛ فكيف يعد لهم مرفق اليد؟ يقول الطبري في شرحه لكلمة مِرفقًا: «مَا تَرْتَفِقُونَ بِهِ مِنْ شَيْء»[١٤٣] أي مُرافِق، ولا سيما أن حرف العطف «و» في شق الآية التي تقول ‹أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ› تبيَّن أن «الرقيم» المعطوف على أصحاب الكهف كان كائنًا يشاركهم ويرافقهم وليس من قبيل الصفة «الرقاد» أو «الرقود» التي ذهبت إليها التفاسير المشار إليها سابقًا.

خلاصة القول هي أن كلمة مُرافِق تعني أن يكون لهم رحمة (بمعنى عون أو حماية). إذًا، من صفات هذا الرقيم أن يكون مُرافِقًا وحاميًا لهم. ولكوننا لسنا متأكِّدين تمامًا من هذه النتيجة، نواصل قراءة وقائع القصّة:

- ونلاحظ في الآية ورود كلمة «وَكَلْبُهُم»[١٤٤]، التي تتوافق في الظاهر مع أحداث القصّة، لأنه الحارس المعين الذي هيّأه الله لحراستهم. وقد أجمع المفسّرون على أنه كلب حقيقي، وأطلقوا عليه أسماء مختلفة. فمنهم من سمّاه «ريّان»، وكذلك «قِطْمِير» و«مُشِير» و«بَسِيط» و«صُهَيْبُ» و«نقيا»[١٤٥]؛ ولكن هل يمكن أن يكون الكلب هو هذا الرقيم كما ذهب البعض مثل القرطبي؟[١٤٦] عند التمعن في الصفات القرآنية لحارس أهل الكهف وعبارة: ‹وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيد...›، يمكن ملاحظة النقاط التالية:

عبارة ‹باسط ذراعيه بالوصيد› تُنشئ إشكالية في التصور، لأن بسط الشيء يعني: نشره.[١٤٧] وفي القرآن، ترِد كلمة «يبسط» بمعنى يوسِّع، كما في آية: ‹اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...›[١٤٨]، فكيف للكلب أن يبسط ذراعيْه؟ وإن كان المقصود هو مد ذراعيه، فلماذا جاءت الآية بكلمة «باسط»؟ وفي المقابل، أنه عند النظر في آية (الأنعام ٦:٩٣): ‹...وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ...›، نجد ان الكلمة تُظهر أن بسط اليديْن للحراسة هو أحد مهام الملائكة.

---

١٤٣. الطبري، تفسير ١٥: ١٨٢.
١٤٤. الكهف ١٨: ١٨.
١٤٥. القرطبي، تفسير ١٣: ٢٣٠.
١٤٦. نفس المصدر ١٣: ٢١٢.
١٤٧. ابن منظور، لسان العرب ٢٨٢.
١٤٨. الرعد ١٣:٢٦.

www.christianlib.com

- بإمعان النظر في رسم المصحف «وكلبهم»، يلاحظ أنه يمكن قراءة هذه الكلمة «وكليهم» أو «وكاليهم»، لأن ألف المد كما في كلمة «الرحمن» و«الرحمان»، وكذلك «وكلئهم» أو «وكالئهم» نادرًا ما تظهر في وسط الكلمة برسم المصحف. وذكر أبو الزاهد أنه قد قُرئ: وَكَالِئُهُمْ «اسم فاعل من كلأ، أي: حافظهم».[١٤٩]
- وكما ذكرنا من قبل، فالطبري أشار إلى أن المقصود في الآية ربما كان إنسانًا[١٥٠]؛ ولهذه القراءة لأبي الزاهد ما يُساندها في القرآن كذلك، حيث نقرأ ‹قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..›.[١٥١] يقول الطبري: «مَنْ يَحْفَظكُمْ وَيَحْرُسكُمْ بِاللَّيْلِ إِذَا نِمْتُمْ، وَبِالنَّهَارِ إِذَا انصرفتم ‹مِنَ الرَّحْمَنِ›؟»[١٥٢] إذًا، لا شك في أن الكلمة «وكلبهم» تعني حافظهم وحارسهم؛ وبالتالي، فإن المقصود هنا هو كليهم، أو الرقيم، فيصبح من معاني كلمة «الرقيم»: مُرافق وحارس.

وتلخيصًا لما سبق، فهناك شكوك في أن يكون مرافق الفتية كلبًا. وما يدعم هذه الشكوك أن الآية صريحة ‹...وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا›[١٥٣]، أي: أن الله هيأ لهم مُرافقًا حارسًا، فهذا الحارس، الذي هو من آيات الله، وجب أن يكون يقظًا لا نائمًا؛ فلماذا لا يكون هذا الحارس ملاكًا قد حرسهم طوال تلك السنين العديدة؟ خصوصًا أنه إذا تمعنا في الآية ‹.. لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا›؛[١٥٤] نجد أن التوصيف القرآني لحالة كل من هو مزمع أن يرى هؤلاء الفتية وهذا «الرقيم» هو كلمة «الرعب»؛ أي أن «رُعْبًا» هو رد الفعل عند الحديث عن رؤية الذين في الكهف. فلماذا الرعب مع كون الفتية لم يلاحظوا أو يذكروا أي تغيير في هيئتهم بعد استيقاظهم ومن ثم لم يلاحظ أحد أنهم ناموا سنينًا وسنينًا، بدليل قول أحدهم: ‹كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ›[١٥٥]، فالرعب إذًا لم يكن بسبب تغير هيئة الفتية، إنما يبدو بسبب مَن يحرسهم بالوصيد (مدخل الكهف). وفي هذه الحالة، هل من الممكن أن كلبًا نائمًا سبّب كل هذا الرعب؟

١٤٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٧١.
١٥٠. الطبري، تفسير ١٥: ١٩١-١٩٢.
١٥١. الأنبياء ٢١: ٤٢.
١٥٢. الطبري، تفسير ١٦: ٢٧٨.
١٥٣. الكهف ١٨: ١٦.
١٥٤. الكهف ١٨: ١٨.
١٥٥. الكهف ١٨: ١٩.

www.christianlib.com

وما يلفت النظر ويدعم هذه الفرضية في التفسير هو أن النصوص السريانية لقصة أهل الكهف، تشير إلى أن الحارس كان ملاكًا فعلًا وليس كلبًا!

فبالرجوع إلى النصوص السريانية قبل الإسلام، لا يوجد ذكر للكلب في حكاية شباب أفسس![١٥٦] ففي كتاب «ميامر يعقوب السروجي» (ت ٥٢١ م)[١٥٧]، ذُكر وجود حارس للنائمين. والنص السرياني يقول إن الأرواح صعدت إلى السماء، وقد أبقى الرب مراقبًا ܥܝܪܐ (تلفظ: عيرو. ولكن تُكتب: عيرا. والمعنى: مراقب أو ملاك) ليحرس الأجساد. ومن الصعوبة تفسير كيف أن النص الأصلي تحدّث عن حارس، بينما أصبح هذا الحارس في القراءة الشائعة للقرآن هو الكلب. فتفرّد الرواية الإسلامية بالقول إنه كان هناك كلب مع النائمين، كما جاء في معظم التفاسير الإسلامية، لا يوجد في التقاليد التي سبقت القرآن. وربما يفسِّر وجود الكلب في القصّة القرآنية، أن الكلاب الحارسة موجودة في المعجم السرياني في بيئة الرعاة. وعندما نعود إلى نص «ميامر يعقوب السروجي»، نجد أن كلمة المراقب تفيد معنى الحارس المذكور في نفس سياقات صورة الراعي. وفي صلاة الشباب لربهم، يقول النص:

> «صعدوا الجبل، ودخلوا الكهف ومكثوا فيه. وصلّوا إلى الرب في صوت حزين قائلين: «نتضرّع إليك، أيها الرب الراعي الذي اختار عبيده، احمِ قطيعك من الذئاب العطشى للدماء». فرأى الرب الإيمان في الحملان المباركة، فجاء كي يعطيهم مكافأة عظيمة لتعويضهم. أخذ أرواحهم ووضعها في السماء، وجعل مراقبًا ليحرس أجسادهم».[١٥٨]

ارجع أيضًا إلى كتاب «القرآن في سياقه التاريخي» لجوزيف ويترزتوم.[١٥٩]

فبالاطلاع على النص السرياني الذي كُتب قبل ظهور القرآن، يتبيّن لنا دون أدنى شكٍ أن كلمة «الرقيم» لم تكن في الأصل سوى مراقب: أي «الرقيب»!

والسؤال المطروح: كيف تحولت كلمة «الرقيب» إلى «الرقيم»؟

١٥٦. انظر الأخطاء (الكهف ١٨: ٩-٢٦)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٢٤٧.

١٥٧. أوردها يعقوب السروجي في عظة من عظاته.

158. Griffith, 128, (Guidi, *Testi Orientali Inediti*, 1, 19-20, ## 55-61).

159. Ibid.

الإجابة على هذا السؤال تتطلب النظر إلى هاتيْن الكلمتيْن في رسم المصحف: «**الرقيمـ**»[١٦٠] (الكهف ١٨: ٩)، و«**الرقيـــ**» (المائدة ٥: ١١٧). وهنا يتضح أن حرف الباء في آخر الكلمة «**الرقيـــ**» نُقِل خطأ كأنه حرف «ميم». والسبب هو أن نبرة الباء في آخر الكلمة « ـــ »، إذا ضُخِّمت بعض الشيء «**ـمـ**» تصبح شبيهة بحرف الميم « مـ »، فظن من نقل عن كاتب النص القرآني الأول كلمة «**الرقيـــ**» أن نبرة الباء ميمًا لتشابه رسم الحرفيْن.

كما أن العديد من الكلمات العربية سواء في القاموس أو في اللهجة الدارجة يمكن فيها إبدال حرف الباء بالميم دون تغيير في المعنى مثل: حبلت المرأة، أو حملت المرأة. وفي القرآن ورد اسم «**مكة**» في (الفتح ٤٨: ٢٤)، لكنه ورد في (آل عمران ٣: ٩٦) بالباء «**بكة**».

وبالمثل حدث نفس التغيير لكلمة «الرقيب» لتصبح لدينا كلمة جديدة هي «الرقيم» التي لم يفهمها حبر الأمة ابن عباس.

والرقيب في اللغة تعني: المُنْتَظِرُ؛[١٦١] كما وردت الكلمة في القرآن وتعني: الحفيظ، حيث جاء في (المائدة ٥: ١١٧): ‹.. فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ..›؛[١٦٢] يَقُول الطبري: «كُنْت أَنْتَ الحَفِيظ عَلَيْهِمْ دُونِي».[١٦٣] فكما رأينا، حصل التغيير مرة واحدة فقط من « ـــ » إلى « مـ »، أي من خط عربي إلى خط عربي آخر. وهذا وارد جدًا، لأن في كل مخطوطة قرآنية قديمة (خالية من التنقيط) نجد عدة أخطاء ناتجة عن النقل بالخط العربي. وسبق أن قدّمنا كلمة «والصَّابِئِينَ»[١٦٤] في رسم مخطوطة سمرقند كمثال على ذلك. فقد أصبحت «**والصلبس**»، وتُقرأ «والصَّلْبِينَ» أو «والصَّالْبِينَ»، لأن الكاتب أخطأ بتمديد نبرة الباء حتى أصبحت لامًا؛ وفي مخطوطات صنعاء نجد العبارة مغايرة للقرآن الشائع، حيث رسمت على الشكل التالي ،[١٦٥] أي «**فأنفخ فيها**»، بدلاً من «فأنفخ **فيه**»[١٦٦] بحيث أضاف الكاتب سهوًا حرف ألف في آخر «فيه»؛ أما في مخطوطة باريس، فمكتوب

---

١٦٠. يُلاحظ في المخطوطات القديمة أن ذيل حرف الميم كان يُكتَب أفقيًا على السطر كما هو موضح هنا في كلمة «الرقيمـ».

١٦١. ابن منظور، لسان العرب ١٦٩٩.

١٦٢. المائدة ٥:١١٧.

١٦٣. الطبري، تفسير ٩: ١٣٧.

١٦٤. البقرة ٢:٦٢.

١٦٥. مخطوطات صنعاء ٠٢٨٠٠٥ - ب.

١٦٦. آل عمران ٣:٤٩.

www.christianlib.com

«تَبْيَضُّ وُجهيه»[١٦٧] بدلاً من «تَبْيَضُّ وُجُوه»،[١٦٨] والقائمة طويلة! ولكننا نكتفي بهذا القدر من البراهين على أن المخطوطات القديمة تحتوي على كم لا يُستهان به من الأخطاء.

وخُلاصة القول: كما وقعت أخطاء عند النقل في مخطوطة سمرقند «**والصلس**»،[١٦٩] وباريس،[١٧٠] وصنعاء،[١٧١] كذلك أنتج الخطأ كلمة «الرقيم»، التي هي في الأصل «الرقيب»، والتي باستخدامها تصبح الآية مفهومة وواضحة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيبِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.

الخلاصـــة

لم يكن حبر الأمة ابن عباس هو الوحيد بين كبار صحابة محمد الذين لا يعرفون معاني بعض الكلمات من أصل غير عربي في القرآن. وقد رأينا أن أقرب المقرّبين من صحابة محمد، أي أبو بكر وعمر بن الخطاب، لا يعرفان معاني بعض الكلمات في القرآن؛ وهذا غريب فعلًا، لأنه كان من المفترض أن يسأل هؤلاء صاحبهم عن مدلول هذه الكلمات، وألا يتركوا الأجيال المقبلة من المفسّرين وعلماء الإسلام يُخمّنون معناها. فإذا كان هذا هو حال كبار الصحابة، فأين هو المسلم البسيط في وقتنا الحاضر من فهم هذه النصوص؟ حاولنا كباحثين في هذا المجال دراسة الكلمات بموضوعية بحسب أصول علم اللغة (Philology) وبالرجوع إلى السياق القرآني والنصوص السابقة للقرآن، والاستعانة بالتفاسير والأقوال التي تعدّدت في هذا الموضوع، ثم العودة إلى أصل هذه الكلمات، إذا أمكن معرفة أصلها غير العربي، ثم البحث في التراث غير الإسلامي الذي ناقش هذه الكلمات بعينها. والواقع أنه لولا الاستعانة بالمخطوطات القرآنية القديمة، كمخطوطة سمرقند والقاهرة وباريس، لم يكن من السهل شرح الالتباسات التي حصلت في نقل هذه الكلمات، خصوصًا كلمتي «غِسْلِين»، «والرقيم». وختام القول هو أننا لا ندّعي الانفراد في إصابة كبد الحقيقة، ولكنه اجتهاد منا يهدف إلى معرفة خبايا بعض كلمات القرآن، وسبر أغوار تركيباته الغامضة، والتي تبتعد عن القول البيان في كثير من الأحيان؛ فنحن نعتبر كتاب القرآن تراثًا عربيًا يستحق عناء البحث.

---

167. *Arabe 328a* Folio 4b.

١٦٨. آل عمران ٣:١٠٦.

١٦٩. البقرة ٢:٦٢.

170. *Arabe 328a* Folio 4b.

١٧١. مخطوطات صنعاء ٠٥-٢٨٠٠ - ب.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

كيف تقرأ هذا الكتاب

www.christianlib.com

كيف تقرأ هذا الكتاب

تسهيلاً على القارئ فقد ربطنا تعليقات الأقسام الثلاثة للكتاب: «القراءات المختلفة»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«التحليل النقدي» بنص القرآن الموجود في الأعلى من خلال ألوان ورموز تساعد القارئ على ربط التعليق بالجزء المقصود من نص القرآن كما يتضح من النماذج الموضحة في الصفحة التالية.

الرموز المستخدمة في الكتاب لبيان نوع الدراسة

التحليل النقدي: يشار إليه بزخارف مطبوعة باللون الأحمر، على الشكل التالي: ﴿ ٤٥: ١٣ ﴾، أما نص الآية القرآنية موضوع التحليل فيكون باللون الأحمر. وكمثال في الآية الثالثة عشر من سورة الجاثية:

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾.

القراءات المختلفة: يشار إليها بزخارف مطبوعة باللون الأزرق، على الشكل التالي: ﴿ ٤٥: ١٣ ﴾، أما نص الآية القرآنية موضوع دراسة «القراءات المختلفة» فيكون باللون الأزرق. وكمثال ففي الآية الثالثة عشر من سورة الجاثية، يكون التعليق على قراءات ‹مِنْهُ›:

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾.

الناسخ والمنسوخ: يشار إليه بزخارف مطبوعة باللون الأخضر، على الشكل التالي: ٤٥: ١٤، ويشار بخط أخضر أسفل الجزء المنسوخ من نص الآية القرآنية. وكمثال على ذلك، فالجزء ‹قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ› من الآية الرابعة عشر من سورة الجاثية، هو منسوخ:

قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

www.christianlib.com

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ

٤٥: ١٣

- قراءة الجمهور: ‹مِنْهُ›.
- وقرأ ابن عباس والجحدري وآخرون: «مِنَّةً».[١] أي مَنَّ منّةً.
- وقرأ مسلمة بن محارب: «مِنَّةُ».[٢]
- وقرأ مسلمة بن محارب وابن جبير: «مَنُّهُ».[٣]

جعلت قراءة الجمهور ‹مِنْهُ› المعنى ركيكًا؛ حيث إن تنقيط الكلمة بهذه الكيفية جعلها زائدة لا تضيف للآية شيئًا جديدًا، لأن صدر الآية يذكر أن الله هو الذي يسخر كل شيء للبشر وهو أمر معلوم، ولا حاجة لهذه اللفظة ‹مِنْهُ›. كما أن هذه اللفظة الزائدة كسرت بلاغة الآية ولذا فيُفضل حذفها، حيث إنه لا داعي لتفسير المفسَّر.

٤٥: ١٣

جاءت ‹مِنه› خارج السياق، وبلا وظيفة. «ولعلها ذيلٌ لآية أخرى نُسخت فأثبتها النسّاخ سهوًا فانسابت في النص من غير أن يخطر على بال أحد أن يشكّك فيها»؛[٤] ولذا يقرأها بعض القرّاء: «جَمِيعًا مِنَّةً»: أي تفضلاً وتكرمًا.[٥] وهذه القراءة بدورها، وإن كانت تضيف معنى إلى الآية، تبقى حشوًا في السياق.

٤٥: ١٤

تحث الآية المسلمين على الغفران لغير المؤمنين، وقد نُسِخت. وأُختلف في نسخها:

أ . بـ‹فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ› (الأنفال ٨: ٥٧) و‹قاتلوا المشركين كافة› (التوبة ٩: ٣٦).[٦]

ب. بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٧]

ج . بآية القتال: ‹قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر› (التوبة ٩: ٢٩).[٨]

د . ‹أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا› (الحج ٢٢: ٣٩).[٩]

www.christianlib.com

www.christianlib.com

تحليل وبيان النص القرآني

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مُقدِّمـــــــة

سُمِّيَت «سورة الشعراء» لأنها تفردت من بين سور القرآن بذكر كلمة «الشعراء». كما أُطلق عليها اسم آخر هو «سورة طسم» (ابن عاشور، تفسير ١٩: ٨٩).

السورة مكية، على أن ثمة خلافاً بشأن المقطع: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (٢٢٤ ـ ٢٢٧). ومردّ الخلاف هو السياق الذي ذُكرت فيه الآية، وما إذا كان يتعلق بشعراء في مكة، أو كما يعتقد البعض بأنه يتناول حسان بن ثابت وآخرين، مما يعني أن هذا الجزء مدني (ابن عاشور، تفسير ١٩: ٨٩). لكن نولدكه يحسم الخيار، ويقول إن الجزء المتعلق بنقد الشعراء، هو على الأكثر رد محمد على هجمات محتملة لشعراء قريش. ويرى أن ما يزيد من أرجحية أن يكون هذا الجزء مكياً، هو أننا لا نجد ذكراً لأي شاعر في القرآن المدني (نولدكه، تاريخ ١١٤). وليس بعيداً عن ذلك ما قاله «ويري»، الذي يرى أن أسلوب هذا الجزء مكي (Wherry 3: 220). بينما يرى الحداد أن الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٧، لا تندرج في سياق سورة الشعراء، بل أنها مستقلة، وقد أضيفت إلى متن السورة فيما بعد. ويعتقد أنه إن كان هذا الجزء مدنياً حسب بعض التفاسير، فإنه قد أضيف إلى السورة الأصلية (الحداد، أطوار ٤٧٦).

كما يقف نولدكه عند الآيات: ٢١٤ ـ ٢١٥، متسائلاً عن مدى صحة القول بأن هذه الآيات تعود إلى زمن مبكر. فهذا النص ليس بقوة السور الأولى، مثل سورة المسد (١١١) وسورة المدثر (٧٤). ويقول أيضاً إن الآيتين ٢١٥ و٢١٩ تشيران إلى وجود جماعة صغيرة من المسلمين، مع العلم أن مثل هذه الجماعة لم تكن قد تكوّنت بعد في الفترة المبكرة (نولدكه، تاريخ ١١٢ ـ ١١٣).

مواضيع السورة

الموضوع الرئيس للسورة هو الدفاع عن دعوة محمد النبوية، في وجه اعتراض قريش. ولهذا، فإنها تذكر قصص أنبياء تعرضوا لنفس ما تعرض له محمد، بحيث إنه أسقط واقعهم عليه. والأنبياء الذين وردت قصصهم هم:

- موسى (١٠ ـ ٦٨).
- إبراهيم (٦٩ ـ ١٠٣).
- نوح (١٠٥ ـ ١٢٠).
- هود وقوم عادٍ (١٢٢ ـ ١٣٩).
- صالح وقوم ثمود (١٤١ ـ ١٥٨).
- لوط (١٦٠ ـ ١٧٤).
- شعيب مع قوم مدين (١٧٦ ـ ١٩٠).

تتكرر في السورة لازمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ثماني مرات في: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ (١) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا
يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ
أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ (٤) وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ
إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ (٥) فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ
بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ (٦) أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ
زَوۡجٖ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (٨)
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٩) وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ
ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ
هَٰرُونَ (١٣) وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا
بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ (١٥) فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦) أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ
فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي
فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠)
فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٢١)

www.christianlib.com

٢٦: ١٥-١٦

في الآية هنا، يخاطب الله موسى وهارون قائلاً: اذهبا ‹فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ›. كان يُفترض أن يأتي النص حسب السياق: «إنا معكما» بالمثنى، وقولا «إننا رسولا» بالمثنى لا المفرد، لأن الطلب موجه إلى شخصين اثنين. ولكن ورود كلمة ‹رسول› بالإفراد، بدلاً من «رسولا» يعيده الرازي إلى أحد الاحتمالات التالية:[١]

١. ربما كانت مفردة «الرسول» تعني الرسالة، فيكون المعنى: إنَّا صاحبي رسالة؛
٢. أن موسى وهارون باتفاقهما على شريعة واحدة، واتحادهما بسبب الأخوة، يظهران وكأنهما رسول واحد؛
٣. كل واحد منا هو رسول؛
٤. صيغة المفرد تدل على أن المقصود هو موسى، ولكن التعبير ‹إِنَّا› شبيه بقول الآية ‹إنا أنزلنا›. وهذا الرأي الأخير لا يعتبره الرازي إطلاقاً.

وقد أورد الرازي أربعة آراء عن الجزء الموجود في الآية ١٦، دون أن يقدم للقارئ ما يساعده على اعتماد رأي حاسم، أو معرفة السبب في خلط الصيغ في هذا المقطع بين المثنى والجمع، والمثنى والمفرد.

٢٦: ٢٠

- قراءة الجماعة: ‹الضَّالِّينَ› من الضَّلاَلِ.[٢]
- وفي مُصْحَف ابن مسعود: «الجَاهِلِينَ».[٣]

تختلف قراءة الجماعة عن حرف ابن مسعود في المعنى والرسم، وبالتأكيد كان لابن مسعود، أول من طلب محمد أن يأخذوا القرآن عنه،[٤] سبب قوي لوضع كلمة «الجاهلين» في مصحفه. فهل كان للقراء الأوائل حرية اختيار الكلمات بحسب ما يرونه مناسبًا لسياق الآية؟

١. الرازي، تفسير ٢٤: ١٢٤.
٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٠٧.
٣. القرطبي، تفسير ١٦: ١٧، الطبري، تفسير ١٧: ٥٥٨.
٤. القرطبي، تفسير ١: ٩٥. حيث كان محمد يطلق عليه «ابن أم عبد».

www.christianlib.com

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾
قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ
وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي

٢٦: ٢٢

- قراءة الجماعة: ‹وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا›.[٥]
- وقرأ الضحاك: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مَالكَ أنْ تَمُنُّهَا».[٦]

قراءة الجماعة لا تبين بوضوح: هل أقر موسى بالنعمة التي «أنعم عليه» بها فرعون، بتربيته له في حين استعبد أهله؛ بني إسرائيل، أم أنكر؟ فمن خلال هذه القراءة يمكن فهم الوجهيْن: الإقرار والإنكار. وقد أشار القرطبي إلى المعنيين في تفسيره للآية:[٧]

الإقرار بالنعمة: «كأنه يقول: نعم، وتربيتك نعمة علي من حيث عبَّدت غيري وتركتني».

إنكار النعمة: «أتمن علي بأن ربيتني وليدًا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟! أي: ليست بنعمة».

أما قراءة الضحاك فليس فيها غموض، إذ تبيّن أن النبي موسى لم يعترف بتلك النعمة. إلا أنها لا توافق رسم المصحف، وعليه فنحن نتساءل: هل هي ترميم من الضحاك لنص الآية المنقوص، أم سقطت عبارة «مالك أن» من النص الأصلي للقرآن؟

---

٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٠٨.
٦. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١١.
٧. القرطبي، تفسير ١٦: ١٨.

www.christianlib.com

٢٦: ٢٣

يظهر في مسار الآيات سؤال مفاجىء لفرعون عن هوية رب العالمين، دون أية مقدمات. فلا نعلم كيف بدأ اللقاء، ولماذا سأل فرعون عن رب العالمين.

الحكاية هنا منقوصة، وفيها ثغرات. ولكننا نجدها مذكورة بشكل واضح في سفر الخروج حيث نقرأ:[٨] «وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ». فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ»».

يبدو أن النص القرآني أعاد رواية النص التوراتي. لكن على الأرجح، فإن عدم اتباع منهجية واضحة في تدوين القرآن، أدى إلى هذه الثغرة في نص الرواية القرآنية. ولهذا سعى المفسرون لترميم الثغرات فيها، فمثلاً يقول الزمخشري إن بواب فرعون أخبره أن ثمة «من يزعم أنه رسول رب العالمين».[٩] بينما يقول الرازي إن كلام موسى أتى في سياق نقاشه مع فرعون، وأضاف: «فلا بدّ عند دخولهما عليه أنهما قالا ذلك، فعند ذلك قال فرعون ‹وما رب العالمين›».[١٠]

وجميع هذه الأقوال التي تسعى إلى ترميم الفراغات في النص، تعتمد على خيال الشارح، لا على ما يوجد في القرآن نفسه.

٢٦: ٢٨

- قراءة الجماعة: ‹رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ›، بالإفراد.[١١]
- وقرأ ابن مسعود والأعمش وآخرون: «رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»، بالجمع.[١٢]

يقول ابن كثير عن القراءة بالإفراد ‹الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ›: «هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربًا تغرب فيه».[١٣] أما عن القراءة بالجمع، ففي شرحه لمسألة

---

٨. سفر الخروج ٥: ١-٢.
٩. الزمخشري، الكشاف ٤: ٣٨٥.
١٠. الرازي، تفسير ٢٤: ١٢٧.
١١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٠٩.
١٢. نفس المصدر، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٠٩، والزمخشري، الكشاف ٤: ٣٨٧.
١٣. ابن كثير، تفسير ١٠: ٣٤١.

www.christianlib.com

لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ
فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ
هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ
لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾
فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم
مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا
نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا

www.christianlib.com

استخدام الجمع في آية ‹بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ›،[١٤] يذكر ابن عباس: «إن الشمس تطلع من ثلاثمائة وستين مطلعًا؛ تطلع كلّ يوم من مطلعٍ لا تعود فيه إلى قابلٍ».[١٥]

رسم المصحف في هذه الآية لا يتناقض مع قراءة ابن مسعود، لأن ألف المد، غالبًا لا تظهر، في وسط الكلمة. إلا أن الاختلافات في القراءات يشكك في القول بحرفية النص القرآني.

٢٦: ٣٧

- قراءة الجماعة: ‹سَحَّارٍ›.[١٦]
- وقرأ الأعمش: «سَاحِرٍ».[١٧]

قراءة الجماعة وردت بصيغة المبالغة ‹سَحَّارٍ›، والكلمة في الآية التي نحن بصددها جاءت بألف المد بعد الحاء في رسم المصحف، وبعض المخطوطات القديمة تؤكد هذا فعليًا.[١٨] أما قراءة الأعمش فقد جاءت كاسم فاعل متطابقةً مع الصيغة التي وردت في سورة الأعراف ‹يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ› (الأعراف ٧: ١١٢). والآيتان، عدا هذه الكلمة، متطابقتان في السورتين، كما تتحدثان عن نفس القصة.[١٩] أما رسم الكلمة ‹سحر› في سورة الأعراف، فقد جاء دون ألف المد.

وبالتالي فنحن نتساءل: هل وقع خطأ من الكاتب في نقل الكلمة في سورة الشعراء بإضافة ألف بعد الحاء، أم أخطأ القراء في سورة الأعراف عند قراءتهم لهذه الكلمة؟

٢٦: ٤٥ ـ ٤٨

نجد هنا الحديث عن مبارزة جرت بين موسى وبعض السحرة. وهذا التفصيل مُختَلَف بشأنه في القرآن. راجع التعليق على (الأعراف ٧: ١١٧ ـ ١٢٢)، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٤. المعارج ٧٠: ٤٠.
١٥. الطبري، تفسير ٢٣: ٢٨٣.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤١٢.
١٧. الزمخشري، الكشاف ٤: ٣٨٩.
١٨. آلتي قولاج، مصحف المشهد الحسيني ٢: ٦٢٥، رقعة ٦٢٤/ب، و آلتي قولاج، مصحف طوب قابي ٤٧٢، رقعة ٢٣٤/ب.
١٩. قارن ابن عاشور، تفسير ١٩: ١٢٤.

www.christianlib.com

لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ
مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ
فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾

٢٦: ٥٦

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹حَاذِرُونَ›.
- وقرأ أبو جعفر وآخرون: «حَذِرُونَ».[20]
- وقرأ بن مسعود وآخرون: «حَادِرُونَ».[21]

توافق القراءات الثلاث رسم المصحف، ولكن باختلاف التنقيط، اختلفت القراءة وبالتالي اختلف المعنى، كما يلي:

- القراءة الشائعة: مستعدّون.
- قراءة أبي جعفر: «جمع حَذِرَ: وهو المتيقظ أو الخائف».[22]
- قراءة ابن مسعود: بحسب ابن عطية تعني «ممتلئون غيظاً»، وبحسب ابن خالويه: «السمين القوي»، وبحسب الشهاب: «أقوياء أشداء».[23]

٢٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣١٣.
٢١. نفس المصدر.
٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٢١.
٢٣. نفس المصدر ٦: ٤٢١-٤٢٢.

www.christianlib.com

والسؤال المطروح: هل كان آل فرعون «مستعدّين»، أم «متيقظين»، أم «خائفين».. أم «ممتلئين غيظاً»، أم «أقوياء أشدّاء»؟

٢٦: ٦٣

- قراءة الجماعة: ‹فِرْقٍ›.[٢٤]
- وقرأ أبو المتوكل وآخرون: «فِلْقٍ».[٢٥]

جاءت القراءتان بنفس المعنى، إلا أن قراءة المتوكل أكثر سلاسة من قراءة الجماعة حيث التزمت بالتعبير الذي سبق في الآية ‹فَانْفَلَقَ›.

٢٦: ٦٤

- قراءة الجماعة: ‹أَزْلَفْنَا›.[٢٦]
- وقرأ الحسن وأبو حيوة: «زَلَفْنَا»،[٢٧] بمعنى تَقَدَّمْنَا.[٢٨]
- وقرأ أُبيّ وابن عباس وابن مسعود والضحاك وآخرون: ««أَزْلَقْنَا».[٢٩]

في القراءات الثلاث، يختلف المعنى باختلاف القراءة كما يلي:

- قراءة الجماعة: أي «قرّبنا».[٣٠]
- قراءة الحسن: بمعنى «تَقَدَّمْنَا».[٣١]
- قراءة أُبيّ: «أزللنا أقدامهم وأهلكناهم».[٣٢]

٢٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٢٧.
٢٥. نفس المصدر.
٢٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٢٧.
٢٧. نفس المصدر.
٢٨. ابن منظور، لسان العرب ١٨٥٤.
٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٢٧.
٣٠. نفس المصدر.
٣١. ابن منظور، لسان العرب ١٨٥٤.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٢٧.

www.christianlib.com

وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ

تخبر قراءة الجماعة، وأيضًا قراءة الحسن وأبي حيوة أن من أزلفوا وتقدموا هم موسى وأصحابه؛ أما قراءة أبيّ بن كعب، ومن قرأ بقراءته في هذه الآية، تبيّن أن المقصودين هم فرعون وقومه. كما يتضح من الآية التي تليها ‹ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ›،[٣٣] أن الحديث عن فرعون وقومه.

ونتساءل: هل هذه الآية تتكلم عن موسى وأصحابه، أم عن فرعون وقومه؟ وأي هذه المعاني هو المقصود في الآية؟

٢٦: ٧١

نتعجب كيف لقوم إبراهيم أن يقولوا إنهم يعبدون أصنامًا! فكل من يعبد صنمًا يعتبره إلهه الحقيقي، ومن غير الطبيعي أن يطلق عليه صنمًا! أم أن القرآن كان مبهمًا في صياغة هذه الآية، وأن كاتب القرآن، وليس قوم إبراهيم، هو صاحب التعبير ‹نعبد أصنامًا›؟

٢٦: ٧٢

- قراءة الجمهور: ‹يَسْمَعُونَكُمْ›،[٣٤] بمعنى: هل يَسمعون دعاءكم؟
- وقرأ قتادة: «هَلْ يُسْمِعُونَكُمْ» أي هل يُسمعونكم الجواب عن دعائكم»؟[٣٥]

٣٣. الشعراء ٢٦:٦٦.
٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٣٠.
٣٥. الرازي، تفسير ٢٤: ١٤٢.

www.christianlib.com

يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ
لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى
وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

والسؤال الذي **يطرح نفسه**: مَنْ يسمعُ مَنْ؟ هل الأصنام هي التي تسمع دعاء قوم إبراهيم، أم أن قوم إبراهيم هم الذين يسمعون الجواب عن دعائهم؟

٢٦: ٧٧

يتحدث إبراهيم عن أصنام، ولكنه لا يقول عنها «أعداء» بالجمع، بل «عدو» بالمفرد. وتبريرًا لذلك، قال شارحون إن «العدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة».[٣٦] ولكن إن صح هذا التبرير، فالمقصود الذي يمكن أن يوصف بالمفرد والجمع هو العدو الحقيقي، لا العدو المجازي. والعدو بالنسبة لإبراهيم عدو بالمجاز، لأن الأصنام تمثل بالنسبة لإبراهيم، الذي يؤمن بإله واحد، فكرًا خاطئًا إذ أنها لاتمتلكُ قدرة فعلية أو نفوذًا. وبالتالي، فهذا الشرح هو التفاف على ضعف التركيب في الآية.

٣٦. الرازي، تفسير ٢٤: ١٤٣.

www.christianlib.com

وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا
وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِى
مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِى
يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ
لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ
يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾
قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم
بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾
وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَأٓيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾
كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى
لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ

٢٦: ٨٢

- قراءة الجماعة: ‹خَطِيٓـَٔتِى›، بالإفراد.[٣٧]
- وقرأها حمزة: «خَطِيَّتِي».[٣٨]
- وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق «خَطَايَايَ»، على الجمع.[٣٩]

٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٣٢.
٣٨. نفس المصدر.
٣٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

وردت قراءة الجماعة ‹خَطِيٓـَٔتِي› (والمقصود: خَطِيئَتِي) بالإفراد. وهذه الخطيئة غير مذكورة في سياق هذه السورة (الشعراء ٢٦: ٦٩-٨٩). إلا أن المفسرين بيّنوا أن هذه الخطيئة تتعلق بالكذب عند نبي الله إبراهيم، وذكروا ثلاث كذبات، هي:

- قوله ‹إِنِّي سَقِيمٌ› (الصافات ٣٧:٨٩).
- وقوله ‹بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا› (الأنبياء ٢١:٦٣).
- قوله عن سارة: «إنها أختي».[٤٠]

فسبب قراءة الحسن وابن أبي إسحاق «خَطَايَايَ» بالجمع، هو وجود هذه الكذبات الثلاث؛ وهي توافق رسم المصحف إذا ما اعتبرنا أن الألفين غير ظاهرتين في وسط الكلمة. أما قراءة حمزة «خَطِيَّتِي» فتتوافق تمامًا مع رسم المصحف ‹حطىى›، وهي أدق من قراءة الجماعة؛ فالهمزة لا تملك نبرة في هذه الكلمة، مما يدل على إضافتها لاحقاً. وبالتالي تكون قراءة حمزة هي الأرجح.

٢٦: ٨٣

هنا يسأل إبراهيمُ اللهَ أن يعطيه حُكْمًا، وليس من الواضح ما هو «الحُكْم» في هذه الآية. التفاسير تقول إنه: (١) «الحكمة»، أو (٢) «الحكم بين الناس بالحق»، أو (٣) «النبوة»، لأن النبي يتمتع بأمرين، هما: أنه «ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله».[٤١] ولكن الطبري يكتفي بالقول إن إبراهيم سأل الله أن يهب له نُبُوَّةً.[٤٢]

يرفض الرازي تفسير كلمة «الحكم» بالنبوة، لأن النبوة كانت حاصلة، ويقول «بل المراد من الحكم ما هو كمال القوة النظرية، وذلك بإدراك الحق».[٤٣]

اختلاف الشروحات زاد معنى كلمة «الحُكم» إبهاماً، بحيث لا يخرج القارئ بمعنى مفهوم للآية.

---

٤٠. الطبري، تفسير ١٧: ٥٩٢.
٤١. الزمخشري، الكشاف ٤: ٣٩٩.
٤٢. الطبري، تفسير ١٧: ٥٩٣.
٤٣. الرازي، تفسير ٢٤: ١٤٧.

www.christianlib.com

أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ
أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ
حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا
نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ
ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ
تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ
جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾
أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ
يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ

www.christianlib.com

عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ
ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ
مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ
ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ
أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾
وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ
ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾

٢٦: ١٦٦

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹مَا خَلَقَ›.
- قرأ ابن مسعود: «مَا أَصْلَحَ».[٤٤]

كان قوم لوط بحسب النص القرآني (الشعراء ٢٦:١٦٥) يفعلون الفاحشة، بحيث يأتي الذكرُ الذكرَ. ومن المؤكد أن الإتيان يكون في الدُّبُرِ، لوجود «مَا» (الشعراء ٢٦:١٦٦) التي تستخدم لغير

٤٤. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤١٠.

www.christianlib.com

قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾
وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟
إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾
قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ
بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾

www.christianlib.com

العاقل، وتشير إلى العضو وليس إلى الشخص. فجاءت الآية لتصحح هذه الممارسات المشينة، بتوبيخ الرجال الذين يجامعون الذكور، وتحريم الإتيان من الدُّبُر، سواءً كان ذكرًا أو أنثى. لهذا نهت بعض الأحاديث عن هذا الأمر، حيث قال ابن عباس إن محمداً قال: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر»؛[٤٥] فمَن اعتاد من الرجال على نكاح الدُّبُر، سوف يبحث عنه عند الزوجات. لهذا جاءت قراءة ابن مسعود أكثر وضوحاً «مَا أَصْلَحَ» أي بفرج الزوجة. أما القراءة الشائعة ‹مَا خَلَقَ› ففيها غموض، لأن الخلق يسري على الفرج والدُّبُر؛ وقد تطرقنا إلى مسألة الإتيان في الدبر، في المجلد الأول من هذا الكتاب، تعليقاً على سورة (البقرة ٢:٢٢٣). وبذلك، تكون قراءة ابن مسعود أكثر دقة من القراءة الشائعة.

٢٦: ١٧٦

انظر التعليق على قراءة ‹الْأَيْكَةِ› و لَيْكَةِ في شرح (الحجر ١٥:٧٨)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

٢٦: ١٩٥

تؤكد الآية أن القرآن جاء ‹بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ›، وقد ناقشنا عدم صحة هذه الدعوى في التعليق على (سورة يوسف ١٢: ٢)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

---

٤٥. ابن كثير، تفسير ٢: ٣١٣.

www.christianlib.com

فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم
بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا
يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ
يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ
إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ
لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ وَأَنذِرۡ
عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥
فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧
ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢

٢٦: ٢٠٢

- قراءة الجماعة: «فَيَأْتِيَهُم»، أي العذاب».[٤٦]
- قرأ الحسن: «فَتَأْتِيَهُمْ»، بتاء التأنيث، أي الساعة.[٤٧]
- وفي مصحف أُبيّ: «وَيَرَوْهُ».[٤٨]

---

٤٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٦٥.
٤٧. نفس المصدر.
٤٨. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤١٧.

www.christianlib.com

في مصحف أبيّ بن كعب «وَيَرَوْهُ» تأكيد على ما قبلها في آية (الشعراء ٢٦:٢٠١) ‹حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ›.

اخْتَلَفَ المعنى باختلافِ القراءات! فما طبيعة الشيء الذي سوف يأتي المجرمين؟[٤٩] هل هو العذاب أم الساعة (يوم البعث)؟

٢٦: ٢١٠ ـ ٢١٢

يقول النص إن الشياطين لم تتنزّل بالقرآن. ولكن في مكان آخر يقول القرآن إن الشيطان تدخَّل في عملية الوحي، وتكلم بلسان محمد.[٥٠]

٢٦: ٢١٠

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹الشَّيَاطِينُ›، جمع شيطان.
- قراءة الحسن وابن السميفع: «الشَّيَّاطُونُ»، بتشديد الياء، وهي صيغة مبالغة من شاط، ومفردها شيّاط.[٥١]

شرح ابن منظور «الشَّيَّاطُونُ» قائلاً: «من شاط الشيء...احترق».[٥٢] وفي تعليله للقراءتين قال أبو حيان إن العرب يتخيّرون في أن يقولوا: يبرين ويبرون، وفلسطين وفلسطون، وشياطين وشياطون.[٥٣] وقد غلَّط الفرَّاء والنحاس وغيرهما قراءة الحسن وابن السميفع، إلا أن النضر بن شميل ردَّ عليهم بقوله: «إنهما [الحسن وابن السميفع] لم يقرآ به إلاَّ وقد سمعا فيه».[٥٤] وتحمل قراءة الحسن وابن السميفع المعنيان: ‹الشَّيَاطِين› و«الشياط» بمعنى الاحتراق، أي أن الشياطين تُرجم بالنجوم حين تريد استراق السمع عند الملأ الأعلى، ما يسبب حرقها ‹وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ› (الملك ٦٧:٥).

---

٤٩. الشعراء ٢٦: ٢٠٠.
٥٠. انظر التعليق على سورة الحج ٢٢: ٥٢، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٦٨.
٥٢. ابن منظور، لسان العرب ٢٣٧٥.
٥٣. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤١٩، والخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٦٩.
٥٤. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤١٨-٤١٩ والخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٦٨.

www.christianlib.com

يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢٦: ٢٢٣

يدور الحديث في الآية عن الكهنة أو الشياطين،[٥٥] وتقول الآية إن ‹أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ›، وهذا يقتضي أن يكون بعض الكهنة أو الشياطين صادقين.

٢٦: ٢٢٤

تقول الآية إن أهل الغيّ يتّبعون الشعراء. وبكلمات الطبري: «إن شعراءَ المشركين يَتَّبِعُهم غُوَاةُ الناس».[٥٦] وهي نُسخت بالآية التي توضح: ‹إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً› (الشعراء ٢٦: ٢٢٧).[٥٧]

ويرى آخرون أن هذا استثناء لا نسخ. وهذا الرأي يؤيده الكثيرون.[٥٨]

٢٦: ٢٢٧

- قراءة الجمهور: ‹أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ›، بمعنى أَيَّ مَرْجِعٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.[٥٩]
- وقرأ ابن عباس: «أَيَّ مُنْفَلِتٍ يَنْفَلِتُونَ»، أي: «يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله»، دون جدوى.[٦٠]

٥٥. القرطبي، تفسير ١٦: ٨٥.

٥٦. الطبري، تفسير ١٧: ٦٧٦.

٥٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٧، مكي، الإيضاح ٣٧٣، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٩، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٥٧٢.

٥٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٧-٤١٨، مكي، الإيضاح ٣٧٣.

٥٩. الطبري، تفسير ١٧: ٦٨٣.

٦٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٢٨.

www.christianlib.com

على رغم اختلاف التعبير بين القراءتين، إلا أنهما تؤديان إلى نفس المعنى؛ العقاب والعذاب. لكن الملاحظ أن هناك اختلافًا في التنقيط بين القاف والفاء، مما يرجح أن هاتين القراءتين جاءتا بسبب غياب التنقيط في المصاحف الأولى، مع حرية القراء الأوائل في اختيار الكلمة المناسبة للآية في نظرهم.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مُقدِّمـــــــة

تورد المصادر ثلاثة أسماء للسورة: «سورة النمل» و«سورة سليمان» و«سورة الهدهد». ولكل اسم من هذه الأسماء سبب في إطلاقه: فاسم «سليمان» يعود لكون السورة توسّعت في قصته. واسما «النمل» و«الهدهد» أطلقا على السورة لأنهما لم يُذكرا إلا بها في القرآن (ابن عاشور، تفسير ١٩: ٢١٥).

السورة مكية باتفاق العلماء المسلمين (ابن عاشور، تفسير ١٩: ٢١٥). وجاءت حوالي السنة الثامنة للدعوة في مكة (٦١٨ م) (Wherry 3: 237).

مواضيع السورة:

- الدفاع عن القرآن: ١ - ٢، ٩١ - ٩٣.
- الحث على الإيمان بالإسلام: ٣ - ٦.
- قصص أنبياء:
  - موسى: ٧ - ١٤.
  - داود وسليمان: ١٥ - ٤٧، حيث تحتوي قصة سليمان على أخبار عجائبية، أبرزها حديثه بلغة الطير والحشرات (١٨ - ٢٤).
  - ثمود: ٤٥.
  - قصة مدينة قيل في التفاسير إنها مدينة صالح: ٤٨ - ٥٢.
  - لوط: ٥٤ - ٥٨.
- صفات الله: ٦٠ - ٧٥.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى
ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ
نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ
تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ

٢٧: ١

قرأ ابن كثير: «ٱلۡقُرَانَ» بدلًا من ‹ٱلۡقُرۡءَانِ›. انظر (الحجر ١٥: ١)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

٢٧: ٤

تقول الآية إنّ الله زيّن للذين ‹لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ...أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ›، بمعنى إن الذين يرفضون تصديق الميعاد، فإن الله يقول بشأنهم: «حبَّبنا إليهم قبيحَ أعمالِهم، وسهَّلْنا ذلك عليهم... فهم في ضلالِ أعمالِهم القبيحةِ التي زيَّنَّاها لهم، يتردَّدون حيارى، يحسبون أنهم يحسنون».[١]

إن هذا التصوير لا يليق بذات الله. فالله، إذ يترك للإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر، لا يدفع الإنسان باتجاه الضلال، ولا يحسِّن بعيني الضَّال ضلاله. وإلاّ كيف يكون عادلاً في محاسبة البشر يوم القيامة؟!

١. الطبري، تفسير ١٨: ٧.

www.christianlib.com

يوجد في القرآن عدم اتساق بشكل عام، حيث نقرأ في مكان آخر من نفس السورة، عند ذكر قومٍ عُرفوا بالضلال، أن الشيطان هو الذي يزيّن لهم الأعمال: ‹وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ› (النمل ٢٧: ٢٤)، ونجد نفس المعنى في (الأنعام ٦: ٤٣)، كما نجده أيضاً في آية (آل عمران ٣: ١٤) ‹زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَاتِ› التي تناولناها في موضعها.

٢٧: ٨

أ. ‹بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ›.
- وقرأ ابن عباس وأُبيّ بن كعب ومجاهد: «أن بُورِكَتِ النَّارُ».[٢]
- وفي مصحف أُبيّ: «أن بُورِكَتِ النَّارُ».[٣]
- وعن أُبيّ كذلك أنه قرأ: «تَبارَكَتِ الأرْضُ».[٤]

اختلف المفسرون في المقصود من عبارة ‹مَنْ فِي النَّارِ› كما يلي:

- النار.[٥]
- الله.[٦]
- نور الله.[٧]
- الشجرة التي كانت في النار.[٨]
- موسى، لقربه من النار.[٩]
- البقعة، أي الأرض التي حدث فيها الأمر.[١٠]

---

٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٨٤.
٣. نفس المصدر.
٤. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٣٢. الرازي، تفسير ٢٤: ١٨٢.
٥. الطبري، تفسير ١٨: ١١.
٦. الرازي، تفسير ٢٤: ١٨٢.
٧. نفس المصدر.
٨. نفس المصدر.
٩. نفس المصدر. وقد تبنّى الرازي، تفسير هذا المعنى بقوله: «وهذا أقرب لأن القريب من الشيء قد يقال إنه فيه».
١٠. نفس المصدر.

www.christianlib.com

ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ
عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا
تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا

فكما نرى، تعطي القراءة الشائعة خمسة احتمالات للمقصود بعبارة ‹مَنْ فِي النَّارِ›، بحسب الرازي. ونلاحظ أن قراءة ابن عباس ومجاهد وأُبيّ بن كعب (وكذلك في مصحفه)، أكثر دقة، حيث إن البركة كانت للنار ومَنْ حولها. أما القراءة الرابعة «تَبارَكَتِ الأرْضُ»، فقد تبنَّت المعنى الخامس، أي أن البركة كانت من نصيب الأرض ومَن حولها. وهذا المعنى له ما يدعمه في القرآن، حيث جاء في الآية: ‹...نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ...› (القصص ٢٨:٣٠).

ب. ‹وَمَنْ حَوْلَهَا›

- القراءة الشائعة: ‹وَمَنْ حَوْلَهَا›.
- وقرأ أُبيّ وابن عباس وآخرون: «وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ».[١١]

اختلف المفسرون في المقصود بعبارة ‹وَمَنْ حَوْلَهَا›، على الآراء التالية:

١١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٨٤.

www.christianlib.com

- الملائكة.[١٢]
- موسى والملائكة.[١٣]
- أرض الشام (مَنْ في أرض الشام)[١٤]

ونتساءل: هل غموض الآية جعل المفسرين يختلفون في معناها، والقراء يختلفون في قراءتها؟

٢٧: ١٠-١١

نقرأ في النص خطاباً موجهاً من الله إلى موسى يقول: ‹يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ، **إِلاَّ مَن ظَلَمَ**›. وهذا يستدعي اهتمام القارئ. فكيف يمكن لشخص قد ظَلم أن يكون من المرسلين في نفس الوقت؟ فإنْ ظلمَ الرسول سقطت عنه صفة المُرسَل.[١٥] ويرُدّ عالمٌ مسلمٌ على مثل هذا السؤال، بأن المقصود هو «من ظلم بالإقدام على صغيرة ثم تلافاه بالتوبة فإنه غفور رحيم».[١٦] ويقدم عالمٌ آخر أربعة أوجه تفسيرية:[١٧]

١. «إنه استثناء منقطع بمعنى لكن».
٢. «إنه استثناء متصل...ومعناه: إلاّ من ظلم منهم بارتكاب الصغيرة كآدم ويونس وداود وسُلَيْمان وإخوة يوسف وموسى وغيرهم».
٣. «إن ‹إلا› بمعنى ولا ...أي ولا الذين ظلموا منهم».
٤. «إن تقديره: إني لا يخاف لدي المرسلون ولا غير المرسلين إلاّ مَن ظلمَ».

وفي الختام، يترك صاحب كتاب «من غرائب آي التنزيل» الخيار للقارئ، كاشفاً بذلك عن عدم يقينيته، وتاركاً لنا الحيرة في اعتماد الجواب.

---

١٢. الطبري، تفسير ١٨: ١٢-١٣.
١٣. نفس المصدر ١٨: ١٣، الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٣٢.
١٤. الرازي، تفسير ٢٤: ١٨٢، الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٣٢.
١٥. ومن المعلوم أن العقيدة الإسلامية تؤمن بعصمة الأنبياء.
١٦. الهمداني، تنزيه القرآن ٣٠٢.
١٧. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٣٧٩.

www.christianlib.com

وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ
كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦
وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا
يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن
قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ
وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩

١٤:٢٧

- قراءة الجماعة: ‹عُلُوّٗا›.[١٨]
- قرأ ابن مسعود وآخرون: «عِلِيّا».[١٩]
- وذكر الزمخشري أنه قُرِئ: «عُتيًّا» و«عِتيًا».[٢٠]
- وقال العكبري أنه قرئ: «غُلُوّاً» بحرف «الغين».[٢١]

١٨. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٨٩.
١٩. نفس المصدر ٦: ٤٨٨، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٥٧.
٢٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٣٤.
٢١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٨٩.

www.christianlib.com

يمكن قبول قراءة الجماعة ‹عُلُوًّا›، وقراءة ابن مسعود «عِلِيًا». إلا أنهما تحملان في طياتهما معانٍ سلبية كالكبرياء والعَجْرفة، وإيجابية كالرفعة والسمو، بينما القراءات التي أوردها العكبري والزمخشري، لا تحمل سوى المعاني السلبية وهي «مجاوزة الحد»،[٢٢] الأمر الذي يتوافق مع وجود كلمة ‹ظُلْمًا›، إلا أن القراءة التي وردت عن العكبري هي الأرجح لتوافقها مع سياق الآية، وكذلك رسم المصحف.

٢٧: ١٨

- قراءة الجماعة: ‹مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ›.[٢٣]
- وقَرَأَ شَهْر بْن حَوْشَب: «مَسْكَنكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ».[٢٤]
- وَفِي مُصْحَف أُبَيّ: «مَسَاكِنكُنَّ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ».[٢٥]
- وَقَرَأَ سُلَيْمَان التَّيْمِيّ: «مَسَاكِنَكُنَّ لَا يَحْطِمَنْكُنَّ».[٢٦]

في هذه الآية تُخاطب النملة جموع النمل، وبالتالي كون النمل هو المتكلم فقد جاز الخطاب بجمع التذكير كخطاب العاقل أو خطاب الآدميين؛[٢٧] لأن جمع المذكر يشمل فيه التذكير والتأنيث. وجاز كذلك الخطاب بجمع التأنيث: مَسَاكِنكُنَّ، لأن مفردها «نملة».[٢٨] ولكن الواضح أن القراء الأوائل لم يكن لديهم اهتمام بحرفية النص القرآني، بل قرأ كل قارئ بحسب استحسانه وفهمه الشخصي للآية.

٢٧: ١٦ ـ ١٨، ٢٠ ـ ٤٤

تتناول هذه الآيات تفاصيل عن حياة سليمان، والتفصيل القرآني يتقاطع مع مصادر مختلفة، وهي:

٢٢. القرطبي، تفسير ٨: ١٠٣.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٩١-٤٩٢.
٢٤. القرطبي، تفسير ١٦: ١٢١. انظر الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٤١، الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٩١-٤٩٢.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٩١.
٢٦. القرطبي، تفسير ١٦: ١٢١.
٢٧. قارن النحاس، إعراب القرآن ٣: ٢٠٢.
٢٨. انظر حاشية الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٤١.

www.christianlib.com

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ
عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ
فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ
ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا

١. كان سليمان يعرف لغة الطير والحيوان (النمل ٢٧: ١٦ و١٩). ولا نجد هذا التفصيل في التوراة، وثمة رأي يفيد أن هذا التفصيل يعتمد على ما ورد في سفر الملوك الأول:[٢٩] «وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ».[٣٠]

٢. أما محادثة سليمان للنمل (١٨) فلم نجد لها مستندًا تاريخيًا. ونحن نرجح أنها تطوير للجزء المتعلق بلغة الطير والحيوان.

٣. تسخير الجن مذكور في المدراش على الجامعة.[٣١]

٤. في السورة حكاية سليمان مع ملكة سبأ، وذكر ‹الْهُدْهُدَ› الذي كان غائباً، حيث يُقسِم سليمان أن ينكل به إن لم يأت له بتفسير عن سبب غيابه (الآيات ٢٠ ـ ٤٤). وهذا التفصيل موجود في الأدب الحبري، حيث وردت القصة في الترجوم الثاني من كتاب أستير. إلا أن ثمة اختلافًا طفيفًا عن الترجوم، ففي الترجوم كان يخدم سليمانَ نسورٌ، وفي القرآن جان. أيضاً نجد في الترجوم: ديك الصحراء وفي القرآن: الْهُدْهُد.[٣٢]

٢٩. سفر الملوك الأول ٤: ٣٣.

٣٠. دائرة المعارف الإسلامية ٥٨٣٦.

٣١. نفس المصدر ٥٨٣٧. قارن أيضاً: St. Clair-Tisdall, *The Original Sources* 80-93.

32. St. Clair-Tisdall, *The Original Sources* 80-93.

www.christianlib.com

إذًا، التفاصيل المذكورة في هذه الآيات عن سليمان تعود لمصادر مختلفة، والأرجح أنها جاءت عن طريق السمع، لذا جاءت القصص مشوهة عن الأصل، وقد اقتبس القرآن هذه التفاصيل، فجاءت القصة القرآنية بدون أصالة خاصة بها، وكذلك صارت جمعًا غير منسجم لتعدد المصادر.

٢٧: ٢٢

- قراءة الجمهور: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ﴾.[٣٣]
- قراءة أُبَيّ عند ابن عطية: «فَتَمَكَّثَ ثُمَّ قَالَ».[٣٤]
- وعن ابن مسعود أنه قرأ: «فَتَمَكَّثَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ».[٣٥]
- وقرأ ابن مسعود: «فَيَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ»[٣٦]، وكذلك في مصحفه.[٣٧]
- وقَرَأَ أُبَيّ بن كعب: «فَيَمْكُثُ ثُمَّ قَالَ».[٣٨]

قراءة الجمهور: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ لا تبيّن مَا إذا كان المقصود هو سليمان أم الهدهد. حيث نجد الطبري يقول: «فَمَكَثَ سُلَيْمَان غَيْر طَوِيل، مِنْ حِين سَأَلَ عَنْ الْهُدْهُد، حَتَّى جَاءَ الْهُدْهُد»،[٣٩] بينما ذكر القرطبي في تفسيره: «﴿فَمَكَثَ غَيْر بَعِيد﴾ أَيْ الْهُدْهُد».[٤٠] أما عند ابن عطية، فالضمير في «مكث» يحتمل أن يكون لسليمان أو للهدهد،[٤١] وهو نفس ما استشهد به القرطبي، ولكنه في الأخير رجح الهدهد.[٤٢] فنرى أن المفسرين قد اختلفوا في من «مكث» في الآية بين سليمان أو الهدهد. وبهذا الغموض أتت كل القراءات، فلا يتضح من هو الماكث، بل والأكثر من ذلك، أنها جاءت مخالفة لرسم المصحف.

ونتساءل: أين البيان في نص القرآن؟

---

٣٣. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢٥٥.
٣٤. نفس المصدر.
٣٥. نفس المصدر.
٣٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٩٧؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٦٢.
٣٧. السجستاني، المصاحف ٣٢٦.
٣٨. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٩٧.
٣٩. الطبري، تفسير ١٨: ٣٧.
٤٠. القرطبي، تفسير ١٦: ١٣٤.
٤١. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢٥٥.
٤٢. القرطبي، تفسير ١٦: ١٣٤-١٣٥.

www.christianlib.com

يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ
ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب
بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ
أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ
وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ
ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ

٢٧: ٣١

- قراءة الجماعة: ‹أَلَّا تَعۡلُوا›،[٤٣] من العلوّ.
- وقرأ الأشهب العقيلي وابن السميفع: «ألا تَغۡلُوا».[٤٤] وبذلك قرأ ابن عباس. من الغلو أي مجاوزة الحدّ.[٤٥]

٤٣. القرطبي، تفسير ١٦: ١٥٣.

٤٤. نفس المصدر.

٤٥. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٥٢. انظر الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥١٤.

www.christianlib.com

هناك فرق في المعنى بين ‹تعلوا› و«تغلوا».[٤٦] إلا أنهما توافقان رسم المصحف. فهل غياب التنقيط في المصاحف الأولى قد أوقع القراء الأوائل في إشكالية اختيار القراءة المناسبة؟

٢٧: ٣٢

- قراءة الجماعة: ‹قَاطِعَةً› من القطع، أي فاصلة.[٤٧]
- وفي قراءة ابن مسعود: «قَاضِيَة» «أي لا أبت أمرًا إلا بمحضركم».[٤٨]

ليس هناك فرق كبير بين المعنيين، إلا أن قراءة ابن مسعود أكثر توافقًا مع سياق الآية، لأن المتكلمة هي ملكة سبأ، التي تستفتي الملأ كأعوانٍ لها في الحكم ومستشارين «في هذه النازلة الكبرى» كما عبّر عنها القرطبي.[٤٩] وهذا يدل على عدلها وعدم انفرادها في اتخاذ القرارات.

تعبير «قضى أمرًا»، هو أكثر شيوعًا وسلاسة، وهو نفس التعبير المستخدم في العديد من المواضع بالقرآن: ‹قَضَى أَمْرًا›[٥٠]. وبما أن قراءة ابن مسعود تخالف رسم المصحف، فلا شك أنه كان للقراء الأوائل متسع من الحرية لاختيار التعبير المناسب للآية.

٢٧: ٣٦

- قراءة الجمهور ‹فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ›.[٥١]
- وقرأ ابن مسعود: «فَلَمَّا جَاءُوا سُلَيْمَانَ».[٥٢]

قراءة الجمهور جاءت بالإفراد، بمعنى أن من أتى بالهدية لسليمان هو شخص واحد، أو أن واحداً من مجموعة من الرسل قدمها إليه. وقد قال عنه القرطبي: «الرَّسُولِ».[٥٣] ولا شك بأن من جاء بالهدية حسب الآية هي مجموعة من الرسل، لأن الآية التي سبقتها وردت بالجمع ‹الْمُرْسَلُونَ›،

---

٤٦. انظر التعليق على (النمل ٢٧:١٤)، «٢٧:١٤» ١٠٠.
٤٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥١٥. انظر الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٥٢.
٤٨. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٥٢. انظر الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥١٥.
٤٩. القرطبي، تفسير ١٦: ١٥٤.
٥٠. البقرة ٢: ١١٧ ، آل عمران ٣: ٤٧، و مريم ١٩: ٣٥، وغافر ٤٠: ٦٨.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥١٦-٥١٧.
٥٢. الطبري، تفسير ١٨: ٥٧. انظر الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥١٧.
٥٣. القرطبي، تفسير ١٦: ١٦٢. انظر الدرويش، إعراب القرآن ٥: ٥١٤.

www.christianlib.com

خَيۡرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ
فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ
صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي
مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن
مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا
عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا
جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن
قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا
كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ

وأيضًا لأن إرسال الهدايا بين الملوك يحتاج حتماً إلى مجموعة من المرسلين، وذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: بُعد المسافة بين البلدين.

ثانيًا: وجود قُطّاع الطرق، وخصوصًا في صحراء الجزيرة.

ثالثًا: لضمان وصول الهدية إلى الملك في ما لو حدث أي مكروه للرسول، كأن يمرض مثلاً أو يهرب بالهدية طمعاً بها، لو كان رسولاً واحدًا فقط.

www.christianlib.com

رابعًا: لاستعراض الموكب الذي يحمل الهدية عند الدخول على الملك، وذلك ضمن بروتوكول تقديم الهدايا بين الملوك.

إذًا، الموضوع محسوم بالنسبة لمن قام بتقديم الهدية، وهي مجموعة وليس شخصاً واحداً، بدليل قول الملكة في الآية السابقة مباشرة: ‹وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ›، ويحسم الأمر قول سليمان في نفس الآية التي نحن بصددها: ‹بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ›. فقراءة ابن مسعود تُوافق سياق الآية، وهي الأرجح.

ونتساءل: هل أخطأ القراء في تشكيل كلمة سليمان في الآية، فجعلوها بالنصب بدلًا من الرفع؟

٢٧: ٣٩

- قراءة الجمهور: ‹عِفْرِيتٌ›.[٥٤]
- وقرأ أبو بكر وآخرون: «عِفْرِيَةٌ».[٥٥]
- وقرأ ابن مسعود وابن السميفع: «عِفْرَاةٌ».[٥٦]
- وقرأت فرقة: «عِفْرٌ».[٥٧]

قراءة الجمهور بتاء مفتوحة ‹عِفْرِيتٌ›، وفي قراءة أبي بكر جاءت الكلمة «عِفْرِيَةٌ» بتاء مربوطة، والملاحظ هنا أن نهاية الكلمة تختلف في الرسم. وتتكرر هذه الإشكالية في كلمات أخرى بالمصحف، وعلى سبيل المثال:

- ‹عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ› (فاطر ٣٥:٤٠)
- ‹مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ› (هود ١١:٥٣)، و‹قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ› (الأعراف ٧:١٠٥)

ونتساءل: هل سمع محمد من صاحبه لفظة عِفْرِيتٌ، أم عِفْرِيَةٌ، أم عِفْرَاةٌ، أم عِفْرٌ، أم ماذا؟

٥٤. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٧٢.
٥٥. نفس المصدر.
٥٦. ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ١٧٤.
٥٧. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٧٢.

www.christianlib.com

لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ
يَخۡتَصِمُونَ ٤٥ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا
تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ
طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ
يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ
ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩ وَمَكَرُواْ
مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ
أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣ وَلُوطًا
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ
إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦
فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم
مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ
ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ

www.christianlib.com

٢٧: ٤٤

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹عَنْ سَاقَيْهَا›.
- وَقَرَأ ابن مسعود: «عَنْ رِجْلَيْهَا».[٥٨]

لا يخفى أن هناك فرق بين لفظتيّ ‹سَاقَيْهَا› و«رِجْلَيْهَا»، لكن، ما الدافع لشخص كابن مسعود أن يختار كلمة «رِجْلَيْهَا»؟!

٢٧: ٤٩

- القراءة الشائعة: ‹قَالُوا تَقَاسَمُوا[٥٩] بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ›.
- وقرأ ابن مسعود: «تَقَاسَمُوا[٦٠] بِٱللَّهِ لَتُبَيِّتَنَّهُ[٦١] وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَتُقْسِمُنَّ[٦٢] لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ».

  - في القراءة الشائعة: ‹قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ›، المتكلمون هم ‹تِسْعَة رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ›، أي أرض ثَمود،[٦٣] وذلك لوجود كلمة ‹قالوا›.
  - أما قراءة ابن مسعود «تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَتُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَتُقْسِمُنَّ»؛ فالمتكلم هو الله مُخبراً عن هَؤُلَاءِ التِّسْعَة الرَّهْط.

ونتساءل: من هو المتكلم، الله أم التسعة الرهط؟!

---

٥٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٥٧. انظر الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٢٩.
٥٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٣١، وهي قراءة الجماعة.
٦٠. نفس المصدر ٦: ٥٣٠-٥٣١، عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٥٧، بدون ‹قالوا›
٦١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٥٨.
٦٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٣٢، عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٥٨.
٦٣. انظر ابن كثير، تفسير ١٠: ٤١٥.

www.christianlib.com

قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ
بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا
مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا
يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم

٢٧: ٦٣

انظر التعليق على ‹بُشْرًا› في (الأعراف ٧:٥٧) بالمجلد الأول من هذا الكتاب.

٢٧: ٦٦

القراءة الشائعة للقرآن: ‹بَلِ ادَّارَكَ›، واختلف القرّاء على ست عشرة قراءة، وهي: «بَلْ أَدْرَكَ» و«بَلْ أَدَّرَكَ» و«بَلْ آدْرَكَ» و«بَلْ أَٱدَّرَكَ» و«بَلَ ادْرَكَ» و«بَلى أَأَدَّرَكَ» و«بَلى أَدَّارَكَ» و«بَلْ تَدَارك» و «بَلَ ادَّرَكَ» و«أم تدارك» و «بَلى آدْرَكَ» و«بَلِ ادَّرَكَ» و«أم أَدْرَكَ» و«بَلْ أَأَدَّرَكَ» و«بَلى ادَّرك» و«بَلْ آأَدَّرَك».[٦٤]

٢٧: ٧٦

حسب الآية، وقع بنو إسرائيل في خلافات، قصها القرآن عليهم. وقد ذهب الشارحون في ذلك إلى القول:

- «إن هذا القرآن يُبيِّن لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به، وذلك ما حرّفوه من التوراة والإنجيل، وما سقط من كتبهم من الأحكام».[٦٥]
- «إن هذا القرآنَ الذي أنزلته إليك يا محمد، يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها». أي مثل الاختلاف في شأن المسيح.[٦٦]

ولا يوضح هذان الشرحان كيف أن القرآن نفسه يَقُصّ على بني إسرائيل الاختلاف، ذلك أن يهود المدينة، وهم الجالية اليهودية التي كان محمد قادرًا على التواصل معها، رفضوا تصديق ادعائه النبوة. ومن رفض ادعاء محمد النبوة، كيف يُقْبَل باعتباره مرجعًا لحل الخلاف؟!

ثم ما شأن الإنجيل (كما ورد لدى القرطبي) في اختلاف اليهود؟ فاليهود يؤمنون بالتناخ فحسب، وبالتالي، فهم غير معنيين بالإنجيل. مما يدل على خلط المفسرين. ثم إن قبلنا جدلاً أن تحريفًا جرى في التوراة، وأن اليهود يؤمنون بصحة هذا الكتاب «المُحرّف»، فلا خلاف بين اليهود إذاً، ما داموا يؤمنون بشيء واحد مشترك.

ومما تقدم، فالواضح أن المفسرين المسلمين لم يستطيعوا أن يقدموا شرحًا مقنعًا لهذه الآية.

---

٦٤. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٦٥-٣٦٨، الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٤٥-٥٥٠.

٦٥. القرطبي، تفسير ١٦: ٢٠٤.

٦٦. الطبري، تفسير ١٨: ١١٦.

www.christianlib.com

بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩
إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ
بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسۡلِمُونَ ٨١ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم

٢٧: ٨٢

- قراءة الجمهور: ‹تُكَلِّمُهُمْ›.[٦٧]
- وقرأ ابن عباس وآخرون: «تَكْلِمُهُمْ»، من الكَلْمِ وهو الجرح».[٦٨]
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «تُنَبِّئُهُم».[٦٩]
- وقرأ أُبيّ أيضًا: «تُنَبِّيهُم»، وكذلك جاءت في مصحفه.[٧٠]
- وقرأ يحيى بن سلام: «تُحَدِّثهم».[٧١]
- وقرأ بعضهم: «تجرحهم».[٧٢]
- وقرأ الحسن: «تَسِمُهُم» من السِّمة وهي العلامة».[٧٣]

---

٦٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٥٨.
٦٨. نفس المصدر.
٦٩. نفس المصدر.
٧٠. نفس المصدر.
٧١. نفس المصدر ٦: ٥٥٩.
٧٢. نفس المصدر.
٧٣. نفس المصدر.

www.christianlib.com

بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم
بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ
وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ
ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ

باختلاف القراءات، يختلف الدور الذي تقوم به هذه الدابة العجيبة التي تخرج من الأرض كناقة صالح (الأعراف ٧: ٧٣). فَمِنَ التَّكَلُّم كالنملة في سورة (النمل ٢٧: ١٨) إلى التَّحَدُّثِ والتَّنَبُّؤ، وجرح الكفار وغير هذا من المهام المختلفة. لا يعطي النص القرآني تفاصيل أكثر عن هذه الدابة، وخروجها، ودورها، مما أطلق العنان لدى القرّاء ليجتهدوا في تغطية هذا الغموض، كل حسب فهمه لهذه الآية!

٢٧: ٨٧

انظر التعليق على ‹الصُّورِ› في سورة (المؤمنون ٢٣: ١٠١)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

٢٧: ٨٨

في سعيهم لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن، يقول كُتّاب مسلمون إن هذه الآية تتحدث عن حركة الجبال، وإن ما في الآية هو كناية عن دوران الأرض. وفي مقال للدكتور منصور العبادي، الذي يُعرّف نفسه بأنه أستاذ الهندسة الكهربائية في جامعة أردنية، جاء فيه أن في الآية جملة حقائق، مثل مبدأ «نسبية الحركة والذي مفاده أن الشيء الذي يبدو للمراقب ساكنًا قد لا يكون كذلك بل قد يكون متحركًا، والشيء الذي يبدو أنه يتحرك بسرعة بطيئة قد

www.christianlib.com

فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ
وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ
رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن
ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ
فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

تكون سرعته عالية جداً». ويؤكد العبادي أن الآية تتكلم عن دوران الأرض.[٧٤] كما تحتفي مواقع كثيرة على الانترنت بهذه الآية، تأكيدًا على أن القرآن كان سبّاقًا في اكتشاف حركة دوران الأرض.

حين نقرأ الآية في سياقها، نجد أنها مسبوقة بآية تتحدث عن نهاية الأرض، وعن النفخ ‹فِي الصُّورِ›. ويتفق المفسرون الكلاسيكيون على هذا السياق، إذ نقرأ «وهذا يوم القيامة، أي: هي لكثرتها كأنها جامدة، أي: واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفُسِها تسير سير السحاب، والسحابُ المتراكمُ يظنُ أنها واقفةٌ وهي تسير، أي: تمرّ مَرَّ السحاب حتى لا يبقى منها شيء». وتُقارن هذه الآية بآية أخرى: ‹وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً› (النبأ ٧٨: ٢٠).[٧٥]

ثم إن نصوصًا أُخرى في القرآن تدعم هذه الصورة، إذ نقرأ أن الجبال ستندك وتنهار، ثم تصير كالعهن المنفوش والسماء كالمُهْلِ (المعارج ٧٠: ٨ ـ ٩). والقارئ يجد شروحات وافرة لدى القرطبي عن تبدد الجبال.[٧٦]

٧٤. من مقال «وترى الجبال تحسبها جامدة»، للدكتور منصور العبادي.
٧٥. القرطبي، تفسير ١٦: ٢٢١.
٧٦. نفس المصدر.

www.christianlib.com

أما ما جاء في آية (النمل ٢٧: ٨٨) عن تسيير الجبال، فيقول عنه الرازي إنه إحدى علامات القيامة، إذ قال بالحرف: «اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة وهي تسيير الجبال».[٧٧]

إذًا، إن الحدث المذكور في آية النمل (٨٨) ذو طبيعة آخروية سياقًا ولغةً. ولكن اجتزاء الآية من سياقها، وتطبيقها قسرًا على حقيقة علمية على يد مُدَّعِي علمٍ من المسلمين، جعلها تبدو أنها تُعَبِّر عن حركة الأرض. ولكن إن قبلنا جدلاً أن الآية تتناول حركة الأرض، فإن ما يدَّعونه موجود في نص أقدم عهدًا منه. ففي سفر المزامير (الزبور)[٧٨] نقرأ:

> الْبَحْرُ رَآهُ فَهَرَبَ. الأُرْدُنُّ رَجَعَ إِلَى خَلْفٍ.؛ الْجِبَالُ قَفَزَتْ مِثْلَ الْكِبَاشِ وَالآكَامُ مِثْلَ حُمْلاَنِ الْغَنَمِ. مَا لَكَ أَيُّهَا الْبَحْرُ قَدْ هَرَبْتَ وَمَا لَكَ أَيُّهَا الأُرْدُنُّ قَدْ رَجَعْتَ إِلَى خَلْفٍ وَمَا لَكُنَّ أَيَّتُهَا الْجِبَالُ قَدْ قَفَزْتُنَّ مِثْلَ الْكِبَاشِ وَأَيَّتُهَا التِّلاَلُ مِثْلَ حُمْلاَنِ الْغَنَمِ؟

إن كانت الآية القرآنية تحتوي على فكرة دوران الأرض، فإن مرجع الفكرة يعود إلى الكتاب المقدس. وفي كل الأحوال، لا يدعي أحد من علماء المسيحية أن ما ورد في المزمور ١١٤ يحتوي على خبر دوران الأرض، بل يقولون إن هذا المقطع هو ترنيمة تسبيح للرب على العجائب التي رافقت خروج إسرائيل من مصر، وأن الجبال التي تقفز والأرض التي تتزلزل، تُصَوِّر مجازيًا حالة المهابة أمام قداسة الله وقدرته.

٢٧: ٩١

- قراءة الجمهور: ‹رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا›، و‹الذي› صفة للرّب.[٧٩]
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس وآخرون: «رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا»، و«التي» صفة للبلدة.[٨٠]

ونتساءل: هل الإشارة في الآية إلى الله أم إلى البلدة؟

٢٧: ٩٢

لم يرِد في مصادر النسخ سوى هذه الآية من سورة النمل. وفيها يعلن محمد أنه يكتفي بتلاوة القرآن، وكل إنسان يتحمل عواقب استجابته. فمَن يقبل الدعوة له عظيم الفائدة، ومن

٧٧. الرازي، تفسير ٢٤: ٢٢٠.

٧٨. سفر المزامير ١١٤: ٣-٦. انظر أيضًا: سفر إشعياء ٤٠: ٢٢، و سفر المزامير ١٩: ٤-٦.

٧٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٦٧.

٨٠. نفس المصدر.

www.christianlib.com

يرفضها فهو المسؤول، وما على محمد إلا أن يقول ‹إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ›. وقد نُسخت هذه الآية بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٨١] ويرى بعضهم أن لا نسخ هنا، فكون المرء يُجازى في الآخرة على ضلاله، لا يعني عدم مقاتلته في الدنيا.[٨٢]

٨١. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٩، شعلة، المنسوخ والناسخ ١٦٠. قارن ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٢.

٨٢. شعلة، المنسوخ والناسخ ١٦٠.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُميت السورة «القصص» لورود هذه الكلمة فيها (ابن عاشور، تفسير ٢٠: ٦١).

السورة مكية. ويقول البعض إنها جاءت بينما كان محمد في طريقه إلى المدينة (ابن عاشور، تفسير ٢٠: ٦١). في حين يرجح «ويري» أنها جاءت بداية السنة الخامسة للدعوة المكية (Wherry 3: 252).

يرى نولدكه أن «الآيات ٧٦- ٨٢ تبدو قطعة مضافة في مكان غير مناسب، إذ يصعب ضمها إلى ما قبلها وما بعدها على السواء». ويرى أنه «يمكن ربط الآية ٨٣ بسهولة أكبر بالآية ٧٥» (نولدكه، تاريخ ١٣٨). ولا يتفق «ويري» مع هذا الرأي، بل يرى أن ما في هذا المقطع هو تصوير لمصير الذين ذكرتهم الآيات ٧٤-٧٥ (Wherry 3: 252).

والموضوع الذي يشغل الحيّز الأكبر من السورة هو قصة موسى، التي تحتل كامل مساحة السورة تقريباً.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ
أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ
لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَحۡذَرُونَ ٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ
فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ

٢٨: ٧

في الآية تناقض مع (الأعراف ٧: ١٢٧). ارجع للمجلد الأول من هذا الكتاب، وكذلك التحليل النقدي لآية (غافر ٤٠: ٢٥)، صفحة ٣٠٧.

٢٨: ٨

- قراءة الجمهور: ‹خَاطِئِينَ›.[١]
- وقرأ أبو جعفر: «خَاطِينَ».[٢]

---

١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٩.

٢. نفس المصدر.

www.christianlib.com

ليس هناك اختلاف في المعنى بين القراءتين، إلا أن قراءة الجمهور لا توافق رسم المصحف، لعدم وجود نبرة أو كرسي للهمزة في هذا الرسم ‹خَطِئِينَ› بالآية، وبناءً على ذلك تكون قراءة أبو جعفر هي الأرجح.

٢٨: ٩

تذكر الآية أن زوجة فرعون طلبت عدم قتل الصبي موسى، وأنها رغبت بتبنّيه. وهذا يتعارض مع الحقيقة التاريخية التي تقول إن ابنة فرعون هي التي عثرت على الصبي في الماء، فانتشلته وطلبت له مرضعة من العبرانيات لتعتني به «ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فَصَارَ لَهَا ابْناً. وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ».[٣]

٢٨: ٩

أ. ‹امْرَأَتُ...قُرَّتُ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹امْرَأَتُ...قُرَّتُ›.
- قرأ ابن كثير وآخرون: «امْرَأَهْ...قُرَّهْ» بالهاء على هاء التأنيث المكتوبة تاءً، وهي لغة قريش.[٤]

وردت قراءة ابن كثير بالوقف على الهاء خلافاً للقراءة الشائعة؛ ورسم المصحف لا يرتكز على أية قاعدة لُغوية في ما يخص رسم التاء في آخر الكلمة، التي يمكن الوقوف عليها بالهاء.[٥] وعلى سبيل المثال وردت كلمة ‹نعمة الله› في (البقرة ٢: ٢١١)، وفي نفس السورة كتبت نعمة بصورة مخالفة في الآية ٢٣١ ‹نعمت الله›.[٦] وقد حاول الطبري، في كلمة مشابهة، تبرير وجود التاء المفتوحة في حالة المضاف وبعدها مضاف إليه: «وَمَا كَانَ مُضَافًا فَجَائِزٌ بِالْهَاءِ وَالتَّاءِ».[٧] ولكن هذه القاعدة ليست ثابتة، بسبب وجود كلمات مماثلة لا تنطبق عليها، ككلمة بينة ‹عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ› (فاطر ٣٥ :٤٠) التي يليها جار ومجرور وليس مضاف إليه.

---

٣. الخروج ٢: ٥-١٠.
٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٩-١٠، عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٧-٨.
٥. انظر التعليق على القراءات المختلفة لآية (يونس ١٠: ٣٣)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.
٦. انظر «التاء في آخر الكلمة»، في «مقدمة في القراءات المختلفة للقرآن»، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.
٧. الطبري، تفسير ٢٢: ٥١.

www.christianlib.com

قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ
أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ
فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ
مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ

ب. ‹قُرَّتُ...لاتَقْتُلوهُ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاتَقْتُلوهُ›.
- وقرأ ابن مسعود: «لَا تَقْتُلُوهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ» بالتقديم والتأخير.[٨]

٢٨: ١٠

أ. ‹فُؤَادُ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹فُؤَادُ› بالهمزة.
- قرأ أبو عمرو: «فُوَادُ»، بالواو.[٩]
- وذكر الخطيب أن الأصبهاني أيضًا قرأ عن ورش «فُوَادُ»، بإبدال الهمزة واوًا،[١٠] وبالرجوع إلى المصاحف بقراءة ورش نجد الهمزة على الواو ‹فُؤَادُ›.

ونحن نتساءل: هل المصاحف الحالية بقراءة ورش أُضيفت عليها الهمزة دون الرجوع إلى القراءة؟

٨. انظر مقال «في القراءات المختلقة»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.
٩. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٠٢.
١٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٢.

www.christianlib.com

ب. ‹فَارِغاً›

- قراءة الجماعة: ‹فَارِغاً›.[١١]
- وقرأ الحسن وآخرون: «فَزِعاً».[١٢]
- وقرأ بعض الصحابة: «فِزْغاً».[١٣]
- وعن ابن عباس قراءتان:

الأولى: «قَرِعاً».[١٤]

والثانية: «قَرْعاً».[١٥]

وذكر العكبري أنه قُرئ: «قَزَغاً».[١٦]

وتختلف معاني هذه القراءات على الصورة التالية:

- قراءة الجماعة: «مِن فَرَغ، أي خالياً من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى».[١٧]
- قراءة الحسن: مِن الفَزَع، أي أن أم موسى خائفة عليه أن يُقْتَلَ
- قراءة الصحابة: «ذاهبًا هدرًا تالفاً من الهم والحزن».[١٨]
- قراءة ابن عباس الأولى: «من القارعة، وهي الهم العظيم».[١٩]
- قراءة ابن عباس الثانية: «وذلك من قرع رأسه إذا انحسر شعر رأسه».[٢٠]
- القراءة التي ذكرها العكبري: لا معنى لها!

نجد هنا أن المعنى يختلف باختلاف القراءة. والقاسم المشترك بين هذه القراءات هو الالتزام برسم المصحف، مما يُؤكد دون شكٍ أن تنقيط الكلمة كان بحسب استحسان القراء. ويبدو أن القراء قد حاولوا الإتيان بجل احتمالات التنقيط في هذه الكلمة، حتى ذهبوا إلى قراءة لا معنى لها مثل «قزغا»،

١١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٢.
١٢. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٠٢.
١٣. نفس المصدر.
١٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٣. قارن الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٨٥.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٤. انظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٠٢.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٤. قارن العكبري، إعراب القراءات ٢: ٢٥٠.
١٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٢.
١٨. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٠٢.
١٩. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٣، وقارن الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٨٥.
٢٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٤، وانظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٠٢.

www.christianlib.com

لمحاولة الوصول للمعنى المقصود لهذه الآية بسبب خلو المصاحف من التنقيط والتشكيل![٢١] وقراءة الحسن هي الأرجح، لتوافقها مع سياق الآية، حيث إن كل أم تخاف على صغيرها. وما يؤكد هذا أن حالة الفزع يمكن أن تظهر على الإنسان، على عكس حالة الفراغ، وهذا ما تؤكده عبارة ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾.

ج. ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾

- القراءة الشائعة للقرآن: ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾.
- وقرأ ابن مسعود: «لَتُشْعِرَ به».[٢٢]

يُفسر الطبري نص الآية: «﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾: لَتُظْهِره وتُخبِر به».[٢٣] كما ذكر الطبري عن الضحاك: «﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: لَتُشْعِرُ بِهِ»،[٢٤] مما يدل على أن للقراءتين نفس المعنى.

وهنا نتساءل: بما أن المعنى واحد، ما الذي جعل ابن مسعود يأتي بخلاف رسم المصحف؟ هل القراءات المختلفة هي نتيجة اختلاف الذوق الحسي لقارئ النص القرآني؟ وكيف يمكن فهم أزلية هذا النص على ضوء القراءات المختلفة؟

٢٨: ١٥

أ. ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾

- قراءة الجمهور: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾، من «غاث».[٢٥]
- وقرأ سيبويه وابن مقسم وآخرون: «فَاسْتَعَانَهُ»،[٢٦] أي طلب منه العون.

فسَّر ابن كثير الآية كما يلي: «﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾، أي: يتضاربان ويتنازعان».[٢٧] أي أن الأمر لا يستدعي «الغوث» بل «العون». وربما هذا ما دفع أبو القاسم الهُذَلي[٢٨] لترجيح قراءة ابن مقسم

---

٢١. الداني، المحكم ٢، ١٨.
٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٤.
٢٣. الطبري، تفسير ١٨: ١٧٢.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٨.
٢٦. الزمخشري، الكشاف ٤: ٤٨٨.
٢٧. ابن كثير، تفسير ١٠: ٤٤٧.
٢٨. هو أبو القاسم يوسف بن جبارة الهذلي.

www.christianlib.com

لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ
وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ
ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا
مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي
مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ

ذاكرًا أن: «الاختيار قراءة ابن مقسم لأن الإعانة أوْلَى في هذا الباب».[٢٩] وبما أن سيبويه المعروف بأنه «شيخ النحاة»،[٣٠] وإمام العربية،[٣١] قرأها: «فَاسْتَعَانَهُ»؛ فبالتالي تكون هي الكلمة الأرجح، لأن الغوث يكون في حالة الموت المحقق. فطلب العون من موسى أكثر تماشيًا من طلب الغوث.

ب. ‹فَوَكَزَهُ›

- قراءة الجماعة: «بالواو ‹فَوَكَزَهُ›، أي دفعه بجُمْعِ كَفِّهِ».[٣٢]
- وفي مصحف ابن مسعود: «فَنَكَزَهُ».[٣٣]

ليس هناك فرق في المعنى بين القراءتين، وقد ذكر الثعلبي بحسب الخطيب «**أنه بالنون في مصحف عثمان**»،[٣٤] أي «فنكزه». أما ابن عطية فقد كتب: «حكى الثعلبي أن في مصحف ابن

٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٨.
٣٠. ابن كثير، تفسير ٢: ٤٠٢.
٣١. تفسير الألوسي لآية الاسراء ١٧: ٥١.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢١.
٣٣. نفس المصدر ٧: ٢٢، وانظر القرطبي، تفسير ١٦: ٢٤٦.
٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٢.

www.christianlib.com

إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ
لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى
ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن

مسعود «فنكزه» بالنون والمعنى واحد»،[٣٥] وهذا ما أخذ به القرطبي كذلك.[٣٦] فلا شك أن هذا اعتراف ضمني من الثعلبي، ذكره الخطيب، بتحريف القرآن.

٢٨: ١٥، ١٨ ـ ١٩

تقول القصة هنا إن موسى دخل مدينة، فوجد فيها رجلين يقتتلان، أحدهما ‹مِن شِيعَتِهِ› إشارة إلى أنه من بني إسرائيل، والآخر رجل مصري. وإذ طلب الإسرائيلي العون من موسى، دفع هذا الأخير الرجلَ المصريَّ فقُتل. ثم إن موسى كان يخشى نتائج الحادثة، فكان يزور المدينة بحذر. وشاءت الصدف أن يجد موسى الشخص الذي طلب منه العون، وهو متورط في مشادة جديدة. وما إن وقعت عينا الإسرائيلي على موسى حتى سأل العون مجدداً، لكن موسى أجابه ‹إنك لغوي مبين› (١٨). ثم إن موسى أراد أن يبطش بعدوهما المشترك، فقال أحد الرجلين: إنك بالأمس قتلت شخصاً، وها أنت اليوم تريد تكرار الأمر؟

هذه التفاصيل جعلت بعض المفسرين يختلفون في هوية الذي قال ‹أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ›؛ فقال بعضهم إن القائل هو الإسرائيلي لأنه رأى غضب موسى، وظن أنه

٣٥. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢٨٠.
٣٦. انظر القرطبي، تفسير ١٦: ٢٤٦.

www.christianlib.com

يريد البطش به. وقال آخرون بل هو المصري، وقد عرف القصة من الإسرائيلي.[٣٧] أما سياق الحادثة فيفيد بأن القائل هو المصري، وهو ما يؤيده الرازي بقوله: «والظاهر هذا الوجه»، أي أن الإسرائيلي عرف القصة من المصري.[٣٨]

تنشأ عن هذه القصة أسئلة عديدة:

- لماذا اتّهم موسى الإسرائيلي بأنه غويّ مبين، ثم أراد أن يَنصُره مجدداً؟
- مِن أين عرف المصري بالخبر؟
- إن كان الإسرائيلي قد أذاع الخبر، ألم يكن ذلك ليُعرِّض حياته للخطر أيضاً، لأنه كان محرِّضاً ـ وإن بشكل غير مقصود ـ على فعل القتل.
- ثم، لماذا يَتّهم موسى الإسرائيلي بأنه سبب إغوائه، وموسى وحده المسؤول عن تصرفه الأول.

بغض النظر عما إذا كان الإسرائيلي مسؤولاً أم لا، لماذا أراد موسى أن يبطش بالمصري، هل لتكرار خطأه؟

٢٨: ١٧

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹فَلَنْ أَكُونَ...›.
- وقرأ ابن مسعود: «فَلَا تَجْعَلْنِ...».[٣٩]

تفيد القراءة الشائعة ‹فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ› بأن موسى قطع وعداً على نفسه بألّا يُظاهر أحداً من المجرمين؛ أما قراءة ابن مسعود «فَلَا تَجْعَلْنِ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ» فتفيد بأن موسى دعا الله ألّا يجعله ظهيراً لأحدٍ من المجرمين. وبما أن موسى كاد أن يكرر فعلته في الآية التي تليها، لولا أن المصري نبهه إلى فعلته الأولى، لكان ممّن لا يوفون بالعهد، وصار أقل شأناً من أولي الألباب الذين قيل فيهم ‹الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ...› (الرعد ١٣:٢٠)؛ مما يجعل قراءة ابن مسعود أكثر ترجيحاً من القراءة الشائعة، لأنها تتضمن دعاءً وليس وعداً من موسى.

---

٣٧. الرازي، تفسير ٢٤: ٢٣٦ـ٢٣٧.
٣٨. نفس المصدر ٢٤: ٢٣٧.
٣٩. الطبري، تفسير ١٨: ١٩١.

www.christianlib.com

تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا
ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي
لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ
ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي
سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ
يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا
نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى
ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا
تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ
فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ
ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ
أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧
قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ

www.christianlib.com

قراءة ابن مسعود لم تشذ عن القاعدة المتبعة بين القراء الأوائل في اختيار التعبير المناسب للآية. ويُعد ابن مسعود من أشهر القراء، بل من الأربعة الذين طلب محمد من المسلمين أن يأخذوا عنهم القرآن.[٤٠] وما يؤكد هذا الطرح، ما جاء في الأبحاث الحديثة على مخطوطات صنعاء، بأن هنالك العديد من الاختلافات بين المصاحف الأولى! وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر أحد الأمثلة الواردة في نص مخطوطة صنعاء الأصلي في سورة التوبة: «ورسوله من قبل **وليقسمن بالله ما أردنا**»،[٤١] التي هي على خلاف ما هو موجود في النص القرآني المتداول ﴿وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ (التوبة ٩: ١٠٧).

٢٨: ٢٣

- القراءة الشائعة للقرآن: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.
- قرأ ابن مسعود: «﴿دُونِهِمُ امرأتان حابستان﴾ بحذف ﴿وجد﴾ و﴿تذودان﴾».[٤٢]
- وفي بَعْض الْمَصَاحِف: «امْرَأَتَيْنِ حَابِسَتَيْنِ تَذُودَانِ».[٤٣]

ولنا أن نتساءل: لماذا هذا التضارب بين المصاحف المختلفة؟ وأين هي إذاً قدسية النص القرآني وسلامته من التغيير؟

٢٨: ٢٧

تقول الآية إنّ مَن وفّر الحماية لموسى كانت له ابنتان، فهل خلط القرآن بين تفاصيل قصة موسى،[٤٤] وقصة يعقوب الذي خدم حماه كصداق عن امرأته، مدة سبع سنين؟[٤٥]

---

٤٠. القرطبي، تفسير ١: ٩٦.

41. Puin, Elisabeth. *"Ein früher Koranpalimpsest aus San'â' II (DAM 01.-27.1) – Teil IV."* 322 Fol.17r Z.4.

٤٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٦.

٤٣. القرطبي، تفسير ١٦: ٢٥٦. انظر الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٦.

٤٤. الخروج ٢: ١٦-٢٢.

٤٥. تكوين ٢٩: ١٦-٢٠.

www.christianlib.com

ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا
لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ
وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ
مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ
إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ
أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥ فَلَمَّا
جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا
سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ
بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ

www.christianlib.com

غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ
وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾
وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ
مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ
بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ
أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم
مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا
فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ
عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ

www.christianlib.com

مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۚ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ
فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾
فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞وَلَقَدۡ
وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ
هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا
كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ
وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ
أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي
ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ
وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ
أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ
فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾
وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ
فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ

www.christianlib.com

٢٨: ٤٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹سِحْرَانِ›، وقد قرأ بها عامة قرّاء الكوفة.[٤٦]
- وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر: «سَاحِرَانِ»،[٤٧] وقد قرأ بها عامة قرّاء المدينة والبصرة.[٤٨]

اختلفت التفاسير في هذه الآية باختلاف القرّاء. فمَنْ أخذوا بقراءة الكوفة ‹سِحْرَانِ› قالوا إن معناها القرآن والتوراة. وقال بعضهم القرآن والإنجيل. أما مَنْ أخذوا بقراءة ابن كثير ونافع «سَاحِرَانِ» فقالوا إن المراد بها: موسى ومحمد. وقال بعضهم: موسى وهارون.[٤٩] اختلاف هذه القراءة جاء نتيجة لرسم المصحف العثماني، الذي لا يُظهر ألف المد في وسط الكلمة معظم الأحيان.

لقد أشار القرآن في (طه ٢٠: ٦٣) إلى أن موسى وهارون اتُّهما بالسحر ‹قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا...›، مما يرجح قراءة ابن كثير ونافع لسببين: الأول هو وجود الكلمة «سَاحِرَانِ» في آية (طه ٢٠: ٦٣)، والثاني هو وجود كلمة ‹تَظَاهَرَا› بمعنى تعاونا.[٥٠] وهذا بالفعل يتماشى مع موسى وهارون، ولكن كيف يتعاون موسى ومحمد إذا كان يفصل بينهما أكثر من ألفي سنة؟

أما إذا سلمنا مجازاً بالقراءة الشائعة للقرآن ‹سِحْرَانِ›، فكيف يتعاون التوراة أو الإنجيل مع القرآن في الوقت الذي يتهم فيه علماء الإسلام التوراة والإنجيل بالتحريف! بالإضافة إلى أن التوراة والإنجيل لا يتفقان مع معظم تعاليم القرآن!

٢٨: ٥٥

ترسم الآية صفة المؤمن الوديع. فهو إن سمع الأقوال القبيحة، لن يرد عليها، بل يكتفي بالقول لِمن تعرَّض له بقبيح الكلام: ‹لنا أعمالنا ولكم أعمالكم›، ثم ينهي الحديث بالتأكيد على السلام: ‹سَلَامٌ عَلَيْكُمْ›. هذا المبدأ قد نُسِخ. والنسخ هنا مُجمَعٌ عليه. لكن الاختلاف

٤٦. الطبري، تفسير ١٨: ٢٦٦.
٤٧. نفس المصدر، انظر الهامش رقم ١.
٤٨. نفس المصدر ١٨: ٢٦٦.
٤٩. نفس المصدر ١٨: ٢٦٦-٢٦٧.
٥٠. ابن منظور، لسان العرب ٢٧٦٨.

www.christianlib.com

هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ
ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ
أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ
ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ
يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ
لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ
سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ
ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ
أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ
ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا

www.christianlib.com

هو على الآية الناسخة. فمن العلماء من قال إنها نسخت بـ: (١) بآية السيف (التوبة ٩: ٥)؛[٥١] أو (٢) بآية القتال (التوبة ٩: ٢٩)؛[٥٢] (٣) «قيل هو منسوخٌ بالأمر بالقتال والقتل».[٥٣]

٢٨: ٧١

انظر التعليق على قراءة ‹ضِيَاء› (يونس ١٠:٥)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

٢٨: ٧٦ - ٨١

ذُكر اسم قارون في (العنكبوت ٢٩: ٣٩، غافر ٤٠: ٢٤) إلى جوار فرعون وهامان. وأما في آيات هذه السورة فيُحكى عن قارون أنه كان من قوم موسى، ولكنه كان يعاملهم بغطرسة وكبرياء بسبب ثروته، التي اعتقد أنه جمعها من خلال علمه؛ ولهذا حل به الدمار في النهاية: ‹فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ› (القصص ٢٨: ٨١).

ونحن لا نجد ذكراً لهذا الشخص في أي مصدر تاريخي. ويبدو أن القرآن يقصد به قُورَح،[٥٤] الذي من بَنِي لَاوِي، وقد تمرد على موسى،[٥٥] فكانت نهايته أن الأرض ابتلعته: «وَفَتَحَتِ الْأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُل مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الْأَمْوَالِ».[٥٦] أما موضوع الثراء الفاحش، فهو مأخوذ من الكتابات الحبرية.[٥٧]

٢٨: ٧٧

- قراءة الجماعة: ‹وَابْتَغِ›.[٥٨]
- وقرأ أبو المتوكل وابن السميفع: «وَاتَّبِع».[٥٩]
- وقرأ الأخفش: «وَابتع».[٦٠]

٥١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٢٠-٤٢١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٩، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٢.
٥٢. شعلة، المنسوخ والناسخ ١٦١.
٥٣. مكي، الإيضاح ٣٧٥.
٥٤. *Encyclopaedia of the Qur'ān* 3: 104. قارن دائرة المعارف الإسلامية ٨٠٠١-٨٠٠٢.
٥٥. سفر العدد ١٦: ١-٤٠.
٥٦. نفس المصدر ١٦: ٣٢، وقارن:سفر العدد ٢٦: ١٠.

57. *Encyclopaedia of the Qur'ān* 3: 104.

٥٨. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٧٢.
٥٩. ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ٢٤١، وانظر الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٢٣.
٦٠. ابن خالويه، مختصر ١١٥.

www.christianlib.com

تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ
ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ
عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ
مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ

في هذه القراءات الثلاث يختلف المعنى باختلاف القراءة على النحو التالي:

- ‹وَابْتَغِ›: أي «اطلب».
- «وَاتَّبِع»: بمعنى «سِرْ على أثره».
- «وَابتعِ»: أي «اشترِ».

معاني هذه الكلمات ليست متقاربة، وإن كانت بالتأكيد توافق رسم المصحف. وهو ما يدل على أنها ظهرت بسبب غياب التنقيط والتشكيل في المصحف، الأمر الذي يتعارض مع القول بحرفية النص القرآني.

٢٨: ٨٢

أ. ‹وَيْكَأَنَّ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹وَيْكَأَنَّ› في كلمة واحدة.
- قرأ الكسائي، والحسن وآخرون بالوقف على «وَيْ» ثم «كَأَنَّ».[٦١]
- وقرأ أبو عمرو بصري بالوقوف على الكاف: «وَيْكَ»،[٦٢] ثم «أن».

٦١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٧٧.
٦٢. نفس المصدر.

www.christianlib.com

لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ
يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ
تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ

وردت ‹وَيْكَأَنَّ› في رسم المصحف كلمة واحدة، ثم جاءت القراءات المختلفة بالوقف عليها في «وي». وهناك من وقف في «ويك». ولكل قراءة ما يدعمها عند النحويين والفقهاء، ويرى النحوي ابن الحاجب أن هناك قولين في هذه الآية:[63]

> أحدهما أن «وي» كلمة دخلت على كأن، والآخر أنها «ويك» دخلت على أن، فالأول مذهب البصريين، والثاني مذهب الكوفيين، والقراء البصريون جاءت قرائتهم [قراءتهم] على خلاف مذهبهم، فأبو عمرو بصري يقف على الكاف من «ويك»، والكسائي كوفي يقف على الياء من «وي»، فهذا يدلك على أن قراءاتهم لم يأخذوها من نحوهم، وإنما أخذوها نقلاً حتى لو خالف النقل مذهبهم في النحو، لم يقرأ إلا بما نقل كما رأيتَ في «وي»، **والله أعلم بالصواب.**

وذكر الطبري عن «ويك»: «وَقَدْ يَذْهَب بِهَا بَعْض النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّهما كَلِمَتَانِ، يُرِيد: وَيْك أَنَّهُ. كَأَنَّهُ أَرَادَ «وَيْلك»، فَحَذَفَ اللَّام».[64] وهكذا، فالمفسرون قد اختلفوا على الكثير من المعاني، نورد بعضها فيما يلي:

---

٦٣. ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل ١: ٥٠٧، التشديد لنا.
٦٤. الطبري، تفسير ١٨: ٣٤٠.

www.christianlib.com

مِن عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا
فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ
بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

- **وَيْكأن**: بمعنى «ألم تَرَ»، قالها أبو زيد وفرقته.[٦٥]
- **وَيْك**: «رحمة لك» بلغة حمير، قاله ابن قتيبة.[٦٦]
- **وَيْك**: بمعنى «أما ترى إلى صنع الله»، قاله الفراء وأبو عبيدة والكسائي وابن عباس.[٦٧]
- **وَيْكَ**: أي ويلك، والمعنى «ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون».[٦٨]
- **وَيْك**: كَأَنَّهُ أَرَادَ «وَيْلك»، فَحَذَفَ اللَّام.[٦٩]
- **وَيْ**: معناه التنبيه والتندُّم، قاله الزجاج.[٧٠]
- **وَيْ**: والمعنى المقصود «أَمَا تَرَى مَا بَيْن يَدَيْك؟» «ثُمَّ إِسْتَأنف: «كأن اللهَ يَبسُط الرزقَ».[٧١]

وفي كل الأحوال، فإن تفسير القراءة الشائعة تطلّب تقسيم الكلمة إلى شطرين، مما يرجح القراءات الأخرى؛ «قال الزجاج: «الوقف على «وَيْ»، وهو أجود الكلام، ومعناه التنبيه والتندُّم»».[٧٢]

٦٥. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٣١.
٦٦. نفس المصدر.
٦٧. نفس المصدر.
٦٨. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٢٨.
٦٩. الطبري، تفسير ١٨: ٣٤٠.
٧٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٧٧.
٧١. الطبري، تفسير ١٨: ٣٤١.
٧٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٧٧.

www.christianlib.com

وقد وردت نفس هذه الإشكالية في سورة (ص ٣٨: ٣) ‹...وَلَاتَ حِينَ›، حيث قرأها الجمهور: «وَلاتَ حينَ»، وقرأها أبو عبيد القاسم بن سلام: «وَلاَ تَحِينَ» بالوقف على «لاَ».[٧٣] يضع القرآن المفسرين في إشكاليات بعرضه مفردات غامضة غير مفهومة يحار العلماء فيها، فيحاولون إيجاد مخارج باقتراح تقسيمات مختلفة للمفردة.

والحقيقة أن مثل هذه الإشكاليات استعصت على القراء والنحويين، حتى أُسقط في يدهم، فاتضحت حيرتهم كما تقدم، الأمر الذي دفع قراء البصرة والكوفة إلى مخالفة مذهبهم في النحو، وأيضًا أدى بنحوي معروف كابن الحاجب الى ختام تعليله بالقول: «والله أعلم بالصواب»![٧٤]

ونتساءل: لماذا لم يسأل صحابة محمد عن معنى هذه الكلمة، وتركوها للأجيال القادمة لتخمين مغزاها؟

ب. ‹لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا›

- قراءة الجماعة: ‹لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا›.[٧٥]
- قرأ الأعمش: «لَوْلَا مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا».[٧٦]
- وقرأ الأعمش أيضًا: ««لَوْلَا مَنُّ اللهِ عَلَيْنَا»، وهو مصدر.[٧٧]

لاحظ أن كلمة ‹مَنَّ› وردت مرة باعتبارها فعلاً، ومرة باعتبارها مصدرًا. كذلك حذفت «أن» في قراءتي الأعمش. وسواء تغير المعنى أم لا، فأين حرفية النص القرآني من هذه القراءات؟

---

٧٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٧٦-٧٨.
٧٤. ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل ١: ٥٠٧.
٧٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٧٩.
٧٦. نفس المصدر.
٧٧. نفس المصدر.

www.christianlib.com

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ
بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا
يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ
كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٢٨: ٨٥

توجد إشكالية هنا في كلمة ‹فرض›، ذلك أنها تعني أوجب. إلا أن المعاجم تورد معانٍ أخرى لهذه الكلمة، ولكنها نادرة الاستعمال. وقد اختلف الشارحون حول معنى الكلمة في سياق هذه الآية، فمنهم من اعتمد المعنى المتعارف عليه، أي: الوجوب، وآخرون فضلوا معانٍ أخرى هي:

- ‹فَرَضَ عَلَيْكَ› أحكام القرآن وفرائضه.[٧٨]
- ‹فَرَضَ عَلَيْكَ›: أعطاك القرآن.[٧٩]
- ‹فَرَضَ عَلَيْكَ›: «أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه».[٨٠]

إن اختلاف المفسرين في شرح ‹فرض عليك› يوضح ارتباكهم في تأويل كيف أن الله فرض القرآن على محمد. ألا يكشف عدم الاتفاق فيما وصلوا إليه ضعف بيان القرآن؟

٧٨. الرازي، تفسير ٢٥: ٢٢.
٧٩. الطبري، تفسير ١٨: ٣٤٦.
٨٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٣٠.

www.christianlib.com

٢٨: ٨٦

- القراءة الشائعة: ‹فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا›.
- وقرأ ابن مسعود «"فَلَا تَجْعَلَن ظَهِيراً". كذا جاءت القراءة من غير ضبط لحركة النون».[٨١]

هناك احتمالان لتشكيل النون في قراءة ابن مسعود:

- الاحتمال الأول: ‹تَجْعَلَنَّ› بالفتح وتشديد النون. ففي هذه الحالة: الله هو المتكلم وهو الفاعل. وبما أن المفعول غير موجود وليس له تقدير، فاستبعاد هذا الاحتمال ضروري،
- أما الاحتمال الثاني: ‹تَجْعَلَنِّ› بالكسر وتشديد النون.

أما الاحتمال الأول لقراءة ابن مسعود «فَلَا تَجْعَلَنَّ ظَهِيرًا»، فالله يحذر محمدًا من أن يكون عوناً للكافرين، وهذا تصغير من شأن محمد.

فيصبح الاحتمال الثاني لـ (ابن مسعود) أوضح: «فَلَا تَجْعَلَنِّ ظَهِيراً»، ويكون المتكلم هو محمد بعكس قراءة الجماعة: ‹فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا›؛ وفي هذه الحالة تُبْعِد قراءة ابن مسعود عن نبيّه صفة الميل للكافرين، وكذلك تحذير الله له.

---

٨١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٨٤.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

جاءت تسمية السورة من ذكر مثل العنكبوت في الآية (٤١) (ابن عاشور، تفسير ٢٠: ١٩٩).

ويرى التيار العريض من العلماء المسلمين أن السورة مكية، بينما يوجد رأي يقول إنها مدنية. وآراء فردية أنها متبعضة (ابن عاشور، تفسير ٢٠: ١٩٩). ويرى نولدكه أن الآيات ١ ـ ١٠ مدنية وأنها جاءت بعد معركة بدر، وربما في سنة معركة أُحد (Wherry 3: 270).

ويميل ابن عاشور لوضعها في آخر سنة محمد في مكة (ابن عاشور، تفسير ٢٠: ٢٠٠). وهو رأي يتفق معه الحداد، إذ يقرأ في السورة دعوة للهجرة (الآيات ٥٦ ـ ٦٠). ويرى الحداد أن هذه الدعوة تشير إلى أن محمدًا قد انتهى من التفاوض مع أهل المدينة، وأن المسلمين قد بدأوا بالهجرة فعليًا (الحداد، أطوار ٦١٩). بينما يعود ويري إلى الوراء في تاريخها، إذ يعتقد أن الأجزاء المكية تعود إلى تاريخ الهجرة الأولى إلى الحبشة (Wherry 3: 270)، أي السنة الخامسة للدعوة في مكة.

مواضيع السورة

- دعوة المسلم للثبات على إيمانه (٢ ـ ١٣).
- التحذير بذكر سوء عاقبة الذين قاوموا الأنبياء سا بقًا (الآيات ١٤ ـ ٤٣).
- أصالة القرآن (الآيات ٤٨ ـ ٥١).
- وحدانية وعظمة الله والإنذار بالآخرة (الآيات ٦٠ ـ ٦٧).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢
وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣
أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ مَن
كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ
كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ
ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ

www.christianlib.com

لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ
أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ
وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ
ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾

٢٩: ٨

- قراءة الجمهور: ‹حُسْنًا›.[١]
- وجاء في مصحف أُبيّ بن كعب: «بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا» بدلاً من ‹حُسْنًا›.[٢]

الحُسن نعتٌ لما حَسُنَ، وهو ضد القبح ونقيضه،[٣] فقال الزجاج في المقصود بكلمة «حُسْنًا»: «معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن»[٤]، بينما الإحسان هو مصدر «أَحْسَنَ»[٥] والإحسان وفقًا لابن منظور، هو «ضد الإساءة...وأراد بالإحسان الإخلاص».[٦]

وقد وردت لفظة ‹إِحْسَانًا› في القرآن خمس مرات مقرونة بالوالدين، كما نوضح في الجدول التالي:

١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٨٩.
٢. القرطبي، تفسير ١٦: ٣٤١، وانظر الخطيب، معجم القراءات ٧: ٨٩.
٣. انظر ابن منظور، لسان العرب٨٧٧.
٤. الدرويش، إعراب القرآن ٥: ٦٧٤.
٥. أَحْسَنَ يُحْسِن إِحْسَانًا.
٦. ابن منظور، لسان العرب٨٧٨ .

www.christianlib.com

اسم السورة	ترتيب المصحف	آية	النص	الرسم العثماني
البقرة	٢	٨٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾	‹احسانا›
النساء	٤	٣٦	وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾	‹احسـا›
الأنعام	٦	١٥١	قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾	‹احسـا›
الإسراء	١٧	٢٣	ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾	‹احسـا›
الأحقاف	٤٦	١٥	وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾	‹احسـا›

أما لفظة ‹حُسْنًا›، فقد جاءت مرة واحدة فقط مقترنة بالوالدين، في الآية التي نحن بصددها؛ والظاهر أن أصحاب قراءة الجمهور اعتبروا هذين الوالدين مشركين منذ الوهلة الأولى، وبالتالي فلا تجوز طاعتهما، ولا الإحسان إليهما. لذلك جاءت هذه القراءة بمعنى تقديم المعروف أو

www.christianlib.com

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ

معاملتهما بالحُسن فقط في الدنيا، وذلك تماشيًا مع ما ورد في الآية ‹وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا› (لقمان ٣١: ١٥).

أما ما جاء في مصحف أُبيّ بن كعب فيوافق تمامًا ما ورد في باقي آيات القرآن التي تتحدث عن الإحسان للوالدين، وكذلك لذِي ‹الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ› كما يتضح في (النساء ٤: ٣٦)، و(البقرة ٢: ٨٣)، إلا أن اختيار أُبي ربما كان لأنه يرى أن سياق الآية التي نحن بصددها لا يقتضي بالضرورة كون هذان الوالدان مشركين، على اعتبار أن ‹وإن جاهداك›، في الآية التي نحن بصددها، تكون إن: شرطية؛[٧] حيث إن الوصية في الآية عامة كما ورد في باقي الآيات الخمس، ثم جاء التخصيص بعد ذلك في قوله: ‹وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ›، وعندئذ لا تجوز الطاعة، كما يقتضي الإحسان، بل يكون الأمر: ‹فَلَا تُطِعْهُمَا›.

وإذ كان الطلبان: حسنًا وإحسانًا يحملان نفس الدلالة ألا وهي احترام الوالدين، إلا أن الاختلاف هنا يبرز أن فريقًا رأى أن الآية التي نحن بصددها تتعلق باحتمال كون الولدان مشركين، بينما يبدو أن أُبي بن كعب رأى أن الطلب هنا هو وصيةٌ عامة، وهنا نجد اختلافًا، لدى القراء الأوائل، في فهم الرسالة الموجهة إلى المسلمين.

١٧:٢٩

- قراءة الجمهور: ‹وَتَخْلُقُونَ›، مضارع خَلَقَ.[٨]
- وقرأ علي بن أبي طالب وآخرون: «وَتَخَلَّقُونَ» من تَخَلَّقَ، بمعنى تكذّب وتخرّص.[٩]

---

٧. الدرويش، إعراب القرآن ٥: ٦٧٤.

٨. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٩٤.

٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ
وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ
ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ
مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ
بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ
لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ

قال ابن منظور: «الخلق في كلام العرب: ابتِداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه: وكل شيء خلقه الله فهو مُبتَدِئه على غير مثال سُبق إليه».[١٠] الخلق والإبداع لا يعطي تصورًا سلبيًا، فتصنع الكذب ليس شيئًا إيجابيًا بل شيءٌ مذمومٌ، وبالتالي فلا يتماشى هذا التعبير السلبي مع الخلق والإبداع وإن جاء مجازًا!

١٠. ابن منظور، لسان العرب ١٢٤٤.

www.christianlib.com

أما ما تفضَّل به المفسرون من تأويل لهذا النص القرآني فما هو سوى محاولة لتجميل صورته وإضفاء صبغة المنطق والقداسة عليه؛ وقد اختلف المفسرون على معنى ‹وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا›، على الشكل التالي:[١١]

- عن ابن عباس: تصنعون كذبًا.
- وعن مجاهد: تقولون كذبًا.
- وعن قتادة: تصنعون أصنامًا.
- وعن ابن زيد: الأوثان التي ينحتونها بأيديهم.
- وقال آخرون: وتنحتون إفكًا.

أما قراءة علي بن أبي طالب فليست بأفضل من نظيرتها.

ولمحاولة معرفة المقصود من هذه الكلمة، نرجع إلى سياق الآية فنجد أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأوثان، ويكذبون كما كذبت الأمم من قبلهم، كما أخبرنا القرآن أن هؤلاء الكذابين يكذبون في الدنيا وفي الآخرة، ويحلفون على كذبهم، وهذا ما جاء في سورة (المجادلة ٥٨: ١٨) ‹يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا **فَيَحْلِفُونَ** لَهُ كَمَا **يَحْلِفُونَ** لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ›،[١٢] وبما أن المصحف كان خاليـًا من التنقيط والتشكيل؛[١٣] فإننا إذا جردنا الكلمة ‹وَتَخْلُقُونَ› من النقط تصبح على الشكل التالي: ‹**وىحلعوں**›، فهل كانت هذه العبارة في الأصل: «**وَتَحْلِفُونَ إِفْكًا**»؟

٢٩: ٢٧

تذكر الآية خبر إن الله وهب لإبراهيم: إسحٰق ويعقوب، ولكنها تغفل ذكر إسماعيل،[١٤] رغم أن إسماعيل يحتل مكانة رفيعة في سجل الشخصيات التاريخية في القرآن (انظر التعليق على (مريم ١٩: ٥٤)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٢٩٨). وواقع أن القرآن أغفل ذكر إسماعيل هنا يشير إلى أن الرواية القرآنية عن حياة إبراهيم كانت تمر في مراحل تكوين. ونحن نجد أن

١١. الطبري، تفسير ١٨: ٣٧٣، ٣٧٤.
١٢. انظر أيضًا (التوبة ٩: ٥٦، ٦٢، ٧٤)، و(المجادلة ٥٨: ١٤).
١٣. المحكم للداني ٢، ١٨.
١٤. توضيح: إسماعيل هو ابن إبراهيم وأخو إسحٰق، بينما يعقوب هو ابن إسحٰق، أي حفيد إبراهيم.

www.christianlib.com

فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا
بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن
فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ
رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ
وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ
رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ
ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ
فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ
وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا
كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم
مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ

www.christianlib.com

القرآن يخلط بين التواريخ، فأزمنة الشخصيات التاريخية النبوية متداخلة، ففي سورة (الأنعام ٦: ٨٤ ـ ٨٦) لاحظ معنا القارئ كيف أن القرآن تعرض لذكر أسماء شخصيات نبوية بطريقة عشوائية.[١٥]

٢٩: ٣٩

راجع موضوع «قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ» في التعليق على (القصص ٢٨: ٧٦ ـ ٨١)، صفحة ١٣٥.

٢٩: ٤١

تخبر الآية أن مثل من يلجأ للأوثان، كمن التجأ إلى بيت هو في ضعفه مثل بيت العنكبوت. والآية هنا لا تعطي صورة مجازية، بل تقول إن حقيقة البيت هو الوهن، فـ ‹أَوْهَنَ الْبُيُوتِ›: «أضعف البيوت».[١٦] وتؤكد الآية ذلك بعبارة: ‹لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ›. وهذا ما يراه الزمخشري أيضًا بقوله بما أن وهن بيت العنكبوت أمر معلوم فإن ما جاء في الآية من قول ‹لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ› يعني: «لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن».[١٧]

وأمام هذا التعليم القرآني عن وهن البيت، يلجأ المرء إلى المصادر العلمية للاستزادة بشأن بيت العنكبوت، فيجد التفاصيل التالية:[١٨]

إن العناكب فريدة في عالم المفصليات،[١٩] فهي تنتج مبكرًا الحرير في غدد خاصة في بطنها، إذ تعطي كل واحدة نوعًا مختلفًا من الحرير. ولخيوط الحرير المنتجة من قبل العناكب خصائص مادية مختلفة، إذ لديها مقاومة شدّ عالية، وتمدد واسع، ومقاومة للتعفن.[٢٠] وهذه المزايا دفعت لمسعى لإنتاج خيوط عنكبوت بالهندسة الجينية من أجل صناعة: المظلات، والسترات المضادة للرصاص، ومصدات للسيارات، والأربطة[٢١] صناعية.

إذًا، كان المفترض أن يأتي بيت العنكبوت تعبيرًا عن القوة، لا أن يكون مثالاً للضعف. ولكن القرآن يقدم صورة بيت العنكبوت كما يراه الإنسان بعينه المجردة، وهذه كلها من

١٥. انظر التحليل النقدي لآيات (الأنعام ٦: ٨٤ ـ ٨٦)، في المجلد الأول من هذا الكتاب ١: ٣٢٠- ٣٢١.
١٦. الطبري، تفسير ١٨: ٤٠٥، القرطبي، تفسير ١٦: ٣٦٣.
١٧. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٤٩.

18. Gillespie, *Encyclopedia of Insects* 945.
19. Arthropods.
20. Decay.
21. Ligaments.

www.christianlib.com

لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ
أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ
مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن
قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ

براهين بشرية هذا النص، فالنص لو كان إلهيًا، لكان استخدم بيت العنكبوت مجازًا للقوة لا للضعف. وأمام هذه الإشكالية، فإن منتديات إسلامية على الانترنت تطرقت للمسألة، وقدمت تأويلاً يقول:

إن الآية تشير إلى أمرين

أولاً، إن الوهن المادي للبيت لا يتعلق بالخيط بحد ذاته، بل بما هو بيت، الذي لا يقي حر الشمس ولا زمهرير البرد، ولا يقي من المطر، ولا يحمي من ريح.

ثانيًا، إن الوهن هو بالبيت لا بالخيط، وهذا دليل إعجاز القرآن لأنه أشار إلى الوهن في البيت.

www.christianlib.com

وهذا التأويل يقفز على أمرين

أولاً، إن القرآن يشير إلى ضعف البيت بناءً على المرئي من خيوطه لا إلى البيت كموضوع تجريدي.

ثانيًا، إن هذا التعليل القائل إن الآية تقصد البيت الواهن، هو تعليل قائم بدوره على أساس شكليّ، لأن كل بيت للحشرات هو من المنظور البشري ضعيف وغير ملائم. والواقع العلمي يفيد أن شبكة العنكبوت تؤمن حياة العنكبوت وتحميه، وبالتالي، فبيت العنكبوت هو ملائم بشكل مطلق للعنكبوت.

ونقرأ في مكان آخر بأن القصد بالوهن هو التفكك الأسري للعناكب بما أن العناكب تأكل بعضها.

وطبيعة هذا التأويل تكشف حيرة المسلم أمام الخطأ العلمي في موضوع وهن بيت العنكبوت، لأن عالم الحشرات وعلاقاتها تختلف عن عالم الإنسان وعلاقاته: فعلاقات: الصداقة/العدواة، المحبة/الكره، السلام/الحرب إلى آخره هي مفاهيم إنسانية، تتفاعل في المجتمع البشري، وليست مفاهيم تسبح بالهواء فتشير إلى العلاقات الإنسانية تارة وتارة أخرى ترمي إلى عالم الحيوان.

كما أن كلا الشرحين الواردين في المنتديات الإسلامية (ولو أخذنا بهما ونبذنا شروحات التفاسير)، يكشفان أن النص القرآني غير مطابق للحقيقة العلمية.

٢٩: ٤٩

أ. ‹هُوَ›

- قراءة الجماعة: ‹بَلْ هُوَ›.[٢٢]
- وقرأ ابن السميفع: «بَلْ هَذا».[٢٣]
- وقرأ ابن مسعود: «بَلْ هِيَ».[٢٤]

٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١١٧.
٢٣. الشوكاني، تفسير ١١٢٣.
٢٤. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٥١، الشوكاني، تفسير ١١٢٣.

www.christianlib.com

ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ

في قراءة الجماعة جاء ضمير الغائب ‹هُوَ› بمعنى الكتاب، وبهذا المعنى جاءت كذلك قراءة ابن السميفع، إلا أنه لا يمكن الاستدلال على المقصود باسم الإشارة «هذا»: هل هو محمد أم الكتاب؟ وللوهلة الأولى يظهر وكأن هذه الآية تتحدث عن الكتاب لكن في آخرها نجد صاحب القرآن يتحدث عن الآيات وليس عن الكتاب، ثم يتابع حديثه عن هذه الآيات في الآية اللاحقة (العنكبوت ٢٩: ٥٠).

أما قراءة ابن مسعود: «هِيَ»، فتشير بلا لبس إلى الآيات البينات. وبذلك تكون قراءة ابن مسعود هي الأنسب لسياق النص من قراءة الجماعة، وابن السميفع.

ب. ‹آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ›

- قراءة الجماعة: ‹آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ›، على الجمع.[٢٥]
- وقرأ قتادة: «آيَةٌ بينة»، على الإفراد.[٢٦]

جاءت هاتان الكلمتان في الرسم العثماني: ‹آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ› بتاء مفتوحة، بالرسم التالي ‹ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ›، ولا يمكن معرفة هل الصيغة بالجمع أم بالإفراد؟ لأن ألف المد غير ظاهرة في حالة الجمع، وليست موجودة في حالة الإفراد؛ وبالتالي رأى معظم القرّاء أنها بالجمع، بينما قرأها قتادة

٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١١٧.
٢٦. نفس المصدر.

www.christianlib.com

كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾

بالإفراد، مع اختلاف المدلول في الحالتين، وقد رأينا سابقًا إشكالية حرف التاء المفتوحة والمربوطة في الرسم العثماني. (انظر التعليق على قراءات (القصص ٢٨: ٩)، صفحة ١٢١).

٢٩: ٥٠

أ. ‹آيَاتٌ›

- القراءة الشائعة: ‹آيَاتٌ› على الجمع.
- وقرأ ابن كثير وآخرون: «آيَة» على الإفراد،[٢٧] انظر التعليق على الآية السابقة.

ب. ‹لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ›

- القراءة الشائعة: ‹وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ›
- في مصحف أُبيّ: «وَقَالُوا لَوْمَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ».[٢٨]

يُلاحظ من سياق النص أن الطلب جاء من قبل رافضي محمد، وبما أنهم ليسوا مؤمنين به وبرسالته، فكيف يقرون بـ «نزول» الآيات عليه؟ فمفردة «يأتينا» التي وردت في مصحف أُبي

---

٢٧. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٥٢.
٢٨. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١١٨.

www.christianlib.com

يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ
فَٱعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ
خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ (٥٨) ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)
وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ (٦٠) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ
وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا
جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ
وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ (٦٨) وَٱلَّذِينَ
جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٦٩)

www.christianlib.com

هي الأنسب لمنطق هؤلاء الرافضين، ولا سيما أن أُبي بن كعب هو أحد الأربعة الذين أمر محمد بأخذ القرآن عنهم.[٢٩]

٢٩: ٥٥

- قراءة الجماعة: ‹وَيَقُولُ ذُوقُوا› بالياء، أي الله.[٣٠]
- وقرأ ابن كثير وآخرون: «وَنَقُولُ ذُوقُوا» بالنون، نون التعظيم، أو نون جماعة الملائكة.[٣١]
- وقرأ أبو البَرَهْسِم: «وَتَقُولُ ذُوقُوا» بالتاء، أي جهنم.[٣٢]
- وقرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة: «وَيُقَالُ ذُوقُوا» مبنيًا للمجهول.[٣٣]

نلاحظ أن المعنى يختلف بحسب اختلاف القراءات، وذلك بسبب عُري المصاحف الأولى من التنقيط،[٣٤] وبما أنه ليس هناك أي دليل قاطع عن هوية المتكلم: هل هو الله؟ أم زبانية النار من الملائكة؟ أم جهنم نفسها؟ سوى بالرجوع للآية التي تليها ‹يا عبادي›، لذا فإن قراءة ابن مسعود هي الأقرب إلى سياق الآية من غيرها من القراءات.

٢٩. القرطبي، تفسير ١: ٩٥.
٣٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٢١.
٣١. نفس المصدر.
٣٢. نفس المصدر.
٣٣. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٥٢، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٥٣-٥٤.
٣٤. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

جاءت تسمية السورة من ذكر اسم الروم فيها (آية ٢)، وهي المرة الوحيدة ذكرًا في القرآن. وأغلب العلماء المسلمين متفقون على مكيتها، على أن البعض قال إنها مدنية جاءت يوم بدر (ابن عاشور، تفسير ٢١: ٣٩).

الإشكالية الناشئة بشأن السورة تتعلق بالآيات (٢ ـ ٤) عن غلبة الروم، إذ ثمة اختلاف في القراءات، ففي قراءة جاءت: ‹غُلِبَتِ الرُّومُ... سَيَغْلِبُونَ...›، حيث فعل ‹غُلِبَتِ› بصيغة المبني للمجهول، وحسب الشارحين يشير النص إلى هزيمة الروم في السنة الخامسة قبل الهجرة، ٦١٦ م على يد الفرس، وفي قراءة ثانية ورد: «غَلَبَتِ الرُّومُ... سَيُغْلَبُونَ» حيث الفعل الأول مبني للمعلوم، وهي حسب التفاسير تحكي عن خبر وصل بعد معركة بدرٍ (٢ هـ/ ٦٢٤ م) بأن الروم انتصروا على الفرس ولأن الآية تبشر المسلمين أن الروم سيلقون هزيمة على أيديهم، وبالتالي لدينا خلاف في الحيثيات التاريخية وطبيعة الوعد (فهل سينتصر الروم أم سينهزمون؟) وخلاف آخر في تاريخ الآية، هل ٥ قبل الهجرة أم ٤ بعد الهجرة؟ (انظر مقال «في القراءات المختلفة»، في المجلد الأول من هذا الكتاب ١: ٦١-٧٠).

وبما إن هذا الجزء محل خلاف في معناها وتاريخه، فإن الحداد يرى أن هذه الآيات نص مستقل عن السورة (الحداد، أطوار ٦١٨).

يلاحظ ويري أنه على الرغم من الخلاف بشأن تاريخ الآيات (١ ـ ٥)، إلا أنه يعتقد أن السورة ربما جاءت قبل بعد السنة السابعة للدعوة المكية (Wherry 3: 282).

من مواضيعها

- البرهنة على البعث من خلال مقارنة قدرة الله على تجديد دورة الطبيعة الزراعية (آية ١٩).
- خلق البشر من تراب (آية ٢٠).
- مجمل السورة يشير إلى عظمة الله من خلال ظواهر الطبيعة من أجل نقد أفكار الديانات الوثنية.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ
سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ
يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ④ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤

٣٠: ٢

- قراءة الجمهور: ‹غُلِبَتِ الرُّومُ› بضم الغين، على المبني للمجهول،[١] بمعنى: أن الفرس غلبت الروم.[٢]
- وقرأ علي بن أبي طالب وآخرون: «غَلَبَتِ الرُّومُ» بفتح الغين،[٣] أي : أن الروم انتصروا.

لقد سبق وذكرنا إشكالية هذه القراءة، في المجلد الأول من هذا الكتاب ١: ٦٨-٦٩؛ حيث رأينا أنه بحسب القراءة تختلف النبوءة المزعومة؛ فنجد أن كل قراءة تجعل المنتصرين في القراءة الأولى منهزمين في القراءة الثانية.[٤]

أ. إذا أخذنا قراءة الجمهور ‹غُلِبَتِ› بمعنى أن الروم خسروا المعركة أمام الفرس، «يتنبأ» صاحب النص القرآني بانتصارهم (الروم) على الفرس فيما بعد، فتناحب أبو بكر (تراهن وهو نوع من القمار) على ذلك مع أبيّ بن خلف،[٥] لكن الحيثيات التاريخية تخبرنا أن كلا الفريقين: الروم والفرس، قد حصلت بينهما مناوشات عديدة تكرر فيها النصر والهزيمة سجالاً لكلا الطرفين ما بين أواخر القرن السادس الميلادي وبدايات القرن السابع الميلادي، مما جعل توقع انتصار الروم فيما بعد أمرًا شبه طبيعي.

١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٣٨.
٢. الطبري، تفسير ١٨: ٤٤٦.
٣. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٣٢٧.
٤. جولدتسهر ٣١.
٥. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٦٤.

www.christianlib.com

ب. أما إذا أخذنا بقراءة علي بن أبي طالب، التي تفيد أن الروم انتصروا، عندها تبرز الإشكاليات فيما يتعلق بالطرف الذي انهزم أمامهم:

- إما على الفرس، فنجد أنه ليس من الصعوبة الإخبار عن حدث تاريخي مهم مثل انتصار الروم على الفرس أو انهزامهم قبل ذلك، إذا كان هذا الحدث يعاصر زمان محمد!
- أو على المسلمين، وبالتالي يكون هذا «التنبؤ» لصاحب القرآن هو عبارة عن تهديد للروم أن المسلمين سينتصرون في المستقبل إن عاجلاً أو آجلاً، ويقصد بفرحة المؤمنين (الروم ٣٠:٤)، فرحة المسلمين لدى انتصارهم على الروم.[٦]

إن هذا التخبط في فهم المفسرين لهذه الآية قد انعكس على ما ذهبوا إليه في تأويل معنى «يومئذ يفرح المؤمنون»، حيث ذكر الفراء عدة احتمالات لمعناها، منها:[٧]

- الفرح لانتصار الروم على الفرس، وعلى هذا الاحتمال ذهب معظم المفسرين.
- الفرح من جراء نصر يخص المسلمين على عدوهم، وذلك:
    - **إما يوم بدر**
    - **أو يوم بيعة الرضوان**
- فرح المسلمين بنصرة الله إياهم بتحقيق ما قال نبيهم من نصرة الروم على فارس.

ناهيك عن أن القرآن كان عاريًا من التشكيل حتى عهد أبي الأسود الدؤلي،[٨] حين أصبحت كل هذه الوقائع التاريخية معروفة للكافة، أي أن التشكيل الذي استحدثه أبو الأسود الدؤلي كان بعد وفاة محمد بأكثر من ثلاثين عامًا، وانتصار المسلمين على الروم بأكثر من خمسة وعشرين عامًا.

---

٦. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٦٤.

٧. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٣٢٨-٣٢٩.

٨. الداني، المحكم ٢، ١٨. للتعريف بـ «ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي»، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٠٧٢. بحسب المراجع الإسلامية، فقد بدأ تشكيل القرآن على يد أبي الأسود الدؤلي، وذلك عندما أمره الأمير «زياد بن أبيه» أخو معاوية بن أبي سفيان. (انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٣٧٢) أن يقوم بوضع حركات التشكيل، الأمر الذي حدث في أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان؛ أي في الفترة التي بدأت سنة ٦٦١ م وقبل ٦٧٢ م (السنة التي توفي في أواخرها زياد بن أبيه).

www.christianlib.com

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ
لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ

www.christianlib.com

فكما ذكرنا سابقًا، لدينا خلاف في الحيثيات التاريخية وطبيعة الوعد (فهل سينتصر الروم أم سينهزمون؟) وخلاف آخر فى تاريخ الآية (٥ قبل الهجرة أم ٤ بعد الهجرة؟)، ومع ذلك لم يتردد العلماء المسلمون في إسدال الستار على هذه التفاصيل تبريرًا للقول إن النص معجزة نبوة!

٣٠: ٣

- القراءة الشائعة: ‹فِي أَدْنَى الْأَرْضِ›
- وقرأ أُبيّ بن كعب وآخرون: «فِي أَدَانِي الْأَرْضِ»، جمع أدْنى.[٩]

ذكر الزمخشري مجموعة من الأقوال لتحديد موقع المعركة:[١٠]

- في الجزيرة العربية.[١١]
- في الأردن وفلسطين.[١٢]
- بين أذرعات وبصرى.
- أطراف الشام.[١٣]

والاختلاف في الأقوال لتحديد مكان المعركة بين أطراف الجزيرة العربية والأردن وفلسطين ما هو إلا دليلٌ على ضعف الخبر بالتواتر نتيجة لعدم وضوح أحداث هذه الواقعة التاريخية في النص القرآني.

٣٠: ٧

يتكرر الضمير ‹هُمْ› مرتين، مما يخالف الذوق الأدبي. والمفسر الوحيد الذي أشار إلى هذا التكرار هو الرازي، الذي قال: «وذكرت ‹هُمْ› الثانية لتفيد أن الغفلة منهم».[١٤] فإن كان شرحه صحيحًا، هل يعني هذا أنه إذا قُرِئت الآية بدون الضمير الثاني: «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ غَافِلُونَ»، يصبحون غير مسؤولين عن الغفلة!

---

٩. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٣٨.
١٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٦٣.
١١. قاله مجاهد.
١٢. قاله ابن عباس.
١٣. رجحه الزمخشري.
١٤. الرازي، تفسير ٢٥: ٩٨.

www.christianlib.com

بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ
أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ
إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا
مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا
رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ
وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ
دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ

www.christianlib.com

٣٠: ٢٧

- قراءة الجماعة: ‹وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ›.[١٥]
- وفي مصحف عبد الله بن مسعود، وقراءة أبيّ بن كعب وآخرين: «وَهُوَ هَيِّن عَلَيْهِ».[١٦]
- وقرأ ابن مسعود: «وَهُوَ عَلَيْهِ هَيِّن» على التقديم والتأخير.[١٧]
- وفي قراءة أخرى: «وَكُلٌّ على الله هين».[١٨]

تُظهر قراءة الجماعة أن إعادة خلق الأشياء أهون (أسهل) على الله من بدايته، عن عكرمة قال: إعادة الخلق أهون عليه (الله) من إبداء الخلقِ.[١٩] وكأن الله يبذل جهدًا في الخلق، بل وكأن هناك أمورًا أسهل على الله في تنفيذها من غيرها! وبالتالي تكون إعادة الخلق أسهل من الخلق الأصلي! أليس الله إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون؟ كما ذكر القرآن: ‹إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ› (النحل ١٦: ٤٠)، وأيضًا ‹إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ› (يس ٣٦: ٨٢) ويؤكد هذا المعنى تأويل ابن عباس والربيع بن خُثَيْم بأن «أهون» أي «هَيِّن».[٢٠] وبالتالي فكل القراءات الأخرى أفضل وأنسب للسياق من قراءة الجماعة التي جاءت بصيغة التفضيل.

٣٠: ٣٠

رسمت في المصحف العثماني ‹فِطْرَتَ› بتاء مبسوطة (مفتوحة)، فوقف عليها، وقرأها ابن كثير وآخرون: «فِطْرَة» بالهاء.[٢١] (انظر التعليق على (القصص ٢٨: ٩)، صفحة ١٢١).

١٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٥٤.
١٦. نفس المصدر.
١٧. القرطبي، تفسير ١٦: ٤١٨.
١٨. الطبري، تفسير ١٨: ٤٨٧، انظر الخطيب، معجم القراءات ٣٠: ١٥٥.
١٩. الطبري، تفسير ١٨: ٤٨٦-٤٨٧.
٢٠. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٦٥.
٢١. معجم القراءات القرآنية لعمر ومكرم ٥: ٧٠.

www.christianlib.com

يُشْرِكُونَ ٣٣ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٤ أَمْ أَنزَلْنَا
عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ٣٥ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ
رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ٣٦
أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ
يُؤْمِنُونَ ٣٧ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ
لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبٗا
لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ٣٩ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن
شَيْءٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١ قُلْ
سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّشْرِكِينَ ٤٢ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ
مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ٤٣ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ٤٤ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن
فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ٤٥ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ
وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٤٦ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم

www.christianlib.com

٣٠: ٣٩

- القراءة الشائعة: ‹لِيَرْبُوَا›.
- قراءة الجمهور: ‹لِيَرْبُوَ›.[٢٢]
- وقرأ نافع وآخرون: «لِتُرْبُوا».[٢٣]
- وقرأ أبو مالك: «لِتُرْبُوهَا» بضمير مؤنث.[٢٤]

المقصود هنا من القراءة الشائعة للقرآن، وقراءة الجماعة «ليربوا» أي أنكم تعطوا الأموال للمحتاجين طمعًا في أن يعيدوها بأكثر منها. أي أن «يربوا» تعود على المال، فالمقصود زيادة المال.[٢٥] وقرأ نافع «وما آتيتم من ربا لتُربُوا في أموال الناس»، بالتاء المضمومة، وهي أنسب للسياق لتناغمها «مع ما آتيتم» باستخدام صيغة المخاطب في الكلمتين، وأيضًا لتوافقها مع رسم المصحف.

٣٠: ٤١

- قراءة الجمهور: ‹لِيُذِيقَهُمْ› بالياء،[٢٦] والضمير هنا يعود إما على الله بصيغة الغائب أو الفساد.
- وقرأ ابن كثير وآخرون: «لِنُذِيقَهُمْ»،[٢٧] والضمير يعود على الله المتكلم بنون العظمة.

اختلفت صيغة القراءات بسبب غياب التنقيط في المصاحف الأولى، والتي لم تنقط على الأغلب إلا في عهد عبد الملك بن مروان (حكم من ٦٥ هـ - ٨٦ هـ)،[٢٨] ويقال على يد نصر بن عاصم، مما حدا بكل قارىء أن يقرأ بحسب استحسانه.

---

٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٦٢.
٢٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٧٢، الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٦٢، الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٨١، الطبري، تفسير ١٨: ٥٠٧.
٢٤. القرطبي، تفسير ١٦: ٤٤٠.
٢٥. تفسير السعدي ٦٤٢.
٢٦. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٧١.
٢٧. معجم القراءات لعمر ومكرم ٥: ٧٤، الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٨٢.
٢٨. تاريخ التمدن الإسلامي ٣: ٧٠.

www.christianlib.com

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ
وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن
قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا
رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ
ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا
يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

www.christianlib.com

٣٠: ٥٧

- القراءة الشائعة: ‹يَنْفَعُ› بالياء.
- وقراءة ابن كثير وآخرون: «تَنْفَعُ» بالتاء.[٢٩]

يتبين من خلال سياق الآية أن الحديث عن المعذرة والتي هي بصيغة التأنيث وليس شيئًا آخر، لهذا قراءة ابن كثير هي أكثر ترجيحًا من القراءة الشائعة.

٣٠: ٥٨

(انظر التعليق على ‹الْقُرْآنِ› (الحجر ١٥:١) في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ١٦٤).

٣٠: ٦٠

في الآية أمر موجه لمحمد يأمره بالصبر على أفعال قرشيين استخفوا بدعوته، وتأمره الآية أيضًا أن يحافظ على حلمه. ويختلف بشأنها على رأيين:

الأول: إنها منسوخة

يقول أصحاب هذا الرأي بما أن الآية مكية، فإن الأمر بالصبر نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٣٠]

الثاني: إنها محكمة

يرى ابن الجوزي أن الصبر ليس صبرًا على القتال، وبالتالي لا يوجد نسخ هنا.[٣١]

٣٠: ٦٠

- قراءة الجمهور: ‹وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ›، من الاستخفاف.[٣٢]
- وقرأ ابن أبي إسحاق: «وَلَا يَسْتَحِقنَّكَ»، من الاستحقاق.[٣٣]

---

٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٧٩.
٣٠. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٤.
٣١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٢٥.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٨٠.
٣٣. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥٩٠.

www.christianlib.com

قراءة الجمهور‹وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ› بمعنى: «لَا يَسْتَفِزَّنَّكَ عَنْ دِينك...يقال: استخف فلان فلانا أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي [الضلال]»،[٣٤] أما قراءة ابن أبي إسحاق «وَلَا يَسْتَحقنَّكَ» أي لا يكونوا أحق بك من المؤمنين.

- ليس هناك ما يدل على أن أعداء محمد لا يقدرون على الاستخفاف والاستهزاء به، بل على العكس (الأنعام ٦: ١٠) ‹وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ›.

- أما عن مغزى الاستحقاق، فالقرآن يذكر، على سبيل المثال أن ‹النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...› (الأحزاب ٣٣:٦)، أي أن محمدًا أحق بالمؤمنين من أنفسهم.[٣٥] غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى أدى إلى الاختلافات وعدم الفهم.

٣٤. القرطبي، تفسير ١٦: ٤٥٤.
٣٥. انظر الطبري، تفسير ١٩: ١٤-١٥.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُميت السورة بهذا الاسم بسبب ذكر شخصية لقمان فيها (آية ١٢، ١٣). والمصادر لا تذكر للسورة اسمًا آخر. والميل الأكبر عند المفسرين أنها مكية، ولكن تستثني رواية منسوبة لابن عباس ثلاث آيات (٢٧ ـ ٢٩)، وفي أخرى آيتين (٢٧ ـ ٢٨) (ابن عاشور، تفسير ٢١: ١٣٧)، الآيتان أو الثلاثة التي رُوي إنها مدنية قيل إنها تتصل بمجادلة مع يهود (ابن عاشور، تفسير ٢١: ١٣٨)، ولكن سبب النزول ليس قطعيًا. ثم إننا إن نظرنا إلى النص محل الرواية نجده متناسقًا لغةً وقافيةً مع اللاحق؛ وبالتالي هذا الرأي عرضة لشك كبير.

كما رُوي أن الآية (٤) مدنية لأنها تحتوي على ذكر الصلاة: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» وهما الشعيرتان (الصلاة والزكاة) اللتان فرضتا بالمدينة (ابن عاشور، تفسير ٢١: ١٣٧) بل بناءً على ذكر الزكاة ثمة من اعتقد من المسلمين أن السورة بمجملها مدنية (نولدكه، تاريخ ١٤١).

على أي حال، السورة بالعموم مكية، وتعود لبداية المرحلة المكية الثالثة (Wherry 3: 294).

يرى نولدكه أن الآيتين (١٤ ـ ١٥) كان من الأفضل لو وُضعتا بعد الآية (١٩)، وهو رأي يوافقه عليه ويري (Wherry 3: 293).

من مواضيعها

- قصة لقمان.
- تشجيع محمد لفشله في استمالة قومه (مثلاً، آية ٢٣).
- التأكيد على علو شأن القرآن (الآيات ٢، ٧).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا
هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا
كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ
ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ
وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ

٣١ : ٣

- القراءة الشائعة: ‹هُدًى وَرَحْمَةً›.
- وقرأ ابن مسعود: «هُدًى وَبُشْرَى».[١]

الرحمة هي الغفران غير المستحق، أما البُشرَى فهي الخبر السار، وبما أن سياق الآيات (لقمان ٣١ : ٢-٥) يتحدث عن علاقة آيات الكتاب (القرآن) بالمحسنين، فلا شك أن الموضوع

١. السجستاني، المصاحف ٣٢٨.

www.christianlib.com

يميل نحو الخبر السار وليس الـغفران لغير المستحق، لأن المحسنين يستحقون «البُشْرَى» بالجنة، ولا يستحقون العذاب. ومما يؤكد هذا الطرح الآية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء ١٧:٩)؛ فهذه الآية تتحدث عن أن الكتاب يهدي، ويبشر المؤمنين (المحسنين) بالأجر الكبير، فلو كانت الآية التي نحن بصددها تتحدث عن التوبة «هُدًى وَرَحْمَةً لِلتَّائِبِينَ» عند ذلك تكون كلمة «الرحمة» هي الأنسب. وبالتالي فإن قراءة ابن مسعود هي الأرجح.

٣١: ١٠

تقول الآية إن الله ﴿أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾، أي جبالاً، بهدف تثبيت الأرض، بحيث لا تهتز أو تضطرب بالناس،[٢] «ولولا ذلك ما أقرَّت عليها خلقًا».[٣]

وتكررت هذه العبارة حرفيًا في آية أخرى ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل ١٦: ١٥)، كما وردت أيضًا بمعنى مشابه في سورة (الأنبياء ٢١: ٣١) ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

والسؤال المطروح هو: ألا تتعارض هذه الصورة عن ثبات الأرض مع حقيقة الحركة الدائرية لها؟ وكذلك، نفي الآيات لِـ«مَيْد» الأرض ألاَ يدحضه تعرض الأرض للزلازل؟

٣١: ١٢ ـ ١٣

يرد هنا اسم لقمان. ولتعريفه، يقدم المفسرون الاحتمالات التالية:

- «أسودَ من سودان مصر».[٤]
- مسترق حبشي.[٥]
- مسترق «أسود، غليظ الشفتين، مُصفَّح القدمَين».[٦]

---

٢. الطبري، تفسير ١٤: ١٩٠.
٣. نفس المصدر ١٦: ٢٦١؛ ١٨: ٥٤٣ - ٥٤٤.
٤. نفس المصدر ١٨: ٥٤٧.
٥. نفس المصدر.
٦. نفس المصدر ١٨: ٥٤٨.

www.christianlib.com

اقتصر ذكْر «لقمان» في القرآن على هذه السورة فحسب. وإذا عدنا إلى الحوليات التاريخية، لا نجد في الأدب اليهودي أو المسيحي أي شيء عن شخصية لقمان القرآنية. وللباحثين آراء مختلفة بشأن لقمان. فتحليل صفاته، كما وردت في السورة، قاد الباحثين إلى مطابقة شخصيته مع بعض الشخصيات المشابهة له مثل: بروميثيوس،[٧] ولوقيان (السميساطي)،[٨] وسليمان الحكيم. وثمة مَن قال إن لقمان القرآني يمثّل شخصية الفيلسوف الفيثاغورسي والطبيب ألقمايون الكريتوني[٩] (٥٧١ ـ ٤٨٧ ق.م). وهناك من قال أيضًا إن هذه الشخصية هي شخصية أحيقار الحكيم، وذلك لوجود آية في القرآن تقول ‹إنَّ أنكرَ الأصوات لصوتُ الحمير› (لقمان ٣١: ١٩)؛ وهذه العبارة موجودة في حِكم أحيقار،[١٠] حيث جاء في النص العربي من «حكمة أحيقار»:[١١]

> يا بني، احنِ رأسكَ إلى أسفل وليّن صوتَك وكنْ متأدبًا واسلكْ في سبل الصّلاح ولا تكنْ سفيهًا **ولا ترفعْ صوتَك إذا ضحكتَ أو تكلمت لأنّه لو كان بالصّوت العالي يُبنى بيتٌ كان الحمارُ يبني كل يوم بيوتًا كثيرة.**

شخصية لقمان المذكورة في القرآن ليست شخصية تاريخية. وأقرب تقدير لهويته هو أن لقمان شخصية من ابتكار محمد، كتقليد لشخصية أحيقار. وقد عاش أحيقار في زمن الملكين الأشوريين: سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦١١ ق. م.) وابنه أسرحدّون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق. م). ومن الجائز أن تكون كلمة «أحيقار» لقبًا، أو صفة، أو رتبة رسمية، أو حرفة، أو درجة كهنوتية. وأقدم نص لقصة أحيقار مكتشف على أوراق البردى، يعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وتقول القصة إن أحيقار كان وزيرًا ومستشارًا لسنحاريب، ملك آشور ونينوى، وكان حكيمًا عظيمًا ذا مالٍ وفيرٍ، ومعرفة واسعة.[١٢]

وهناك رواية ذكرها الطبري تقول إن شخصًا يُدعى سُويد بن صامتٍ، كان محل تقدير عند قومه، وكانوا يسمونه «الكامل»؛ وإذ جاء سويد إلى مكة، توجه إليه محمد ليدعوه إلى الإيمان، فقال له سُويدُ: «فلعلّ الذي معك مثلُ الذي معي»، فلما سأله محمد عما معه، قال سُويد: «مَجَلَّةُ لُقْمان -

٧. بروميثيوس Prometheus، هو أحد الجبابرة في الميثولوجيا الإغريقية، وأشهر ما قام به إعطاء النار للإنسان.

٨. لوقيان Lucian (١٢٥ ـ ١٨٠ م)، هو خطيب وكاتب ساخر، كان يكتب باليونانية.

9. Alcmaeon.

10. *Encyclopaedia of the Qur'ān* 3: 242.

١١. فريحة، أحيقار ١١٩. قارن النصوص الأخرى الواردة في فريحة، أحيقار ٧٠، وقاشا ١٧.

١٢. قاشا ٩ ـ ١٠.

www.christianlib.com

لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ
يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ
أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤
وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا

يعني حكمةَ لقمانَ». فطلب محمد من سويد أن يعرض عليه محتوى هذه المجلة، «فعرضها عليه، فقال [محمد]: إن هذا الكلام حسن، معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله عليَّ».[١٣]

إذا كانت الرواية صحيحة، فربما كان لدينا شخصية أسطورية تُنسب إليها حيازة الحكمة في الجزيرة العربية، وبالتالي يكون مصدر الاسم القرآني هو أدب شفوي. ولكن بما أن الجزم بهذا أمر غير ممكن بما يتوفر لدينا من مصادر، يبقى السؤال: من هو لقمان الذي قصدته الآية؟

٣١: ١٤ ـ ١٥

جاءت هذه الوصية: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ... وإن جَاهداك...﴾ بين جملتين تتحدثان عن لقمان. وهذه الوصية تقطع سياق الحديث عن لقمان، وهي مُقحَمة في النص بشكل ظاهر.

لتبرير ذلك، قيل إن هذه الوصية هي أيضًا وصية لقمان لابنه، ولكن الله أخبر به عنه.[١٤] إلّا أن القرطبي يستدرك بالقول إن هاتين الآيتين جاءتا بخصوص سعد بن أبي وقّاص،[١٥] ويربط هذه الآية مع آية (العنكبوت ٢٩: ٨) ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾.[١٦]

١٣. الطبري، تفسير ٥: ٦٥١ ـ ٦٥٢.
١٤. القرطبي، تفسير ١٦: ٤٧٣.
١٥. نفس المصدر.
١٦. نفس المصدر ١٦: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

www.christianlib.com

فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى
صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ
إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن
صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم
مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ
فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ
أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا

تفسير القرطبي هذا يبيّن دخول نص الآيتين (١٤ و١٥) على قصة لقمان، ويكشف ضعف المنهجية في تدوين القرآن.

www.christianlib.com

٣١: ٢٠

- القراءة الشائعة: ‹وَأَسْبَغَ› بالسين.
- وقرأ ابن عباس ويحيي بن عمارة: «وَأَصْبَغَ» بالصاد.[١٧]

قال الزمخشري: «...‹وَأَسْبَغَ› وقُرئ بالسين والصاد، وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول في سلخ، صلخ، وفي سقر: صقر، وفي سالغ[١٨]: صالغ».[١٩] والظاهر أن الزمخشري نسي السين والطاء في كلمة «يبسط»: ‹وَيَبْصُطُ› (البقرة ٢:٢٤٥)؛ لكن في الحالة التي نناقشها فكلمة ‹أَسْبَغَ› تختلف في المعنى عن (أَصْبَغَ).

يقول ابن منظور: «سبغ. شيء سابغٌ أي كامِلٌ وافٍ. وسَبَغَ الشيءُ يَسْبُغُ سُبُوغًا: طالَ إلى الأَرض واتَّسَعَ»؛ ثم يضيف «وقد أَسْبَغَ فلان ثَوْبَه أَي أَوسَعَه»،[٢٠] «وأما الصِّبْغُ والصِّباغُ: ما يُصْطَبَغُ به من الإدامِ».[٢١] واختلاف القراءات يؤدي إلى اختلاف المعنى! وبالتالي، كيف يمكن توحيد المغزى من الآيات في ظل وجود هذه الاختلافات؟

٣١: ٢٣

في الآية أمر موجه لمحمد ألا يحزن لعدم إيمان قومه به، وتقول الآية بختامها ‹إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ›، أي إن الله سيحاسب الرافضين يوم القيامة. وقد قال شارحون إن الآية نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٢٢]

يرفض ابن الجوزي القول بالنسخ ويقول حرفيًا إن الآية «تضمنت التسلية له [أي: لمحمد] عن الحزن وذلك لا ينافي القتال».[٢٣]

وإذ تصور الآية حالة محمد النفسية وحزنه بسبب رفض قريش له، فسواء نسخت أم لا، فقد جاءت للتخفيف عن محمد، الذي لم يكن مرد حزنه خوفه على مصير قومه الآخروي، بقدر ما كان حزنًا لرفضهم إياه وعدم تصديقهم لدعوته.

١٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ١٩٨.
١٨. سلغت البقرة إذا أسقطت السِّنَّ التي خلف السَّدِيس.
١٩. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٨.
٢٠. ابن منظور، لسان العرب ١٩٢٧.
٢١. ابن منظور، لسان العرب ٢٣٩٥. والإدامُ: ما يُؤْتَدَمُ به مع الخبز.
٢٢. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٥٨١.
٢٣. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٢٦.

www.christianlib.com

نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا
كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ
ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٩ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ٣٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ

٣١: ٢٧

- قراءة الجمهور: ‹مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ› على الجمع بالألف والتاء.[٢٤]
- وقرأ زيد بن علي: «مَا نَفِدَتْ كَلِمَةُ اللهِ» بالإفراد.[٢٥]
- وقرأ الحسن البصري: «مَا نَفِدَ كَلاَمُ اللهِ».[٢٦]

رسم المصحف لا يظهر كون ‹كلمت› هي بالجمع أم بالإفراد، لعدم وجود ألف المد بعد الميم (انظر بعض الأمثلة في الجدول بالصفحة التالية) ، على النحو الذي نجده أيضًا في عدة مفردات أخرى في القرآن. فلا يكفي وجود تاء مفتوحة في آخر الكلمة للإسراع بالقراءة على الجمع لأن رسم المصحف لا يفرق بين التاء المفتوحة والمربوطة، انظر رسم ‹كَلِمَتُ› (الأنعام ٦: ١١٥) في المصحف العثماني ‹كلمت›، فهي بتاء مفتوحة وجاءت بالإفراد. أما قراءة الحسن البصري «كَلاَمُ اللهِ»، فهي لاتوافق رسم المصحف، الأمر الذي يدل مجددًا على أنه كان للقراء الأوائل حرية اختيار التعبير المناسب من وجهة نظرهم.

---

٢٤. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٨٧.
٢٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٩٢.
٢٦. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٠٦.

www.christianlib.com

اسم السورة	ترتيب المصحف	آية	النص	قراءة الجمهور للمصحف	رسم المصحف
البقرة	٢	٣٧	فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	كَلِمَاتٍ	‹كلمت›
البقرة	٢	١٢٤	وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ	بِكَلِمَاتٍ	‹بكلمت›
الأنعام	٦	١١٥	وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	كَلِمَةُ	‹كلمت›
الأعراف	٧	١٣٧	وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ	كَلِمَةُ	‹كلمت›
يونس	١٠	٣٣	كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	كَلِمَةُ	‹كلمت›
يونس	١٠	٩٦	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ	كَلِمَةُ	‹كلمت›
هود	١١	١١٩	إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	كَلِمَةُ	‹كلمه›•
الكهف	١٨	١٠٩	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا	لِكَلِمَاتِ كَلِمَاتُ	‹لكلمت›
غافر	٤٠	٦	وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ	كَلِمَةُ	‹كلمت›
التحريم	٦٦	١٢	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ	بِكَلِمَاتِ	‹بكلمت›

• في رسم المصحف جاءت الكلمة بالهاء، فلا شك أنها بالإفراد، وقد أخذنا بهذا المثال بالجدول حتى نقارنها بالإفراد في التاء المفتوحة.

www.christianlib.com

بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾
وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى
ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ
جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا
يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى
نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

يُظهِر الجدول أن رسم المصحف ‹كلمت› يُقرأ مرة «كلمة» بالإفراد مثل: (الأنعام ٦: ١١٥) ومرة بالجمع مثل: (البقرة ٢: ٣٧)، ولا تؤثر أي قاعدة لغوية على اختيار رسم المصحف للتاء سواء كانت مفتوحة أو مربوطة. وحاول بعض النحاة القول إن «الِاخْتِيَار فِي كُلّ مَا لَمْ يُضَفْ أَنْ يَكُون بِالْهَاءِ: ‹رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي› (الكهف١٨: ٩٨). ‹وَشَجَرَةً تَخْرُج› (المؤمنون٢٣: ٢٠). وَمَا كَانَ مُضَافًا فَجَائِزٌ بِالْهَاءِ وَالتَّاء، فَالتَّاء لِلْإِضَافَةِ، وَالْهَاء لِأَنَّهُ يُفْرَد وَيُوقَف عَلَيْهِ دُون الثَّانِي».[٢٧] أي إذا كانت الكلمة في موضع المضاف وبعدها مضاف إليه، يجوز كتابتها بتاء مربوطة أو بتاء مفتوحة، وبالنظر إلى الآية: ‹...أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ...› (فاطر ٣٥: ٤٠)، فالقاعدة لا تنطبق عليها؛ حيث كتبت كلمة «بينة» بالتاء المفتوحة على الرغم من انطباق القاعدة عليها، فقد جاء بعدها جار ومجرور وليس مضافًا إليه.

٢٧. الطبري، تفسير ٢٢: ٥١.

www.christianlib.com

وخلاصة القول، ليس هناك قاعدة لغوية محددة متبعة تحسم متى يكون الجمع ومتى يكون الإفراد في رسم المصحف في الأحوال المشابهة، ناهيك عن وجود التاء في آخر الكلمة دون ضابط.

٣١: ٣١

- قراءة الجمهور: ‹بِنِعْمَةِ اللهِ› على الإفراد.[٢٨]
- وقرأ الأعرج وآخرون: «بِنِعْمَاتِ اللهِ» بالجمع.[٢٩]

تشبه هذه الآية معضلة (لقمان ٣١: ٢٧) التي سبق مناقشتها في هذه السورة.

٣١: ٣٣

- قراءة الجمهور: ‹الْغَرُورُ›،[٣٠] بفتح الغين، فسره ابن السكيت وأبو حاتم: «الشيطان».[٣١]
- وقرأ أبو حيوة وآخرون: «الْغُرُورُ»؛ بضم الغين مصدر غرَّة،[٣٢] و معناه الأباطيل.[٣٣]

باختلاف القراءة يختلف المعنى، وهو ناتج عن اختلاف تشكيل حرف الغين، نتيجة لعُري المصاحف الأولى من التشكيل[٣٤].

٢٨. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٠٨.
٢٩. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٩٣.
٣٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢١٢.
٣١. القرطبي، تفسير١٧: ٣٤٦.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢١٢.
٣٣. القرطبي، تفسير١٧: ٣٤٦.
٣٤. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

اسم «السجدة» أشهر أسماء السورة، وتذكر المصادر أسماءً أخرى، هي: «الم تنزيل»، و«الم تنزيل السجدة» و«ألم السجدة»، و«سورة المضاجع»، لمجيء لفظة ‹الْمَضَاجِعِ› (آية ١٦)، و«سورة سجدة لقمان»، لأنها بعد «سورة لقمان» (ابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٠١ ـ ٢٠٣).

السورة مكية، ولكن هناك رواية استثنت الآيات (١٨ ـ ٢١)، لأن أسباب النزول ربطت بين هذا النص وبين علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة. وأضاف البعض الآيتين (١٦ ـ ١٧) لها، فاعتبروهما مدنية بناءً على قول في أسباب النزول (ابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، وهذا التقييم يُخَطِّئه نولدكه (نولدكه، تاريخ ١٢٩)، وكذلك ويري (Wherry 3: 301).

يجد القارئ أن نص الآيات (٢٣ ـ ٢٤) غير متصل بسياقه السابق واللاحق، مما يشير إلى وجود إقحام.

بناءً على الأسلوب وروح ومحتوى السورة، فإنها تعود إلى منتصف الحقبة الثالثة (Wherry 3: 301).

من مواضيعها

- التأكيد على أن القرآن مصدره الله (آية ٢ و٣).
- نقد الإيمان الوثني (آية ١٠) وإنذار الوثنيين (آية ١٢ ـ ١٤، ١٩ ـ ٢٢).
- مديح المؤمنين (آية ١٥ ـ ١٩).

www.christianlib.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ
مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى

٣٢: ٢ ـ ٣

يعلن النص أن القرآن كتاب منزل من عند الله (آية ٢)، وينفي أنه من تأليف محمد (آية ٣). والتحليلات الواردة في هذا الكتاب تَطرح كل ذلك على بساط البحث، وتعالج السؤال حول ما إذا كان القرآن منزلاً من عند الله، أم أنه صناعة بشرية؟

٣٢: ٣

تنفي الآية الاتهام الموجّه إلى محمد بأنه «اختَلَق هذا الكتاب»، أي القرآن، وتقول إنه نزل من عند الله لينذر قومه قريش، الذين «لم يأتهم نذيرٌ قبل محمد»[1]. ولكن هذا الإعلان يتعارض مع آية أخرى تصف ﴿إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ (مريم ١٩: ٥٤).

لتفادي لهذه الإشكالية، قال أحد الشارحين إن الزمن الذي قصدته الآية هو الفترة الواقعة بين يسوع المسيح ومحمد[2]. وهذه المقولة تقديرية من قِبَل الشارح، لأن لا دعم لها في سياق

١. الطبري، تفسير ١٨: ٥٩٠، قارن الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٧ ـ ٢٨.
٢. القرطبي، تفسير ١٧: ٧.

www.christianlib.com

السورة، ولا تدعمها آيات أخرى. ولكن إذا افترضنا جدلاً أن المقصود بالآية هو فعلاً الفترة بين المسيح ومحمد، فإن الدعوى في الآية تبقى غير مؤسَّسَةٍ على سند تاريخي، لأن جاليات يهودية ومسيحية كانت موجودة في الجزيرة العربية، ولابد أن تبشيرًا بالمسيحية كان يجري، لأنه حيث يوجد مسيحيون، فعليهم واجب الكرازة بالمسيح[٣]. من هنا، فإن هذه الدعوى غير صحيحة.

ولا مجال لتأويل النص أنه يقصد أن لا رسول من الله، لأن الآية تقول ‹مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ›. وحتى خارج نطاق اليهودية والمسيحية، فإن المصادر التاريخية تتفق على وجود طائفة في الجزيرة العربية تسمى الحنفاء، كان أتباعها من رافضي عبادة الأوثان ويدعون لنبذها[٤]. أي: إن هذا يعني أنه كان ثمة «نذراء» من مِلل مختلفة.

٣٢: ٥

تشير الآية إلى أن الأمر الإلهي «ينزلُ من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحدٍ»، واليوم الواحد هو اليوم الدنيوي «لأن ما بين الأرض إلى السماءِ خمسمئة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنةٍ»[٥]. هذا القول في الآية يدعو إلى الاستغراب، لأنه يعني أن كل مسألة تجري على الأرض، كان الله قد أمر بها منذ ٥٠٠ سنة. وهذه الفكرة تتعارض مع تصور الإسلام نفسه عن الخالق، الذي يأمر الأشياء بكلمة منه: ‹إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ› (البقرة ٢: ١١٧).

لكن شرّاحًا آخرين قالوا إن المقصود هو جبريل. فهو الذي يقوم بالمهمة، ولو كانت المسافة الحقيقية بين السماء والأرض ألف سنة هبوطًا وصعودًا؛ فهو لسرعته «يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد»[٦]. وحتى هنا، فإن ثمة زمنًا بين أمر الله وبين استجابة المخلوق للفعل. وهذه إشكالية غير مفسرة في القرآن، ولم يساعدنا الشارحون لحلها.

(انظر التعليق على التحليل النقدي لآية (الحج ٢٢: ٤٧) في شأن المسافات، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٣٦٧).

---

٣. إنجيل متى ٢٨: ١٩ ـ ٢٠.

٤. انظر جواد علي، المُفصّل ٦ : ٤٤٩-٥١٠، فصل «الحنفاء».

٥. الطبري، تفسير ١٨: ٥٩٢.

٦. الكشاف الزمخشري ٥: ٢٩، قارن القرطبي، تفسير ١٧: ١٠.

www.christianlib.com

ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِى يَوۡمٍ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ

٣٢: ٥

أ. ﴿يَعۡرُجُ﴾

- قراءة الجماعة: ﴿يَعۡرُجُ﴾.[٧]
- قرأ جناح بن حبيش: «تَعْرُجُ المَلائِكَةُ» بزيادة لفظ «الملائِكَةُ» على قراءة الجماعة.[٨]

غموض الآية جعل المفسرين يبحثون عن معانٍ لتوضيحها، فاختلفوا في دلالة مَنْ يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة:

- أمرُ الله، عن مجاهد.[٩]
- الملائكة، عن الضحاك.[١٠]
- جبريل، وهو قول يَحْيَى بْن سَلَّام.[١١]
- أخبار أهل الأرض، وهو قول ابن شجرة.[١٢]

  - إذا أخذنا بقول مجاهد بأن أمر الله يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة، فمن الممكن فهم أن أمر الله يستغرق عُروجه من الأرض إلى السماء مدة قدرها ألف سنة! وهذا ما يتنافى مع قضاء الله الذي يُنفذ في حينه (البقرة ٢:١١٧): ﴿...وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٢٠.
٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٩٨، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ١٩٤.
٩. الطبري، تفسير ١٨: ٥٩٢، القرطبي، تفسير ١٧: ٩، الرازي، تفسير ٢٥: ١٧٣.
١٠. الطبري، تفسير ١٨: ٥٩٢-٥٩٣.
١١. القرطبي، تفسير ١٧: ٩.
١٢. نفس المصدر.

www.christianlib.com

- وإذا كان المقصود بهذا العروج الملائكة كما جاء عن الضحاك، وقراءة ابن حبيش، فنحن نستغرب كيف يكون ذلك مقبولاً، حيث إن الملائكة مكلفة بأوامر إلهية، من غير المعقول أن تستغرق كل هذه السنين. وقد يذهب البعض إلى أن الحسابات مختلفة، ولكن ما يزيد من الاستغراب أن هناك آية أخرى تحدد حسابًا آخر: ‹تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ› (المعارج ٧٠:٤)، أي أن الأمر يتعلق بحسابات فعلية محددة، بدليل ورود كلمة ‹مقداره›، وليست على مستوى المجاز. وتحدد قراءات الفعل ‹تعدون›، في الآية التي نحن بصددها، التأرجح بين تفسيرات حساب السنين.
- أما قول ابن سلَّام بأن جبريل هو الذي يعرج إلى السماء في هذه المدة، فكيف استطاع أن يعرج مع محمد في ليلة الإسراء والمعراج إلى السماء السابعة في ليلة واحدة فقط؟ وليس هذا فحسب، بل جعل يصعد ويهبط بين سدرة المنتهى،[١٣] والسماء التي كان فيها موسى عدة مرات![١٤]
- أما إذا أخذنا بقول ابن شجرة بمعنى أخبار أهل الأرض، فصعود هذه الأخبار والأعمال لا يكون إلا بواسطة الملائكة التي كتبته في صحفها،[١٥] وقد ناقشنا أمر الملائكة فيما تقدم.

ب. ‹تَعُدُّونَ›

- قراءة الجمهور: ‹أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ›.[١٦]
- وقرأ الحسن البصري وآخرون: «أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّونَ».[١٧]

قراءة الجمهور تفيد أن حساب ألف سنة على أساس مفهوم سنين أهل الأرض؛ أما قراءة الحسن فتشير إلى سنين أهل السماء (الملائكة).

ونتساءل: هل عُري المصاحف الأولى من التنقيط سبب هذه الاختلافات الجوهرية في القراءات وبالتالي في المعاني والقياس؟

---

١٣. ما بعد السماء السابعة.
١٤. ابن كثير، تفسير ٣: ٤٤٣.
١٥. الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٩.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٢٠.
١٧. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٩٨.

www.christianlib.com

خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن
مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ
أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا
نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ
حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ
بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا
وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ
ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا
تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم
مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ

www.christianlib.com

١٠:٣٢

- قراءة الجمهور: ‹ضَلَلْنَا› بالضاد.[١٨]
- وقرأ الحسن البصري وآخرون: «صَلَلْنَا» بالصاد.[١٩]

قراءة الجمهور ‹ضَلَلْنَا› بمعنى سلكنا غير طريق الحق، ومنه قوله: (سبأ ٥٠:٣٤) ‹قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي...›.[٢٠]

أما قراءة الحسن: ««صَلَلْنَا» بالصاد، بمعنى: أَنْتَنَّا، مِنْ قَوْلِهِم: صَلَّ اللَّحْمُ وَأَصَلَّ، إِذَا أَنْتَنَ».[٢١]

إن سياق الآية ‹أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ› يظهر تساؤل أعداء محمد عن إمكانية خلقهم من جديد، بعد موتهم. مما يدلّ على أن القصد بما سبق يشير إلى الفناء، وليس إلى الضلال، فقراءة «صللنا» (أي أنتنا، ولا يكون ذلك إلا بعد الموت) هي أدق، وهو ماذهب إليه الحسن في قراءته.

١٧:٣٢

- القراءة الشائعة: ‹...تَعْلَمُ...أُخْفِي...قُرَّةِ...›
- وقرأ ابن مسعود: «...تَعْلَمَنَ[٢٢]...نُخْفِي[٢٣]...قُرَّاتِ[٢٤]...»

ومن الجدير بالذكر ما قاله ابن حجر عن قراءة «قرات» بالجمع؛ عن قول أبي عبيد: «رأيتها في المصحف الذي يُقال له الإمام [مصحف عثمان]، وهي قراءة أهل الأمصار»،[٢٥] مما يؤكد صحة قراءة ابن مسعود.

---

١٨. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٢٤.
١٩. ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ٣٣٦.
٢٠. الطبري، تفسير ١٩: ٣٠٨.
٢١. نفس المصدر ١٨: ٦٠٢.
٢٢. في مصحف ابن مسعود (السجستاني، المصاحف: ٣٢٩).
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٢٩.
٢٤. نفس المصدر ٧: ٢٣٠.
٢٥. نفس المصدر.

www.christianlib.com

مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن
لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا
مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍۚ أَفَلَا
يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ
زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

٣٢: ٢٩

لا يتضح ما هو المقصود بعبارة ‹يَوْمَ الْفَتْحِ›. الا أن الشرّاح قدموا الإجابات التالية حول معناها:

١. يوم معركة بدر.[٢٦]

٢. يوم الاستيلاء على مكة.[٢٧]

٣. الحكم بين المسلمين وبين الكافرين.[٢٨]

٤. يوم القيامة.[٢٩]

---

٢٦. القرطبي، تفسير ١٧: ٤٦، الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٠.

٢٧. الطبري، تفسير ١٨: ٦٤٣ – ٦٤٥، الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٠.

٢٨. نفس المصادر.

٢٩. نفس المصادر.

www.christianlib.com

لدينا هنا إجابتان تتعلقان بانتصار عسكري محدد (١ و٢)؛ وإجابة تحمل وعدًا بأن ينتصر المسلمون (٣)؛ ورابعة تحمل تهديدًا آخرويًا هو يوم القيامة.

ما يسترعي الانتباه هو أن عبارة واحدة حملت هذه الإجابات، مع أنه كان يفترض بها أن تكون حاسمة ودقيقة. ورغم ذلك، يدّعي المسلمون أن القرآن هو البلاغة المطلقة التي لا يعلو عليها شيء!

٣٢: ٣٠

تدعو الآية محمدًا إلى الإعراض عن المشركين والانتظار لما ستؤول إليه الأمور. وهذا الطلب نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٣٠] وتعليقًا على هذه الآية يقول ابن الجوزي إن كل شيء في القرآن يحتوي على عبارة: «أعْرِض عنهم»، و«انتظر»، منسوخ.[٣١]

---

٣٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٢٧، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٤.

٣١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٢٧.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

جاءت تسمية السورة لأن «فيها ذكر أحزاب المشركين من قريش ومن تحزب معهم» حينما حاولوا مهاجمة المسلمين في المدينة (ابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٤٥)، وهذه الغزوة التي عُرفت بغزوة الخندق انتهت بإخفاق الغزاة في اقتحام المدينة.

السورة مدنية باتفاق علماء المسلمين (ابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٤٥)، ولكن يمكن تقسيمها إلى مراحل مختلفة:

- الآيات ٩ ـ ٢٧ جاءت في نهاية السنة الخامسة بعد فشل الخندق، أي ٥ هجرية (نولدكه، تاريخ ١٨٦). وتشير الآيات ٢٦ ـ ٢٧ إلى إبادة بني قريظة (نولدكه، تاريخ ١٨٦)، بين قتل الرجال وأسر النساء والأطفال.
- الآيات ٢٨ ـ ٣٤ حديث عن خلافات بين محمد وزوجاته، ربما بسبب انضمام زينب إلى الحريم المحمدي.
- الآيات ٣٦ ـ ٤٠ المتصلة بزينب يراها نولدكه في السنة الخامسة، رابطًا بينها مع الآيات ١ ـ ٥، والآيات ٢٨ ـ ٣٥ التي تتضمن أحكامًا مختلفة حول زوجات محمد (نولدكه، تاريخ ١٨٦).
- الآية ٤٩ تدور حول نوع من الطلاق، وهي تتمة لآية (البقرة ٢: ٢٣٦)، مما يدفع إلى اعتبارها متزامنة معها (نولدكه، تاريخ ١٨٧).
- الآية ٥٠ تجيز لمحمد الزواج «من كل ﴿امْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ بلفظ الهبة من غير صداق؛ مع العلم بأن لا يتزوج المسلمون إلا بولي وشهود ومهر» (الحداد، أطوار ٨٣٠). كما أن الآية تخول لمحمد التزوج من أي مسترقة بحوزته.
- الآية ٥٢ تنتمي إلى سنوات محمد الأخيرة، بعد زواجه من ميمونة (Wherry 3: 308).
- الآيات ٥٣ ـ ٥٥ تشير إلى الضيوف الثقلاء الذين بقوا في عرس زينب.
- الآية ٥٩ جاءت قبل السنة الثامنة هجرية، ففي السنة الثامنة توفيت أم كلثوم بنت محمد، ولم تبق إلا فاطمة على قيد الحياة، فمن المستبعد أن توجه الآية الخطاب إلى ﴿وَبَنَاتِكَ﴾.

في السورة نقد شديد للمنافقين (آيات ١، ١٢، ٢٤، ٤٨، ٦٠، ٧٣).

تتسم هذه السورة بافتقارها لترتيب أجزائها المتفرقة وفق «أي مبدأ موضوعي» (نولدكه، تاريخ ١٨٧). وكما كتب الحداد: «في سورة الأحزاب تتداخل الأقسام تداخلاً غريبًا، لعله من تشابك الأحداث فيها» ما بين قصة حصار الخندق وحصار بني قريظة، وقصة زينب بنت جحش في البداية وفي الآيات ٣٦ ـ ٤٠، إلى قصة الخلافات في بيت محمد (الحداد، أطوار ٨٢٧).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن
قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ
وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ
فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ
جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ

٣٣: ٤

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹تُظَاهِرُونَ›.
- واختلف القرّاء على عدة قراءات وهي: «تَظَّهَّرُونَ»، و«تَظَّاهَرُونَ»، و«تَظَاهَرُونَ»، و«يُظْهِرُونَ»، و«تَظَّهَّرُونَ»، و«تَظْهَرُونَ»، و«تَتَظَهَّرُونَ»، و«يَظَّهَّرُونَ».[١]

القراءة الشائعة للقرآن: ‹تُظَاهِرُونَ› من تَظَاهَرَ أي: تَدَابَرَ بمعنى ولّى كل واحد ظَهْرَهُ للآخر، بهذا المعنى قال ابن منظور: «تظاهر القوم: تدابروا، كأنه ولّى كل واحد ظهره إلى صاحبه».[٢] وفي هذه الآية بمعنى تحريم الرجل زوجته على نفسه.

---

١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١١٠-١١١، الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٤٦-٢٤٨.
٢. ابن منظور، لسان العرب ٢٧٦٦.

www.christianlib.com

- أما ‹تَظَّهَّرُونَ› من تَظَّهَّرَ: وهو «قول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي».[٣]
- أما باقي القراءات فلا تختلف كثيرًا عن هذا المعنى وكلها (القراءات التسع) من الظِّهَار في الجاهلية أي الطلاق[٤]؛ لقد نهى القرآن عن هذه الظاهرة (أنت عليَّ كظهر أمي) (المجادلة ٥٨:٢) ‹الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ...›.

يبدو أن القرآن نهى عن اختزال مكانة الأم لِتُختَصر في تحريم المعاشرة الجنسية، عند تَظَّهُّر الرجل من زوجته. ورفض أن تكون مكانة الزوجة كمكانة الأم؛ فمكانة الزوجة بالمقارنة مع الأم في المعتقد الإسلامي هي مكانة متدنية جدًا، بل لا مجال لمقارنتها بالأم؛ وهو ما أوضحه الزمخشري عن هذه الآية بقوله: «...الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل، **والزوجة مستخدمة** متصرف فيها بالاستفراش وغيره **كالمملوكة** وهما **حالتان متنافيتان**...»![٥]

٣٣: ٦

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ›.
- وجاء في مصحف أُبَيِّ بن كعب، وكذلك قرأ ابن مسعود: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ»، بزيادة وهو أَبٌ لهم.[٦]
- وقرأ ابن عباس: «وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ».[٧]

إن ما جاء في مصحف أُبيّ وقراءة ابن مسعود، بالإضافة إلى تشابههما مع قراءة ابن عباس، يعطي احتمالاً أن عبارة «أب لهم» قد سقطت من الآية. وقد أكد عكرمة أنه «كان في الحرف الأول ‹النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبُوهُم›».[٨] بهذه الشهادة من عكرمة يتضح لنا قوة الاحتمال الذي ذهبنا إليه. ولا شك أن إسقاط هذه العبارة كان متعمدًا، لأنه كيف يمكن لمحمد أن يكون أبًا للمؤمنين وينكح بناتهم؟! وإذا قال قائلٌ إنه أبوهم من الناحية الروحية، فكيف لم يسرِ ذلك على أمهات المؤمنين، ولماذا إذًا حرم الزواج منهن بموجب الآية (الأحزاب ٣٣: ٥٣).

---

٣. القرطبي، تفسير ١٧: ٥٥.
٤. ابن منظور، لسان العرب ٢٧٧٠.
٥. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٤. التشديد لنا.
٦. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٥٠، عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١١٢.
٧. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٣٧٠، وانظر القرطبي، تفسير ١٧: ٦٣.
٨. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٥٠. والمقصود بالـ «الحرف الأول» مصحف الإمام، أي مصحف عثمان.

www.christianlib.com

ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ
إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ
وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ
عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

٣٣: ٧ ـ ٨

يعود الحديث في فعل ‹أَخَذْنَا› إلى اللهِ. ثم يتغير الفعل إلى المفرد الغائب: ‹لِيَسْأَلَ›، مع أن الله ما زال المتكلم هنا. فكان يجب أن يكون الفعل: «لِنَسْأَلَ»، حفاظًا على بلاغة النص، عبر الالتزام بصيغة واحدة.

٣٣: ٩

أ. ‹لَمْ تَرَوْهَا›

- قراءة الجماعة: ‹لَمْ تَرَوْهَا› بتاء الخطاب.[٩]
- وقرأ النخعي وآخرون: «لَمْ يَرَوْهَا»، بالياء الغائب.[١٠]

ب. ‹تَعْمَلُونَ›

- قراءة العامة: ‹تَعْمَلُونَ› على الخطاب.[١١]
- وقرأ أبو عمرو وآخرون: «يَعْمَلُونَ» بياء الغيبة.[١٢]

---

٩. الخطيب، معجم القراءات٧: ٢٥٤.
١٠. ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ٣٥٧، عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١١٣.
١١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٥٤.
١٢. نفس المصدر، ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ٣٥٧.

www.christianlib.com

ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن
فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ
ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا

قراءة ‹تَرَوْهَا› و‹تَعْمَلُونَ› بتاء الخطاب إشارة للمسلمين، أما القراءة بياء الغيبة «يَرَوْهَا» و«يَعْمَلُونَ» فالإشارة فيها للأحزاب (قريش وحلفائها). ونتساءل: هل الخطاب كان للمسلمين أم لأعدائهم؟

٣٣: ١٠

- القراءة الشائعة: ‹الظُّنُونَا› بإثبات الألف.
- وقرأ حمزة وآخرون: «الظُّنُونَ» بغير ألف،[١٣] وكذلك في مصحف ابن مسعود.[١٤]

أضيفت الألف لهذه الكلمة لإثبات القافية الموجودة في السورة: ‹..غليظًا، أليمًا، بصيرًا، الظنونا، شديدًا ، غرورًا... › لأنه كما قال أبو علي: «هي رؤوس الآي تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع كما كانت القوافي مقاطع».[١٥]

ونحن نتساءل: هل القرآن شعر حتى يخضع للقوافي والضرورة الشعرية؟ ألم يرفض النص القرآني تشبيهه بالشعر ‹وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ›؟[١٦] فما الفائدة من هذه الإضافة غير المبررة؟

---

١٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٥٦، عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١١٤.
١٤. السجستاني، المصاحف ٣٣٠.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٥٧.
١٦. الحاقة ٦٩:٤١.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا
مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا
عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ
أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾
قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ
أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞قَدۡ
يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ
ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ
إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ
سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ
أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن
يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ

٣٣: ١٦

- قراءة الجمهور: ﴿لَا تُمَتَّعُونَ﴾ بتاء الخطاب.[١٧]
- وقرأ يعقوب الحضرمي: «لَا يُمَتَّعُونَ» بياء الغيبة.[١٨]

١٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٦٢.
١٨. نفس المصدر، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٢١٣.

www.christianlib.com

قراءة الجمهور ‹لَا تُمَتَّعُونَ› تُفيد الإخبار عمَّن فرَّ من القتال، ويمكن كذلك أن يُفهم منها الإخبار عن الجميع سواء من فرَّ أو من لم يفرْ؛ أما قراءة الحضرمي فهي تُشير دون لبس لمن فرّ من القتال فقط. وبما أن المصاحف الأولى لم تكن منقطة،[١٩] فقد اعتمد القراء الأوائل على فهمهم الشخصي للآية في اختيار التنقيط الذي يرونه مناسبًا!

٣٣: ١٩

- قراءة الجمهور: ‹سَلَقُوكُمْ›، بالسين.[٢٠]
- وقرأ ابن أبي عبلة وأبيّ بن كعب وآخرون: «صَلَقُوكُمْ»، بالصاد.[٢١]

ليس هناك فرق كبير في المعنى بين القراءتين إلا أن اختلاف القراءات يفيد في تتبع التطور اللفظي من الصاد إلى السين أو العكس مثل ما جاء في سورة الفاتحة ‹الصراط›، «السراط»، والتي قُرِئَت أيضًا «الزراط»،[٢٢] مما يدل على أن قراءة النص القرآني تعرض لتغيير لفظي بتطور اللهجات العربية عبر العصور أو عبر المناطق. وكأمثلة على هذا التغير في القرآن نسوق الأمثلة التالية: ‹وَيَبْصُطُ› (البقرة ٢: ٢٤٥)، ‹الْمُصَيْطِرُونَ› (الطور ٥٢: ٣٧)، ‹بَصْطَة› (الأعراف ٧: ٦٩).

٣٣: ٢٠

- القراءة الشائعة: ‹يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا...›.
- وفي مصحف ابن مسعود: «يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا فَإِذَا وَجَدُوهُم لَمْ يَذْهَبُوا وَدُّوا...».[٢٣]

يفيد مصحف ابن مسعود أن المنافقين ظنوا أن الأحزاب قد ذهبوا، أما القراءة الشائعة فتفيد أن المنافقين ظنوا أن الأحزاب بَقَوْا ولم يذهبوا، وهذا معاكس تمامًا لِما في مصحف ابن مسعود!

والسؤال المطروح: ماذا كان يظن المنافقون عن الأحزاب؟ هل ذهبوا أم لم يذهبوا؟

١٩. الداني، المحكم ٢، ١٨.
٢٠. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٢١٥.
٢١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٦٥.
٢٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ١: ١١.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٦٦؛ عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١١٨.

www.christianlib.com

وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ٢٠ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١ وَلَمَّا
رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ٢٢ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ
مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ
تَبْدِيلًا ٢٣ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٢٤ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا ٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ
أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ٢٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

٣٣: ٢٥

- القراءة الشائعة: ‹وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ›.
- وجاء في مصحف ابن مسعود: «وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِعَلِيٍّ»، بزيادة «بِعَلِيٍّ» عن القراءة الشائعة.[٢٤]

تتحدث سورة الأحزاب حسب علماء الإسلام عن معركة الخندق (٥ هـ)، التي كاد أن ينهزم فيها المسلمون، رغم حفرهم للخندق باقتراحٍ من سلمان الفارسي. وقد أكدت مصادر إسلامية

٢٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٧٢.

www.christianlib.com

عديدة على أن علي بن أبي طالب قد لعب دورًا هامًا في رد الخصوم؛ فلولاه لكانت الهزيمة حقيقة واقعة. ونذكر هنا ما جاء في تفسير القرطبي عن هذه المعركة:[٢٥]

> أقبلُوا [الأحزاب] حتى وقفُوا على الخندق، فلما رأوهُ قالُوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها! ثُم تيممُوا [قصدوا] مكانًا ضيقًا من الخندق، فضربُوا خيلهم فاقتحمت بهم، وجاوزُوا الخندق، وصارُوا بين الخندق وبين سلع [موضع بقرب المدينة]، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المُسلمين حتى أخذُوا عليهم الثُغرة التي اقتحمُوا منها...فما انجلى النقع [الغبار] حتى رُئي علي على صدر عمرو [عمرو بن عبد ود العامري] يقطع رأسه، فلما رأى أصحابه أنهُ قد قتلهُ علي اقتحمُوا بخيلهم الثُغرة مُنهزمين هاربين.

فنجد أن ما ورد في مصحف ابن مسعود من ذكرٍ لعلي، له ما يبرره في الكثير من المصادر الإسلامية، حيث تذكر هذا الدور المتميز لعلي بن أبي طالب في هذه المعركة. إلا أن مصحف عثمان أغفل هذا الدور بإسقاط لفظة «بِعَلِيٍّ»! فهل كان الدافع سياسيًا يتمثل في حرمان علي بن أبي طالب من أحقيته في الخلافة مباشرة بعد وفاة صهره؟ أم هو الدافع الديني لمنع عليّ من أن يأخذ مكانة دينية أكثر من كونه من عترة أهل البيت «أهل الرسول»؟ أم الاثنان معًا؟

٣٣: ٢٦

- قراءة الجماعة: ‹ظَاهَرُوهُمْ ›، ومعناه: «عاونوهم»[٢٦].
- وقرأ ابن مسعود: «آزَرُوهُمْ»[٢٧].

المعنى في القراءتين يكاد يكون واحدًا إلا أن الرسم يختلف، مما يرجح أن القراءات الأولى للنص القرآني كانت توجد قبل نسخ المصحف العثماني؛ لهذا لم تخضع إليه. مما يرجح كذلك أن النص القرآني الأول كان مكتوبًا بلغة (لسان) تعطي عدة معاني متشابهة، يمكن للقارئ اختيار ما يحلو له من معنى داخل إطار تعدد المرادفات للكلمة الأصلية، أما إن كان نصًا معروفًا غير قابل لتعدد المرادفات لكانت هناك بالضرورة قراءة واحدة فقط.

---

٢٥. القرطبي، تفسير١٧: ٧٧.
٢٦. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٢٧٢.
٢٧. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٢٠.

www.christianlib.com

أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ
ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا
نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ
مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ
وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى
بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ
ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ
وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ
وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ
وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا
قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى
نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ

www.christianlib.com

قصة محمد وزينب بنت جحش (في الآيات ٣٦-٤٠)

ذهب قتادة وجماعة من المفسرين، كالطبري وغيره، إلى أن زينب بنت جحش قد لاقت استحسانًا في عين محمد وهي ما زالت في عصمة زيد! وأصبح محمدٌ حريصًا على طلاقها من زيد، ابن محمد بالتبني، ليتزوجها هو. فجاء زيدٌ محمدًا يخبره بأنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر، وأذى باللسان وتعظمًا بالشرف، فقال له محمدٌ: «اتق الله -أي: فيما تقول عنها -وأمسك عليك زوجك» وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها، وهذا الذي كان يُخفى في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف.[٢٨]

أما عن قصة زواج زيد بن حارثة وزينب بنت جحش ففيها أن محمدًا كان قد خطب ابنة عمته زينب بنت جحش لزيد حينما كان ابنه بالتبني.[٢٩] وجاء في سياق سبب نزول الآية ٣٦، عن ابن عباس، أن زينب ظنت أن محمدًا يريدها لنفسه فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، «فبينما هما يتحادثان أنزل الله هذه الآية على رسوله (ص): ‹وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا›. فوافقت على الفور، كما يقول المفسرون. وترتبط هذه الآية بتلك التي تقول: ‹النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ› (الأحزاب ٣٣ : ٦).[٣٠]

وعندما زوَّج محمد زينب بنت جحش من زيد، «فمكثت عنده قريبًا من سنة».[٣١]

وعن مقاتل رُوي أنه:[٣٢]

> عليه الصلاة والسلام أتى زيدًا يومًا يطلبه، فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش، فهويها وقال: «سبحان الله مقلب القلوب»! فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد. ففطن زيد فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبرًا...فقال عليه الصلاة والسلام: «أمسك عليك زوجك واتق الله».

وذكر الطبري، شيخ المفسرين الرواية بتفاصيل أخرى فكتب:[٣٣]

---

٢٨. القرطبي، تفسير ١٧: ١٥٥ - ١٥٦.

٢٩. ابن كثير، تفسير ١١: ١٧١.

٣٠. ابن كثير، تفسير ١١ : ١٦٧. والسيوطي، أسباب النزول ٢٠٨، أخرج الطبراني «بسند صحيح عن قتادة»، وانظر الزمخشري، الكشاف ٥ : ٧٠، والطبري، تفسير ١٩ : ١١٣، والقرطبي، تفسير ١٧ : ١٥١ عن ابن عباس ومجاهد والقرطبي، تفسير ١٧ : ١٥٣، والرازي، تفسير ٢٥ : ٢١٢.

٣١. ابن كثير، تفسير ١١: ١٧١.

٣٢. القرطبي، تفسير ١٧ : ١٥٦، وانظر الزمخشري، الكشاف ٥ : ٧١.

٣٣. الطبري، تفسير ١٩ : ١١٦.

www.christianlib.com

حدثني يونس... قال ابن زيد: كان النبي (ص) قد زوج زيد[اً] بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله (ص) يومًا يريده، وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي (ص) ، فلما وقع ذلك كرّهت إلى الآخر، قال، فجاء. فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي. قال: «مالك، أرابك منها شيء؟» قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرًا. فقال له رسول الله (ص) : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾. فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

وقيل في كيفية رؤية محمد لزينب في منزله وهي حاسرة:

إن الله بعث ريحًا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها، فرأى زينب فوقع في نفسه، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي... فجاء زيد فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيد أن يطلقها، وقال ابن عباس: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ الحب لها.[٣٤]

ونتساءل: أيليق أن يكتب مفسران مسلمان في قامة القرطبي والطبري أن الله هو الذي رتب لمحمد اشتهاء زينب بأن بعث ريحًا لتزيح الستر وتكشف عن مفاتنها؟!

والواقع، كما تقول الرواية إنه:

خشي أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له [حيث خشي قول]... المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه.[٣٥]

وعلّق القرطبي بأن «هذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية».[٣٦]

وروي عن النبي أنه «قال لزيد:... «اخطب زينب عليّ» قال: فذهبت ووليتها ظهري توقيرًا للنبي (ص) ، وخطبتها، ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، فتزوجها النبي ودخل بها»[٣٧].

وعلّق القرطبي أن «معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح وترجم له النسائي».[٣٨]

---

٣٤. القرطبي، تفسير ١٧ : ١٥٦ والطبري، تفسير ١٩ :١١٥.

٣٥. القرطبي، تفسير ١٧ : ١٥٧.

٣٦. نفس المصدر.

٣٧. نفس المصدر ١٧ : ١٥٩ وقال محقق المصنف في هامش (١)، أنه ذكر ذلك في الصحيح، وأخرجه مطولًا ابن سعد عن أنس وانظر الزمخشري، الكشاف ٥ : ٧١-٧٢.

٣٨. القرطبي، تفسير ١٧ : ١٥٩.

www.christianlib.com

٣٣: ٤٠

تصف الآية محمدًا بأنه ‹خَاتَمَ النَّبِيِّينَ›. وقد ناقش مؤلف «عالم المعجزات» دقة هذا الوصف، بعقد مقارنة بين الأنبياء ومحمد، فأورد بعض الملاحظات، والتي نجملها في الجدول التالي:[٣٩]

الأنبياء	محمد
يأتي الوحي إلى الأنبياء عبر الأحلام والرؤى (التثنية ١٨: ١٠). وقد عرف بنو إسرائيل فيما بعد كيف يميّزون بين الأحلام الصادقة التي تأتي من اللهِ (عدد ١٢: ٦؛ التثنية ١٨: ٢) والأحلام الكاذبة التي يقوم بها الكهان المحترفون (التثنية ١٨: ٢).	أمّا بالنسبة إلى الإسلام، فلن تكون الأحلام من أساليب النبوّة الصحيحة: لقد اعتبر النبي محمّد الأحلام كوسوسة شيطانيّة يقوم بها الشيطان ليبعد النبي عن مهمّته، لذلك نرى القرآن يقول: ‹وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ› (يوسف ١٢: ٤٤)، وينسب الأحلام إلى الشعراء: ‹بَلْ قَالُوا: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ› (الأنبياء ٢١: ٥).
وقد تخطى الأنبياء هذه الطرق، وأصبحت النبوة في المرحلة الثانية تعتمد على الرؤية والسماع (العدد ٢٣: ٣ و١٥). ولكن في بعض الأحيان يكون هناك سماع ولا تكون رؤية، لأن رؤية وجه اللهِ أخطر من سماع صوته، بل لا يستطيع إنسان أن يرى وجه اللهِ ويبقى حيًا (الخروج ٣٣: ٢٠).	أمّا بالنسبة إلى الإسلام فلم يذكر القرآن أنّ محمدًا رأى الله أو سمع صوته. ولا يحق للنبي أو أي إنسان آخر أن يرى وجه اللهِ (الأنعام ٦: ٧٦ ـ ٧٨). ويأتي الوحي عن طريق جبريل فحسب.
ثم إنّ بين نبوّة العهد القديم ونبوّة الإسلام فرقًا آخر، وهو من صميم الحياة النبويّة. وتقوم على أنّ النبي لا يستفيد شيئًا لنفسه من نبوّته، بقدر ما يفيد الآخرين. النبوّة عطاء وتضحية تتعدّى شخصيّة النبي. قد يجلب النبي على نفسه العذاب والآلام الكثيرة في سبيل الخدمة. وقد يقاومه قومه أجمعين، لأنّه لا يراعي أميالهم وأهواءَهم. إنه ‹إنسان خصام ونزاع للأرض كلّها› (نبوة إرميا ١٥: ١٠). إنّه سائح في الأرض لا يعرف راحة ولا لذّة ولا هدوء، مضطهَد لا عزاء له بين البشر. يهمّه الخدمة حتى التضحية والموت في سبيل شعب اللهِ (انظر: أيوب ٤٠: ٤، إشعياء ٦: ٨، حزقيال ٢: ٢ وارميا ٢: ٦).	غير ذلك أمر النبيّ العربي: لقد خاض معارك كثيرة، وجاهد في سبيل «مَغَانِمَ كَثِيرَةً»، وأسّس حكمًا ودولة، واضطهد الناس بالسيف والعنف. وهو يَعِدُ أصحابَه بـ ‹وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا› (الفتح ٤٨: ١٩)، و‹فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ› (النساء ٤: ٩٤). و‹أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ› (التوبة ٩: ٧٤). لقد كان محمّد، على الناس، حَكَمًا وقائدًا وقاضيًا يقسّم الأرزاق والمغانم فيما بينهم، ويستفيد منها ‹الخمس› (الأنفال ٨: ٤١).
كانت أمنيةُ الشعب اليهودي أن تكون النبوّة مشتركة وعامّة بين كل أفراده. لهذا صلّى موسى وتمنّى على اللهِ: ‹ليت جميع أمّة الرب أنبياء، يجعل الرب روحه عليهم› (العدد ١١: ٢٩). وكانت رغبة الله أن يكون إسرائيل له ‹مملكة كهنة وأمة مقدّسة› (الخروج ١٩: ٦). فلا يعود هناك تمييز في مملكة اللهِ، أو تباين بين أفراد الأمّة اليهودية في علاقتهم باللهِ.	أمّا في الإسلام فالأمر يختلف تمامًا: لن تكون النبوّة في المسلمين إلاّ لمحمّد، ولن تعطى النبوّة بعد محمّد لأحد. لقد أُغلِقَ البابُ وأُحكِمَ غَلقُه، وكان ‹خَاتَمَ النَّبِيِّينَ› (الأحزاب ٣٣: ٤٠). ولن تكونَ كلمة اللهِ على إنسان واحد بعد محمّد، فلا أحد يستحق أن يكونَ وسيطًا أو شفيعًا أو قدّيسًا غيره لدى الله. فالنبوّة، في الإسلام حَكرٌ على محمّد.

---

٣٩. الحريري، عالم المعجزات ٧٠ ـ ٧٤.

www.christianlib.com

زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ
أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى
ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ
أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا
يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن
رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ
لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ
تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا
لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ
مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا

www.christianlib.com

٣٣: ٤٣

إنه لتعبير ملفت أن يصلي الله على المؤمنين، وأن تشاركه الملائكة الصلاة. وقد ورد في تفسير الطبري أن الآية تفيد القول إن من يذكر الله ويسبحه في الصباح والمساء، فإن ذلك يرحمه، والله «يُثْني عليكم...وهو يدْعو لكم ملائكته...وقيل يُشيعُ عنكم الذكر الجميل في عباد اللهِ».[٤٠] ولم يجد الزمخشري إلا القول إن الصلاة هنا مستعارة من صورة الصلاة (ويقصد هنا الصلاة الإسلامية بالطبع)، حيث الركوع والسجود، وأن هذه الاستعارة تمثل الحنو والرأفة.[٤١]

وإذا أخذنا ما قاله الزمخشري من زاوية أن صلاة الله هي الحنو، فما هي صلاة الملائكة؟ هل الملائكة ترحم وتحنو على المؤمنين من تلقاء ذاتها، أم أنها تقوم بما يريده الله منها؟

إن كل الشروحات لا تساعد القارئ على فهم المقصود بصلاة الله على المسلمين. والأشد غرابة هو قول الطبري الذي يفيد بأن الله يشيع ذكر هذا العبد. فالمفروض أن التقوى هي من أجل الرابطة بين الخالق والمخلوق، وليس لشهرة المرء العابد.

أما إذا أخذنا شرح الزمخشري، فإن تفسيره لا يقل صعوبة لأن عبارة «صلى الله» لا تعني في اللغة العربية «رحم الله». كما أن المسلمين العرب لا يستعملون عبارة «صلى الله عليك يا فلان» إذا كانوا يدعون له بالرحمة. والعبارة الوحيدة الشائعة عبارة شيعية، وتقول «صلوات الله على محمد وآل محمد»، نشأت بسبب اعتبار الشيعة أن لآل محمد خصائص مقدسة، تجعلهم أهلاً لأن تشملهم الصلاة كما تشمل محمد. ولهذا فهم أخذوا نص (الأحزاب ٣٣: ٥٦) وطبقوه على الأئمة لديهم.

٣٣: ٤٨

قيل إن الآية تطلب من محمد أمرين: الأول الثبات على موقفه الدعوي؛ والثاني عدم التعرض للكافرين والمنافقين بالأذى. والجزء الثاني نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٤٢]

---

٤٠. الطبري، تفسير ١٩: ١٢٣.
٤١. الزمخشري، الكشاف ٥: ٧٧.
٤٢. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٢٨، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥١؛ ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٤.

www.christianlib.com

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾
۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ
ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا
يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا
مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ

٣٣: ٥٢

تقول الآية لمحمد أنه لا يحل له بعد الآن غير نسائه اللواتي لديه. ولدينا في المصادر قولان بشأنها:

القول الأول: إنها منسوخة. ويُختلف بنسخها على الأقوال التالية:

أ. قيل إنها منسوخة بالآية التي قبلها ‹يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحللنا لك أَزواجك› (الأحزاب ٣٣: ٥٠).[٤٣]

ويعلق ابن سلامة: «وهي من أعاجيب المنسوخ، نسخها الله بآية قبلها في النظم».[٤٤]

ب. نسخت بـ: ‹ترجى من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء› (الأحزاب ٣٣: ٥١).[٤٥]

ج. مجموعة قالت إنها منسوخة بالسنة، إذ أعلنت عائشة أن محمدًا ما مات «حتى أحل له النساء».[٤٦]

٤٣. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥١.
٤٤. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٤ ـ ٧٥.
٤٥. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٥٨٥.
٤٦. نفس المصدر ٢: ٥٨٥ ـ ٥٨٧.

www.christianlib.com

القول الثاني: إنها محكمة. وبشأن الأحكام لدينا القولان التاليان:

أ. إنها محكمة، فالله قد أثاب نساء محمدٍ حين اخترنه بأن أمر محمدًا أن لا يتجاوزهن عددًا بعد الآن.[٤٧]

ب. إن المراد هنا بالنساء، الكافرات، فلم يُسمَح لمحمد أن يتزوج بكافرة.[٤٨] وبتوضيح أكثر، لا يجوز لمحمد بعد ذلك أن يتزوج يهودية أو مسيحية.[٤٩]

٣٣: ٥٣

- قراءة الجماعة: ‹إِنَاهُ›،[٥٠] بمعنى «وقته، أي: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله».[٥١]
- وقرأ الأعمش: «إِنَاءَهُ» بمعنى آنية جمع أواني.[٥٢]
- وقرأ هبيرة عن حفص: «أَنِيَهُ» بياء بعد النون.[٥٣]

باختلاف القراءات اختلف المعنى؛ فمفردة ‹إِنَاهُ› جاءت بمعنى الوقت كما شرح الزمخشري، وبمعنى آنية الطعام كما قرأ الأعمش، وهناك قراءات أخرى، لم نذكرها، أتت بمعانٍ مختلفة. هذه النماذج من القراءات تُظهر أن هناك إشكالية بين القرَّاء في فهم هذه الكلمة، مما جعلهم يتخبطون في البحث عن القراءة الصحيحة! ولمعرفة حقيقة هذه الكلمة لابد من معرفة السياق الذي أتت فيه الكلمة الأصلية ‹اىىه› في رسم المصحف، فسياق الآية يبين أن الحديث عن الحجاب بسبب نظرات بعض ضيوف محمد، والتي أثارت شكوكه، وبالتالي فالموضوع ليس الطعام أو وقته أو آنيته، وإنما الموضوع يتعلق بنساء النبي والنظر إليهن وقت الضيافة؛ وبالنظر أيضًا إلى رسم المصحف نلاحظ أن الكلمة مرسومة ‹اىىه› بنبرتين، لا بواحدة، وبما أن السياق يتحدث عن النساء فتنقيط لفظة ‹اىىه› تصبح «إِنَثُهُ» (إناثه)،[٥٤] أي زوجاته.[٥٥] وبالتالي تصبح الآية كما يلي:

---

٤٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٢.
٤٨. نفس المصدر ٤٣٣.
٤٩. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٥٨٥ ـ ٥٨٦.
٥٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٠٨.
٥١. الزمخشري، الكشاف ٥: ٨٩.
٥٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٣٣.
٥٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٠٩.
٥٤. وقد سبقنا إلى هذا الطرح المستشرق الألماني كريستوف لوكسمبورج في القراءات السريانية الآرامية للقرآن ٢٤٦.
٥٥. ورد في النص القرآني ما يشير إلى أن الأنثى تدل على الزوجة ‹وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ› (النجم ٥٣:٤٥).

www.christianlib.com

لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ
ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ
أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣
إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥٤ لَّا جُنَاحَ
عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ
أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٥ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ؛ غَيْرَ نَاظِرِينَ إناثه. وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرواْ؛ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ، إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ، وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ. **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ الله** وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا.

وما يؤكد ما ذهبنا إليه، هو وجود عبارة ‹**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا** فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ›، حيث لا يمكن أن يقصد منها الآنية! ونلاحظ أن ضمير «هن» في سألتموهن لا يعود على دالٍ واضحٍ موجود في الآية مثل: نساءه أو زوجاته... مما يدعم كون أصل الكلمة «إناثه» حتى يعود عليها الضمير في سألتموهن.

فنعيد التذكير بأن ما جعل تكرار مثل هذه الأخطاء في القرآن، يرجع لعري المصاحف الأولى من التنقيط.[٥٦]

٥٦. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ
ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ

٣٣: ٥٦

عندما سُئل محمد عن هذه الآية، قال: «هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إن الله وكل بي ملكيْن فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لكَ. وقال الله تعالى وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لكَ، وقال الله وملائكته لذينك الملكين: آمين».[٥٧]

إذًا، كون الآية تجعل الله يصلي على محمد، فإنها ترفع هذا الأخير إلى أعلى درجات التقديس. ويحاول عالم مسلم أن يجد تبريرًا لذلك، فيقول إن معنى ‹يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ› يرجع إلى الملائكة فقط، ثم يستدرك بأن صلاة الله جائزة على محمد، وأن «معناها الرحمة العظيمة...وصلاة الملائكة الدعاء».[٥٨]

إذًا، وفقًا للقرآن، الله نفسه يصلي على محمدٍ، والملائكة أيضًا. ويجب على المسلم النطق بصيغة الصلاة أعلاه على محمد لأن تجاهل هذا الأمر يجعل الملائكة تدعو عليه بالويل والثبور، فيما

٥٧. الزمخشري، الكشاف ٥: ٩٣-٩٤.
٥٨. الهمداني، تنزيه القرآن ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

www.christianlib.com

تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢
يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ
ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي
ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا
سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ
وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ

يؤكد الله ذلك بقوله «آمين» (!) يبدو هنا وكأن الآية تضيف ركنًا سادسًا إلى أركان الإسلام، ألا وهو الصلاة على محمد.[٥٩]

٣٣: ٦٦، ٦٧

القراءة الشائعة: ‹الرَّسُولا›، ‹السَّبِيلا› بإثبات الألف؛ انظر التعليق على (الأحزاب ٣٣:١٠).

٣٣: ٦٨

- القراءة الشائعة: ‹لَعْنًا كَبِيرًا›.
- وقرأ حمزة ونافع والكسائي وآخرون: «لَعْنًا كَثِيرًا»، بالثاء المثلثة.[٦٠]

سبق وأشرنا في التعليق على (البقرة ٢: ٢١٩)، في المجلد الأول من هذا الكتاب، أن كلمة ‹كَبِيرًا› هي صفة للحجم أكثر منها للعدد، بينما كلمة ‹كَثِيرًا› صفة للعدد أكثر منها للحجم.

٥٩. انظر التحليل النقدي لآية (الأحزاب ٣٣: ٤٣)، صفحة ٢٠٩.
٦٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٣٦.

www.christianlib.com

٣٣: ٦٩

تتحدث الآية عن افتراء حصل بحق موسى، وأن الله قدم دليلاً يدحض الاتهام الباطل. وقد أورد المفسرون مجموعة آراء حول ماهية هذا الافتراء، فقالوا:

- دُبِّر لموسى تهمة علاقة بمومس.[٦١]
- اتُّهم بقتل هارون.[٦٢]
- قيل إنّ لموسى عيبًا في جسده.[٦٣]

لا تتحدث الآية عن الزمن الذي حصل فيه هذا الافتراء، وعمَّن قام به. وليس في القرآن ما يساعد على قبول أي من الشروحات السابقة، وخصوصًا أن التاريخ اليهودي لا يذكر لنا ما يماثل شروحات المفسرين المسلمين.

٣٣: ٦٩

- قراءة الجمهور: ‹وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا›.[٦٤]
- وقرأ ابن مسعود: «وَكَانَ عَبْدًا لِله وَجِيهًا».[٦٥]
- وقرأ الأعمش وآخرون: «وَكَانَ عَبْدُ اللهِ وَجِيهًا».[٦٦]

تتفق كل هذه القراءات في الرسم دون المعنى؛ الذي يختلف على ما يلي:

- فقراءة الجمهور: ‹عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا›؛ بمعنى ذو منزلة عند الله.[٦٧]
- أما قراءة ابن مسعود: «عَبْدًا لِله»، فـ «عَبْدًا» خبر كان، واسمها ضمير مستتر تقديره «موسى»؛ بمعنى أن موسى كان عبدًا لله.
- أما قراءة الأعمش ليست ببعيدة المعنى عن قراءة ابن مسعود: «عَبْدُ الله» فعبدُ اسم كان، ووجيهًا خبرها؛ أي كان عبدُ الله (موسى) وجيهًا.

---

٦١. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٠١.

٦٢. الطبري، تفسير ١٩: ١٩٤ ـ ١٩٥، الزمخشري، الكشاف ٥: ١٠١.

٦٣. الطبري، تفسير ١٩: ١٩٠ ـ ١٩٤، الزمخشري، الكشاف ٥: ١٠١.

٦٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٢١.

٦٥. القرطبي، تفسير ١٧: ٢٤٢-٢٤٣.

٦٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٣٦.

٦٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٢١.

www.christianlib.com

فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ
وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

لا شك أن هذه القراءات جاءت بعد كتابة المصحف الذي كان خاليًا من التنقيط والتشكيل، فعلى غرار قراءتي «ورش» و«حفص»، في (الزخرف ٤٣: ١٩)، نجد الآية في رواية حفص ‹وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا...›، بينما يقرأ نفس الآية مسلمو شمال إفريقيا برواية «ورش» ‹وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا...›، (انظر التعليق على قراءات (الزخرف ٤٣: ١٩)، صفحة ٣٤٤). فقد وضع رواة هذه القراءات تنقيط النبرة بالنون أو بالباء، بالإضافة إلى أنه في قراءة ابن مسعود، ضُمت «الألف» إلى «عبد» بدلاً من الله.

٣٣: ٧٢

تقول الآية إن الأمانة عُرضت على السماوات والأرض، إلا أنهن أبين أن يحملنها. وقد شرح المفسرون أن هذه الأمانة تعني الطاعة.[٦٨] والسؤال المطروح هو: كيف تُعرض الطاعة على جماد؟

٦٨. الطبري، تفسير ١٩: ١٩٦، الزمخشري، الكشاف ٥: ١٠٢.

www.christianlib.com

فالجماد لا يختار لأنه يعمل بقوانين فيزيائية. وبالتالي، لا يمكن أن يدخل تحت مظلة الثواب والعقاب. وحتى لو لم تكن الأمانة هي الطاعة، فالإشكالية ما زالت مطروحة: ما الشيء الذي عُرض على جماد؟

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

تسمية السورة جاءت من تضمنها قصة ملكة سبأ (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ١٣٣).

السورة مكية باتفاق أغلب المفسرين، على أن لدينا رواية تقول إن الآية (٦) مدنية: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ...﴾، بناءً على تفسير يقول إن الذين أوتوا العلم هم من أسلم من أهل الكتاب، مثل عبد الله بن سلام (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ١٣٣). وثمة رأي مفرد يقول إن سورة سبأ مدنية (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ١٣٣). وهذا الرأي المفرد لا يستند إلى قراءة للنص.

يظهر من طابع ومحتوى السورة أنها تعود إلى الفترة المبكرة في دعوة محمد المكية. وهي تنتمي إلى الحقبة المكية الثالثة (Wherry 3: 330).

من مواضيعها

- في السورة نقض للشرك ومهاجمة كل من ينكر البعث (آية ٢-٣).
- الدفاع عن القرآن (آية ٣١، ٤٣).
- إنذار لقريش بالعذاب الأخروي (آية ٣، ٢٩-٣٠).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِى
ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ
مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ
ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ
أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٣ لِّيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ٤ وَٱلَّذِينَ
سَعَوۡ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ٥ وَيَرَى
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِىٓ إِلَىٰ
صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِى ٱلۡعَذَابِ
وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ ٩ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ
مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرۡ فِى ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ١١

www.christianlib.com

٣٤: ٣

- قراءة الجمهور: ‹لَتَأْتِيَنَّكُمْ› بتاء التأنيث، «أي: الساعة التي أنكرتم مجيئها».[١]
- وقرأ طلق المعلم وهارون: «لَيَأْتِيَنَّكُمْ» بالياء.[٢]

قراءة الجمهور بتاء التأنيث، إشارة إلى مجيء الساعة. أما قراءة طليق وهارون بالياء، فالإشارة إلى عالِــم الغيب (أي: الله). وقد علل الزمخشري هذه القراءة بكون الحديث عن مجيء عالِــم الغيب والشهادة (الله)،[٣] مستدلاً على ذلك بما جاء في الآيتين: ‹هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ...› (الأنعام ٦:١٥٨)، ‹أَوْ يَأْتِيَ أمرُ رَبِّكَ...› (النحل ١٦: ٣٣).

٣٤: ١٠

تقول الآية إن الله أمر الجبال والطيور أن تسبّح مع داود، وأن الحديد صار بين يديه ليّنًا، إذ «كان في يديه كالطين المبلولِ»[٤].

هذا التفصيل غير موجود في أي مصدر أدبي أو تاريخي أو ديني. ويرى كاتب مادة «داود» في «دائرة المعارف»، أن هذه التفاصيل هي تفسير لآيات التوراة، التي يدعو فيها صاحب المزامير الجبال ووحش الفلاة إلى تسبيح الرب.[٥] فإن كان الأمر كذلك، فلا بد أن شيئًا من هذه التسبيحات قد تناهى إلى سمع محمد، وفهمها بطريقة خاطئة.

٣٤: ١١

- القراءة الشائعة: ‹سَابِغَاتٍ› بالسين.
- وقرئ: «صَابِغَاتٍ» بالصاد.[٦]

راجع التعليق على (الأحزاب ٣٣:١٩)، صفحة ٢٠١.

---

١. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٢٤٨.
٢. نفس المصدر، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٤١. وطلق ورد بالياء «طليق» في معجم القراءات.
٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٠٧.
٤. الطبري، تفسير ١٩: ٢٢١ ـ ٢٢٢.
٥. دائرة المعارف الإسلامية ٤٨٤٣، وانظر مزمور ١٤٨: ٧-١٠.
٦. الزمخشري، الكشاف ٥: ١١١.

www.christianlib.com

وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ
وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ
أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ
وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ
وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ
مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ
كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي

٣٤: ١٢ ـ ١٤

يقول النص إن لسليمان قدرة على التحكم بالريح، وإن الله أسال ‹له عين القطر›، أي أذاب له عين النُحاس وأجراه له.[٧] كما أن ثمة مجموعة من الجن قد أُمرت بخدمة سليمان، ومَن يتهرب مِن الخدمة، فإن له العذاب الشديد (آية ١٢). وقد كانت الجن تعمل لسليمان «محاريب»، وهي، برأي بعض المفسرين، جمع لكلمة محراب. بينما قال آخرون إنها «بُنيان دون القصور»، وقال غيرهم إن المحاريب هي مساكن، أو مساجد.[٨] كما كانت الجن تصنع ‹تَمَاثِيلَ› وغيرها من المصنوعات.

التفصيل الأبرز يفيد أنه حينما مات سليمان، لم يعلم أحد بموته إلا بعد أن جاءت ‹دَابَّةُ الأَرْضِ›، وأكلت العصا التي كان يتكىء عليها، فلما سقط على الأرض، علمت الجن حينها أنه مات.[٩]

٧. الطبري، تفسير ١٩: ٢٢٨.
٨. نفس المصدر ١٩: ٢٣٠ ـ ٢٣١.
٩. نفس المصدر ١٩: ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

www.christianlib.com

إذًا، ومع كل السلطان الذي كان لسليمان، لم يلاحظ موته أحد من الإنس و«الجن»، ولم يسأل عن سر غيابه أحدٌ من المحيطين به، حتى جاءت دابة أكلت عصاه!

(حول ما يُذكَر عن معرفة سليمان بلغة الطير وتفاصيل قرآنية أخرى، انظرْ التعليق على سورة (النمل ٢٧: ١٦ ـ ١٨، ٢٠ ـ ٤٤)، المجلد الثاني من هذا الكتاب).

٣٤: ١٤

أ. ‹تَأْكُلُ›

- قراءة الجماعة: ‹تَأْكُلُ› مضارع أكلت.[١٠]
- وجاء في مصحف ابن مسعود: «أَكَلَت» في الماضي.[١١]

ب. ‹مِنسَأَتَهُ›

- القراءة الشائعة: ‹مِنسَأَتَهُ›.
- وقرأ أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «مِنْسَاتَهُ»،[١٢] بدون همزة (انظر التعليق أسفله).

ج. ‹تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ...مَا لَبِثُوا›

- القراءة الشائعة: ‹تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ›.
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس: «تَبَيَّنَتِ الإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حولاً فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ».[١٣]

تشير قراءة ابن مسعود إلى أن مدة وفاة سليمان دون معرفة الجن كانت حولاً (أي عامًا) كاملاً، وأن الإنس هم الذين اكتشفوا موته مما بيَّن لهم أن الجن لا يعلمون الغيب، أما قراءة الجماعة فلا تظهر مدة وفاة سليمان ثم إن الجن هم من تبين لهم أنه قد مات، وأنهم لا يعلمون الغيب.

هناك غموض في قصة موت سليمان بحسب هذه الآية؛ إذ لا توضح كيف كان وضعُه قبل موته، ولا كيفية هذا الموت! بل لماذا لم ينتبه أحد لموته طوال هذه المدة! وأيضًا، بحسب الآية، لماذا ‹تَأْكُلُ› دابة الأرض «منسأته» (عصاه) دون أن تلمس جثمانه؟!

١٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٤٦.
١١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٤٨.
١٢. الطبري، تفسير ١٩: ٢٣٨.
١٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ١٥٠.

www.christianlib.com

وهنا يبرز السؤالان التاليان: **أولاً**، ما معنى دابّة الأرض؟ **ثانيًا**، ما معنى منسأته؟

وقد يتعجب البعض من هذا التساؤل، ولكن إذا عُرف أن الدَّابّة هي «اسم لما دبَّ من حيوان، مميزةً وغير مميزة»،[14] منها ما يمشي على بطنه، ومنها ما يمشي على رجلين، ومنها ما يمشي على أربع (النور ٢٤:٤٥)، بطل هذا العجب.

وبالتالي فلا يمكن تحديد ماهية هذه الدابة إلا إذا عرفنا ماذا أكلت. ولمعرفة الجواب نسرد بعض تفاسير علماء الإسلام لكلمة ‹مِنْسَأَتَهُ›، فقد ذكر القرطبي عن السُدِّي أن المنسأة هي العصا بلسان الحبشة، وقيل بلغة اليمن،[15] وبذلك قال أيضًا جل المفسرين.

ونتساءل: لماذا استعمل صاحب القرآن هذه الكلمة اليتيمة من لغة الأحباش أو اليمن في هذه الآية؟

والواقع أننا نرى أن كلمة «عصا» تُستخدم في عدة آيات في القرآن، نذكرها فيما يلي:

اسم السورة	ترتيب المصحف	آية	النص
الأعراف	٧	١٠٧	فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ
الأعراف	٧	١١٧	وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
طه	٢٠	١٨	قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى
الشعراء	٢٦	٣٢	فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ
الشعراء	٢٦	٤٥	فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
النمل	٢٧	١٠	وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ
القصص	٢٨	٣١	وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ

١٤. ابن منظور، لسان العرب ١٣١٤.

١٥. القرطبي، تفسير ١٧: ٢٨٠، انظر كذلك السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٦٦.

www.christianlib.com

القصة التي أوردها علماء الإسلام عن كيفية موت سليمان يشوبها الغموض والغرابة، حيث ذكروا أن سليمان **مات واقفًا**، وبقي هكذا متكئًا على عصاه لمدة حولاً كاملاً![١٦] وقد عزوا ذلك إلى حديث لابن عباس عن محمد يقول فيه إن سليمان طلب من الله أن يخفى سر موته عن الجن، فترة طويلة.[١٧] ونحن نستبعد ورود هذه الخرافة على لسان محمد، وما هي سوى نتاج مخيلة علماء الإسلام اللاحقين، لعدم معرفتهم للمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ‹مِنْسَأَتَهُ›! فسياق الآية لا يقتضى أن «منسأته» بالضرورة تعني عصاه، لأسباب عديدة منها:

- جاءت كلمة عصا في القرآن أكثر من (١٢) مرة في آيات أخرى،[١٨] فكان يقتضي أن يذكر ها هنا أيضًا عصاه وليس منسأته.
- صحيح أن «منسأة» معناها «عصا» في اللغة حاليًا، إلا أن علماء الإسلام قد اعترفوا أنها ليست من أصل عربي.[١٩]
- كان سليمان أعظم ملك بحسب الموروث الإسلامي، وبالتالي إذا كان يحتاج إلى عصا يتكيء عليها، فمن غير المنطقي أن يتكيء على عصا راعي،[٢٠] ولكان من الأولى أن يكون لديه صولجان من حجارة كريمة يليق بمقامه.
- كيف تستقيم قصة موت سليمان لعدة شهور واقفًا متكئًا على عصاه؟![٢١]
- وإذا قبلنا جدلاً بموته بهذه الطريقة، فكيف لم يلاحظ أي شخص عدم تحركه، ولا كلامه، ولا طلبه للطعام أو الشراب أو أي شيء لمدة حول كامل؟!

وبما أن علماء الإسلام قد اعترفوا بأن الكلمة من أصل غير عربي، فقد حاولنا البحث عن أصلها، وتبين أنها كلمة آرامية «منسأة» ܡܢܣܣܐ مهمزة، تعني عصا الفدان.[٢٢] لكن الواقع أن سليمان كان ميتًا، فمما لاشك فيه أن دابة الأرض كانت تأكل رفاته، مما يرجح أن الكلمة

---

١٦. الطبري، تفسير ١٩: ٢٤٠.
١٧. نفس المصدر.
١٨. كما أوضحنا بعض منها في الجدول السابق.
١٩. القرطبي، تفسير ١٧: ٢٨٠، انظر كذلك السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٦٦.
٢٠. الطبري، تفسير ١٩: ٢٣٩.
٢١. الرازي، تفسير ٢٥: ٢٥١.
٢٢. منّا، قاموس كلداني عربي ٤٠٩.

www.christianlib.com

مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ
بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ
وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا
كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى
شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن
شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ
لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ

بدون تهميز بالأرامية «مسَّاته» ܡܣܣܬܐ بمعنى عفونته.[٢٣] ومعلوم أن النون تضاف في كثير من اللهجات السامية للتخفيف، وأعطى ابن منظور بعض الأمثلة على ذلك، منها، حظّ التي يقولها بعض العرب حنظ، وأُتْرُجّة التي تصبح أترنْجة، وأيضًا الرُز التي تصير رُنز.[٢٤] وقد بين د. إسماعيل عمايرة أيضًا أن البعض يسهلون النطق بإدخال حرف جديد فذكر: «وقد يرى بعضهم في الإدغام مجالاً للبس أو الصعوبة في النطق، فيتحلل منه بإقحام حرف جديد على الكلمة،

٢٣. منّا، قاموس كلداني عربي ٤١٠.
٢٤. ابن منظور، لسان العرب ٩١٩، كلمة حظظ.

نحو: حظّ ← حنظ، وإجّاص ← إنجاص، والأُتْرُجّة ← الأترنْجة»،[٢٥] وكمثال على ذلك أيضًا في بعض اللهجات الآرامية: «حبَّل» ← «حنبل». فالنص إذًا يتحدث عن رفات سليمان التي أصبحت عفنة، حتى اهترأ جثمانه، وحينئذ علم الجن أن سليمان قد مات.

٣٤: ١٥

- القراءة الشائعة: ‹مَسْكَنِهِمْ› مفردًا.
- وقرأ ابن كثير ونافع وآخرون: «مَساكِنِهِم»، على الجمع.[٢٦]

جاءت القراءة الشائعة بالإفراد على المصدر، أما القراءة بالجمع فهي أبين وأوضح في المعنى، وهذا ما ذهب إليه النحاس بقوله: «ومساكن في هذا أبين؛ لأنه يجمع اللفظ والمعنى»،[٢٧] مفضلًا إياه عن المصدر ‹مَسْكَنِهِمْ›. ومن الجدير بالذكر أن ألف المد وسط الكلمة لم تكن تُكتب في المخطوطات القديمة غير المنقطة، مما يدعم فكرة أن تكون الكلمة في الاصل هي مساكنهم ولكن نُقل رسمها لاحقًا دون مراعاة الأصل.

٣٤: ٢٣

- القراءة الشائعة: ‹فُزِّعَ›.
- وقُرِئ: «فَزَّعَ»،[٢٨] و«فُزِعَ»،[٢٩] و«فَزِعَ»،[٣٠] و«فَزَعَ»،[٣١] و«فُرِّغَ»،[٣٢] و«فَرَّغَ»،[٣٣]و«فُرِغَ»،[٣٤] و«فَرَغَ»،[٣٥] و«افْرُنْقِعَ».[٣٦]

٢٥. عمايرة، جوانب من التفسير النفسي ١٢٠.
٢٦. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٥٢.
٢٧. انظر القرطبي، تفسير ١٧: ٢٨٩.
٢٨. (قرأ بها ابن مسعود وابن عباس وغيرهما) الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٦٧، ابن خالويه، مختصر ١٢٢-١٢٣.
٢٩. (قرأ بها الحسن) ابن جني، المحتسب ٢: ١٩١، وانظر الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٦٧.
٣٠. (قرأ بها مجاهد) الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٦٧، الزمخشري، الكشاف ٥: ١٢٠.
٣١. (وقرأ بها الحسن وابن عامر وغيرهما) الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٦٨.
٣٢. (وقرأ بها الحسن أيضًا) القرطبي، تفسير ١٧: ٣١٢، وابن جني، المحتسب ٢: ١٩١.
٣٣. (وروى أن الحسن قرأ بها) الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٦٨. والتقدير: «فَرَّغَ الله عن قلوبهم الخوفَ» (العكبري، إعراب القراءات ٢: ٣٣٢).
٣٤. (وقرأ بها أيوب السختياني وحميد الطويل) الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٦٨.
٣٥. (وقرأ بها الحسن وقتادة وغيرهم) القرطبي، تفسير ١٧: ٣١٢.
٣٦. (وقرأ بها ابن مسعود وعيسى بن عمر) ابن خالويه، مختصر ١٢٢-١٢٣، وحاشية العكبري، إعراب القراءات٢ : ٣٣٢. (افْرَنقِعوا عني) أي انكشفوا وتنحوا عني (ابن منظور، لسان العرب ٣٤٠٣).

www.christianlib.com

ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا
وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ
وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟
لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟
أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟
ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا

تعددت القراءات لهذه الكلمة على عشر قراءات على الأقل، وباختلاف القراءات اختلف المعنى، مما يفيد بوجود إشكالية في الكلمة، حاول القراء حلها، كل بحسب استحسانه، إلا أن هذه القراءات لم تفلح، رغم تعددها، في التغلب على هذه الإشكالية، إذ كيف يمكن أن تفرغ قلوبهم من الخوف والفزع قبل معرفتهم بالحصول على الإذن بالشفاعة لهم؟

www.christianlib.com

إلا أن للمستشرق الألماني كريستوف لوكسنبورج حلاً أنسب لهذه الإشكالية: فالقرآن، بحسب رأيه، كان مكتوبًا في أول الأمر بالخط الكرشوني،[٣٧] والجدير بالذكر أن حرف الجيم في اللغة السريانية (ܓ) يقابله في اللفظ حرف (غ) في اللغة العربية؛ وكمثال على ذلك، قدم لنا لوكسنبورج شرحًا وافيًا كيف أن كلمة ‹يلحدون إليه› (النحل ١٦: ١٠٣)، كانت في الأصل «يلغزون إليه».[٣٨] وخلاصة ما ذهب إليه لوكسنبورج هو: أن الغين في العربية (غ)، ما هي إلا جيمًا بالسريانية (ܓ)؛ لتصبح القراءة «حتى إذا فُرِّجَ عن قلوبهم» فيصبح المعنى أقوى، وهذا هو المراد من حصول الإذن بالشفاعة.

٣٤: ٢٤

في الآية طُلب من محمد أن يقول للمشركين إما نحن على هدى أو أنتم. ومن هو على ضلال فسيُحاسب يوم القيامة. وهذا الأمر منسوخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٣٩]

ابن الجوزي لا يؤيد هذا الرأي، ويقول إن «مؤاخذة كل واحد بفعله لا يمنع من قتال الكفار».[٤٠]

٣٤: ٣١

وفقًا للقرآن، يقول المشركون في هذه الآية إنهم ليس في وسعهم الإيمان بالقرآن، ولا بالذي بين يدي محمد. والسؤال المطروح أنه ما دام القرآن لم يكتب بعد، فما هو هذا الكتاب الذي بين يدي محمد؟

ذكر الشارحون أن المشركين قالوا إنهم لن يؤمنوا بالقرآن «ولا بالكتاب الذي جاء به مِن قبلِه».[٤١]

ويوجد شرح آخر يقول: «لن نُؤمنَ بهذا القرآنِ، ولا بالذي بين يَدَيْه من الكُتبِ والأنبياء».[٤٢]

الشرحان مختلفان في المعنى، والعبارة بحد ذاتها تشير إلى احتمال أن محمدًا كان لديه نسخة من نصوص كتاب ما، لعله الكتاب المقدس، وهذا ما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية.[٤٣]

---

٣٧. أحرف سريانية بلسان عربي.

٣٨. القراءة السريانية الآرامية للقرآن ١١٢-١١٦ الطبعة الإنجليزية.

٣٩. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٥، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٤، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥١.

٤٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٤.

٤١. الطبري، تفسير ١٩: ٢٨٩.

٤٢. نفس المصدر ١٩: ٢٩٠.

٤٣. دائرة المعارف الإسلامية ٤٨٤٣.

www.christianlib.com

كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا
بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا
نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي
تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ
فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي
يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ
فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ
وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١
فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ
يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ
كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ
نَكِيرِ ٤٥ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ

www.christianlib.com

٣٤: ٤٠

- قراءة حفص: ‹يَحْشُرُهُمْ...يَقُولُ›،[٤٤] وهي بياء الغائب.
- قراءة الجمهور: «نَحْشُرُهُمْ...نقُولُ»،[٤٥] بالنون.

قراءة حفص، الموجودة في القرآن العربي الحالي، هي القراءة التي يتبعها معظم المسلمين اليوم، وتختلف عن قراءة الجمهور (الأغلبية). ومع ذلك ، فإن قراءة الأغلبية تناسب السياق بشكل نحوي صحيح. إن استخدامه لضمير الجمع الأول «نحن» في هذه الآية يتوافق تمامًا مع ضمير المتكلم في الآية ٣٨ («... بخصوص علاماتنا ...»)، باستخدام الجمع للتغظيم، كون المتكلم هو الله، الأمر الذي تكرر في الآية ٤٢ (« ... وسنقول لأولئك ...»).

أما قراءة حفص، فقد جاءت مخالفة لقراءة الجمهور! وسبب الاختلاف، على الأغلب، هو خلو المصاحف الأولى من التنقيط.

سؤال: لماذا تجاهلت لجنة التجميع العثمانية قراءة الأغلبية؟

٣٤: ٤٤

- قراءة الجمهور: ‹يَدْرُسُونَهَا›،[٤٦] مضارع دَرَسَ، أي يقرأون الكتب بأنفسهم.
- وقرأ العكبري: «يُدارِسُونَهَا»، من دارس،[٤٧] أي دارَستَ: قرأت على اليهود وقرأوا عليك.[٤٨]
- بينما قرأ أبو حيوة: «يُدَّرِسونَهَا»، بفتح الدال وشدها، مضارع ادَّرَسَ، ومعناه يَتَدارَسونها.[٤٩]
- وقُرئ: «يُدَرِّسونَهَا»، من دَرَّسَ المضعف وهو تكرير الدرس.[٥٠]
- كما قُرئ: «يَدّارَسونها».[٥١]
- وعند أبي البقاء: «يُدَرَّسونَهَا»، بالبناء للمجهول.[٥٢]

---

٤٤. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٢٧٣.
٤٥. نفس المصدر.
٤٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٧: ٢٧٥.
٤٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٨٧.
٤٨. ابن منظور، لسان العرب ١٣٦٠.
٤٩. ابن خالويه، مختصر ١٢٣.
٥٠. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٢٩.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٣٨٨.
٥٢. نفس المصدر.

www.christianlib.com

ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ
عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ
إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ
عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ
إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ
إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ
قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ
كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ
بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي
شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

على الرغم من اختلاف صيغة الفعل، إلا أن هذه الآية تقول بأن الله لم يُنزل كتابًا قبل القرآن، ولا أرسل رسولاً قبل محمد إلى قومه (العرب) لينذر الكافرين منهم. نافيًا بذلك كونهم قد قرأوا، أو درسوا كتابًا قبله. وهذا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره:[٥٣]

> أَيْ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى الْعَرَب مِنْ كِتَاب قَبْل الْقُرْآن، وَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا قَبْل مُحَمَّد (ص)، وَقَدْ كَانُوا يَوَدُّونَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ: لَوْ جَاءَنَا نَذِير أَوْ أُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاب، لَكُنَّا أَهْدَى مِنْ غَيْرنَا، فَلَمَّا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ كَذَّبُوهُ وَعَانَدُوهُ وَجَحَدُوهُ.

٥٣. ابن كثير، تفسير١١: ٢٩٥.

www.christianlib.com

إلا أن الطبري يخبرنا، في تاريخه،[٥٤] أن (عاد وثمود من العرب العاربة)، ويخبرنا القرآن عن إرسال النبي هود إلى قوم عاد ‹إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ› (الشعراء ٢٦: ١٢٤-١٢٥). وكذلك عن قصة النبي صالح الذي جاء نذيرًا إلى قوم ثمود ‹قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ› (هود ١١: ٦٢). إذًا فقد جاء للعرب قبل محمد رسل أمناء صادقون، وكان لهم أتباع، فلا ندري لماذا أنكرت هذه الآية تلك الحقيقة.

٣٤: ٥٠

يقول محمد في الآية: ‹إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي›؛ هذا إعلان يُحسب لصالح محمد، لأنه كان يقول لقريش إنه مسؤول عن قناعته الدينية، وإن ضلاله سيؤثر عليه وحده. ولكن ما الذي جرى بعد ذلك؟ لقد تراجع محمد عن هذا الإعلان في المدينة، وجعل من الإسلام الدين الواجب اعتناقه على كل إنسان، مستثنيًا أهل الكتاب بشرط أداء الجزية. وعليه، فإن ضَلاله لم يعد متوقفًا عليه وحده فحسب، بل هو أثّر على أمم كثيرة أُجبرت على اعتناق ماجاء به من ديانة.

---

٥٤. الطبري، تاريخ ١: ١٣٣.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

التسمية الأشهر: «سورة فاطر»، ويرد لها اسم آخر هو: «سورة الملائكة». و(فاطر) جاءت من مطلع السورة (الآية ١) وهي السورة الوحيدة التي تتفرد بمطلعها بذكر هذا الوصف. وكذلك الاسم الثاني لها ألا وهو «سورة الملائكة» جاء من احتوائها على صفة الملائكة وهذا الأمر لم يقع في سورة أخرى (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ٢٤٧).

السورة مكية بالاتفاق، على أن البعض استثنى منها آيتين (٢٩ و٣٢)، بدون تعليل لهذا الاستثناء (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ٢٤٧).

يعود تاريخ هذه السورة إلى الحقبة المكية الثالث (Wherry 3: 341, see 330). بينما يرى الحداد أن آيات السورة تعود إلى أزمنة مختلفة بسبب اختلاف «الروي أو النظم» (الحداد، أطوار ٤٥٨).

مواضيع أساسية في السورة

- الدفاع عن دعوى رسولية محمد (الآيات ٣ـ٤، ٢٥).
- التذكير بنعم الله على البشر (الآيات: ٩، ١٢، ١٣).
- نقد الأصنام (آية ١٤).
- أهل الجنة وأهل النار (آيات ٣٥ـ٣٧).

www.christianlib.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ
خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ
إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ

٣٥: ٢

أ. ‹فَلَا مُمْسِكَ لَهَا›

- القراءة الشائعة: ‹فَلَا مُمْسِكَ لَهَا›؛ بالتأنيث.[١]
- قرأ أبي بن كعب وابن أبي عبلة: «فَلَا مُمْسِكَ لَهُ»؛ على التذكير.[٢]

---

١. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٣٨. حيث ذكر المفسرون أن الضمير يعود على معنى الرحمة.

٢. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٠٦، على اعتبار أن الضمير يعود على الفتح، أو على «مَا»، وليس على الرحمة.

www.christianlib.com

ب. ‹فَلَا مُرْسِلَ لَهُ›

- القراءة الشائعة: ‹فَلَا مُرْسِلَ لَهُ›؛ بالتذكير حملاً على لفظ «مَا».
- وقُرئ: «فَلَا مُرْسِلٌ لَهَا»،[٣] تعود على معنى ‹ما› وهو الرحمة.

ونلاحظ أن الضمير يكون تارة مؤنثًا، عائدًا على الرحمة، وتارة مذكرًا، عائدًا على الفتح، أو الضمير ‹ما› في مقطع الآية: ‹مَا يفتح الله للناس›.[٤] فلِمَ إذًا هذا الالتفات في الضمائر؟ ولماذا محاولة التبرير في حمل الضمائر تارة على اللفظ، وتارة على المعنى؟

٣٥: ٦

يقول محمد عبد اللطيف، وهو كاتب مصري من القرن العشرين، معروف بابن الخطيب، إن إثبات الألف في كلمة ‹يَدْعُواْ› خطأ، لأن الواو «ليست بواو جماعة، ولا داعي لزيادتها، مهما انتحلنا لها من أعذار، وتمحلنا لها من علل».[٥]

٣٥: ٨

تقول الآية عن الله إنه ‹يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ›. (حول هذه النقطة، انظرْ التعليق على (إبراهيم ١٤: ٤)، المجلد الثاني من هذا الكتاب، صفحة ١٥٠).

٣٥: ١٠

ثمة تشويش في معنى الآية. فالضمير (الهاء) في كلمة ‹يَرْفَعُهُ› إمّا أنه يعود إلى ما عاد إليه هاء الضمير في كلمة ‹إِلَيْهِ›، أي الله، وإمّا أنه يعود إلى كلمة ‹الْعَمَلُ›. وعليه، فقد سبب ذلك حيرة لبعض علماء الإسلام، حتى إن الرازي وضع ثلاثة احتمالات:[٦]

١. إن الهاء «عائدة إلى الكلم الطيب أي العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم الطيب».
٢. إن الهاء تعود على العمل الصالح وبهذا فالفاعل إما: (أ) الكلم الطيب، أي «الكلم الطيب يرفع العمل الصالح»، (ب) إن الله هو الرافع.

---

٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٣٨.
٤. الرازي، تفسير ٢٦: ٨، القرطبي، تفسير ١٧: ٣٤٣.
٥. ابن الخطيب، كتاب الفرقان ٧٢.
٦. الرازي، تفسير ٢٦: ٨.

وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠
وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي
كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ
سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ
حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ١٢ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ
مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ
وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ
ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
بِعَزِيزٖ ١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ
مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ
ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ وَمَا يَسۡتَوِي
ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ
مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ
وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن

٣٥: ١٨

- قراءة الجمهور: ‹لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ›، وهو بصيغة المذكر.[٧]
- وقرأ أبو السمال وطلحة وغيرهم: «لَا تَحْمِلْ مِنْهُ شَيْئًا»،[٨] هنا القراءة بصيغة التأنيث.

- قراءة الجمهور‹يُحْمَلْ› جاءت بصيغة المذكر المبني للمجهول.
- وأما قراءة أبي السمال وطلحة: «لَا تَحْمِلْ مِنْهُ شَيْئًا»، فقد جاءت بصيغة التأنيث، وتقديره «النفس»،[٩] وما يدعم هذه القراءة هو تأنيث ‹مُثْقَلَةٌ›، التي جاءت في الآية، بمعنى نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ، وكأنه قيل: «وَإِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ مِنَ الذنوبِ إلى حِمْلِها لاَ تَحْمِلْ منهُ شَيْئًا».

٣٥: ٢٣

تصف الآية محمدًا أنه مجرد نذير، وهذا منسوخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[١٠]

ابن الجوزي يتحفظ على النسخ معتبرًا أن كون محمد نذيرًا لا يتعارض مع مبدأ القتال، إذ لا يمنع صفة النذير أن يقاتلهم بنفس الوقت.[١١]

٣٥: ٢٥

تقول الآية لمحمد إن اتهام قومه له بالكذب له سوابق تاريخية، إذ جاء إلى أقوام آخرين رسل بشروا ‹بِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ›.

والآية هنا لا تحدد مَن هم المعنيّون بالآية، أو ما هو الكتاب المنير. والطبري المعروف عنه توسعه في الشرح، يكتفي بالقول: «وجاءهم من اللهِ الكتابُ المنيرُ لمن تأمَّله وتدبَّره، أنه الحق».[١٢] فحتى الطبري، المفسر الموسوعي، لم يتمكن من تقديم ما يساعد على معرفة هوية ‹الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ› وماهية «الكتاب المنير». وهذا الغموض يتجلى أيضًا بقول الزمخشري عن «الكتاب المنير» إنه: «نحو التوراة والإنجيل والزبور».[١٣]

٧. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٢٩٣.
٨. نفس المصدر.
٩. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٢٥.
١٠. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٥.
١١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٥؛ ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥١.
١٢. الطبري، تفسير ١٩: ٣٦١.
١٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٥١.

www.christianlib.com

قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذۡتُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ
فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ
أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ
كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ
يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ
غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا
بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا
مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ
أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن
فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ
نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ
ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ

www.christianlib.com

فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا
مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ

٣٥: ٣٣

القراءة الشائعة: ‹وَلُؤْلُؤًا› (انظر قراءات (الحج ٢٢: ٢٣) في المجلد الثاني من هذا الكتاب).

٣٥: ٣٦

- القراءة الشائعة: ‹لَا يُقْضَىٰ›، والفعل مبني للمجهول.
- وقُرئ: «لَا يَقْضِي» أي أن الله لا يقضي.[١٤]

من المؤكد أن الله هو الذي يقضي في الآخرة، وهو الذي يجازي كُل إنسان حسب إيمانه وعمله، وهذا ما صرحت به القراءة الثانية مباشرة وبكل وضوح، وليس كقراءة المصحف الحالي التي يمكن أن تحتمل أكثر من معنى، كالملائكة أو الله، أو النار، أو غيره.

٣٥: ٤٠

- القراءة الشائعة: ‹بَيِّنَةٍ› بالتوحيد.
- قرأ نافع وابن عامر والكسائي وشيبة ونافع وعاصم: «بينات» بالجمع.[١٥]

---

١٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٤١.

١٥. نفس المصدر ٧: ٤٤٥، النحاس، إعراب القرآن ٣: ٣٧٦، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٣٠٣.

www.christianlib.com

وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ
ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ
وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ
بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

رأى بعض علماء المسلمين أن القراءة «بينَـٰت» بالجمع أَولى، آخذين في ذلك أنها هكذا جاءت في الخط،[16] ولأن مَن قرأها بالإفراد ‹بَيِّنَتٍ› قد خالف السواد الأعظم من القراء، محتجين في ذلك بأنها جاءت بالألف في مصحف عثمان![17] بينما البعض الآخر اعتبر أن القراءة بالإفراد أقوى لورودها في الآية ‹...فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ...› (الأنعام ٦: ١٥٧).

وبالتدقيق والبحث في المخطوطات القرآنية القديمة لم نجد أثرًا للألف قبل التاء في أي منها.

١٦. انظر الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٤٥، النحاس، إعراب القرآن: ٣٧٦.

١٧. انظر القرطبي، تفسير ١٧: ٣٩٣- ٣٩٤.

www.christianlib.com

من هنا نتساءل: إذا كانت الألف موجودة في مصحف عثمان، كما تقدم، فلماذا لم تكن موجودة في كل المصاحف التي نقلت عن الإمام، أو على الأقل في بعضها؟

وختام القول، لا شك أن الكلمة كانت بالإفراد بتاءٍ مفتوحة. وإذا كانت حقًا بالألف قبل التاء، ألا يطعن هذا في دقة نقل نُساخ المصاحف الأولى للقرآن؟

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُميت بالحرفين المقطعين اللذين بدأت بهما السورة (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ٣٤١).

السورة مكية (ابن عاشور، تفسير ٢٢: ٣٤١). وبناءً على تحليل السورة يرى موير أنه من خلالها يظهر اشتداد وتيرة معارضة قريش. ويحدد تاريخها حوالي السنة العاشرة أو الحادية عشرة من دعوة محمد (Wherry 3: 350).

يطرح نولدكه احتمال سقوط بعض الكلمات بين الآيتين ٢٤ ـ ٢٥ (نولدكه، تاريخ ١١٧). أما حداد فيطرح احتمال أن الآية (٤٧) مقحمة على السياق (الحداد، أطوار ٤٥٧).

من مواضيعها

- إحباط محمد من جراء فشله في كسب سامعيه للإسلام (الآيات ٦ ـ ٩).
- إنذار بقرب نهاية العالم (الآيات ٥٠ ـ ٥٤).
- ذكر الجنة (الآيات ٥٥ ـ ٥٧) والنار (الآيات ٦٣ ـ ٦٥).
- نفي أن محمدًا شاعرٌ وأن القرآن شعر (آية ٦٩).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ
فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا
جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا
مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩

٣٦: ٨

- قراءة الجماعة: ‹فِي أَعْنَاقِهِمْ›، جمع عنق.[١]
- وقرأ ابن عباس وابن مسعود وأُبي بن كعب: «في أيمانِهم»، وذكروا أنها كذلك في مصحف ابن مسعود وأُبي،[٢] والأيمان هي الأيدي اليمنى.
- وقرأ ابن عباس: «في أَيديهِم»،[٣] وذُكر أنها كذلك في بعض المصاحف.[٤]

اتفق المفسرون على أن الأغلال تجمع الأيدي إلى الأعناق، وبالتالي فالأعناق في الآية هي كناية عن الأيمان، والتي لم تُذكر لمعرفة السامعين بالمقصود من الكلام:[٥]

> فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكُني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكرٌ؛ لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيمُن أيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستُغنيَ بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان.

١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٦٠.
٢. نفس المصدر.
٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٦٧، الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٦١.
٤. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٦١.
٥. الطبري، تفسير ١٩: ٤٠٣، وانظر الرازي، تفسير ٢٦: ٤٤، والقرطبي، تفسير ١٧: ٤١٣، وابن كثير، تفسير ١١: ٣٤٥.

www.christianlib.com

وقد شرح ابن عباس الآية بقوله: «‹إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون› قال: «هو كقول الله: ‹ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك›[٦] يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير»،[٧] وقال بمثل ذلك أيضًا الضحاك.[٨]

في حال صحة ما ذهب إليه المفسرون من أن الأعناق هي كناية عن الأيدي اليمنى، فإنها قد آلت إلى كناية هزيلة ليس فيها بلاغة في التصوير ولا بيان في المعنى، حيث إن الأعناق ملتصقة أساسًا بالأذقان، ولا حاجة بالمرة لأي أغلال لتقريب الذقن إلى العنق، ولذا فما ذهب إليه ابن مسعود وأُبي، وابن عباس، وأيضًا المفسرون من أن المقصود من الآية «وجعلنا في أيمانهم (أيديهم) أغلالاً فهي إلى الأذقان...» هو الأفضل. فلماذا لم يذكر القرآن الكلمة المناسبة (سواء الأيمان، أو الأيدي) مباشرة، وأين البيان في ذلك؟ وهل تفوقت بلاغة البشر[٩] عما جاء به إله القرآن؟!

٣٦: ٩

- قراءة الجمهور: ‹فَأَغْشَيْنَاهُمْ›، أي غطينا على أبصارهم.[١٠]
- وقرأ يزيد اليزيدي: «فَأَغْشيتُهُمْ».[١١]
- وقرأ ابن عباس وغيره: «فَأَعْشَيْنَاهُمْ»، وهو ضعف البصر ليلاً،[١٢] «وهي قراءة النبي».[١٣]

تختلف القراءات في التنقيط، فقراءة الجمهور وقراءة يزيد لهما معنيان متقاربان، أي غطى الله أبصارهم، مع اختلاف الضمير. أما قراءة ابن عباس فقد جاءت بمعنى ضعف أبصارهم ليلاً، «وهي قراءة النبيّ»! إذًا، هل باقي القراءات ليست من قراءته؟ وهل كان محمد يقرأ بمعانٍ مختلفة؟

---

٦. الإسراء ١٧: ٢٩.
٧. الطبري، تفسير ١٩: ٤٠٤، وابن كثير، تفسير ١١: ٣٤٥، وانظر القرطبي، تفسير ١٧: ٤١٢.
٨. القرطبي، تفسير ١٧: ٤١٦.
٩. والمقصود القراء والمفسرون السابق ذكرهم.
١٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٦٢، العكبري، إعراب القراءات ٢: ٣٥٦.
١١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٦٣.
١٢. القرطبي، تفسير ١٧: ٤١٧.
١٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٦٣.

www.christianlib.com

وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ
ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢
وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ
ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ
إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ
رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا
تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨
قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا
ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ
أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥
قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا

٣٦: ١٢

تتحدث الآية عن كتاب موسى، الكتاب الإمام. وهذه الإشكالية عُولجت في التعليق على سورة (آل عمران ٣: ٣ ـ ٤). (قارن المربع في ذلك التعليق بالمجلد الأول من هذا الكتاب ١: ١٧٨ ـ ١٨١).

www.christianlib.com

٣٦: ١٣ ـ ٢٩

يتحدث النص عن حكاية ‹أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ›، الذين جاء إليهم اثنان من ‹المرسلين›، فكذبوهما. فأرسل الله مرسلاً ثالثًا، لكن أناس هذه القرية أصروا على عدم تصديق هؤلاء المرسَلين، قائلين لهم: ‹مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ›. لكن المرسلين عادوا وأكدوا على أنهم مرسَلون (الآيات ١٣ ـ ١٧). ثم جاء الى القرية رجل يعِظهم بوجوب اتّباع هؤلاء الرسل. إلا أن إصرارهم على عدم الإيمان، جلب عليهم غضب الله، اذ جاءتهم صيحةٌ واحدةٌ قضت عليهم (الآية ٢٠ ـ ٢٩). ولا يَذكر هذا النص اسم هذه القرية أو مكانَها. ويورد المفسرون الأقوال التالية في شأنها:

- القرية هي أنطاكية، وقد أرسل اللهُ إليها مرسلين.[١٤]
- القرية هي أنطاكية، والمرسلون هم رسل يسوع المسيح إليها،[١٥] والواعظ هو حبيب النجار.[١٦]
- القرية هي أنطاكية، وكان يحكمها ملك وثني، والرسل هم: صادق وصدوق وشلوم.[١٧]
- القرية هي أنطاكية: والرسولان هما شمعون ويوحنا، والثالث هو بولس.[١٨]

القصة في (يس ٣٦: ١٣ ـ ٢٩) تشير حسب بعض الآراء إلى قصة رسل يسوع الثلاثة في أنطاكية. ولعل شخصية حبيب النجار هي تجسيد لشخصية أغابوس.[١٩] وقصة أصحاب القرية مَثَل يحكي عن عقاب الله للأمم الغابرة، وهدفها تحذير الناس كي يأخذوا دعوة محمد على محمل الجد. وفي هذه الأمثلة، لا يقدم القرآن شيئًا غير معروف لكل فرد، بقدر ما يشير إلى تلك الحقائق التاريخية التي تظهر طرق الله ومعاملاته.[٢٠] إذا كان هذا التحليل صحيحًا، فإننا نتوصل إلى افتراض أن هذا النص ربما كان تفصيلاً مجتزأً من قصة رسل يسوع عرفه محمد، ثم وظفها في القرآن بشكل غامض، مما أجبر المفسرين على تقديم تخمينات عن هوية هؤلاء المرسلين.

---

١٤. الطبري، تفسير ١٩: ٤١٣ ـ ٤١٤.
١٥. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٦٩.
١٦. الطبري، تفسير ١٩: ٤٢٠، الزمخشري، الكشاف ٥: ١٧١.
١٧. ابن كثير، تفسير ١١: ٣٥١.
١٨. نفس المصدر.
١٩. *Encyclopaedia of the Qur'ān* 3: 521، أغَابُوسُ «Agabus»: ربما كان هذا الاسم مشتقًا من الكلمة العبرية: المحبوب. وأغَابُوس هو نبيٌ مذكور في سفر «أعمال الرسل» (١١: ٢٨ و٢١: ١٠). جاء إلى أنطاكية في أيام كلوديوس قيصر (أعمال الرسل ١١: ٢٨). ويقول التقليد المسيحي إن أغَابُوسُ كان واحدًا من التلاميذ السبعين الذين أرسلهم المسيح (إنجيل لوقا ١٠: ١).
٢٠. *Encyclopaedia of the Qur'ān* 4: 438.

www.christianlib.com

كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً
عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا
كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا
جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا
حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا

٣٦: ٣٠

- قراءة الجمهور: ‹يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ› على تقدير: «يا هؤلاء أتحسَّرُ حسرةً».[٢١]
- وقرأ أُبي وابن عباس وغيرهم: «يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ» بإضافة المصدر إلى فاعله، أي يا تحسيرهم.[٢٢]
- وقال ابن خالوية: «يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ» بغير تنوين، على تقدير «ياحسرتا».[٢٣]
- وذكر الزمخشري أنه «قُرِئَ: «يا حَسْرَتا» أي: «ياحسرتي».[٢٤]
- وقرأ أبو الزِّناد وعبد الله بن زكوان وغيرهما: «يَا حَسْرَهْ» بسكون الهاء.[٢٥]
- وقُرِئَ: «يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ على أنفسِها».[٢٦]
- وقرأ قتادة، وأُبي بن كعب: «يَا حَسْرَةُ عَلَى الْعِبَادِ» بالضم والتنوين.[٢٧]
- وقُرِئَ أيضًا: «ياحَسْرَةُ»، بضم التاء بدون تنوين.[٢٨]

٢١. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٧٨.
٢٢. نفس المصدر، والعكبري، إعراب القراءات ٢: ٣٦١.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٧٨.
٢٤. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٧٥.
٢٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٥: ٢٠٥، والرازي، تفسير ٢٦: ٦٣.
٢٦. الطبري، تفسير ١٩: ٤٢٩.
٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٧٩.
٢٨. العكبري، إعراب القراءات ٢: ٣٦١، والخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٧٩.

www.christianlib.com

اختلف المفسرون في المقصود بعبارة «مَنْ تحسَّرَ» على عدة أقوال:

١. قال الضحاك: «إنها حسرةُ الملائكة على الكفار حين كذَّبوا الرسل».[٢٩]
٢. وذكر الزمخشري «هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين».[٣٠]
٣. وقيل: حسرة «الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، لمَّا وثب القومُ لقتله».[٣١]
٤. «وقيل: إن الرسلَ الثلاثة هم الذين قالوا لمَّا قتل القوم ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة».[٣٢]
٥. وأجاز الزمخشري أن يكون قائل الحسرة هو الله،[٣٣] وكتب الرازي: «أن قائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيمًا للأمر وتهويلاً له».[٣٤]

تعكس القراءات كل هذه الأقوال، والمرجح في هذه القراءات ما ذكره الطبري: «يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ على أنفُسِها»، لأنها أكثر تعبيرًا وتوضيحًا لهوية من وقعت عليه الحسرة، لأنه من المفروض أن العباد هم المتحسرون على أنفسهم لتفويتهم فرصة الإيمان بالرسل.

لكن بغض النظر عن أي القراءات هي الأفضل، يبقى التساؤل عن هوية من تحسر: هل هو الله؟ أم الملائكة؟ أم الرجل الذي قُتِلَ؟ أم الرسل الثلاثة؟ أم الكفار أنفسهم؟! مع تضاربها فيما بينها!

٣٦: ٣١

- قراءة الجماعة: ‹أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا›».[٣٥]
- وقرأ ابن مسعود: «أَلَمْ يَرَوْا مَنْ أَهْلَكْنَا».[٣٦]

قراءة الجماعة تفيد الإخبار عن كم أو عدد القرون التي أهلكها اللهُ قبل هؤلاء القوم الذين كذبوا برسالة محمد، أما قراءة ابن مسعود فهي تفيد الاستفسار عن من «أهلكنا» قبلهم كمثل عاد وثمود وغيرهم ممن جحدوا برسالة الأنبياء السابقين؛ فباختلاف القراءة اختلف المعنى.

---

٢٩. القرطبي، تفسير ١٧: ٤٣٧، الزمخشري، الكشاف ٥: ١٧٥.
٣٠. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٧٥.
٣١. القرطبي، تفسير ١٧: ٤٣٧.
٣٢. نفس المصدر.
٣٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٧٥.
٣٤. الرازي، تفسير ٢٦: ٦٣.
٣٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٨٠.
٣٦. نفس المصدر.

www.christianlib.com

مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ
تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ
حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا
ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ
نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا
تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

٣٦: ٣٨

- قراءة الجماعة: ‹لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا›.[٣٧]
- وقرئ: «إلى مُسْتَقَرٍّ لها».[٣٨]
- وقرأ ابن مسعود: «لا مُسْتَقَرَّ لها»،[٣٩] وبها أيضًا قرأ ابن عباس،[٤٠] أي تجري دائمًا وليس لها مستقر.
- وقرأ ابن أبي عبلة: «لا مُسْتَقَرٌّ لها» بالتنوين، ولا بمعنى ليس.[٤١]
- وذكر ابن خالوية أنها في بعض المصاحف: «إلى مُسْتَقَرِّها».[٤٢]

٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٨٥.
٣٨. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٣٢١.
٣٩. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٧٨.
٤٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٤٨٥.
٤١. نفس المصدر ٧: ٤٨٦.
٤٢. نفس المصدر ٧: ٤٨٥، الرازي، تفسير ٢٦: ٧١.

www.christianlib.com

لهذه القراءات وجهان:

الأول: أن للشمس مستقرًا تصل إليه، وهذا ما جاء في قراءة الجماعة وما ذكره ابن خالويه في بعض المصاحف. جاء في تفسير ابن كثير أن المراد مستقرها المكاني أو الزماني: فالمكاني معناه المكان الذي تصل إليه، «تحت العرش»، واستدل على ذلك بقول محمد إن الشمس عندما تغرب تكون تحت العرش فتسجد لله ثم تستأذن منه للطلوع،[٤٣] أما الزماني فهو الوقت الذي تصل إليه مستقرها أي «يوم القيامة».[٤٤]

والثاني: أن الشمس دائمة الجريان لا تتوقف، وهو ما جاء في قراءة ابن مسعود وابن أبي عبلة ، وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى: «أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلاً ونهارًا، لا تفتر ولا تقف».[٤٥]

إن الآية تخاطب عقول البسطاء في ذلك العصر، حيث كان يُعتقَد أن الشمس تدور حول الأرض، وعند غروبها يأتي دور القمر، ثم تطلع مرة أخرى، وهكذا دواليك. لكن العلم قد أثبت أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وليس العكس! وتشترك كل هذه القراءات في نفس هذا المعنى تقريبًا، لوجود الآية ٤٠ من نفس السورة ، والتي يقول فيها أن ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، حيث لا تستطيع الشمس إدراك القمر كأنهما في سباق، أو العكس في مسارهما وهما يتسابقان! وهو ما أكده عكرمة حيث قال: «لا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل».[٤٦]

ونحن نتساءل: ضمن ما يستوقفنا من معانٍ تنافي العلم والحقيقة ولا تتماشى مع مزاعم الإعجاز العلمي للقرآن في الفلك والطب والعلوم: كيف يقارن القرآن الشمس بالقمر، وهي التي تكبره بـــأكثر من ٧٠ مليون ضعف في الحجم ؟!

---

٤٣. ابن كثير، تفسير ١١: ٣٦١.
٤٤. نفس المصدر ١١: ٣٦٢.
٤٥. نفس المصدر.
٤٦. نفس المصدر ١١: ٣٦٤.

www.christianlib.com

أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ
ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩
فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم
مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا
مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ
جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ٥٤ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي
ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ
قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ

٣٦: ٥٢

- قراءة الجمهور: «مَنْ بَعَثَنَا»، «مَنْ» للاستفهام، و«بعثنا» فعل ماضٍ.[٤٧]
- وقرأ أبي بن كعب: «مَنْ هَبَّنا» أي: من مرقدنا.[٤٨]
- وقرئ عن ابن مسعود: «مَن أَهَبَّنا» أي «من هب من نومه إذا انتبه، وأهبه غيره».[٤٩]
- وقرأ علي وابن عباس وغيرهما: «مِنْ بَعْثِنَا»،[٥٠] جار ومجرور.

إن سؤال «المشركين» عن ماهية الباعث بحسب قراءة الجمهور وأُبيٍّ وابن مسعود غير مبرر كونهم يعلمون أن هذا ما وعد به الرحمن والرسل، أما قراءة علي وابن عباس فهي تدل على هول هذا

٤٧. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٥٠٠.

٤٨. حاشية القرطبي، تفسير ١٧: ٤٦٣.

٤٩. الزمخشري، الكشاف ٥: ١٨٢.

٥٠. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٥٠٠، انظر القرطبي، تفسير ١٧: ٤٦٣.

www.christianlib.com

اليوم حيث تفيد أنهم هلعوا، وولولوا لَمَّا عاينوا جهنم، وقيل لهم ‹هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ› (يس٣٦: ٦٣، ٦٤)، وهو أصعب مما لاقوه في قبورهم.[٥١]

فإذا قارنا بين باقي القراءات وقراءة علي وابن عباس، بالإضافة لموافقة هذه الأخيرة لرسم المصحف، نجدها كذلك توافق السياق؛ حيث تعبر عن حالهم، وهو خوفهم من يوم بَعْثِهِمْ من الرقاد؛ وهذا ما أكده القرطبي في تفسيره: «إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عُذِّبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم».[٥٢]

ومن البديهي أن ينشغل «المشركون» بحالهم وما يلاقوه من عذاب، لا بالبحث عن «مَنْ» بعثهم! الأمر الذي يدعم قراءة علي وابن عباس، وبالتالي تكون هي الأرجح.

٣٦: ٥٦

- قراءة الجمهور: ‹فِي ظِلَالٍ› جمع ظِلٍّ،[٥٣] أي «في ظلال الأشجار».[٥٤]
- قرأ ابن مسعود والكسائي وآخرون: «فِي ظُلَلٍ» جمع ظُلَّة.[٥٥] والظُّلَّة والمِظَلَّة سواءٌ، وهو ما يُسْتَظَلُّ به من الشمس.[٥٦]

لو علمنا أن الأرائك هي السُرُر تحت الحِجَال،[٥٧] والحجال: «جمع حَجَلَةٌ، وهو موضع مثل القبة يُتخذ للعروس، يزيَّن بالثياب والستور والأسِرَّة»،[٥٨] والمؤمنون من المسلمين متكئون مع أزواجهم في الجنة على هذه الأسرة؛ قال ابن مسعود، وابن عباس وآخرون في قوله: ‹إن أصحاب الجنة اليوم في شُغل فاكهون› (يس٣٦: ٥٥)، قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار،[٥٩] إذًا من الطبيعي أن يتم هذا في غرف تخص كل زوجين على حدة، وليس في ظل الأشجار في حدائق الجنة، وقراءة ابن مسعود ومَنْ

٥١. القرطبي، تفسير ١٧: ٤٦٥.
٥٢. نفس المصدر.
٥٣. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٥٠٤.
٥٤. ابن كثير، تفسير١١: ٣٦٩.
٥٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٥٠٥.
٥٦. ابن منظور، لسان العرب ٢٧٥٤.
٥٧. ابن كثير، تفسير ١١: ٣٦٩.
٥٨. انظر حاشية القرطبي، تفسير ١٧: ٤٧٠.
٥٩. ابن كثير، تفسير ١١: ٣٦٩.

www.christianlib.com

يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ
تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ
تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم
بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ
فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا
وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ
ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا
وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ
أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ
لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا
يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ
قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ
بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ
مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

www.christianlib.com

قرأ بقراءته، بالإضافة إلى أنها توافق تمامًا رسم المصحف ‹ظِلَلٍ›، فهي تعبر عن تلك الخصوصية مع الأزواج (الحور) في الجنة، وبالتالي فهي القراءة الأرجح.

٣٦: ٧٠

- القراءة الشائعة: ‹لِيُنْذِرَ›، بالياء على الغيبة، وهنا الفاعل المقدَّر هو محمد أو القرآن.[٦٠]
- «وقرأ اليماني والجحدري وغيرهما: «لِيُنْذَرَ»، بفتح الذال وهنا الفعل مبني للمجهول.[٦١]
- وقرأ نافع وابن عامر وآخرون: «لِتُنْذِرَ»، بتاء الخطاب، والخطاب هنا لمحمد.[٦٢]

إذا دققنا في القراءات السابقة، نجد أن النذير هو: (١) بحسب القراءة الشائعة هو القرآن أو محمد، حيث إن الضمير غائب غير محدد بأي قرينة تدل عليه مباشرة، (٢) بحسب قراءة اليماني هو مجهول، فذهب المفسرون إلى التأويل، (٣) أما قراءة نافع فقد حددت بما لايدع مجالاً للشك أن المخاطب هو محمد وهو النذير، حيث استخدم تاء المخاطبة له مباشرة. وقد جاء في القرآن تعبير ‹لِتُنْذِرَ...› والخطاب فيه دائمًا لمحمد في المواضع التالية:

- ‹كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ› (الأعراف ٧: ٢).
- ‹وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ› (القصص ٢٨: ٤٦).
- ‹أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ› (السجدة ٣٢: ٣).
- ‹لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ› (يس٣٦: ٦).
- ‹وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ› (الشورى ٤٢: ٧).

مما يدعم هذا الطرح؛ وبالتالي تكون هذه القراءة هي الأرجح والأوضح.

---

٦٠. انظر القرطبي، تفسير ١٧: ٤٨٦، الرازي، تفسير ٢٦: ١٠٥.
٦١. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٣٣١.
٦٢. القرطبي، تفسير ١٧: ٤٨٦.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُمِّيَت سورة الصافات بسبب وقوع هذا اللفظ فيها (آية ١). والسورة مكية بالاتفاق (ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٨١).

رغم طولها، فإن نولدكه يرى أن السورة وحدة متكاملة، بسبب «الأسلوب والفاصلة والإيقاع» (نولدكه، تاريخ ١١٠). وليس في السورة ما يساعد على تحديد تاريخها غير الأسلوب والمحتويات. ويشير مطلعها إلى أنها تنتمي إلى السور المبكرة، ويبدو من فحوى الخطاب في السورة أن السامعين قابلوا محمدًا ببرود وسخرية (الآيات: ١١ ـ ١٥، ٣٦)، وهي لذلك تعود ـ على الأرجح ـ إلى حوالي السنة التاسعة قبل الهجرة (Wherry 3: 362).

من مواضيعها

- الموضوع المحوري هو التأكيد على دعوى محمد أنه مرسل من الله (الآيات: ١١ ـ ٣٧)، لا سيما الرد على اتهام قريش لمحمد أنه شاعر مجنون (آية ٣٦).
- وفي السورة يجعل محمد نفسه مثل الأنبياء السابقين، فهو قد رُفض كما رُفضوا.
- نقد الوثنية القرشية (الآيات ١٥٢ ـ ١٥٥).
- الوعد بالجنة (الآيات ٤١ ـ ٤٩).
- التهديد بالنار (الآيات ٦٢ ـ ٦٨).

www.christianlib.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ
لَوَٰحِدٌ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ٧ لَّا
يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ٨ دُحُورًا وَلَهُمْ

٣٧: ١ ـ ٣

ما معنى هذه الآيات الثلاث، بل هذه الألغاز الثلاثة؟ وما علاقتها بوحدانيّة اللهِ؟

...إنّ المفسّرين أنفسَهم لم يفهموا شيئًا. ولكنّ هؤلاء المساكين مضطرّون بحكم مهنتهم أن يفهموا كلّ شيء. نعم، قد لا تخلو هذه الآيات من بعض المعنى، وهو المعنى القاموسي على الأقلّ، كأيّ كلامٍ آخر مما يُثرثر به الناس في غدوِهم ورواحهم، ولكنّه معنى تافه لا يستحق أن يُقسِمَ اللهُ به لعباده. فالمفسّرون لا يقبلون أن يُقسِمَ اللهُ بأشياء لا قيمة لها، بل يفترضون وراء هذه الآيات الحِكَم البالغة، والمعاني العميقة التي تليق به سبحانه!...

وهكذا فـ«الصَّافَّات» هم الملائكة تَصِفُّ نفسَها في العبادة، أو أجنحَتَها في الهواء، تنتظر ما تُؤمر به. وكذلك «الزَّاجرات»، فهي أيضًا ملائكة تزجر السحابَ، أي تسوقه. وأما «التّاليات» فهم قرّاء القرآن! ولعل استعمال المؤنث (تاليات) بدل المذكّر (التالون) أو (القرّاء) فيها نكتة بلاغيّة وإعجاز قرآني لا تصل إليه عقولنا!...

ثمّ إنّ هذه الآيات تبدأ بالحرف (و)، أي واو القَسم. وحتّى لو كان لهذه الآيات معنى يتجاوز عقولنا الهشّة الضعيفة، فكيف يُقسم اللهُ بمجهول على معلوم؟ أليس القَسَم بالمجهول على المعلوم تشكيكٌ في المعلوم؟ ماذا أضافت هذه الآيات الثلاث إلى وحدانيّة اللهِ؟ هل تنتقصُ الوحدانيّةُ، وهل يختلّ معناها بحذفِها؟

(عباس عبد النور، محنتي مع القرآن: ٢٠٨ ـ ٢١٠)

www.christianlib.com

٣٧: ٨

أ. ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾

- قراءة حفص عن عاصم: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾، بمعنى «لا يتسمَّعون».[١]
- وقراءة الجمهور: «﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾، بسكون السين وتخفيف الميم»![٢]
- وقرأ ابن عباس: «﴿لَا يُسَمِّعُونَ﴾، بضم الياء وتشديد الميم، قال مكي: «يستمعون ولكن لا يسمعون».[٣]

قراءة حفص، والجمهور وابن عباس تقترب كلها من نفس المعنى أي أن الشياطين لا يسمعون إلى الملأ الأعلى إلا من خلال خطف السَّمع بحسب الآية ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[٤]، وهذا لا يوافق ما جاء في سورة الشعراء ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٥] أي أنهم ممنوعون من السمع بسبب رميهم بالشهاب الحارقة، وبالتالي فهم لا يستطيعون حتى استرقاق السمع، لأنهم أصلاً ممنوعون من السمع، «أي إنهم يُدحرون قبل وصولهم المكان المطلوب»[٦]. ولحل إشكالية التناقض بين المنع التام وخطف السمع، اقترح بعض المفسرين أمثال ابن عاشور زيادة الحراسة في السماء عند «نزول القرآن»، حيث قال: «وقد كان قبل البعثة المحمدية ربما اختطفوا الخطفة فألقوها إلى الكهان **فلما بُعث محمد** صلى الله عليه وسلم **قدر زيادة حراسة السماء**...»![٧] فهل زيادة حراسة السماء كان كيلاً بمكيالين لأن «البعثة المحمدية» تقتضي ذلك؟

ب. ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾

- القراءة الشائعة: ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾، مبنيًا للمجهول، أي يُرْجَمُونَ.[٨]
- وقرأ محبوب عن أبي عمرو: «﴿وَيَقْذِفُونَ﴾»، مبنيًا للمعلوم.[٩]

---

١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٦.
٢. ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٩٢.
٣. االخطيب، معجم القراءات ٨: ٧ .
٤. الصافات٣٧: ١٠.
٥. الشعراء ٢٦: ٢١٢.
٦. ابن عاشور، تفسير٢٣: ٩٢.
٧. نفس المصدر. التشديد لنا.
٨. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٣٣٩.
٩. نفس المصدر.

عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾
فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾

ذكر صاحب القرآن أن النجوم ترجم الشياطين، في حين أن هذه الظاهرة مجرد نيازك تحتك بالغلاف الجوي عند اختراقه، فينتج عن ذلك احتراق أجزاء النيزك، فجاءت القراءة الشائعة لتفيد أن الشياطين تُرجم بالنجوم، كما عبر عن هذا المعنى في الآية: ‹وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ...› (الملك ٦٧: ٥)! أما عن قراءة محبوب فيقول العكبري: «الفاعل الملائكة...ويجوز أن يكون التقدير: يقذفون أنفسهم»،[١٠] إن تجسس الشياطين على الملأ الأعلى ورجمهم بالشهب من قبل الله أو الملائكة أو النجوم، أو رجمهم بعضهم بعض، كل هذا يدخل في نطاق الغيبيات، وكان على صاحب القرآن عندما قرر الخوض فيها، وكشف سرها للبشر، أن يوضحها دون أن يترك الأمر ضبابيًا، تاركًا العبء على كاهل الفقهاء، لمحاولة توضيح هذا الغموض!

٣٧: ١٠

- قراءة الجمهور: ‹خَطِفَ›.[١١]
- وقرأ الحسن وقتادة وآخرون: «خَطِّفَ»؛ بفتح الخاء، وكسر وتشديد الطاء، وأصله «اختطف».[١٢]
- وقرأ الحسن أيضًا: «خَطَّفَ»؛ بفتح الخاء، والطاء المشددة[١٣]. «والأصل في المشدَّدات: «اختطف»».[١٤]
- وقرأ الحسن كذلك، وغيرهم بحسب ابن خالويه: «خِطِّفَ»؛ بكسر الخاء وتشديد الطاء.[١٥]

---

١٠. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٨.
١١. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٣٣٩.
١٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٩.
١٣. نفس المصدر.
١٤. القرطبي، تفسير ١٨: ١٥.
١٥. ابن خالويه، مختصر ١٢٨ .

www.christianlib.com

اختلاف القراءات ها هنا لا يغير المعنى كثيرًا، فجميعها تروي كيف أن الشياطين قد اختطفت وبسرعة ما يمليه الملأ الأعلى من الأخبار؛ وهذا مستغرب لأن الله وبلا شك محيط وعالم بكل شيء، فالقول باختطاف أي خبرٍ من السماء لهو إنقاص من قدرة الله غير المحدودة.

ونتساءل: كيف يمكن تصور أن ترجم الشهب وهي أجرام مادية، الشياطين وهي كائنات غير مادية؟! ثم هل الشهب كائنات عاقلة حتى تقوم بعملية الرجم؟

٣٧: ١١

- قراءة الجماعة: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.[١٦]
- وقرأ رويس: «فَاسْتَفْتِهُمْ»، بضم الهاء.[١٧]

ليس هناك فرق بين القراءتين، ولكن ما يثير التساؤل: على مَنْ يعود الضمير «هُمْ»؟ فبعدما كان النص القرآني يتحدث عن الشياطين التي تسترق السمع من الملأ الأعلى في الآية السابقة، فجأة وباستخدام فاء التعقب، ينتقل الحديث إلى الأمر باستفتاء فئة غير معلن عنها في النص، عبر عنها المفسرون بمشركي مكة![١٨] وما دعاهم لهذا القول هو ما جاء في آخر الآية: ﴿خلقناهم من طين لازب﴾، أي أنهم بشر، لا كائنات خلقت من نارٍ كالجن أو الشياطين.[١٩] إلا أن هناك إشكالية تصطدم بهذا التفسير، حيث إن أهل قريش لم يدَّعوا بأنهم خليقة أفضل من غيرهم، أو ﴿أشد خلقًا﴾ من خلق الله!

لا شك أن الإشارة هنا إلى ما كان أهل قريش يعبدون من أصنام، ويعتقدون أنها قادرة على الخلق، وبذلك يأتي التحدي لتلك المعبودات، وذلك يظهر جليًا في الآية ٢٢ من نفس السورة، إذ تذكر ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾. ونتيجة لتلك العبادة، يحشر صاحب القرآن الأصنامَ في جهنم كما هو ظاهر في الآية، وقد سبق أن تحدثنا عن هذه الإشكالية في سورة النحل[٢٠]، حيث برر ذلك ابن عباس بقوله إن الله يبعث الأصنام ولها أرواح![٢١]

---

١٦. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٠.

١٧. نفس المصدر.

١٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٠٣. قارن القرطبي، تفسير ١٨: ١٦.

١٩. ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ (الرحمن ٥٥: ١٥)، أما عن الشيطان فجاء: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف ٧: ١٢).

٢٠. انظر الجزء (ب) من التحليل النقدي لآية (النحل ١٦: ٢١)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ١٨٨.

٢١. . الرازي، تفسير ٢٠: ١٦.

www.christianlib.com

بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ
يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ
دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا
هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ
فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ
لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ
تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا
طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا
غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ
بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾
وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾
يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا
غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ
بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ

www.christianlib.com

٣٧: ٤٧

- القراءة الشائعة : ‹يُنْزَفُونَ›.
- وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما: «يُنزِفون».[٢٢]
- وقرأ ابن اسحاق: «يَنْزِفون».[٢٣]
- وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «يَنْزُفون».[٢٤]

جاءت القراءة الشائعة ‹يُنْزَفُونَ› بمعنى «لا تذهب عقولهم بشربها»، بحسب ابن عباس.[٢٥] أما قراءة حمزة والكسائي «يُنزِفون» فهي تعني «لاَ يَسْكَرون»؛[٢٦] لكنها وردت في تفسير آخر «**لا ينفد شرابهم**»،[٢٧] وأكده الفراء بقوله: «أنزف الرجل إذا نفدت خمرته، وأنزف إذا ذهب عقله من السكر»،[٢٨] وباقي القراءات تسبح في نفس الفلك من المعاني. إن ما يلفت النظر هو محاولة المفسرين التركيز على أن خمر الجنة لا يسكر، ولا يؤدي إلى صداع ولا قيء ولا بول. وهو ما قاله ابن عباس: «في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول؛ فذكر الله خمر الجنة فنزَّهها عن هذه الخصال».[٢٩]

وقد ذُكِرَت كلمة «خمر» بوضوح في الآية ‹...**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**...›،[٣٠] يقول ابن منظور: «الخمر: ما أُسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل»،[٣١] ولترسيخ مفهوم خلو خمر الجنة من هذه الخصال الأربع، أقحم المفسرون مفهوم أن هذه الخمر لا تُسكر في تفسير ‹وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ›.

وقد وردت في القرآن آية أخرى قريبة من هذا التعبير في سورة الواقعة ‹لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ›،[٣٢] بمثل ما قرأ حمزة والكسائي، لا كما وردت في القراءة الشائعة. وفي تفسيره لآية الواقعة، ذكر الطبري ‹وَلَا يُنْزِفُونَ› بمعنى: «**وَلَا يَنْفَد شَرَابهمْ**».[٣٣]

---

٢٢. حاشية الطبري، تفسير ١٩: ٥٣٥، قارن الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٧.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٧.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. الطبري، تفسير ١٩: ٥٣٥-٥٣٦، انظر القرطبي، تفسير ١٨: ٣١. (قارن الحاشية).
٢٦. القرطبي، تفسير ١٨: ٣٢، والمعنى بحسب الزجاج وأبو علي.
٢٧. القرطبي، تفسير ١٨: ٣٢. التشديد لنا.
٢٨. الرازي، تفسير ٢٦: ١٣٧.
٢٩. القرطبي، تفسير ١٨: ٣٣، وانظر ابن كثير ١٣: ٣٥٧.
٣٠. محمد ٤٧: ١٥.
٣١. ابن منظور، لسان العرب ١٢٥٩.
٣٢. الواقعة ٥٦: ١٩.
٣٣. الطبري، تفسير ٢٢: ٢٩٩. التشديد لنا.

www.christianlib.com

وقد أجاز الطبري قراءة حمزة والكسائي أيضًا في آية الصافات التي نحن بصددها فكتب: «**وَالصَّوَاب مِنَ الْقَوْل** فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَى غَيْر مُخْتَلِفَتَيْهِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيب، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْل الْجَنَّة لَا يَنْفَد شَرَابهم، وَلَا يُسْكِرهُمْ شُرْبهمْ إِيَّاه، فَيُذْهِب عُقُولهمْ».[٣٤] ومعنى قراءة حمزة والكسائي هو الأنسب إذًا، كما أنه أيضًا يقال: «وأَنزَف القومُ: نَفِدَ شرابُهم. الجوهري: أَنزَف القومُ إذا انقطع شرابهم وقُرئ: ولا هم عنها يُنْزِفُون، بكسر الزاي».[٣٥]

وجدير بالذكر أن المفسرين قد ذهبوا إلى أن تعبير ‹لا فِيها غَوْلٌ› أي: «لا في هذا الخمر غَوْلٌ، وهو أن تغتال عقولهم».[٣٦] ونستبعد هذا المعنى تمامًا؛ لأن اغتيال العقل هو فقدانه تمامًا، فبالتالي كلمة ‹غَوْلٌ› بمعنى الهلاك والموت، لا يناسب سياق الآية ولو من باب الاستعارة. يقول ابن منظور: «غاله الشيءُ غَوْلاً واغْتاله: أَهلكه وأَخذه من حيث لم يَدْر. والغُول المنيّة».[٣٧] والمرجح أن الكلمة كانت «**عَوْلٌ**» بمعنى: «النقصان. وعال المِيزانَ عَوْلاً، فهو عائل: مالَ؛ هذه عن اللحياني».[٣٨] ومعلوم أن مرحلة النفاد، تسبقها مرحلة النقصان، فتصبح الآية «**لاَ فِيهَا عَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزِفون**»، أي «لا يبعدون عن هذه الخمرة بسبب نقصانها ونفادها».

فالنص القرآني لا يتحدث عن خصائص هذا الخمر، أما عن معنى ‹لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا...› (الواقعة ٥٦: ١٩)، فإذا قيل أنها تعني «لا تُصدَّعُ رءوسُهم» كما فسر قتادة،[٣٩] فهذا يتعارض مع ما ورد في سورة الروم ‹يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ›،[٤٠] وبما أن المصحف العثماني كان خاليًا من التشكيل،[٤١] فيمكن أن تكون الياء بالضم أو الفتح، والصاد «يصدعون» بالتشديد أو التخفيف، إذًا بالنظر لمعنى ما ذكره الطبري: «...يَتَفَرَّق النَّاس فِرْقَتَيْنِ؛ مِنْ قَوْلهمْ: صَدَعْت الْغَنَم صَدْعَتَيْنِ: إِذَا فَرَّقْتهَا فِرْقَتَيْنِ»،[٤٢] وخصوصًا أن الآية لم تقل «لَا يُصَدَّعُونَ بهَا...»، بل ‹لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا...› (الواقعة ٥٦: ١٩)، أي: لاَ يتفرقون عنها، وهو نفس المعنى الذي وصلنا له في تفسير ‹وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ›.[٤٣]

---

٣٤. الطبري، تفسير ١٩: ٥٣٥. التشديد في الأصل.
٣٥. ابن منظور، لسان العرب ٤٣٩٧.
٣٦. الطبري، تفسير ١٩: ٥٣٢.
٣٧. ابن منظور، لسان العرب ٣٣١٧.
٣٨. نفس المصدر ٣١٧٤.
٣٩. الطبري، تفسير ٢٢: ٢٩٩.
٤٠. الروم ٣٠: ٤٣.
٤١. الداني، المحكم ٢، ١٨.
٤٢. الطبري، تفسير ١٨: ٥١٥.
٤٣. الصافات ٣٧: ٤٧.

www.christianlib.com

مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً

والخلاصة، النص القرآني لم يتطرق إلى «الخصال الأربع للخمر»، وإنما علماء الإسلام على ما يبدو قد تحرجوا من تحريم الإسلام للخمر على الأرض، وإباحتها في «جنة الإسلام»، فتطرقوا إلى أن هذا الخمر لا يسكر، ولا يسبب صداعًا في الرأس وغيرها، ناسين أن كلمة «الخمر» في حد ذاتها في اللغة هي كل ما يُخمر العقل أي «يغطيه»![44] ولكن حقيقة الأمر أن الآية التي نحن بصددها تخبرنا أن الخمر لا ينقص، ولا ينفد، وخصوصًا أنه، بحسب المعتقد القرآني، في الجنة **أنهارٌ** من هذا الخمر ‹**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**› (محمد ٤٧: ١٥).

٣٧: ٦٢

تقول الآية إن طعام أهل النار هو ‹شَجَرَةُ الزَّقُّومِ› (الصافات ٣٧: ٦٢)، كذلك (الواقعة ٥٦: ٥٢). وورد في موضع آخر أن الذي يمنع الطعام عن المساكين، ليس له طعام ‹إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ› (الحاقة ٦٩: ٣٦). والغِسْلين هو الدم المختلط بالقيح.[45]

فإذا كان الغسلين هو الطعام الوحيد لمانع اللقمة عن المساكين، فكيف سيأكل من شجرة الزّقوم؟ قد يُجاب على ذلك بأن الغسلين حالة خاصة لا تلغي قاعدة أكل الزقوم. ولكننا نقرأ في مكان

٤٤. ابن منظور، لسان العرب ١٢٥٩.

٤٥. الطبري، تفسير ٢٣: ٢٤٠.

www.christianlib.com

لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ
ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ
عَلَيۡهَا لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ
ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ
أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ
فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا
ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ
بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ
ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا
تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾
فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا
فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ
إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ

www.christianlib.com

ثالث أن طعام أهل النار هو الضريع فحسب: ‹لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ› (الغاشية ٨٨: ٦). ويوجد اختلاف حول ماهية الضريع، حيث ذكر الطبري المعاني التالية:[٤٦] (١) إنه نبات من فصيلة الشوكيات، (٢) إن الضريع يعني الحجارة، (٣) إنه شجرٌ من نار.

بغض النظر عن ماهية الضريع، فإن السؤال هو: هل طعام أهل النار: غسلين فقط، أم ضريع فحسب، أم يضاف إليهما الزقوم؟

٣٧: ٧٨، ١٠٨، ١١٩، ١٢٩

‹وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ› (آ ٧٨، ١٠٨، ١٢٩) **‹وَتَرَكْنَا عَلَيْهِما فِي الآخِرِينَ›** (آ ١١٩)

هذه العبارة بخصوص الأنبياء المذكورين بكل آية غير مفهومة، وقد قِيل إن ما تُرِك هو: «سلامٌ على» أي الدعاء للنبي المذكور.[٤٧] كما قيل «وأبقينا عليه ذكرًا جميلًا، وثناءً حسنًا».[٤٨]

‹في الآخرين›: «فيمن تأخّر بعدَه من الناس، يذكرونه به».[٤٩]

فلو صح تأويل المفسرين المسلمين، وقبلنا أن العبارة تقدم خبرًا، فإنها ما زالت عبارة غير مفهومة. ولكن إذا حاولنا النظر إلى كلمة ‹تركنا› مجردةً من التنقيط، لتصبح على هذا الشكل ‹**ىركىا**›، فمن المحتمل أن أصلها كان «**باركنا**»، على اعتبار أن الألف لم تكن تُكتب في المصاحف الأولى، فكانت تكتب «**ىركىا**» ويُقصد بها «**باركنا**». وبهذا قد يكون النص قد تُلي من قبل محمد على الشكل التالي: «وَبرَكْنَا عَلَيْهِ [عَلَيْهِمَا] فِي الآخِرِينَ»، أي: باركناه (باركناهم) في آخرته (آخرتهم) (راجع «التنقيط» في «مقدمة في القراءات المختلفة للقرآن»، بالمجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٢٢).

٣٧: ٨٨ ـ ٨٩

هذا التفصيل عن إبراهيم لم يرد في التوراة. والقرآن يستعمل في كثير من الأحيان تفاصيل تلمودية. وهذه الجزئية وردت في سياق قصة إبراهيم. (انظر مصادر الرواية القرآنية في التعليق على (البقرة ٢: ٢٥٨) بالمجلد الأول من هذا الكتاب.

---

٤٦. الطبري، تفسير ٢٤: ٣٣١-٣٣٣.

٤٧. الزمخشري، الكشاف ٥: ٢١٥.

٤٨. الطبري، تفسير ١٩: ٥٦١.

٤٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ
وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ
فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾
وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا
وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ
مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمۡ
لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ

www.christianlib.com

ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ
سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ
ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ
لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا
لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾
فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ
وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾
إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ
ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا
ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ

٣٧: ١٤٩ ـ ١٥٣

كان النص يتحدث عن يونس (يونان) (الآيات ١٣٩ ـ ١٤٨)، إلا أن سؤالاً برز فجأة في سياق الحديث، وهو: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ؟ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ؟﴾.

هذا السؤال الفُجائي لا ينسجم مع الحديث عن يونس (يونان). وهذا المقطع ينهض كمثال على عشوائية الترتيب القرآني. (انظر دراسة: «الترتيب التاريخي للقرآن»، الفقرة المعنونة: «ثانيًا ـ ترتيب الآيات» في المجلد الأول من هذا الكتاب).

www.christianlib.com

يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ
ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾
وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ
فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ
يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

٣٧: ١٧٤

يرد في الآية أمر لمحمد بالتأني على المشركين. والموقف من نسخها يتصل بفهم الشارح لظرف ‹حين›: فقيل إنه يعني:[٥٠] (١) زمان مجيء الأمر بالقتال (٢) لحين موتهم (٣) يوم القيامة. فمن قال إن الآية منسوخة فهو قد أخذ الرأي (٢) و(٣).[٥١] وقد نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٥٢]

٣٧: ١٧٥

تطلب الآية من محمد أن يتوعد مشركي مكة بالعقاب، إذ جاء عند الطبري: «وأنظِرْهم فسوف يَرَوْن ما يحُلُّ بهم من عقابنا، في حين لا تنفعُهم التوبةُ، وذلك عندَ نزل بأسِ الله بهم».[٥٣] وهي قد نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٥٤]

يرفض ابن الجوزي القول بنسخ الآية لأنه يعتبرها توكيدًا بناء على سياق ما تقدمها من آيات وليس ما يبرر نسخها.[٥٥]

---

٥٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٦.
٥١. نفس المصدر.
٥٢. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٦.
٥٣. الطبري، تفسير ١٩: ٦٦١.
٥٤. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٦.
٥٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٨.

www.christianlib.com

٣٧: ١٧٧

- قراءة الجمهور: ‹نَزَلَ› أي الرسول، أو العذاب.[٥٦]
- وقرأ ابن مسعود: «نُزِلَ» ذكره ابن خالويه،[٥٧] أي نُزلَ العذاب في ساحتهم.
- وذكر ابن الجوزي أن ابن مسعود وأبا عمران الجوني وغيرهما قرأوا: «نُزِّلَ».[٥٨]

قراءة الجمهور لا تجزم من الذي قد نَزَلَ هل هو محمد أم العذاب؟ أما قراءة ابن مسعود بحسب ابن خالويه أو ابن الجوزي فالمقصود من النُزولِ هو العذاب، وبالتالي هي أكثر وضوحًا من قراءة الجمهور.

٥٦. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٦٩.
٥٧. ابن خالويه، مختصر ١٢٩.
٥٨. الجوزي، زاد المسير ٧: ٩٤.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمة

سُميت «سورة صاد»، وفق نطق حرف «ص»، وهو الحرف المقطع في مطلعها (ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٢٠١).

السورة مكية كما يتضح من لغتها وأسلوبها، وهو أمر يتفق معه المفسرون المسلمون (ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٢٠١). ويرجع موير حقبة السورة إلى حوالي ٦٢٠ - ٦٢٢م، ولكن ويري إذ يورد رأي موير يقول إنه بالنظر إلى الأسلوب العام، وذكر الجنة والنار، ولقب محمد بالنذير (آية ٤ و٧٠)، فإنه يميل لتاريخ أبكر من ذلك (Wherry 3: 376).

يجد نولدكه أن السورة متماسكة، ومع ذلك فهو يعتقد أن الآيات (٦٧ - ٨٨) لا تتصل بما قبلها (Wherry 3: 376).

في الآية (٢٩) إشارة إلى المزامير، حيث يظهر اعتراف محمد بكتب العهد القديم أنها كلمة الله (Wherry 3: 375).

من مواضيعها

تورد السورة أخبار شخصيات من العهد القديم، فتورد ذكر:

- داود (الآيات ١٧ - ٢٦)
- سليمان (الآيات ٣٠ - ٣٨)
- أيوب (الآيات ٤١ - ٤٤)
- إبراهيم وإسحق ويعقوب (آية ٤٥)
- إسماعيل وأليسع وذي الكِفلِ (آية ٤٨)

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢

٣٨: ١ـ٢

يبدأ نص السورة بحرف «الصاد»، وهو أحد الحروف المقطعة التي استهلّت بها فواتح العديد من سور القرآن، وقد اختلف علماء الإسلام في معاني هذه الحروف المقطعة (انظر المجلد الأول من هذا الكتاب ١: ١٠٠-١٠٤). ويأتي القسَم بعد حرف «الصاد»، ولكن تبقى الجملة بلا جواب على هذا القسَم. وتقول المصادر الإسلامية إن غياب جواب القسَم يعود إلى إحدى الاحتمالات التالية:

١. «أن ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة، كأنه قال هذه ص».[١]

تعليق: هذا لا يضفي على الآية أي معنى. وفي كل الأحوال، يتعارض هذا القول مع اتفاق العلماء على أن العبارة هي قسَم.

٢. للدلالة على الإعجاز،[٢] ويقول الزمخشري: «كلام ظاهره متنافر غير منتظم، فما وجه انتظامه؟ قلتُ: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز...ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه».[٣]

تعليق: هذه حجة يمكن تطبيقها على كل ما لا يُفسَّر. فكلما صادف المرء إشكالية لغوية، بوسعه القول إنها دلالة على التحدي.

٣. «أن جواب القسم ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾، وأصله لكم أهلكنا، فلمّا طال الكلام حذفت اللام تخفيفًا».[٤]

تعليق: هذا تعليل لا يستند إلى رأي لغوي. وإذا قبلنا به، يصير المعنى أكثر ركاكةً.

---

١. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٤٢.

٢. نفس المصدر. قارن الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٤٠.

٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٤٠، ويأتي جواب القسم في (الآية ٣).

٤. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٤٢، القرطبي، تفسير ١٨: ١٢٤.

www.christianlib.com

٤. أن «جواب القسم ‹إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ›» (ص ٣٨: ١٤).[٥]

تعليق: نرد بتعليق ابن الأنباري: «هذا قبيحٌ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما وكُثرت الآياتُ والقصص».[٦]

٥. «وقيل: الجواب قوله: ‹إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ›» (ص ٣٨: ٥٤).[٧]

تعليق: نستذكر تعليق ابن الأنباري السابق على (رقم ٤): «وهذا قبيحٌ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما وكُثرت الآياتُ والقصص»، ونضيف، بل إن هذا الكلام أكثر قباحةً، لأن الكلام طال أكثر وأكثر فيما بينهما.

٦. أن جواب القسم هو الآية ‹إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ› (الآية ٦٤)، وهو قول الكسائي.[٨]

تعليق: إذا كان ابن الأنباري أنكر أن يأتي الجواب في (الآية ١٤)، فتعليقه على القول بأن الجواب قد جاء بعد ٦٤ آية هو: «وهذا أقبحُ من الأوّل، لأن الكلام أشدُّ طولاً فيما بين القسم وجوابه».[٩]

ونتساءل: هل يوجد تخبط أبعد من هذا في معرفة جواب القسم؟

(انظر جدول «من الأقسام الغريبة في القرآن»، في سورة العصر).

٣٨: ٢

- قراءة الجماعة: ‹عِزَّةٍ›.[١٠]
- وقرأ حماد بن الزبرقان، وعمرو بن العاص وآخرون: «غِرَّةٍ».[١١]

  - يذكر المفسرون أن «الكفار» لما سمعوا بالقرآن استكبروا عليه وعاندوه وخالفوه؛ حيث ذكر ابن كثير: ‹فِي عِزَّةٍ› أي: «استكبار عنه وحمية».[١٢]
  - أما قراءة حماد «غِرَّةٍ»، عند الزمخشري أي: «في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق».[١٣]

---

٥. القرطبي، تفسير ١٨: ١٢٥.
٦. نفس المصدر.
٧. القرطبي، تفسير ١٨: ١٢٥.
٨. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٤٢.
٩. القرطبي، تفسير ١٨: ١٢٥.
١٠. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٧٥.
١١. نفس المصدر.
١٢. ابن كثير، تفسير١٢: ٧١.
١٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٤١.

www.christianlib.com

كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن
جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا
وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ
ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا
يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم
مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ

إذا كانت ‹عِزَّةٍ› تعني «تكبر وامتناع عن قبول الحق»، كما فسرها القرطبي،[١٤] تصبح هناك إشكالية؛ لأن العزة هي من صفات الله، والرسول، والمؤمنين؛ كما توضح الآية: ‹...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ› (المنافقون ٦٣: ٨).

إذًا، فالأقرب لمعنى ‹عِزَّةٍ› كما ذكر ابن منظور: «الشدة والقوة»،[١٥] وبذلك، وكما رأينا، تحتمل قراءة الجماعة أكثر من معنى، أما قراءة حماد، فهي أكثر ترجيحًا من قراءة الجماعة وملاءمة للسياق؛ لأنها تحتمل معنى واحدًا الذي هو الغفلة، ورغم إنكار ابن الأنباري لهذه القراءة «غِرَّةٍ»، واتهام ابن المقفَّع أنه هو من صحّفها،[١٦] إلا أن كبرى المراجع الإسلامية لم ترفض هذه القراءة.[١٧] ومن الواضح أن الاختلاف بين القراءتين ليس إلا نتيجة لخلو المصاحف من التنقيط.[١٨]

١٤. القرطبي، تفسير ١٨: ١٢٥، قارن ابن كثير، تفسير ١٢: ٧١.
١٥. ابن منظور، لسان العرب ٢٩٢٦.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٧٥. و«المُصَحِّف والصَّحفيُّ: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف» و«الصَّحفيُّ الذي يُخطئ في قراءة الصحف» (ابن منظور، لسان العرب ٢٤٠٥، وانظر هامش رقم ١).
١٧. انظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٣٦٧، الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٤١، الجوزي، زاد المسير ٧: ٩٩.
١٨. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

٣٨: ٣

- قرأ الجمهور: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾.[١٩]
- وقرأ أبو عبيد القاسم بن سلام: «وَلاَ تَحِينَ»، بالوقف على «لاَ».[٢٠]

افترض سيبويه أن «لات» تعمل عمل «ليس».[٢١] أما الفراء فقد ذهب إلى أن ««لات» هنا حرف جر»،[٢٢] مما يدل على أن علماء الإسلام احتاروا في هذه الكلمة «لات»، ولكن الغريب أنهم لم يجدوا صعوبة في تشكيلها في الآيتين التاليتين: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ...﴾ (الأنعام ٦: ١٣٤)، و﴿...فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت ٢٩: ٥).

أما أبو عبيد، فقد وقف في قراءته على «لاَ» في هذه الآية، لأنه يعتقد أن التاء متصلة بالحاء «تـحين»، بل ذهب «إلى أنها في الإمام «تحين»»،[٢٣] وقد أكد السخاوي هذه القراءة بقوله إنه شاهدها كذلك في مصحف الإمام (مصحف عثمان).[٢٤] وذهب إلى ذلك النشار بقوله: «رسمت في مصحف الإمام عثمان متصلة بالحاء، وفي مصاحف الحجاز منفصلة».[٢٥] إلا أن الزمخشري قد اعترض على هذا الطرح بقوله: «وأمّا قول أبي عبيد: إنّ التاء داخلة على حين فلا وجه له، واستشهاده بأنّ التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به، **فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط**».[٢٦] فهل يعني هذا أنه أثناء كتابة مصحف الإمام، وقع خطأ سهوًا بإلصاق التاء بالحاء واسْتُدرك هذا الخطأ في مصاحف الحجاز، أو ممكن أن يكون قد أخطأ الكُتّاب في نقل ما جاء في مصحف الإمام، إلى مصاحف الحجاز.

---

١٩. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٧٦.
٢٠. نفس المصدر ٨: ٧٧.
٢١. نفس المصدر.
٢٢. نفس المصدر ٨: ٧٦.
٢٣. نفس المصدر ٨: ٧٨.
٢٤. حاشية الخطيب، معجم القراءات ٨: ٧٧.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٧٨.
٢٦. الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٤٢. التشديد لنا.

www.christianlib.com

مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾
وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ
ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾
وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ
يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا
مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ
إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ
نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ
أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً
فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟
يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ
ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ

www.christianlib.com

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ
كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ
أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾
إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ
ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا
بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ
أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ
مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ
وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ

٣٨: ١٧

الأمر لمحمد بالصبر نسخ بالمدينة لاحقًا بحكم القتال كما جاء عن النحاس، الذي لا يحدد النصوص الناسخة بالتحديد،[٢٧] فبالنسبة إليه روح الآية نسخ بالكثير من الآيات التي تحرض على القتال.

بعضهم رأى أن الآية محكمة لأنها تحتوي على تعليم تأديبي لمحمد.[٢٨]

٢٧. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦٠٦.
٢٨. نفس المصدر.

www.christianlib.com

أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا
فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ
عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم
بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ
إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ
لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا
يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ
أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن
نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾
هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ
مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبًا

٣٨: ٤٤

تقول التفاسير إن أيوب غضب على زوجته (تختلف المصادر حول سبب غضبه)، فأقسم أن يضربها مئة جلدة. ولكي يتمكن من البر بقسمه، أُوحيَ إليه أن يأخذ مئة غصنٍ ويضرب زوجته ضربةً واحدةً. وبذلك لم يحنث أيوب بقسمه.[٢٩]

هذا التفصيل غير موجود في العهد القديم وهو المصدر الذي تناول سيرة أيوب. ثم إن أيوب مثال في الصبر. ففي أوج المحن المتلاحقة عليه قال لزوجته المتبرّمة في إحدى المرات: «تَتَكَلَّمِينَ كَلامًا كَإِحْدَى الجَاهِلاتِ! أَالخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لا نَقْبَل؟».[٣٠] ونعتقد أن هذا التزييف التاريخي

٢٩. الطبري، تفسير ٢٠: ١١٢.
٣٠. سفر أيوب ٢: ١٠.

www.christianlib.com

جرى بقصد سن قواعد ضد الزوجة، لأن المفسرين اعتبروا أن في الآية جوازًا إضافيًا للرجل أن يضرب امرأته تأديبًا لها؛[٣١] وبالتالي، فإن هذا الشرح يعزز بشكل أكبر تشريع ضرب الزوجة، الذي جاء حاسمًا في سورة (النساء ٤: ٣٤).

٣٨: ٤٨

(راجع الحديث عن شخصية ذي الكفل، في التعليق على (الأنبياء ٢١: ٨٥)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ٣٤٣).

٣٨: ٥٣

- القراءة الشائعة: ‹تُوعَدُونَ›.
- وقرأ ابن كثير وأبو عمر وابن محيصن وغيرهم: «يُوعَدُونَ»، بياء الغيبة.[٣٢]

جاء السياق فيما سبق هذه الآية بصيغة الغائب والضمير هم يعود على «المتقين» المذكورين في (الآية ٤٩)، وبالتالي فمن المرجح أن تكون بنفس الصيغة أي «يُوعَدُونَ»، مما يعطي سلاسة في التعبير. لكن باستخدام تاء الخطاب ‹تُوعَدُونَ›، صار لا بد من الالتفات لتبرير استخدام هذه الصيغة؛ حيث يصبح التقدير: «أيها المؤمنون»،[٣٣] فتحول الحديث فجأة من الوعد للغائبين، إلى المـُخاطبين.

٣٨: ٥٧

- القراءة الشائعة: ‹وَغَسَّاقٌ›.
- وقرأ ابن كثير ونافع وغيرهما: «وَغَسَاق»،[٣٤] بالتخفيف.

اختلف المفسرون في معنى كلمة ‹غساق›، (انظر التعليق على كلمة «غسلين» في مقال «حبر الأمة والأحجيات الأربع»، صفحة ٥٠).

---

٣١. القرطبي، تفسير ١٨: ٢١٨.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١١٣، الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٧٦.
٣٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١١٣.
٣٤. نفس المصدر، وانظر الزمخشري، الكشاف ٥: ٢٧٦.

www.christianlib.com

بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا
فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم
مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ
لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ
ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ
يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ
لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ
وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ
بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن
نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ
لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠
مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

www.christianlib.com

٣٨: ٧٠

إعلان من جانب محمد أنه مجرد نذير فحسب. وقد نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٣٥]

يرفض ابن الجوزي القول إن الآية منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥) على اعتبار أن لا تعارض بين الإنذار والقتال.[٣٦]

٣٨: ٨٨

تقول الآية إنه سيظهر لقريش صدق محمد فيما بعد، وقد قيل إن الآية نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٣٧]

ابن الجوزي يرفض القول إن الآية نسخت بآية السيف لأن الآية تحتوي على وعيد بعقاب، وهذا لا يمنع من القتال.[٣٨]

٣٥. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٦.
٣٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٣٩. قارن ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٢.
٣٧. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٦.
٣٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٠.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــــة

جاءت تسمية السورة بالزمر من وقوع لفظة «زُمَر» (آية ٧١ و٧٣) في هذه السورة دون غيرها من السور. ولها تسمية غير شائعة هي «سورة الغرف»، بسبب اشتمالها على لفظة ‹غرف› (آية ٢٠) (ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٣١١).

السورة مكية، وإن كان يوجد قول يفيد إن الآيات (٥٣ ـ ٥٥) مدنية، وقيل بل إلى سبع آيات ارتباطًا بقصة عن سبب نزولها، وهو أمر يرفضه ابن عاشور (ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٣١١).

وثمة من ربط الآية (٥٣) بقصة «وحشي» قاتل حمزة، فقال إنها مدنية (على سبيل المثال، ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٣١١)، وهو قول يرفضه ويري، إذْ يجد أن سياق الآية ينسجم مع ما قبلها التي تتعلق بتوبة الوثنيين، وأن سياقها الطبيعي يدفعه لاعتبارها مكية أيضًا (Wherry 3: 387-388).

وثمة آراء تقول إن الآيتين (١٠ و٢٣) مدنيتان. وبالتالي لدينا تسع آيات محل خلاف بشأن مكيتها أو مدنيتها (ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٣١١ ـ ٣١٢).

بناءً على لغتها وطابعها السلمي، يقدر ويري أن السورة جاءت عشية الهجرة الأولى إلى الحبشة، أي حوالي السنة الرابعة من دعوة محمد (٩ قبل الهجرة) (Wherry 3: 388).

تصف السورة القرآن بصيغ مختلفة:

- ‹تَنزِيلُ الْكِتَابِ› (آية ١)
- ‹أَحْسَنَ الْحَدِيثِ› (آية ٢٣)
- ‹الْقُرْآنِ› (آية ٢٧)
- ‹الْكِتَابَ› (آية ٤١)
- ‹أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم› (آية ٥٥)
- ‹آيَاتِي› (آية ٥٩).

من مواضيعها

- تتميز السورة بتكرار دعوى محمد بالنبوة: (الآيات ٢، ١٢ ـ ١٤، ٤١، ٦٥).
- البرهنة على وحدانية الإله (الآيات ٣ ـ ٤، ٤٣ ـ ٤٤).
- إنذار من رفض الإسلام (الآيات ٢٤ ـ ٢٦، ٧١ ـ ٧٢).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ
فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ
فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ لَّوۡ أَرَادَ
ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ
ٱلۡقَهَّارُ ٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ
بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ
فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ
ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ٧ ۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن
سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨ أَمَّنۡ هُوَ
قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ
يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩

www.christianlib.com

٣٩: ٣

- القراءة الشائعة: ‹مَا نَعْبُدُهُمْ›.[١]
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم: «قالوا مَا نَعْبُدُهُمْ»،[٢] بزيادة «قالوا».

بدأ صاحب القرآن يخبر عن الذين اتخذوا من دونه أولياء، ثم انتقل الحديث فجأة بلسان أولئك ‹الذين اتخذوا من دونه أولياء›، مما حدا ببعض المفسرين أن يبحثوا عن مبرر لذلك الالتفات المفاجئ، فعلى سبيل المثال يذكر الطبري: «وإنما حسُن ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول- مضمرًا كان أو ظاهرًا- جُعلَ الغائب أحيانًا كالمخاطب، ويُترَكُ أخرى كالغائب»،[٣] فلِمَ كل هذا الالتفات والتعقيد! ومادام هناك قراءة سهلة وواضحة كقراءة ابن مسعود وابن عباس وغيرهما «قالوا مَا نَعْبُدُهُمْ...»، علمًا بأن هذه القراءة وردت في مصحف ابن مسعود.[٤]

٣٩: ٣

تشير الآية إلى اختلاف العقائد وتقول إن الله سيحكم بين أصحاب مختلف الملل. وفيها رأيان:

الأول: اعتبر شارحون إن الحكم المشار إليه هنا هو الحكم في الدنيا، وبالتالي فالآية باتت منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٥]

الثاني: قال آخرون إن حكم الله يقصد به الحكم في الآخرة، وبالتالي لا وجه للنسخ، فالآية محكمة.[٦]

---

١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٣٥.
٢. القرطبي، تفسير ١٨: ٢٤٧، وانظر الطبري، تفسير٢٠: ١٥٦.
٣. الطبري، تفسير٢٠: ١٥٦-١٥٧.
٤. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٣٤.
٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤١. قارن ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٧.
٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤١.

www.christianlib.com

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ
أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾
لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ
يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ
ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ
ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ
ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ
عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى

www.christianlib.com

ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي
بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ
ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٣٩: ١٣

يُطلب من محمد أن يقول للمشركين الذين يدعونه لمشاركته إياهم بالعبادة أن يرد عليهم أنه يخشى الله. وهذا ما نُسخ ـ حسب بعض الأقوال ـ بالآية: ‹لِيَغفِر لَكَ الله مَا تقدم من ذَنْبك وَمَا تَأَخّر› (الفتح ٤٨: ٢).[٧]

أما ابن الجوزي فهو يرفض مقولة نسخ الآية على اعتبار أن الآية خبر، وهو ليس محلاً للنسخ.[٨]

٣٩: ١٥

في الآية إباحة عبادة غير الله. وقد نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٩]

يرفض ابن الجوزي هذا الرأي لأن الآية تحتوي على تهديد ـ وإن كان شكلها أمر ـ ويغلّط من قال بالنسخ لأنه ظن أنه أمر.[١٠]

٧. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٢، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٢.
٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٢.
٩. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٧.
١٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٢.

www.christianlib.com

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ
بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ
بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن
يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

٣٩: ٢٨

تقول الآية إن القرآن جاء في لغة عربية محضة (لمناقشة هذه الجزئية، انظر التعليق على (يوسف ١٢: ٢) في المجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ١٠٨، وأيضًا جدول «الكلمات الأجنبية في القرآن بحسب السيوطي»، صفحة ٤٥٣). ثم تصفه بأنه: ‹غير ذي عِوَجٍ›، أي غير «ذي لَبسٍ».[١١] والقراءة المتأنية بالتفاصيل التي استعرضناها في هذا المجلد والمجلدات السابقة تجيب، ولا شك، على سؤال «هل القرآن ‹غير ذي عِوَجٍ› أم لا؟».

١١. الطبري، تفسير ٢٠: ١٩٦.

www.christianlib.com

٣٩: ٣٣

- القراءة الشائعة: ‹وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ›، بتشديد الدال.
- وقرأ ابن مسعود: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ».[١٢]
- وقراءة أخرى لابن مسعود: «وَالَّذِين جَاؤوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ».[١٣]

كثر تأويل المفسرين عن: مَنِ الذي جاء بالصدق، وما هو الصدق، ومن هو المصدّق. وارتأينا تلخيص هذه الأقوال على ضوء ما جاء به الطبري[١٤] فيما يلي:

القائل	وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ	الصدق	وَصَدَّقَ بِهِ
ابن عباس	من جاء بلا إلهَ إلا اللهُ	لا إلهَ إلا اللهُ	رسوله
علي بن أبي طالب	محمد	-	أبو بكر
قتادة	رسول الله	القرآن	المؤمنون
ابن زيد	رسول الله	-	المسلمون
السديّ	محمد	-	محمد
مجاهد	الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة	القرآن	الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة
ابن مسعود	جماعة	-	جماعة
آخرون	المؤمنون، ورسول الله، ومن دعا إلى التوحيد	القرآن، و لا إلهَ إلا اللهُ	المصدقون، وأبو بكر، والمؤمنون

من المنطقي أن الذي جاء بالصدق يكون قد صدَّقَهُ قبل أن يأتي به، ومن الطبيعي أنه جاء بالصدق لغيره حتى يصدقوه، حيث إن هذا هو الهدف من مجيء الصدق، وبما أن تتمة الآية ‹**أولئك هم المتقون**› تخبر بصيغة الجمع عمَّن صدقوا به، فلهذا توافق قراءتا ابن مسعود هذا المعنى لأنهما جاءتا بصيغة الجمع، وبالتالي فهما أكثر ترجيحًا من القراءة الشائعة للقرآن.

ونتساءل: هل من الممكن بعد كل ما اتضح من التباس صحابة محمد المعاصرين واختلافهم الواضح في معنى ثلاثة تعبيرات في الآية، يمكن الزعم بأنه قرآن غير «ذي لَبسٍ»؟

١٢. ابن خالويه، مختصر ١٣٢.
١٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ٣٠٥-٣٠٦.
١٤. الطبري، تفسير٢٠: ٢٠٤-٢٠٧.

www.christianlib.com

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ
فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ
كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾
قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا
لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ
مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا

www.christianlib.com

٣٩: ٣٩

في النص يُطلَب من محمد أن يعلن للمشركين أن لهم العمل على طريقتهم، أما هو فسيعمل وفق منهجه. وتحتوي الآية على تهديد آخروي بقولها: ﴿فَسَوف تعلمُونَ﴾.

وقد اُختلف بشأنها:

القول الأول: إنها منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[١٥]

القول الثاني: إنها محكمة: إذ يضع ابن الجوزي احتمال أن الآية تحتوي على تهديد ووعيد وبالتالي لا نسخ فيها.[١٦]

٣٩: ٤١

تعتبر الآية أن المرء مسؤول عن نتائج أفعاله وليس لأحد أن يحاسبه، وقد رأى فريق من العلماء المسلمين إنها منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[١٧]

يتحفظ ابن الجوزي على القول بنسخ الآية[١٨] على اعتبار أن محمدًا ليس له أن يُدخِل الإيمان في قلوب المشركين، ولكن هذا لا يتعارض مع القتال!

٣٩: ٤٦

يُطلب من محمد أن يسأل الله خالق الكون أن يحكم بينه وبين المشركين. وقد نُسخت هذه الآية بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[١٩]

يرفض ابن الجوزي اعتبار الآية منسوخة، لأن إبطال حججهم في الآخرة لا يتنافى وقتالهم في الدنيا.[٢٠]

١٥. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٧.
١٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٣.
١٧. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٨، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٣.
١٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٣.
١٩. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٣.
٢٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٣.

www.christianlib.com

٣٩: ٥٣

- القراءة الشائعة: ‹إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا›.
- قرأ ابن عباس وابن مسعود: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لمن يشاء»، وهي كذلك في مصحفه.[٢١]
- وقرأ النبي وفاطمة وأسماء وغيرهم: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ولا يبالي».[٢٢]

لم ترد صيغة القراءة الشائعة للقرآن ‹إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا›، بالقول إن الله يغفر كل الذنوب، دون شرط المشيئة، إلا في هذه الآية. إلا أننا نجد في سبعة مواضع أخرى بالقرآن أن هذا الغفران مرتبط بمشيئته، كما قرأ ابن عباس وابن مسعود. وهي كالتالي:

الآية	النص
البقرة ٢: ٢٨٤	لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ **فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
آل عمران ٣: ١٢٩	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ **يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
النساء ٤: ٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ **وَيَغْفِرُ** مَا دُونَ ذَلِكَ **لِمَنْ يَشَاءُ** وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
النساء ٤: ١١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ **وَيَغْفِرُ** مَا دُونَ ذَلِكَ **لِمَنْ يَشَاءُ** وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
المائدة ٥: ١٨	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ **يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ
المائدة ٥: ٤٠	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ **وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
الفتح ٤٨: ١٤	وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

٢١. القرطبي، تفسير ١٨: ٢٩٦.

٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٧٣، وانظر ابن خالويه، مختصر ١٣٢.

www.christianlib.com

تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ
أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ

أما القراءة الأخيرة لمحمد وفاطمة: «إِنَّ اللَهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ولا يبالي»، فقد جاءت بتعبير غريب يصف الله بأنه لا يبالي بالشرور والذنوب، أي لا يهتم! حيث يقال: «بالَى بالشيء يُبالي به إذا اهْتَمَّ به».[٢٣]

ونحن نتساءل: كيف لا يبالي الله إن كان قد قال في (النساء ٤: ٤٨، ١١٦) إنه ‹لا يغفر أن يشرك به›؟

وخلاصة القول: فقراءة كلٍ من ابن عباس وابن مسعود هي الأرجح ومتوافقة تمامًا مع ما جاء في القرآن عمومًا، على العكس من القراءة الشائعة.

٣٩: ٥٦

- القراء الشائعة: «يا حسرتي».
- قرأ الجمهور: «يا حسرتا».[٢٤]
- وقرأ أبو جعفر، والحسن وابن جماز وآخرون: «يا حسرتي».[٢٥]
- وقرأ ابن كثير: «يا حسرتاه».[٢٦]

٢٣. ابن منظور، لسان العرب ٣٥٥.
٢٤. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٤١٧، انظر الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٧٥.
٢٥. نفس المصادر.
٢٦. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٧: ٤١٧.

www.christianlib.com

لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا
وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ
وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ
مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ
سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾
وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ
بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا
يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ
أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ
رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ
ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

www.christianlib.com

رسم المصحف ‹يَحَسْرتى› لا يوافق قراءة الجمهور، ولا قراءة ابن كثير؛ لعدم وجود ألف المد بعد التاء. والقراءة الأرجح والتي توافق رسم المصحف، هي قراءة أبي جعفر، والحسن. كما أن سياق الحديث في الآية التالية ‹هَدَانِي›، يؤكد هذه القراءة.

٣٩: ٦٥

- قراءة الجمهور: ‹لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ›.[٢٧]
- وقرئ: «لَيُحْبِطَنَّ عَمَلَكَ»،[٢٨] والفاعل هنا هو الله أو الشرك».[٢٩]
- وقرأ ابن محيصن من طريق المعدل: «لَتُحبِطَنَّ»،[٣٠] والفاعل هنا هو محمد نفسه.
- وقرئ كذلك: «لَيُحْبَطَنَّ عَمَلُك» على البناء للمجهول،[٣١] والفاعل هنا غير معروف.
- وقرأ أبو عمران وابن السميفع وغيرهما: «لَنُحبِطَنَّ عملكَ»،[٣٢] والفاعل هو الله.[٣٣]

اختلف الفاعل في هذه القراءات، فتارة هو الله، وتارة هو الشرك الذي يسبب هذا الإحباط، وأخرى محمد، وفي بعض القراءات يكون الفعل مبنيًا للمجهول. وكل هذه القراءات مقبولة، إلا أننا نرجح أنها جاءت بسبب عُري المصاحف الأولى من التنقيط والتشكيل.[٣٤]

٣٩: ٧١ـ٧٥

نجد في هذه الفقرة صورة من يوم الحساب. حيث تحكي لنا هذه الآيات عن دخول فئتين: الأولى للنار، والثانية للجنة. وهذه الفقرة مفهومة، والصورة واضحة، ولكن عندما نقرأها بعين اللغوي، يظهر لنا عيبان خطيران، كما لاحظ عباس عبد النور:

---

٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٨٥.
٢٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٣١٩.
٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٨٥.
٣٠. نفس المصدر ٨: ١٨٦.
٣١. الرازي، تفسير٢٧: ١٣-١٤، قارن الزمخشري، الكشاف ٥: ٣١٩، والخطيب، معجم القراءات ٨: ١٨٥.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٨٦.
٣٣. نفس المصدر.
٣٤. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥

ضعف المعنى والمبنى في الزمر ٧١-٧٤

هناك عدم توازٍ بين الآيات التي تصف دخول الذين كفروا إلى جهنم ودخول الذين اتَّقوا. فعندما سيق الذين كفروا إلى جهنم ووصلوا إليها فُتحت لهم أبوابها. فالوصول أدّى إلى فتح الأبواب. أي لقد جاءت المقدمة (الوصول) وتبعتها النتيجة في الحال. ولكن ذلك لم يحدث ما يوازيه للذين اتَّقوا: فالآيات التي تصف وصول هؤلاء هي... مجموعة مقدّمات بلا نتيجة، وإن كانت النتيجة معروفة بالاستنتاج. النتيجة في الآيات الأولى معروفة لفظًا واستنتاجًا، وأمّا في الآيات المتبقّية فالنتيجة معروفة استنتاجًا فقط...

في الآية الأولى يأتي الجواب في الحال: «حتّى إذا جَاؤوها فُتِحَتْ أبوابُها». بينما لا جواب في الآية لدخول حرف العطف: «حتى... وفتحت» فكيف انزلقت هذه الواو الثقيلة هنا؟ يقولون إنّها زائدة، ولكنها زيادة على حساب أهل الجنّة المتلهّفين لمعرفة مصيرهم! فإذا فعلتُ ذلك، أنا وأنت عُدَّ تقصيرًا منّا، ولكن إذا فعله القرآن فهو إعجاز.

والعيب الثاني في هذه الآيات هو الفعل «سيق» الذي يستعمل للدواب ولا يجوز تطبيقه على الإنسان. فكما يُساق الحمير والبغال والماشية على أنواعها، هكذا يُساق البشر في القرآن. وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل لقد سُوِّيَ في هذا الاستعمال الظالم بين «الذين كفروا» و«الذين اتقوا»، وهي تسوية أمعن في الظلم، وفيها احتقار شديد للذين «اتّقوا». فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ أم أنّ في الأمر هنا حكمةً خفيت على العقول والأذهان؟

(عباس عبد النور، محنتي مع القرآن ١٦١ ـ ١٦٢)

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمة

في المصادر يرد لها عدة أسماء: «سورة غافر»، لوصفها الله ‹غَافِرِ الذَّنبِ› (آية ٣)، و«سورة المؤمن»، لأن فيها قصة رجل مؤمن من آل فرعون (آية ٢٨). وسُميت «سورة الطَول»، لقول الآية (٣): ‹ذِي الطَّوْلِ›، ولكن هذا الاسم نُسي (ابن عاشور، تفسير ٢٤: ٧٥).

السورة مكية، ولكن لدينا رواية تستثني الآية (٥٥): ‹وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ› معتبرة أن الآية تتصل بالصلوات الخمسة، وهي الفريضة التي شرعت بالمدينة. وهذا رأي يرفضه ابن عاشور لأمرين: (١) لأن منطوق الآية لا يشير إلى موضوع الصلوات الخمس؛ (٢)، ولو فرضنا أن الآية تشير إلى ذلك فعلاً، فإن الصلوات الخمس فُرضت في مكة (ابن عاشور، تفسير ٢٤: ٧٥).

الآيات من (٥٧) إلى النهاية تنتهي بالفاصلة: «ون» أو: «ين»، بينما في القسم الأول (الآية ٥٦ وقبلها)، فإن تنوعًا كبيرًا بالفواصل، ثم إن الجزئين لا يتعلقان أحدهما بالآخر من ناحية المضمون، مما يضع إمكانية أن «لكل منهما أصلاً مختلفًا» (نولدكه، تاريخ ١٣٧ ـ ١٣٨). وربما كان مبرر جمع هذين الجزئين أن العبارة: «جادل في آيات الله» (آيات: ٤، ٥، ٣٥، ٥٦)، قد وردت في الجزء الثاني (آية ٦٩) (نولدكه، تاريخ ١٣٨).

يقدر أن تاريخ السورة تعود للسنة الخامسة من دعوة محمد (أي ٧ قبل الهجرة) (Wherry 3: 401).

يبدو أن محمدًا يرد في السورة على اتهامات موجهة له بالافتراء والسحر، فقال إنه هناك من تعرض للتكذيب قبله (آية ٥)، وأن ثمة من أُتهم بأنه ساحر من قبل (آية ٢٤).

في السورة مطالبة لمحمد أن يستغفر (آية ٥٥).

الشخصية المحورية في السورة هي شخصية نبي الله موسى.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ
ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ مَا يُجَٰدِلُ
فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ
وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥
وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦
ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ
تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ
عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ
مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ
أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن
سَبِيلٖ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ
تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ
مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ

www.christianlib.com

٤٠: ٦

﴿كَلِمَةُ﴾، «كَلِمَات»؛ راجع بحث التاء المربوطة في (يونس ١٠: ٣٣) في المجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ٥٧.

٤٠: ٧

نلاحظ في الآية أمرين:

أ. تُصور الآية الله على عرشٍ تحمله الملائكة، ومن حول العرش ملائكة تسبح. أي أن الآية تصور الله في هيئة جسم محدود في المكان. وهذا يتعارض مع قول القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى ٤٢: ١١).

ب. تقول الآية إن الملائكة يسبحون لله ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. وهذا وصف زائد، أو قولُ ما لا حاجة له بصدد الملائكة التي تدور حول العرش، وتسبح بحمد الله أصلاً. ثم إن المأثور الإسلامي يقول عن حَمَلة العرش إنهم «أشرافُ الملائكة وأفضلهم»، وعلى سائر الملائكة «أن يَغْدُوا ويروحوا بالسّلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة»[١] فأي بلاغة توجد في تأكيد إيمان هؤلاء الملائكة؟

٤٠: ١٤

في الآية إعلان أن الحكم متروك لله. وقد نسخ هذا الإعلان بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٢]

٤٠: ١٥

- قراءة الجمهور: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.[٣]
- وقرأ محمد بن السميفع اليماني: «لِيُنْذَرَ يَوْمُ»،[٤] والفعل هنا مبني للمجهول».[٥]
- وقرأ ابن عباس والحسن وغيرهما: «لِتُنذِرَ يومَ التلاقِ»،[٦] والخطاب للرسول.[٧]

---

١. القرطبي، تفسير ١٨: ٣٣٠.
٢. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٨.
٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٠٦.
٤. الزمخشري، الكشاف ٥: ٣٣٦.
٥. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٠٦.
٦. القرطبي، تفسير ١٨: ٣٣٩.
٧. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٠٧.

www.christianlib.com

لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ١٧ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ
مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا
تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا
يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ
أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ
سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٖ ٢٥ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي
عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ

www.christianlib.com

اختلف الفاعل في هذه القراءات كذلك، (انظر التعليق على قراءات (الزمر٣٩: ٦٥)، صفحة ٢٩٩) فتارة هو الله كما في قراءة الجمهور، وفي قراءة ابن السميفع فالفاعل مبني للمجهول، وأما قراءة ابن عباس فالفاعل هو محمد. وكل هذه القراءات مقبولة، مع اختلاف المعنى في كل حالة من الله لمحمد لمجهول، إلا أننا نرجح أنها جاءت بسبب عُري المصاحف الأولى من التنقيط والتشكيل.[٨]

٤٠: ٢٥

يعطي السياق علامات من الله للمؤمنين، كما يبين نية فرعون أن يقتل موسى عندما يصبح نبيًا! لكن هذا الترتيب الزمني يتناقض مع (طه ٢٠: ٣٨-٣٩) و (القصص ٢٨: ٤-٧)، حيث إن حياة موسى كانت في خطر وهو رضيع صغير، وخبأته أمه في النهر لحمايته من مرسوم فرعون القاضي بقتل أطفال بني إسرائيل. (لمزيد من النقاش حول هذه المقاطع المتناقضة فيما يتعلق بتوقيت تهديد فرعون لحياة موسى، انظر التحليل النقدي لـ (لأعراف ٧: ١٢٧) في المجلد الأول من هذا الكتاب).

٤٠: ٢٦

- القراءة الشائعة: ‹أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ›، بضم الياء من «أظهر».[٩]
- وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي وغيرهما: «أَنْ يَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ»، بفتح الياء من «ظَهَر»، ورفع الفساد.[١٠]

القراءتان تتقاربان في المعنى، إلا أن القراءة الشائعة تفيد أن موسى هو من يُظهِر الفساد بسحره كما اعتقد فرعون، أما قراءة ابن كثير ومن قرأ بقراءته فتفيد أن الفساد سيظهر من جراء قبول طلب موسى بخروج بني إسرائيل من مصر، وخشية فرعون من «أَنْ يَظْهَرَ» أي تمرد مماثل بين المصريين فيما بعد. أما كون فرعون يخاف أن يبدل موسى عقيدة المصريين، فالأمر يتعارض مع الواقع التاريخي، إذ لم يحاول موسى، ولا يوسف من قبله، ولا غيرهما، دعوة المصريين لعبادة الله. فالأمر يخص خروج بني إسرائيل من أرض مصر فقط، وما يؤكد ذلك أن ديانة بني إسرائيل منذ نشأتها لم تكن ديانة تبشيرية.

---

٨. الداني، المحكم ٢، ١٨.

٩. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢١٤.

١٠. حاشية الطبري، تفسير٢٠: ٣٠٩، الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢١٤.

www.christianlib.com

رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا
مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن
يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ
وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ
فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ

www.christianlib.com

ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ

٤٠: ٣٠

يقول شخص من حاشية فرعون لقومه، وهو رجل يكتم إيمانه، إنه يخاف عليهم مثل «يوم الأحزاب». والمرء لا يعلم ما هو هذا اليوم الغامض. وقد قال المفسرون، ومنهم الطبري إنه يوم تحزّب فيه قوم نوح وهود وصالح على رسل الله «فأهلكهم الله بتحزُّبهم عليهم».[١١]

ولكن مفسرين آخرين قالوا إن يوم الأحزاب معناه «أن كل حزب [أي فريق] كان له يوم معين في البلاء».[١٢] بينما يقول الزمخشري: «إن كل حزب منهم كان له يوم دمار».[١٣]

لا معنى للشرح لدى الطبري، فأي حلف أقام أولئك الأقوام، وما المشترك في هذا التحزب؟ كما أن وصف يوم الأحزاب بيوم البلاء، لا يستقيم لغةً، لأن التحزب بالعربية يعني الاتحاد على موضوع معين.

٤٠: ٣٤

وُصفَ يوسفُ في هذه الآية بأنه حامل رسالة. وهذا التفصيل لا يتطابق مع المصدر الذي عالج قصته، أي التوراة. فالقرآن أخذ مسائل كثيرة من الأدب الحبري، الذي يشغل يوسف مكانًا مهمًا فيه، ولكن القرآن وضعه في مكانة رسول من الله.

(في شأن الرؤية القرآنية، راجع التعليق على سورة يوسف، الآيات: (١، ٢٥-٢٩، ٨٣، ٩٣، الصفحات ١٠٨، ١١٦، ١٢٨، ١٣٠ على التوالي، في المجلد الثاني من هذا الكتاب).

١١. الطبري، تفسير ٢٠: ٣١٤ ـ ٣١٥.
١٢. الرازي، تفسير ٢٧: ٦١.
١٣. الزمخشري، الكشاف ٥: ٣٤٥.

www.christianlib.com

يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ
وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ
عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ
لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ
سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ
ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ
ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا
مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ
فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ
مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ
وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ
إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾

www.christianlib.com

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

٤٠: ٥٢ ـ ٥٧

يحتوي هذا النص على مواضيع مختلفة، لا رابط بينها، حتى إن أحرف الربط بين الآيات تغيب، وكذلك العبارات الانتقالية:

١. آية ٥٢: حديث عن العقاب الآخروي.
٢. الآيتان ٥٣ ـ ٥٤: ذكر موسى ورسالته.
٣. الآيتان ٥٥ ـ ٥٦: نقرأ فيهما تشجيعًا لمحمد.
٤. الآية ٥٧: حديث عن ‹السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ›.

وهذا النص واحد من أمثلة التفكك في القرآن، وافتقاده الى التسلسل المنطقي.

٤٠: ٥٥، ٧٧

في الآية مطالبة لمحمد أن يتحلى بالصبر، وقد نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[١٤]

ابن الجوزي لا يوافق على وقوع النسخ هنا[١٥] على اعتبار أن التحلي بالصبر لا يمنع القتال.

١٤. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٣.
١٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٤.

www.christianlib.com

وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ
وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى

www.christianlib.com

ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾
مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ
يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن
قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ
وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ
ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

تسمى «حم السجدة»، لأنها تفتتح بحروف «حم»، وفيها سجدة من سجود القرآن. وسُميت بـ«سورة فصلت» لوقوع كلمة ‹فصلت› في أولها (آية ٣). كما ذُكر لها اسمان آخران، هما «سورة المصابيح» من الآية ‹وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ› (آية ١٢) و«سورة الأقوات» من الآية: ‹وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا› (آية ١٠) (ابن عاشور، تفسير ٢٤: ٢٢٧).

السورة مكية باتفاق علماء الإسلام (تفسيرابن عاشور ٢٤: ٢٢٨). وبناء على الأسلوب والمحتوي يمكن إرجاع السورة إلى السنة الثامنة قبل الهجرة، حينما كان المسلمون يلقون معارضة جادة من المكيين ولكنها معارضة لا تتسم بأي عنف مادي (Wherry 4: 2).

من مواضيعها

- الإشارة إلى أن القرآن من مصدر إلهي (الآيات ٢ ـ ٣، ٤١ ـ ٤٢)، أوحي بلغة عربية (آية ٣).
- إنذار الكافرين بمصير عاد وثمود (الآيات ١٣ ـ ١٧).
- الدلالة على الله من خلال المخلوقات كالشمس والقمر (آية ٣٧).
- الآخرة (الآيات ١٩ ـ ٣٢).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ
قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ
فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ
ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥

٤١: ٣

- قراءة الجماعة: ‹فُصِّلَتْ›، بضم الفاء وكسر الصاد مشددة.[١]
- وقُرئ: «فَصَّلَتْ»، بفتح الفاء والصاد،[٢] أي «فرقت بين الحق والباطل».[٣]
- وقُرئ كذلك: «فُصِلَتْ»، بتخفيف الصاد، وهي الأصل،[٤] مبني للمجهول.

لم ينف القرآن أن محمدًا تعلم من أعجمي، والجدير بالذكر أن المفسرين ذكروا شخصيات ساهمت في نقل المعرفة إلى محمد، وحددوا أشخاصًا من اليهود والنصارى، كان محمد يخالطهم ويجلس إليهم ويكلمهم، كبلعام الذي كان أهل مكة يرون محمداً «يدخل عليه ويخرج من عنده»، وكذلك سلمان الفارسي.[٥] وعلى افتراض أن محمدًا كان يتعلم المعاني من أعاجم، فقد ذهب الرازي إلى أن معجزة القرآن تتمثل في تعبيره عن هذه المعاني بلغة عربية فصيحة، فكتب «هب **أنه يتعلم المعاني من ذلك الأعجمي إلا أن القرآن إنما كان معجزًا لما في ألفاظه من الفصاحة**».[٦]

١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٦١.
٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٦١.
٣. الزمخشري، الكشاف٥: ٣٦٦.
٤. العكبري، إعراب القراءات ٢: ٤٢٥.
٥. ابن كثير، تفسير ٨ : ٣٥٥ - ٣٥٦ وانظر الطبري، تفسير ١٤ : ٣٦٥ - ٣٦٨ ، والزمخشري، الكشاف ٣ : ٤٧٤ ، والرازي، تفسير ٢٠ : ١١٩ والقرطبي، تفسير ١٢ : ٤٢٨ - ٤٢٩ .
٦. الرازي، تفسير ٢٠ : ١٢٠. التشديد لنا.

www.christianlib.com

وبالرجوع إلى كلمة ‹فُصِّلت› الواردة في الآية التي نحن بصددها، نجدها قد جاءت في ثلاثة مواقع بالقرآن:

- ‹الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ **فُصِّلَتْ** مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ› (**هود١١: ١**)
- ‹كِتَابٌ **فُصِّلَتْ** آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ› (فصلت٤١: ٣)
- **‹وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...› (فصلت٤١: ٤٤)**

والكلمة أتت بمعنى البيان والإيضاح، وهذا البيان والإيضاح من لغة أعجمية إلى لغة عربية، يسمى في اللغة المعاصرة بالترجمة. وهذا ما أوضحه المستشرق كريستوف لوكسنبورج.[٧]
مما يكشف لغز وجود بعض القراءات المختلفة التي تحمل مرادفات بنفس المعنى أو بمعنى قريب منه، وكمثال على ذلك نجد ما يلي:

(**الفرقان٢٥: ٦١**)، قراءة الجماعة: ‹**بُرُوجًا**›،[٨] وقرأ عبد الله بن مسعود: «**قُصُورًا**»[٩] دون تشابه في الحروف.

(طه ٢٠: ٤٠)، في قراءة الجماعة: ‹**فَرَجَعْنَاكَ**›،[١٠] بينما نجد في مصحف أُبَي بن كعب: «**فَرَدَدْنَاكَ**».[١١]

وما نلاحظه في هذه القراءات أن هاتين الكلمتين مترادفتان، وليس كباقي القراءات التي تختلف في التشكيل أو التنقيط أو التهميز.

وهنا يبرز التساؤل: هل كان في النص الأصلي للقرآن كلمات أعجمية تُرجمت إلى العربية من قبل القراء الأوائل، أمثال ابن مسعود وابن كعب، بمترادفات مختلفة؟

وما يدعو لهذا التساؤل ما ذكره السيوطي في الإتقان، عن وجود العديد من الكلمات الأعجمية التي ما زالت موجودة في النص الحالي للقرآن، وعلى سبيل المثال فكلمة «الرحمن» مفردة عبرانية، و«حواريون» مفردة نبطية.[١٢]

أما القراءات المختلفة هنا، فما هي سوى اختيار القراء لتشكيل كلمة ‹فصلت› لا أكثر، ولا أقل.

7. The Syro-Aramic Reading of the Koran, Christoph Luxenberg p. 109-111.

٨. انظر التعليق على قراءات (الفرقان٢٥: ٦١)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ٤٤٢.
٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٧١.
١٠. انظر التعليق على قراءات (طه ٢٠: ٤٠)، في المجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ٣١٥.
١١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٣٤.
١٢. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٤٨، ٩٥٠.

www.christianlib.com

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟
إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ
فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً
لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ
فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ
وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ
صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ

www.christianlib.com

٤١: ٦

- قراءة الجمهور: ‹قُل›، على الأمر.[١٣]
- وقرأ ابن وثاب والأعمش والمطوعي: «قال»، فعل ماضي.[١٤]

جاءت الكلمة في رسم المصحف ‹قل› بدون ألف المد، وبالتالي لا يمكن الجزم فيها هل هي: ‹قل›، أم «قال»؟ إن هذه الكلمة قد أتت في رسم المصحف ‹قل› في سورة الأنبياء وقرأها حفص ‹قال› (الأنبياء ٢١: ١١٢)، وقرأها الباقون «قل».[١٥]

وبالرجوع إلى الآية السابقة لها (فصلت ٤١: ٥) نجد توجيه الكلام من غير المصدقين لدعوة محمد إليه مباشرة ‹وَقَالُوا... مِمَّا تَدْعُونَا... بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ... فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ› أي أنه كان هناك حوار بينهم وبين محمد في تلك اللحظة، ومن الطبيعي أن يرد عليهم مباشرة، ومادام القرآن يخبرنا عن هذا الحوار فالأرجح أن تكون: «قال...»، أي محمد ردًا عليهم، كما ردَّ عليهم في سورة الأنبياء: ‹قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ› (الأنبياء ٢١: ٤)؛ ولاسيما أن كلمة ‹قَالَ› في (الأنبياء ٢١: ٤) قد وردت في العديد من المخطوطات ‹قل›، وعلى سبيل المثال: في مخطوطة القاهرة،[١٦] ومخطوطة طوب قابي،[١٧] وفي أكثر من مخطوطة من مخطوطات صنعاء،[١٨] وسياق تلك الآية يطابق تمامًا سياق الآية التي نحن بصدد دراستها، فلماذا كان لزامًا أن يتدخل صاحب القرآن ها هنا؟ أم أن عدم قدرة محمد على إقناعهم دفعه للهروب من هذا المأزق مدعيًا أن الله أمره أن يقول ماقاله؟

٤١: ١٠

قارن التعليق على (لقمان ٣١: ١٠)، صفحة ١٧٥.

---

١٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٦٣.

١٤. نفس المصدر، وانظر، الزمخشري، الكشاف ٥: ٣٦٨.

١٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٦٨.

١٦. مصحف المشهد الحسيني، المعروف بمخطوطة القاهرة ٥٥٤ ب.

١٧. مصحف طوب قابي، لآلتي قولاج ٢٠٣ ب، صفحة ٤١٠.

18. Sanaa Manuscript 155268-B, 123134-B

www.christianlib.com

فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ
ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ
عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ
أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم
مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ
إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ
فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا
مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ

www.christianlib.com

٤١: ١٩

- قراءة الجمهور: ‹يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ› الفعل مبني للمجهول.[١٩]
- ذكر الزمخشري أنه قُرئ: «يَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللهِ»[٢٠] مبني للمعلوم، والفاعل هو الله.
- وقرأ زيد بن علي ونافع وغيرهما: «نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللهِ»،[٢١] بنون التعظيم.

من المفترض أن الله وحده هو صاحب الحشر يوم القيامة، وإن لم يقم بهذا العمل بنفسه، وإنما هو صاحب الأمر في هذا، وفي قراءة الجمهور ‹يُحشَرُ› أي لا يُعرف من يحشر الناس، أو من هو صاحب الأمر في هذا، أما القراءة التي ذكرها الزمخشري «يَحشُرُ» فهي تحدد أن الله هو صاحب الحشر، ولكن قراءة زيد ونافع «نَحشرُ» بنون التعظيم، فهي بلا شك الأرجح لسببين:
الأول: لأنها بنون التعظيم، وهنا أكدت أن الله هو من يحشر.

الثاني: لأن صيغة الفعل متناسبة مع ما سبقها من أفعال، الله هو المتكلم فيها، مثلاً ‹لنذيقهم... فهديناهم...›.

٤١: ٢٨

- قراءة الجماعة: ‹ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ›.[٢٢]
- وقرأ ابن مسعود: «ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ»،[٢٣] على ترك «لَهُمْ فِيهَا».

يقول الطبري في ذكره لقراءة ابن مسعود: «ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار»،[٢٤] من وجوه البلاغة هو الاختصار في إيصال المعنى، فكما ذكر الطبري فقد كان هناك تأويل في قراءة الجماعة، بينما قراءة ابن مسعود بنفس المعنى ولكن باختصار ودون الحاجة للتأويل، لأن دار الخلد للمشركين هي النار، والنار هي دار الخلد، فلماذا إضافة «لَهُمْ فِيهَا»؟

١٩. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٧٤.
٢٠. الزمخشري، الكشاف ٥: ٣٧٨.
٢١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٢٧٤، القرطبي، تفسير ١٨: ٤٠٥.
٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٨ : ٢٨٠.
٢٣. الطبري، تفسير٢٠: ٤١٩.
٢٤. الطبري، تفسير٢٠: ٤١٩.

www.christianlib.com

أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ
وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ
تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ
أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ
مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

www.christianlib.com

فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن
رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞

٤١: ٣٤

في الآية مطالبة لمحمد أن يتجاوز عن أي إساءة ويرد على أي تصرف جاهل ردًا حليمًا.[٢٥] وقد أُعتبرت الآية منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٢٦]

إن النسخ هنا قد ألغى سلوكًا رفيعًا في التعامل مع الإساءات الاجتماعية. وهذا النسخ إلغاء لمبدأ أخلاقي نادر في القرآن.

٤١: ٤٢

معنى الآية: «لا يستطيع [الشيطانُ] أن ينتقص منه [أي القرآن]، أو حتى لا يستطيع الشيطان أن يزيد فيه حرفًا ولا ينقص».[٢٧] ولكن لدينا شواهد كثيرة تشير إلى النقصان في الكتاب، (راجع مقالة «جمع القرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب).

٤١: ٤٤

‹فُصِّلَتْ› انظر التعليق على (فصلت ٤١: ٣)، صفحة ٣١٦.

٢٥. الطبري، تفسير ٢٠: ٤٣٣.
٢٦. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٣، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٥.
٢٧. الطبري، تفسير ٢٠: ٤٤٤ ـ ٤٤٥. قارن القرطبي، تفسير ١٨: ٤٢٨.

www.christianlib.com

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ
مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم
مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ
أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا
عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ
لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ
رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

٤١: ٤٧

تتناول الآية موضوعين:

الجزء الأول يتحدث عن عِلم الله بالغيب: فتشير إلى معرفة الله بموعد الساعة ‹إليهِ يُرَدُّ عِلْمُ الساعةِ›، ثم تشرح أن الله يعلم الغيب والحاضر والثمر والمولود.

www.christianlib.com

أما الجزء الثاني من الآية فيصوّر مشهدًا من القيامة: ‹ويومَ يُناديهِمْ: أينَ شُرَكائي؟ قَالوا: آذَنَّاكَ، مَا مِنّا مِن شهيد›. والمعنى هو أنه يوم «يُنادِي اللهُ هؤلاء المشركين...أين شركائي الذين كنتم تُشْركونهم في عبادتكم إياي»، يجيبونه: «ما منا من شهيد يشهد أن لكَ شريكًا».[٢٨]

الآية تتحدث عن مسألتين: علم الله الشامل، وحال المشركين يوم القيامة، بدون أن تربط بين المسألة الأولى والثانية. ويبدو أن هذه الآية كانت في الأصل آيتين منفصلتين، فجُمِعتا في آية واحدة.

٢٨. الطبري، تفسير ٢٠: ٤٥٦، قارن القرطبي، تفسير ١٨: ٤٣٤.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

وردت لها في المصادر أسماء مختلفة: «حَم عسَق»، و«سورة الشورى»، و«سورة شورى» (بدون أل التعريف)، و«سورة المؤمن» (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٢٣).

السورة مكية عند العلماء المسلمين. ولكن ثمة من استثنى أربع آيات ابتداءً من الآية (٢٣). وآخر استثنى الآيتين (٢٣ ـ ٢٤)، على قول يفيد أنها تتصل بالأنصار. وجاء قول إن الآية (٢٧) تحكي عن أهل الصُفَةِ، وبهذا فهي مدنية. وآخر قال إن الآيات (٣٩ ـ ٤١) مدنية (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٢٣ ـ ٢٤). وهذه الآراء عن مدنية هذه الآيات لا يجدها نولدكه قاطعة (نولدكه، تاريخ ١٤١ ـ ١٤٢)، وكذلك ويري (Wherry 4: 12).

بناءً على معطيات من داخل السورة، فالسورة مكية، وهي تعود لفترة متأخرة بعض الشيء عن سورة فصلت (٤١) (Wherry 4: 12)التي جاءت حوالي السنة الثامنة قبل الهجرة.

نجد في هذه السورة أن محمدًا قدم نفسه كمن يسير على خطى الكتاب المقدس، وأنه مؤمن بكل الأنبياء السابقين من آدم إلى يسوع (الآيات ١٣ ـ ١٣). و«هذه السورة صريحة في اهتداء النبي العربي إلى الإيمان بالكتاب ‹وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتاب› (آية ١٥) وقبل إيمانه بالكتاب ‹ما كان يدري ما الإيمان ولا الكتاب وإنك لتُهْدَى إلى صراط مستقيم› (آية ٥٢)» (الحداد، أطوار ٥٢٢).

من مواضيعها

- تعرض رفض قريش لدعوى محمد بالنبوة (آية ٢)
- تدافع عن صحة دعوى محمد بأنه مرسل من الله (آيات ٣، ١٥، ٢٤).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤

٤٢: ٢

- قراءة الجماعة: ‹عسق›.[١]
- قراءة ابن عباس وابن مسعود: «سق»، بغير عين،[٢] وهو كذلك في مصحف ابن مسعود.[٣]

لم يعلم المفسرون تأويل ‹عسق›، فجاء في الجلالين: «الله أعلم بمراده به»،[٤] وقال الرازي: «واعلم أن الكلام في أمثال هذه الفواتح يضيق، وفتح باب المجازفات مما لا سبيل إليه، فالأولى أن يفوض علمها إلى الله.».[٥] ولمحاولة تفسيرها ذُكِرَ قول ابن عباس أبي ذرَّ، بأن عمر بن الخطاب على المنبر طلب من الصحابة شرح ‹عسق› فتقدم ابن عباس بالمبادرة، فشرح حرف العين، والسين، ثم سكت عن القاف، فتقدم أبو ذرّ: لتفسير القاف،[٦] وهذا غريب لسببين: الأول: لأن ابن كثير ذكر أن هذا الحديث: «إِسْنَاده ضَعِيف جِدًّا وَمُنْقَطِع»،[٧] والثاني: أن ابن عباس كان يقرأ ‹عسق› بدون عين،[٨] فكيف يفسر ماهية العين؟ هذه الآية أو الكلمة أو الثلاث أحرف ‹عسق› رسمها هو نفس رسم العبارة «**عسق**» وهي من أصل سرياني «ܥܣܩ» بمعنى صَعُبَ،[٩] وهذا المعنى يُوافق سياق الآيات في هذه السورة إلا إذا كان معنى ‹حم› كما قال قتادة: «اِسْم مِنْ أَسْمَاء الْقُرْآن».[١٠] وقد اقترب الرازي من هذا المعنى حيث ذكر أن معنى

١. الخطيب، معجم القراءات ٨ : ٣٠٥.
٢. الطبري، تفسير٢٠: ٤٦٥، الزمخشري، الكشاف ٥: ٣٩٢.
٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٠٥.
٤. تفسير الجلالين ٤٨٣.
٥. الرازي، تفسير٢٧: ١٤٢.
٦. ابن كثير، تفسير ١٢: ٢٥٤.
٧. نفس المصدر.
٨. الطبري، تفسير٢٠: ٤٦٥، القرطبي، تفسير ١٨: ٤٤٠.
٩. زهريرا قاموس عربي-سرياني ٢: ٦٥٠.
١٠. الطبري، تفسير ٢٠: ٢٧٥.

www.christianlib.com

‹حم عسق› أي كتاب،[١١] فإذا سلمنا بهذا المعنى: ‹حم› اسم من أسماء القرآن، فتأتي‹عسق› بمعنى صعب،[١٢] وبالتالي تأتي الآية الثالثة ‹كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ›،[١٣] للتَّسْلِيم بهذا الوحي الصعب الذي أوحيَّ به إلى محمد، والذين من قبله، حيث قال الإمام مالك:[١٤]

> عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسُول الله (ص) (فقال يا رسُول الله)، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسُول الله (ص): «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهُو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت ما قال. وأحيانًا يأتيني الملك رجُلاً فيُكلمني، فأعي ما يقُول**». قالت عائشة: فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا. أخرجاهُ في الصحيحين ولفظه للبُخاري.

وبالتالي فهنا حديث صحيح يخبرنا عن صعوبة أعراض الوحي التي كانت تنتاب محمدًا.

أما بالنسبة للقراءتين، فمن الواضح أن عدم معرفة صحابة لمحمد، في مكانة ابن مسعود وابن عباس وابن الخطاب، لهذه العبارة «**عسق**»، قد سبب هذه الإشكالية!

٤٢: ٣

- قراءة الجمهور: ‹يُوحِي› بكسر الحاء، والله هو الفاعل هنا.[١٥]
- وقرأ ابن حيوة وابن شنبوذ والقاضي وغيرهم عن عاصم وأبان: «نوحي» بنون التعظيم، والفاعل ضمير مستتر تقديره الله.[١٦]
- وقرأ مجاهد وابن كثير وعباس وغيرهم عن أبي عمرو وابن محيصن: «يُوحَى»، مبنيًا للمجهول.[١٧]

اختلفت القراءات حول تحديد هوية الفاعل، فمرة هو الله ولكنه مستتر، ومرة ثانية هو المتكلم، وثالثة في صيغة مبني للمجهول، و هذه الإشكالية سببها غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى، حيث أضيفا بعد تدوين القرآن بسنين عديدة.[١٨] فأيّ القراءات هي التي نزل بها الوحي؟

١١. الرازي، تفسير ٢٧: ١٤٣.
١٢. زهريرا قاموس عربي-سرياني ٢: ٦٥٠.
١٣. الشورى ٤٢: ٣.
١٤. ابن كثير، تفسير ١٢: ٢٥٤. التشديد في الأصل.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٠٧.
١٦. نفس المصدر، والرازي، تفسير ٢٧: ١٤٣.
١٧. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٠٨، الرازي، تفسير ٢٧: ١٤٣.
١٨. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ
يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ
مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ
وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ
فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا
يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ
وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ
كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ
مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا
كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ

www.christianlib.com

٤٢: ٥

تشير الآية إلى أن الملائكة تستغفر لكل من في الأرض، وقد أُعتبرت منسوخة بالآية ‹الَّذين يحملون الْعَرْش وَمن حوله...وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذين آمنُوا› (غافر ٤٠: ٧).[١٩]

آية الشورى تشير إلى أن الملائكة تستغفر لكل من في الأرض، وبعد النسخ، صار الاستغفار مقتصرًا على المسلمين فحسب.

يرفض ابن الجوزي أن تكون الآية منسوخة لأن الآيتين خبر، كما أنه لا تضاد بين الآيتين فالاستغفار للمؤمنين هو تحديد للفئة التي تستغفر لها الملائكة.[٢٠]

٤٢: ٦

في الآية خطاب لمحمد يقول له إنه ليس وكيلاً على أحد، وإنه مجرد نذير. وقد نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٢١]

ابن الجوزي ينفي وقوع النسخ،[٢٢] فكون محمد لا يملك النفوذ المعنوي على الناس لاعتناق الدين الإسلامي، فإن ذلك لا يتعارض مع شرعة القتال.

٤٢: ١٤

- قراءة الجماعة: ‹أُورِثُوا›، «من أَوْرَثَ».[٢٣]
- قرأ زيد بن علي: «وُرِّثوا» من وَرَّث.[٢٤]
- ذكر الزمخشري أنه قرئ: «وُرِثُوا».[٢٥]

اختلف المفسرون في هوية المقصودين من ‹أُورِثُوا› على الكثير من الفئات، نذكر منها ما يلي:

١٩. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٣ ـ ٥٤، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٦.
٢٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٧. قارن النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٣.
٢١. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٤.
٢٢. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٨.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣١٧.
٢٤. نفس المصدر، وانظر: العكبري، إعراب القراءات ٢: ٤٣٦.
٢٥. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٠١.

www.christianlib.com

ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ
أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ
لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى
ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

- اليهود والنصارى.[٢٦]
- العرب.[٢٧]
- المشركون الذين أورثوا القرآن.[٢٨]
- النصارى.[٢٩]
- النصارى وآخرين.[٣٠]

---

٢٦. الرازي، تفسير ٢٧: ١٥٩، والطبري، تفسير ٢٠: ٤٨٤.
٢٧. الرازي، تفسير ٢٧: ١٥٩.
٢٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٠١.
٢٩. ابن كثير، تفسير ٦: ٤٣٠.
٣٠. نفس المصدر.

www.christianlib.com

أَوْرَثَ ولده: «لم يُدخل أحدًا معه في ميراثه»،[٣١] ومن هنا يكون المرجح أن المقصود من قراءة الجماعة هم بنو إسرائيل فقط، لأن الديانة اليهودية لا تدعو غير اليهودي لاعتناق عقيدتها، بدليل ما ورد في الآية ‹ولقد آتينا موسى الهدى **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب**› (غافر ٤٠: ٥٣).

أما معنى: وَرَّثَ في ماله: «أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة»، ويقال: «وَرِثْتُ فلانًا مالاً، أرِثُهُ وِرْثًا وَوَرْثًا إذا مات مُوَرِّثُكَ، فصار ميراثه لك».[٣٢] ومن ثم، فالأرجح أن يكون المقصود من قراءة زيد بن علي طائفة النصارى، لأن النصرانية تدعو الكل لاعتناق عقيدتها.

إذًا القراءة الأخيرة قد يكون المقصود منها اليهود والنصارى، ويؤكد هذا ما ورد في الآية ‹فخلف من بعدهم خلف **ورثوا الكتاب**...› (الأعراف ٧: ١٦٩)، والتي ذكر مجاهد أن المقصودين من ‹ورثوا الكتاب› «هم النصارى»، وأضاف ابن كثير: «وقد يكون أعم من ذلك».[٣٣]

ونتساءل: كيف للمسلم البسيط فهم المقصود من الآية، مع هذا الكم من الاختلافات؟

٤٢: ١٥

حسب ما ورد عند الطبري، فإن الآية هي إعلان من محمد لليهود والمسيحيين أن لكل جانب ثواب أعماله، وأن لا خصومة بين المسلمين وبينهم.[٣٤] وقد اختلف بشأنها:

إنها منسوخة: وثمة اختلاف في الناسخ

أ. كان ذلك قبل الأمر بالقتال ثم جاءت آية السيف (التوبة ٩: ٥) فنسختها.[٣٥]

ب. نسخت بآية القتال (التوبة ٩: ٢٩).[٣٦]

إنها محكمة:

يقول أصحابه إن الآية تقصد أنه بعد أن ظهرت الحجج والبراهين فلم يبق إلا السيف وسيلة، وبهذا فهي محكمة؛ وهذا ما يرجحه ابن الجوزي.[٣٧]

٣١. ابن منظور، لسان العرب ٩، ٤٨٠٨، ٤٨٠٨.
٣٢. نفس المصدر ٤٨٠٨.
٣٣. ابن كثير، تفسير ٦: ٤٣٠.
٣٤. الطبري، تفسير ٢٠: ٤٨٧.
٣٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٤٩، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٩.
٣٦. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٤، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٦.
٣٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٢٤٩ ـ ٢٥٠. قارن النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٦.

www.christianlib.com

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا
نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟
لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ
وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا
يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ
عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ
وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ
لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ
﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ

٤٢: ٢٠

في الآية وعدٌ أن من يريد الآخرة سيُعطى إياها، ومن يريد خيرات الدنيا سيُزاد له. وبشأنها رأيان:

الرأي الأول: منسوخة

www.christianlib.com

الآية نُسخت بآية الإسراء ١٧: ١٨ ‹مَن كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلنا لَهُ فِيهَا مَا نَشاءُ لِمَن نُرِيد›.[٣٨]

الرأي الثاني: محكمة

إن الآية محكمة لأنها تحتوي على خبر.[٣٩]

٤٢: ٢٣

تسأل الآية محمدًا أن يطلب المودة فقط كأجرٍ على دعوته. وقد طُرح بشأنها موقفان:

الأول: أن الآية منسوخة

يقول أصحابه إن الآية نُسخت بالآية ‹قل ما سألتكم من أجر فهو لكم› (سبأ ٣٤: ٤٧).[٤٠]

الثاني: أن الآية محكمة

إن المعنى أذكركم المودة في القربى، وهذا الأمر ليس محل نسخ.[٤١]

٤٢: ٢٩

تذكر الآية إن السماء والأرض من براهين وجود الله، و‹مَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ›. وحسب المعجم العربي، الدابة هي الكائن الذي يدب، فكيف توجد دابة في السماء؟

قدم الشارحون المسلمون الآراء التالية حول هذه المسألة:

١. إن المقصود بـ ‹فِيهِمَا› الأرض فحسب «باعتبار إطلاق لفظ التثنية على المفرد».[٤٢]

٢. «إن الدبيب هو الحركة، والملائكة لهم حركة»[٤٣]؛ وبمعنى مشابه: «إن الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم أيضًا وهم مبثوثون في السماء».[٤٤]

٣. ربما خلق الله «في السموات أنواعًا من الحيوانات يمشون مشي الأناسي على الأرض».[٤٥]

هذه ثلاثة شروحات ليست مدعومة من الآية نفسها، بل هي مجرد تخمينات تكشف عن عدم منطقية العبارة.

٣٨. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ: ٧٩-٨٠، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٤، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٦.
٣٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٠-٤٥١. قارن النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٧.
٤٠. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٤، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥١، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨١، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦١٨.
٤١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥١. قارن ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٠.
٤٢. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٦٢.
٤٣. الرازي، تفسير ٢٧: ١٧٢.
٤٤. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٦٢
٤٥. الرازي، تفسير ٢٧: ١٧٢.

www.christianlib.com

وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ
أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ
كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ
عَن كَثِيرٖ ٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥
فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ
وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨
وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ
فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ
ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم
عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ وَمَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ
يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ
مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ

www.christianlib.com

ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾

٤٢: ٣٩

في الآية تحديد لداوعي القتال ألا وهو الرد على البغي، وتحمل الآية معنى الحرب الدفاعية. والآية منسوخة بالأمر على «الجهاد»،[٤٦] بدون تحديد الآية الناسخة.

٤٢: ٤٠

ثمة من رأى أن الآية نُسخت بالجزء الثاني من الآية: ‹فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ›؛ ولكن ابن الجوزي يرفض ذلك لأن معنى الآية ـ برأيه ـ هو أن من جازى مسيئًا فليجازه بمثل إساءته، ومن عفا فهو أفضل.[٤٧]

٤٢: ٤٢

البغي هو الظلم، وبكلمات الزمخشري: «‹وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ› يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون».[٤٨]

فإن كان البغي يعني التكبر والاستعلاء والفساد، فإن عبارة ‹بِغَيْرِ الْحَقِّ› زائدة وغير ضرورية، لأنه لا يمكن أن يقترن البغي بالحق.

٤٦. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦٢٢.
٤٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٣.
٤٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤١٧.

www.christianlib.com

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن
يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ
مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا
وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا
ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

٤٢: ٤٨

تحدد الآية مهمة محمد بالتبليغ وليس عليه أكثر من ذلك، والآية نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٤٩]

ابن الجوزي يرفض هذا الرأي،[٥٠] باعتبار أن البلاغ لا يتعارض مع القتال.

٤٢: ٥٢

- قرأ الجمهور: ‹لَتَهْدِي› أي تهدي بما أوحينا إليك، مضارع هَدَى.[٥١]
- وقرأ عاصم والجحدري وحَوْشب: «لَتُهْدَى».[٥٢]

---

٤٩. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٠، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٥، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٤.

٥٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٤.

٥١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٤٣.

٥٢. القرطبي، تفسير ١٨: ٥١٦.

www.christianlib.com

تُفيد قراءة الجمهور: أن محمدًا يقوم بهداية الناس، بينما في قراءة عاصم فإن إرسال الله للكتاب هو لهداية محمد إلى صراط مستقيم. ولو عدنا إلى بداية الآية فإنها تقول: ‹وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...› إذًا عندما أرسل الله الروح أو الكتاب، كان محمد أيضًا بحاجة إلى الهداية، ومن ثم يدعو الناس إليها، حيث يذكر الطبري: «يقول جل ثناؤه لنبيه محمد (ص): ماكنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما..»[٥٣]، ففاقد الشيء لا يعطيه، وبالتالي لا بد لمحمد من أن يهتدي بتصديقه الكتاب، ويؤمن به، ومن ثم يهدي أمته للإيمان، من هنا فقد جاءت قراءة عاصم والجحدري استنادًا للمعنى الوارد في بداية الآية: ‹وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ›، وتأكيدًا له، وتكون بذلك الأكثر ترجيحًا.

---

٥٣. الطبري، تفسير٢٠: ٥٤٢.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

اسم «سورة الزخرف» هو الأشهر والأكثر انتشارًا، لتفرد السورة بلفظة «زخرف» (آية ٣٥). وفي البخاري، كتاب التفسير، وردت باسم: «سورة حم الزخرف»، ويُروى إن الباقر كان يطلق عليها هذا الاسم أيضًا (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ١٥٧).

وهي مكية باتفاق العلماء المسلمين (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ١٥٧). وحسب أسلوبها، يعتقد ويري أن السورة جاءت في السنة الرابعة لدعوة محمد (حوالي سنة ٩ قبل الهجرة). ولكن نولدكه يضع السورة بشكل متأخر بعض الشيء، في بدء السنة الخامسة للدعوة (Wherry 4: 21).

ثمة من رأى أن الآية (٤٥) مدنية، وهو أمر لا يوافق عليه نولدكه، لأنه يراه فهم غير دقيق للآية (نولدكه، تاريخ ١١٨).

يرى نولدكه أن ربط ‹وَقِيلُه› (آية ٨٨) بالآية السابقة صعب، حتى ولو حاول المرء تعديل التنقيط فمن الصعب أن يجد الرابط، مما دفعه إلى القول إنه لا بد «أن تكون بعض الكلمات قد سقطت في مطلعها» (نولدكه، تاريخ ١١٨).

من مواضيعها

- التأكيد على دعوى إعجاز القرآن للبرهنة على صحة دعوى محمد أنه مرسل من الله (الآيات ٢ ـ ٧).
- نقد قريش وعقائدها (الآيات ٩ ـ ٢٢).
- نجد في السورة يأسًا من استمالة قريش للإسلام (الآيات ٤٠ ـ ٤٢، ٨٨).
- خبر مطول عن موسى (الآيات ٤٦ ـ ٥٦)، وأقل من ذلك عن يسوع المسيح (الآيات ٥٧ ـ ٦٤).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣
وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ
صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦
وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم
بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ وَٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢
لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ
وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ

www.christianlib.com

٤٣: ٤

تقول الآية إن هذا الكتاب هو في ‹أُمِّ الْكِتَابِ› الموجود لدى الله. وتختلف الشروحات في معنى ‹أُمِّ الْكِتَابِ›، إذ نقرأ:

- «إن هذا الكتاب في أصل الكتابِ الذي نُسخ منه هذا الكتاب عندنا».[١]
- «يعني القرآن في اللوح المحفوظ».[٢]

هذه الشروحات تترك معنى ‹أُمِّ الْكِتَابِ› غير قابل للتحديد.

٤٣: ١٠

قراءة: ‹مَهْدًا›، (انظر التعليق على (طه ٢٠: ٥٣)، بالمجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ٣١٧).

٤٣: ١٣

- القراءة الشائعة: ‹الَّذِي سَخَّرَ›.
- وقرأ علي بن أبي طالب: «مَن سَخَّرَ».[٣]

لا شكَّ أن عليًا بن أبي طالب كان من المقربين (من عترة أهل البيت) لمحمد، وموضع ثقته، وأحد خلفائه، لذلك ما أتى به من قراءة لا تقل أهميته عما جاء في مصحف عثمان، والاختلاف ليس في معنى ‹الذي سَخَّرَ› و«مَن سَخَّرَ» وإنما في النُّطْقِ، والأحرف ‹الذي› و«مَن».

والسؤال المطروح: أليس هذا الاختلاف يطعن في حرفية النص القرآني وحفظه في اللوح المحفوظ؟

---

١. الطبري، تفسير ٢٠: ٥٤٦.

٢. القرطبي، تفسير ١٩: ٦. قارن الطبري، تفسير ٢٠: ٥٤٧.

٣. القرطبي، تفسير١٩: ١٢.

www.christianlib.com

كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَ مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ

٤٣: ١٩

أ. ‹عِبَادُ الرَّحْمَنِ›

- القراءة الشائعة: ‹عِبَادُ الرَّحْمَنِ›.
- وقرأ ابن عباس: «عِبَّادُ الرَّحْمَنِ»،[٤] بتشديد الباء جمع عابد.[٥]
- وقراءة ورش عن نافع: «عِندَ الرَّحْمَنِ».[٦]
- وقراءة أُبي بن كعب وسعيد بن جبير: «عَبْدُ الرحمن»، على المفرد، وهو جنس.[٧]
- وقُرئ: «عُبُدُ الرَّحمَن» جمع عَبود، مثل صَبورٌ وصُبُر.[٨]

كانت هذه الكلمة في رسم مصحف الإمام بغير تنقيط، وبدون ألف المد في وسطها ‹عىد›، كما هي في مصحف المشهد الحسيني في القاهرة،[٩] ومصحف طوب قابي المنسوب إلى عثمان،[١٠] وغيرها من المخطوطات القديمة للقرآن، مما أدى إلى وجود اختلاف بين القراء في قراءة هذه الكلمة.

لو أخذنا فقط قراءتي حفص، وورش، كقراءتين رسميتين معترف بهما، نجد ما يلي:

- كلمة ‹عباد› في قراءة حفص تعني صيغة الجمع من «عبد»، وبالتالي فهم عباد الله، أو خدام الله.
- أما قراءة ورش فكلمة ‹عند› هي ظرف مكان، أي هم موجودون عند الله.

---

٤. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٣٤.
٥. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٥٨.
٦. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ١١.
٧. العكبري، إعراب القراءات ٢: ٤٤١.
٨. نفس المصدر ٢: ٤٤٢.
٩. آلتي قولاج، مخطوطة المشهد الحسيني ٢: ٨٦٤، الرقعة ٨٦٢ ب.
١٠. آلتي قولاج، مخطوطة طوب قابي ٦٤٤، الرقعة ٣٢٠ ب.

www.christianlib.com

ونتساءل: ما الكلمة التي نزل بها جبريل إلى محمد كما يعتقد المسلمون؟ وهل يعني وجود هذا الاختلاف الظاهر بين المصاحف بقراءة ورش في شمال إفريقيا، والمصاحف بقراءة حفص في الجزيرة العربية والشرق الأوسط وباقي العالم، أن في القرآن اختلافًا كثيرًا ‹أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا› (النساء ٤: ٨٢)؟ وهل هذه الاختلافات التي تؤثر على المعنى لا تمثل أي إشكالية للمسلم؟

جدول يوضح بعض الاختلافات بين المصاحف بقراءة ورش، والمصاحف بقراءة حفص		
حفص	ورش	الآية
عباد الرحمن	عند الرحمن	الزخرف ١٩
قل انما أدعوا ربي	قال انما أدعوا ربي	الجن ٢٠
فان الله هو الغني الحميد	فان الله الغني الحميد	الحديد ٢٤
لعنا كبيرًا	لعنا كثيرًا	الأحزاب ٦٨
يرسل الرياح بشرًا	يرسل الرياح نشرًا	النمل ٦٣، الأعراف ٥٧، الفرقان ٤٨
قال ربي يعلم القول	قل ربي يعلم القول	الأنبياء ٤
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار	وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار	الرعد ٤٢
هذا لساحر مبين	هذا لسحر مبين	يونس ٢
جعلا له شركاء فيما	جعلا له شركا فيما	الأعراف ١٩٠
والذين قتلوا في سبيل	والذين قاتلوا في سبيل	محمد ٤
كطي السجل للكتب	كطي السجل للكتاب	الأنبياء ١٠٤
وأن لو استقاموا	وأ لوآستقاموا	الجن ١٦
ولا يخاف عقباها	فلا يخاف عقباها	الشمس ١٥
كيف ننشزها	كيف ننشرها	البقرة ٢٥٩
اشتدت به الريح في يوم	اشتدت به الرياح في	إبراهيم ١٨
لولا دفع الله الناس	لولا دفاع الله الناس	البقرة ٢٥١
خير لكم ويكفر عنكم	خير لكم ونكفر عنكم	البقرة ٢٧١
كافرة يرونهم مثليهم	كافرة ترونهم مثليهم	آل عمران ١٣
فيوفيهم أجورهم	فنوفيهم أجورهم	آل عمران ٥٧

www.christianlib.com

سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا
مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى
قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ
ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى
بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ
بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ

ب. ‹سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ›

- قراءة الجمهور: ‹سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ›.[١١]
- وقرأ الحسن وأبو رجاء: «سَتُكْتَبُ شَهَاداتُهُمْ».[١٢]
- وقرأ ابن أبي عبلة: «سَنَكْتُبُ شَهَاداتِهِمْ».[١٣]
- وقرأ الزُّبَيْري: «سَيُكتَبُ شَهَادَتُهمْ».[١٤]
- وقرأت فرقة: «سَيَكْتُبُ شَهَادَتَهمْ».[١٥]

١١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٦٠.
١٢. ابن خالويه، مختصر ١٣٥، الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٦١.
١٣. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٦١.
١٤. العكبري، إعراب القراءات ٢: ٤٤٢.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٦١، الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٣٤.

www.christianlib.com

نجد في هذه القراءات اختلافًا في صيغة الفعل بين مبني للمجهول ومبني للمعلوم، حيث إن الفاعل هو الله أو هو مجهول؛ مرة بنون التعظيم وأخرى بياء الغائب، أيضًا ‹شهادتهم› بالإفراد تارة، وأخرى بالجمع «شهاداتهم».

وكما سبق ذكره في الجزء (أ) من الآية، فنجد أن غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى، مع عدم ظهور ألف المد في وسط الكلمة، قد سبَّب هذه الاختلافات. وبالتالي من الأرجح أن القراء اجتهدوا حسب فهمهم لسياق الآية، الأمر الذي يطعن في سلامة النص القرآني من التغيير.

٤٣: ٢٤

أ. ‹قَالَ أَوَلَو›

- القراءة الشائعة: ‹قَالَ› فعل ماضي، على الخبر.
- وقرأها أبو عمرو وابن كثير ونافع عن عاصم ويعقوب: «قُلْ» على الأمر.[١٦]

جاءت القراءة الشائعة بصيغة الخبر؛ وهي توافق سياق الحديث في حال كان الحوار دائرًا بين النذير وقومه ‹وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ› (الزخرف ٤٣: ٢٣). أما إذا كان محمد هو المقصود في الآية التي نحن بصددها، كما عبر عن ذلك الطبري بقوله إن الله يأمر محمدًا بالقول: «قُلْ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِك»،[١٧] وقد أيد القرطبي هذه القراءة بقوله: «قَوْله تَعَالَى «قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى» أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّد لِقَوْمِك»،[١٨] فالأرجح ورود الكلمة بصيغة الأمر كما قرأ أبو عمرو للأسباب التالية:

أولاً، هناك خطاب من الله لمحمد في الآية السابقة ‹أرسلنا من قبلك›، أي «يا محمد»،[١٩] بينما الآية اللاحقة جاءت بصيغة الأمر ‹فانظر›، أي «انظر يا محمد»،[٢٠] فمن الأرجح أن تأتي الآية التي نحن بصددها بصيغة الأمر ‹قل›، مما يتماشى مع السياق، دون حاجة إلى الالتفات.

ثانيًا، ورود الكلمة في رسم المصحف دون ألف المد في وسط الكلمة.

ثالثًا، تأويل المفسرين لهذه الآية كما رأينا في تفسير كل من الطبري والقرطبي، باستخدامهم «قل».

١٦. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٦٣-٣٦٤، وانظر القرطبي، تفسير ١٩: ٢٦.
١٧. الطبري، تفسير ٢٠: ٥٧٣.
١٨. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٥.
١٩. الطبري، تفسير ٢٠: ٥٧٢.
٢٠. نفس المصدر ٢٠: ٥٧٤.

www.christianlib.com

ب. ‹جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى›

- قرأها الجمهور: ‹جِئْتُكُمْ›.[٢١]
- وقرأ أبو جعفر وأبي بن كعب وغيرهم: «جئناكُمْ».[٢٢]

○ قراءة الجمهور تعود على محمد كما ذهب المفسرون، حيث تخبر الآية عن قدرته على المجيء بما هو أهدى مما وجد أهل قريش عليه آباءهم. وبالرجوع إلى صيغة الإخبار ‹قَالَ› في الجزء الأول من الآية، فقد يكون النذير هو المقصود في ‹جِئْتُكُمْ›.

○ أما قراءة أبي جعفر وأُبيّ «جئناكُمْ» فهي تعود على الله، باستخدام نون التعظيم، وقد تعود على الله ومحمد، باستخدام نون الجمع.

بما أن الآية التي سبقتها جاءت بنون التعظيم ‹...مَا أَرْسَلْنَا..› (الزخرف ٤٣: ٢٣)، فبالتالي تكون قراءة أبي جعفر وأُبيّ بن كعب أكثر ترجيحًا من قراءة الجمهور.

٤٣: ٣٢

تعلن الآية أن الله هو قاسم الأرزاق والأقوات، ورافع درجات الناس الاجتماعية، بحيث جعل بعضهم غنيًا وبعضهم فقيرًا، وبعضهم مَلكًا وبعضهم مملوكًا ‹لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا›.[٢٣] وبحسب الطبري، فان عبارة: ‹لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا› تعني «يستخدمُ بعضُهم بعضًا في السّخرة».[٢٤] وقال آخرون إن معناها «ليملكَ بعضهم بعضًا».[٢٥] وقال غيرهم إنها تعني علاقة العبد والسيد.[٢٦] وفي القرطبي نقرأ «وقيل: هو من السُّخريّة التي بمعنى الاستهزاء؛ أيْ: ليستهزئَ الغنيُّ بالفقير».[٢٧]

إذًا، التفاوت الاجتماعي من منظور القرآن هو قرار من الله، والهدف منه أن تكون طبقة فوق أخرى، ليتسلط السيد على المسترق، ويستعبد الغنيُّ الفقيرَ.

---

٢١. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ١٢.
٢٢. الطبري، تفسير ٢٠: ٥٧٤، الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٦٤.
٢٣. الطبري، تفسير ٢٠: ٥٨٤. قارن القرطبي، تفسير ١٩: ٣٦.
٢٤. الطبري، تفسير ٢٠: ٥٨٥.
٢٥. نفس المصدر.
٢٦. نفس المصدر ٢٠: ٥٨٦.
٢٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٧.

www.christianlib.com

جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا
بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ
عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا
سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً
وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ

٤٣: ٣٣ـ٣٤

تقول الآية ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لجعل للكافرين بعض الامتيازات المادية. وتُشرح كالتالي:

- «لولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه، لجعلنا...للكفار سقوفًا ومصاعد وأبوابًا وسررًا كلها من فضة وزخرف»،[٢٨] ولكن الله شاء أن لا يعطي ذلك للكافرين، كي لا يُحدث فتنة.[٢٩]
- قالوا إن الآية تشير إلى «هوان الدنيا عند الله». ولهوانها فإن الله كان سيعطي الكافرين ما ذُكر.[٣٠]

إذا كان قرار الله هنا هو أن لا يعطي الكافرين الخيرات كي لا يُحدث فتنة، أو لئلا يتحد الناس في ملة الكفر، فكيف تُفسَّر العلاقة بين الكفر والثراء؟ ثم، ألا ينشىء هذا تساؤلاً حول عدم إنزال الله عذابه على الكافرين، فيصبح الناس عندها ملة واحدة هي ملة الإيمان؟ أو: لمَ لا يعطي

---

٢٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٤٠.
٢٩. نفس المصدر ٥: ٤٤١.
٣٠. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٨.

www.christianlib.com

الله المسلمين الرفاه الكامل، أو لماذا لم تكن الآية: «لَجَعَلْنَا لِمَن يَؤمن [بدلاً مِن يكفر] بالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ»؟

ويشير الواقع اليومي إلى حقيقة راسخة، وهي أن الكثير من الأثرياء لديهم من الثروات ما يفوق مسألة السقوف الذهبية، وغالبيتهم غير مسلمين (حتى إن بعضهم ليس مؤمنًا بأي دين). كما أن كثيرين من الناس قد تركوا دينه؛ لأنهم آمنوا بمعتقد آخر. وهذا أيضًا حال مسلمين كثيرين تركوا الإسلام، ليس من أجل سقوف الفضة، بل لأن الإسلام لم يكن قادرًا على تلبية احتياجاتهم الروحية.

٤٣: ٣٦

- قراءة الجمهور: ‹نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا›، بنون التعظيم.[٣١]
- وقرأ علي بن أبي طالب والسلمي والأعمش وغيرهم: «يُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا».[٣٢]
- وقرأ ابن عباس: «يُقَيَّضْ لَهُ شَيْطَانٌ»،[٣٣] مبني للمجهول.
- وقُرِئ: «يُقَيَّضْ لَهُ شَيْطَانًا».[٣٤]

  - قراءة الجمهور جاءت بنون التعظيم، بمعنى أن الله هو المتكلم، وأنه هو الذي يُقَيِّض لمن يعرض عن ذكر الرحمن شيطانًا.
  - أما قراءة علي بن أبي طالب، فقد جاءت بياء الغائب أي بصيغة الإخبار، وقد يكون أن الرحمن هو من يقيض لمن يعرض عن ذكره شيطانًا،[٣٥] وبالتالي فهي تشبه قراءة الجمهور.
  - أما قراءة ابن عباس، فقد جاءت مبنية للمجهول، فلا تحدد من يقيض الشيطان.

إن قداسة الله وجلاله يتعارضان مع كونه المسبب في تسليط الشيطان على بعض خلقه، ولا سيما أن ذنبهم هو إعراضهم عن ذكر الرحمن! فبدلاً من محاولة ردهم عن ضلالهم وغيهم، نراه متورطًا في غوايتهم. وبالتالي فكيف يمكن محاسبتهم فيما بعد؟ فهذه الاختلافات في القراءات، والإشكاليات الناتجة عنها، حدثت نتيجة لعُري المصاحف الأولى من التنقيط والتشكيل.

---

٣١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٧٥، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ١٧.
٣٢. ابن خالويه، مختصر ١٣٦.
٣٣. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٧.
٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٧٦.
٣٥. ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٢١١.

www.christianlib.com

وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾
وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ
يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى
ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾
أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ
أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ
تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ
إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

٤٣: ٤٥

في الآية طلبٌ من محمد أن يسأل الأنبياء. ولأن محمدًا لم يكن معاصرًا لهم، قال المفسرون إن ذلك حصل حينما اجتمع محمد معهم ليلة الإسراء في بيت المقدس.[٣٦]

تعليق: ثمة تفنيد لصحة دعوى الإسراء، فكيف بدعوى الاجتماع بأنبياء سابقين؟ (انظر التعليق على (الإسراء ١٧: ١). ولما لَمْ يكن هذا التفسير مقنعًا لكثير من الشارحين، فإنهم قالوا:

٣٦. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٥. قارن القرطبي، تفسير ١٩: ٥٤ ـ ٥٥.

www.christianlib.com

لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ
فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾
فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا
ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ
مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا
عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى
ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ

- أُمرَ محمد أن يسأل المؤمنين من أهل الكتاب، أي اليهود والمسيحيين.[٣٧] وهو القول المرجح عند الطبري؛[٣٨] ومثل هذا التأويل يجد ما يدعمه في قراءات أخرى، إذ قرأ ابن مسعود: «واسْأَلْ الذين أَرْسَلْنَا إليهم قَبْلَكَ رُسُلنا».[٣٩]

تعليق: بما أنه كان مطلوبًا من محمد أن يسأل اليهود والمسيحيين، فلماذا قام بالتنكيل بهم لاحقًا؟

- وقيل إن المعنى هو الطلب من محمد السؤال «عن الأنبياء الذين أرسلنا قبلك؛ فحذفت «عن»».[٤٠]

تعليق: إن صح ذلك، فما فائدة حذف حرف الجر «عن»، بحيث تُرك القارئ ضائعًا لناحية المعنى.

٣٧. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٤، القرطبي، تفسير ١٩: ٥٦.
٣٨. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٦.
٣٩. القرطبي، تفسير ١٩: ٥٥.
٤٠. نفس المصدر ١٩: ٥٦.

www.christianlib.com

٤٣: ٤٥

- القراءة الشائعة: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.
- وعن مجاهد أن ابن مسعود قرأها: «وَسَلِ الَّذينَ أَرْسَلْنَا إِلَيهِمْ قَبْلِكَ رُسُلِنَا».[٤١]
- وذكر الألوسي عن ابن مسعود أنه قرأها: «وَاسأَلْ الَّذينَ أَرْسَلْنَا إِلَيهِمْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا».[٤٢]
- وعن الضحاك أن ابن مسعود قرأها: «وَسَلِ الَّذينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ».[٤٣]
- وذكر ابن عطية أن ابن مسعود وأبيّ بن كعب قرآها: «وَاسأَلِ الَّذينَ أَرْسَلْنَا إِلَيهِمْ قَبْلَكَ رُسُلِنَا».[٤٤]
- وقرأ قتادة: «وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيهِمْ رُسُلِنَا قَبْلِكَ».[٤٥]

بحسب القراءة الشائعة للقرآن، فالله يطلب من محمد أن يسأل الرسل من قبله! والسؤال البديهي هنا: كيف لمحمد أن يسأل رسلاً جاءوا قبله بمئات السنين؟ ولمحاولة حل هذه المعضلة حاول المفسرون طرح بعض الردود نلخصها، ونعلق على كلٍ منها فيما يلي:

- القرآن يقصد النظر والاستدلال، كقول من قال: سل الأرض من شق أنهارك.[٤٦]
  - لقد جاءت صيغة الآية بـ«مَنْ»، وهي إشارة للعاقل، وبالتالي فالمقصود سؤال هؤلاء الرسل أنفسهم.

- اسأل مؤمني أهل الكتاب، أي أهل التوراة والإنجيل.[٤٧]
  - لم يكن الرازي وحده من نادى بذلك، بل إن القرآن نفسه قد سبق بالأمر: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل ١٦: ٤٣)، وفي هذه الآية اعتراف صريح أنه كان في عهد محمد مؤمنون من أهل الكتاب قد سبقوا محمدًا في الإيمان بالله، وكذلك إقرار بأن كتبهم لم ينلها أي تحريف على عكس ما يدعيه الموروث الإسلامي، على الأقل في ذلك الوقت، الأمر الذي يثير التساؤل عن مسار ومصير هذه الكتب التي كانت بين أيديهم؟ ولماذا تغير موقف الإسلام بعد ذلك ليصف كتبهم بالتحريف؟! ثم كيف، ومتى ومن الذي قام بتحريفها؟ وماذا كانت دوافع من قام بهذا التحريف المزعوم؟

---

٤١. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٤.
٤٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٨١.
٤٣. الطبري، تفسير ٢٠: ٦٠٥.
٤٤. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٣٨٠.
٤٥. نفس المصدر ٨: ٣٨١.
٤٦. الرازي، تفسير ٢٧: ٢١٧.
٤٧. نفس المصدر.

www.christianlib.com

- «سلنا يا محمد عن الأنبياء الذين أرسلنا قبلك؛ فحُذِفَت «عن»».[٤٨]

- نقول: إن الطلب الذي وُجِّه إلى محمد أن يسأل الله نفسه عن هؤلاء الأنبياء كان يمكن قبوله لو الآية ذكرت «سلنا... عن رسلنا»، وليس ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾.

- اسأل جبريل، قاله النقاش.[٤٩]

- نحن نستبعد هذا الطرح لأن الآية التي تليها تتحدث عن إرسال موسى، أي أن المقصود أن الرسل بشرٌ لا ملائكة، فسؤاله لجبريل ليس هو المقصود.

- «أَيْ جَمِيع الرُّسُل دَعَوْا إِلَى مَا دَعَوْت النَّاس إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَة الله وَحْده لَا شَرِيك لَهُ وَنَهَوْا عَنْ عِبَادَة الْأَصْنَام وَالْأَنْدَاد».[٥٠]

- هنا لم يضف ابن كثير جديدًا ولكنه كرر نفس ما أتت به الآية، وتحاشى التعليق على أهم تساؤل بخصوصها، وهو كيف سيتواصل محمد مع الرسل السابقين؟

- الطلب من محمد أن يسأل الرسل السابقين في ليلة الإسراء إلى المسجد الأقصى.[٥١]

- وأخيرًا ما ذهب إليه العديد من المفسرين، أن سؤال الرسل حدث ليلة الإسراء، فنتساءل: لماذا لم تأت هذه الآية ضمن سورة الإسراء؟

ويظهر من هذه التأويلات المختلفة حجم الإشكالية التي وقع فيها علماء الإسلام، ولذا فمعظم المفسرين لم يكونوا واثقين من أقوالهم، حيث ختم العديد منهم بعد طرح تلك الآراء بعبارة «والله أعلم»![٥٢]

وبالرجوع للقراءات، نجد أن باقي القراءات المختلفة ليس فيها أي إشكالية ولا تحتاج إلى تأويل لمحاولة فك طلاسمها كالقراءة الشائعة. وعليه، تكون القراءة الشائعة للقرآن في هذه الآية

---

٤٨. القرطبي، تفسير ١٩: ٥٦، التشديد لنا.

٤٩. ابن عطية، المحرر الوجيز ٥: ٥٧.

٥٠. ابن كثير، تفسير ١٢: ٣١٥.

٥١. الرازي، تفسير ٢٧: ٢١٧، والقرطبي، تفسير ١٩: ٥٤، ابن عطية، المحرر الوجيز ٥: ٥٧.

٥٢. انظر على سبيل المثال: الرازي، تفسير ٢٧: ٢١٧، وابن كثير، تفسير ١٢: ٣١٥. وعادة ما يختم المفسرون بهذه العبارة عند وجود بعض الشكوك لديهم فيما يطرحونه.

www.christianlib.com

مُّسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٢ وَلَمَّا جَآءَ
عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى
تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦٤ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٦٥ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ٦٦ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧ يَٰعِبَادِ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟
مُسْلِمِينَ ٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم
بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ
وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢
لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ٧٣ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟
هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧
لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ٧٩ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

هي الأضعف. إضافة إلى أن رسم المصحف ‹وسل› لا يوافق القراءة الشائعة، نظرًا لغياب الألف بعد الواو، وكرسي الهمزة، وبالتالي فالقراءة بدون تهميز «وسل» هي الأدق.

www.christianlib.com

يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟
حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٤٣: ٨١

تقول الآية على لسان محمد: ‹إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ›، والمقصود أنه إذا بُرهن على وجود ولد لله، فسوف يعبده. وقد قال المفسرون في هذا:

- ‹إن› تعني «ما»، والمعنى هو: أنا أول «الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولدَ له».[٥٣]
- «إن ثبت لله ولد، فأنا أول من يعبد ولدَه، ولكن يستحيل أن يكون له ولد...وهذا مبالغةٌ في الاستبعاد....والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيمٌ للوالد».[٥٤]

سياق الآية غامض، سيما وأنها تعود إلى منتصف فترة الدعوة في مكة (حوالي سنة ٦ قبل الهجرة)، ولم يكن محمد قد دخل في أية مجادلات مع المسيحيين بعد. فإن كانت الآية ترد على

٥٣. القرطبي، تفسير ١٩: ٨٨ ـ ٨٩.
٥٤. نفس المصدر ١٩: ٨٩.

www.christianlib.com

إيمان القرشيين بأن لله بنات ملائكة، فلمَ استعمل لفظة ولد؟ ثم إن المفسرين لا يشيرون الى هذا الاحتمال، بل يقولون إن الآية تنفي القول بأن لله ابنًا. فهل تعود هذه الآية الى الفترة المدنية ثم وضعت في النص المكي؟ أم أن المسلمين أدخلوا تنقيحات على سورة الزخرف لدى تدوين القرآن؟

وغني عن القول بأن فكرة البنوة الجسدية التي يتخيلها المسلمون عن الإيمان المسيحي، لا تقول بها المسيحية أساسًا.

٤٣: ٨٣

أُمر محمد أن يتغاضى عمن رفض دعوته لحين يوم القيامة، وهذا الأمر نُسِخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٥٥] ابن الجوزي يقول إن الآية غير منسوخة لأنه يراها تحمل تهديدًا ووعيدًا.[٥٦]

٤٣: ٨٩

طلبت الآية من محمد أن يتغاضى عن المشركين، وأن يرد بسلام وقد نُسِخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)،[٥٧] بينما يقول النحاس إن الآية نُسِخت بالأمر بالقتال[٥٨] بدون تحديد الآية أو الآيات الناسخة، ولعله يقصد آية القتال (التوبة ٩: ٢٩).

٥٥. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٥.
٥٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٥.
٥٧. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٥، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٥.
٥٨. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦٢٤.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُمِّيَت بسورة الدخان لوقوع لفظ الدخان فيها (آية ١٠)، كما سُمِّيَت السورة بـ «حم الدخان» (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٢٧٥).

السورة مكية. ولكن نجد من استثنى الآية ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (آية ١٥) بدون توضيح حيثيات الرأي (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٢٧٥). ولا يجد ويري بدوره أي سبب مباشر للآيتين (١٥ و١٦)، بل يراهما تشيران إلى الحساب والخراب القادمين (Wherry 4: 31).

إن اتهامات محمد بالجنون (آية ١٤) لا تتسم بأي عنف؛ لهذا يضعها «موير» في الفترة ما بين السنة السادسة إلى السنة العاشرة لدعوته. ونولدكه يضعها في الحقبة الثانية، أي في السنة الخامسة والسادسة لدعوة محمد (Wherry 4: 32).

من مواضيعها

- وصف الجنة والنار (الآيات ٤٣ ـ ٥٧).
- قصة موسى وفرعون (الآيات ١٧ ـ ٣٣).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا
مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ
يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾
رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ
جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ
ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا
مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾
أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ
إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾
وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾
فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ
مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾

www.christianlib.com

٤٤: ١٤

- قراءة الجماعة: ﴿مُعَلَّمٌ﴾ بفتح اللام، أي «يُعَلِّمُهُ القرآن بَشَرٌ».[١]
- وقرأ زيد بن علي وزر بن حبيش: «مُعَلِّمٌ»، بكسر اللام، بمعنى: «هو يُعَلِّم غيره ما جاء به».[٢]

بحسب الموروث الإسلامي فإن محمدًا «صاحب رسالة»، ويقدم تعليمًا لأتباعه ويدعم ذلك بآيات من القرآن منها: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر ٥٩: ٧). فقراءة الجماعة تفيد أن رافضي دعوة محمد قالوا عنه إنه تلميذ مجنون، أي عُلِّمَ هذا الكلام. وكون بداية الآية تذكر: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ...﴾، فإن في ذلك إشارة إلى أن محمدًا دعاهم إلى رسالته، وحاول أن يبينها لهم، إلا أنهم لم يقتنعوا بما أعطاهم من حجج وبراهين، مما جعلهم يتولون عنه. فوفقًا لما يعتقده أتباع محمد فهو «مُعَلِّمٌ»، أما بالنسبة لمعارضيه فقد رأوا إنه ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾، لا سيما أنه كان يصاب بالغشي.[٣]

٤٤: ١٤

تُطنِب الكتب الإسلامية في القرآن، وتقول إن لغته أعجزت العرب عن الإتيان بمثله. وما يلفت النظر هو أن قريشًا التي نزل القرآن بلغتها لم يندهش أهلها بالقرآن، لا بل شككوا في مصدره، وقالوا إن ما ورد فيه أساطير الأولين، ورددوا أن محمدًا معلم مختل العقل: ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ (الدخان ٤٤: ١٤). كما قالوا عن محمد: «إنما هو مجنونٌ عُلِّم هذا الكلام»،[٤] وأضافوا أيضًا: «عَلَّمه بشرٌ، أو علَّمة الكَهنة والشياطين، ثم هو مجنونٌ وليس برسول».[٥]

من المؤكد أن اعتبار قريش محمدًا أنه مجنون لُقِّن القرآن لا يدل على أنها اعتبرت القرآن معجزة لغوية.

---

١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٢٢.
٢. نفس المصدر ٨: ٤٢٣.
٣. البحراني، البرهان في تفسير القرآن ٧: ١٦٢.
٤. الطبري، تفسير ٢١: ٢٢.
٥. القرطبي، تفسير ١٩: ١٠٩.

وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ
ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾
يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ
ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ

٤٤: ٤٣ـ ٤٤

انظر التعليق على موضوع الزقوم في (الصافات ٣٧: ٦٢)، صفحة ٢٦٧.

٤٤: ٤٣

بالنسبة لقراءة: «شَجَرت»؛ و«شجرة»؛ سبق مناقشة التاء المفتوحة والتاء المربوطة (يونس ١٠: ٣٣)، انظر المجلد الثاني من هذا الكتاب، صفحة ٥٧.

www.christianlib.com

٤٤: ٤٤

- قراءة الجماعة: ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾.[٦]
- وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: «طَعَامُ الفاجر».[٧]

اختلفت القراءتان في الرسم دون المعنى؛ وقد برر ذلك الزمخشري بأن أبا الدرداء كان يعلِّم رجلاً قراءة القرآن، وكان ينطق ذلك الرجل هذه الآية «طعام اليتيم» فطلب منه أن يقرأها: «طَعَامُ الفاجر»،[٨] وفي رواية مشابهة أن عبد الله بن مسعود هو الذي كان يعلم ذلك الرجل الذي كان يقرأها «طعام اليتيم» فطلب منه ابن مسعود أن يقرأها: «طَعَامُ الفاجر».[٩] وقد أجاز مذهب أبي حنيفة قراءة القرآن بالمعنى بموجب ما جاء عن ابن مسعود في هذه القراءة،[١٠] وقد اعترض الرازي على أصحاب هذا الرأي بقوله إن هذا الدليل في غاية الضعف.

ونتساءل: هل تجوز الصلاة بقراءة معاني القرآن وترجمته؟ فإذا كان الجواب بالقبول، فلماذا يُطلَب من المسلم الأعجمي أن يقرأ القرآن أثناء الصلاة بلسان عربي؟ وإذا كان الجواب بالنفي فلماذا يجيز الأحناف قراءة القرآن بالمعنى خلافًا لباقي المذاهب؟

٤٤: ٤٥

- القراءة الشائعة: ﴿يَغْلِي﴾.
- وقرأ عمرو بن ميمون وأبو جعفر ومحيصن والكسائي وغيرهم كثيرون: «تَغْلِي».[١١]

القراءة الشائعة تعود على الطعام، وأما قراءة عمرو بن ميمون ومن قرأ بقراءته فتعود على شجرة الزقوم. والاختلاف في القراءتين سببه الاختلاف في التنقيط، كما هو الحال في الكثير من قراءات آيات القرآن.

---

٦. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٣٦.
٧. القرطبي، تفسير ١٩: ١٣٢.
٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٧٦.
٩. القرطبي، تفسير ١٩: ١٣٢.
١٠. الرازي، تفسير ٢٧: ٢٥٢.
١١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٣٧، وانظر العكبري، إعراب القراءات ٢: ٤٦٣.

www.christianlib.com

ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ
أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾

٤٤: ٥٤

أ. ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾

- قراءة الجماعة: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾.[١٢]
- وقرأ عبدالله بن مسعود: «وأمددناهم».[١٣]

تختلف القراءتان في المعنى والرسم، مما يجعلنا نتساءل عن السبب: هل لابن مسعود صورة ذهنية غير التي عند باقي القرّاء في موضوع علاقة الحور العين بالمؤمنين المسلمين في الجنة؟ وقال يونس: «﴿زوجناهم بحور عين﴾ أي قرناهم بهن فليس من عقد التزويج، والعرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها، قال الواحدي رحمه الله والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله ﴿فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها﴾»،[١٤] إذًا هذا الزواج يكون دون عقد نكاح ولا موافقة ولي الأمر ولا إعلان ولا مهر!

والواقع فإن قراءة ابن مسعود قد تعاملت مع الحور تعاملاً ماديًا كشيء يُعطى أو يُمنح لأصحاب الجنة من الذكور. كما ورد في الآية ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.[١٥] وهو ما يمكن أن

١٢. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٤١.
١٣. نفس المصدر.
١٤. الرازي، تفسير ٢٧: ٢٥٤.
١٥. الطور ٥٢: ٢٢.

www.christianlib.com

نلمسه في بعض الأحاديث الواردة عن محمد، حيث تذكر أن لكل فائز بالجنة من الذكور عددًا كبيرًا جدًا من الحور! فعن عِمْرَان بْن حُصَيْن وَأَبِي هُرَيْرَة، قَالَا إن محمدًا قد سُئِلَ عَنْ الْآيَة ﴿وَمَسَاكِن طَيِّبَة فِي جَنَّات عَدْن﴾ قَالَ: «قَصْر فِي الْجَنَّة مِنْ لُؤْلُؤ، فِيهِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء، فِي كُلّ دَار سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زُمُرُّدَة خَضْرَاء، فِي كُلّ بَيْت سَبْعُونَ سَرِيرًا»[١٦] وبحسب هذه الرواية يصل عدد حور العين للرجل الواحد إلى ثلاثمائة وثلاث وأربعين ألف حوراء ٣٤٣,٠٠٠، وفي رواية أخرى كان قول محمد: «قَصْر مِنْ لُؤْلُؤَة، فِي ذَلِكَ الْقَصْر سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء، فِي كُلّ دَار سَبْعُون بَيْتًا مِنْ زَبَرْجَدَة خَضْرَاء، فِي كُلّ بَيْت سَبْعُونَ سَرِيرًا، عَلَى كُلّ سَرِير سَبْعُونَ فِرَاشًا مِنْ كُلّ لَوْن، عَلَى كُلّ فِرَاش زَوْجَة مِنْ الْحُور الْعِين...»[١٧] فبحسب هذه الرواية يصل نصيب المسلم الواحد من الحوريات إلى أربع وعشرين مليونًا وعشرة آلاف حوراء ٢٤,٠١٠,٠٠٠.

وعلى العموم، سواء أكان التعبير ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ أو «وأمددناهم» فالمعنى واضح ومباشر.

لعل هناك من يتساءل عن سبب مناقشة هذه الغيبيات، والجواب أن مناقشة هذا الأمر يكشف عن السر الذي يجعل العديد من الشباب المسلم، المؤمن بالرسالة المحمدية، يشتاق لهذا اللقاء الفردوسي بنساء الجنة ويدفع حياته ثمنًا كمجاهد مقابل هذه «المتع الخالدة»!

ب. ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾

- قراءة الجمهور: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾.[١٨]
- وقرأ عبدالله بن مسعود ومنصور بن المعتمر: «بِعيسٍ عِينٍ».[١٩]

في هاتين القراءتين اختلاف في الرسم دون المعنى لأن كلمة حور وعيس لهما نفس المعنى: «العيساء: البيضاء، وكذلك الحوراء»[٢٠]؛ وقد بالغ الفقهاء في وصف بياض نساء الجنة لدرجة أن مخ ساق الواحدة منهن يرى من وراء جلدها لشدة البياض! فعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ، ذكر أن محمدًا قال:[٢١]

١٦. الطبري، تفسير ١١: ٥٥٨.
١٧. نفس المصدر.
١٨. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٤١.
١٩. الرازي، تفسير٢٧: ٢٥٤؛انظر الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٤١.
٢٠. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٤١.
٢١. الطبري، تفسير ٢١: ٤٥٩، قارن ابن كثير، تفسير ٩: ٢٩٨. التشديد لنا.

www.christianlib.com

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦
فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩

إن الرجُل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول ثُم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه، فينظُر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لُؤلُؤة عليها لتُضيء ما بين المشرق والمغرب- فتُسلم عليه، فيرُد السلام، ويسألها: من أنتِ؟ فتقُول: أنا من المزيد. وإنهُ ليكُون عليها سبعُون ثوبًا أدناها مثل النُعمان من طُوبى فينفُذها بصره، حتى يرى مُخ ساقها من وراء ذلك....

ونتساءل: أليس من المقزز أن ينظر المرء إلى كائن يرى مخ عظامه وأحشائه؟ وهل شدة البياض معيار لجمال المرأة؟ ألا يعني ذلك أن ذوي البشرة السوداء يُنظر إليهم نظرة دونية عنصرية؟

والواقع أن محمدًا نفسه كان ينظر للزنوج نظرة دونية يظهر فيها الاحتقار، فبموجب بعض الأحاديث التي جاءت في العديد من المراجع الإسلامية المعتبرة،[٢٢] فعن محمد أنه قال: «زَوجُوا الأَكْفَاءَ وَتَزَوَّجُوا[ا] الأَكْفَاءَ وَاخْتَارُوا لِنُطَفِكُمْ، **وَإِيَّاكُمْ وَالزَّنْجَ فَإِنَّهُ خَلْقٌ مُشَوَّهٌ**»، عن عائشة.[٢٣] وقالَ محمد: «**إِنَّمَا الأَسْوَدُ لِبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ**»، عن أُم أَيمن.[٢٤] وأيضًا عنه أنه قال: «**الزنْجِي إِذَا شَبِعَ زَنَى، وَإِذَا جَاعَ سَرَقَ...**»، عن عائشة.[٢٥]

وخلاصة القول: ومع وجود هذه الأحاديث العنصرية في التراث الإسلامي، فتعبير ‹بِحُورٍ عِينٍ› في حد ذاته يمثل تفرقة عنصرية غير مقبولة، وإهانة ضد كل ذوي البشرة الملونة!

---

٢٢. على سبيل المثال: السيوطي، جامع الأحاديث ٤: ٤٥٠، حديث ١٢٧٣٠، قسم الأقوال؛ و المناوي، فيض القدير ٤: ٦٦، حديث رقم ٤٥٦٨.
٢٣. السيوطي، جامع الأحاديث ٤: ٤٥٠. حديث رقم ١٢٧٣٠.
٢٤. نفس المصدر ٢: ٤١٨، حديث رقم ٦٣٤٨.
٢٥. نفس المصدر ٤: ٤٥٣. حديث رقم ١٢٧٥٨.

www.christianlib.com

٤٤: ٥٩

في الآية طلب من محمد أن يترقب، وقد أُعتبرت الآية منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٢٦]

يرفض ابن الجوزي نسخ الآية، فمن وجهة نظره لا تناقض بين الآيتين: فارتقاب عذاب المشركين بالآخرة - أو أيًا ما كانت طريقة موتهم - لا يتعارض مع قتالهم.[٢٧]

٢٦. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٥.
٢٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٥٧.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

الاسم الأكثر انتشارًا للسورة هو: «سورة الجاثية». وتسمى: «حم الجاثية»، لوقوع لفظة ‹جاثية› (آية ٢٨) فيها دون أي موضع آخر من القرآن. وذُكرت لها تسميات أخرى: «سورة شريعة»، لوقوع لفظة ‹شريعة› (آية ١٨)، حيث لم ترد في أي مكان آخر من القرآن. وسميت «سورة الدهر» لوقوع لفظة ‹الدهر› في الـ (آية ٢٤)، دون غيرها من السور ذوات «حم» (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٣٢٣).

السورة مكية، ولكن لدينا رأي يفيد أن الآية ١٤: ‹قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ› مدنية (ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٣٢٣). ويؤرخ نولدكه السورة في الفترة المكية الثالثة (نولدكه، تاريخ XXXVI).

من مواضيعها

- دفاع عن دعوى المصدر الإلهي للقرآن (آيات ٦ ـ ٨).
- قدرة وسلطان الله (آيات ٢٦ ـ ٢٨).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٣) وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ
لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ (٤) وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ (٥) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ (٦) وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ (٧) يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٨) وَإِذَا
عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٩) مِّن
وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ (١١) ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ
لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢)

٤٥: ١١

- قراءة الجماعة: ‹رِجْزٍ›، بكسر الراء.[1]
- وقرأ ابن محيصن: «رُجْزٍ» بضم الراء.[2]

١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٥٢.
٢. القرطبي، تفسير ١٩: ١٤٩، عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ١٥٠.

www.christianlib.com

ليس هناك فرقًا ملموسًا بين القراءتين إلا أن ما يُثير الانتباه هو وجود كلمة شبيهة جدًا من ناحية المعنى والنُطق، حيث جاءت كلمة ‹رِجْزٍ› بمعنى: «العذاب، أي لهم عذابٌ من عذابٍ أليم»،[٣] والكلمة الشبيهة هي ‹رِجْس› بمعنى العذاب كذلك؛[٤] وبهذا المعنى جاء قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «الرجس العذاب»،[٥] ويضيف الطبري أن بعض النحويين البصريين يقولون: «الرجس والرجز سواء، وهما العذاب»، إلا أنه رجح قول ابن عباس: «الرجس والنجَس واحد»،[٦] وبما أن القرآن جاء بلسان عربي (انظر النحل ١٦: ١٠٣، والشعراء ٢٦: ١٩٥)، أي بلهجات عربية، فالكلمتان «الرجز» و«الرجس» ربما تطورت أو تحولت إحداهما إلى الأخرى.

لا شك أن بعض الحروف تأخذ مكان حروف أخرى مثل الصاد والسين، وقد رأينا فيما سبق مثالاً على ذلك. (انظر قراءات الأحزاب ٣٣: ١٩، صفحة ٢٠١)

أما القراءة بالزال، كما تكرر في قراءة كلمة «صراط»، فقد قرأها الجمهور ‹الصِّرَاطَ›، في سورة الفاتحة بالصاد، وقرأها قنبل ورويس وغيرهما: «السِّرَاطَ»[٧] بالسين وهي الأصل بحسب السيوطي، حيث ذكر في إتقانه: «الصراط بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الأصل».[٨]

ثم تحولت السين إلى الزال، حيث قرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي: « الزِّرَاطَ»،[٩] إذًا فإن تحَوُّل السين إلى زال وارد كما رأينا في قراءات ‹الصراط›، وفي اللهجات العربية نجد كلمة «صغير»، قد تنطق «سغير»، وفي اللهجة الشامية تنطق «زغير». إذًا ربما تكون أصل كلمة ‹الرجز› هو «الرجس»، وغالبًا ما تكون هذه الكلمات المتحولة لفظيًا من أصل غير عربي، فإذا أخذنا كمثال كلمة ‹الصراط›، فهي الطريق باللغة اللاتينية، بحسب قول السيوطي: «الصراط حكى النقاش وابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم ثم رأيته في كتاب الزينة لأبي حاتم».[١٠]

ونتساءل: هل كلمة ‹الرجز›، كما هو الحال مع كلمة ‹الصِّرَاطَ›، من أصل غير عربي؟

٣. القرطبي، تفسير ١٩: ١٤٨.
٤. الطبري، تفسير ٩: ٥٥١.
٥. ابن كثير، تفسير ٦: ١٧١، القرطبي، تفسير ٩: ٢٦، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٨٨، وقارن الطبري، تفسير ٩: ٥٥٢.
٦. الطبري، تفسير ٩: ٥٥٢.
٧. الخطيب، معجم القراءات ١: ١٧.
٨. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٤٩٦.
٩. الخطيب، معجم القراءات ١: ١٧.
١٠. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٩٥٦.

www.christianlib.com

٤٥: ١٣

- قراءة الجمهور: ‹مِنْهُ›.
- وقرأ ابن عباس والجحدري وآخرون: «مِنَّةً».[١١] أي مَنَّ مِنَّةً.
- وقرأ مسلمة بن محارب: «مِنَّةٌ».[١٢]
- وقرأ مسلمة بن محارب وابن جبير: «مَنُّهُ».[١٣]

جعلت قراءة الجمهور ‹مِنْهُ› المعنى ركيكًا؛ حيث إن تنقيط الكلمة بهذه الكيفية جعلها زائدة لا تضيف للآية شيئًا جديدًا، لأن صدر الآية يذكر أن الله هو الذي يسخر كل شيء للبشر وهو أمر معلوم، ولا حاجة لهذه اللفظة ‹مِنْهُ›. كما أن هذه اللفظة الزائدة كسرت بلاغة الآية ولذا فيُفضل حذفها، حيث إنه لا داعي لتفسير المفسَّر.

أما ابن عباس ومسلمة وعشر قراء آخرون فقد جاءوا بتنقيطٍ مختلف لكلمة ‹مىه›، أعطى معنىً مختلفًا، وأضاف للآية بُعدًا جديدًا وهو التأكيد على أن ما يعطيه الله للبشر من نعم وعطايا ما هو إلا فضل منه ومنَّةٌ عليهم لا يستحقونها. كما أن قراءة ابن عباس ومن قرأ بقراءته «مِنَّةً» تحفظ الجرس الموسيقي للكلام، ولذا فهي الأفضل بين كل القراءات التي توافق رسم المصحف لهذه الآية.

وواضح أن الاختلاف في هذه القراءة كان نتيجة غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى، ولذا فقد نقَّط كل قارئ كلمة ‹مىه› بحسب فهمه واستحسانه الشخصي.[١٤]

هذا الاختلاف في القراءات ينسف الادعاء بأن القرآن كان محفوظًا في الصدور.

٤٥: ١٣

جاءت ‹مِنْه› خارج السياق، وبلا وظيفة. «ولعلها ذيلُ لآية أخرى نُسخت فأثبتها النسّاخ سهوًا فانسابت في النص من غير أن يخطر على بال أحد أن يشكّك فيها»؛[١٥] ولذا يقرأها بعض القرّاء: «جَميعًا مِنَّةً»: أي تفضلاً وتكرمًا.[١٦] وهذه القراءة بدورها، وإن كانت تضيف معنى إلى الآية، تبقى حشوًا في السياق.

١١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٥٤.
١٢. نفس المصدر.
١٣. نفس المصدر ٨: ٤٥٥.
١٤. الداني، المحكم ٢، ١٨.
١٥. عباس عبد النور، محنتي مع القرآن ١٦٠.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٥٤. قارن القرطبي، تفسير ١٩: ١٤٩.

www.christianlib.com

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ

٤٥: ١٤

تحث الآية المسلمين على الغفران لغير المؤمنين، وقد نُسِخت. واُختلف في نسخها:

أ. بـ‹فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ› (الأنفال ٨: ٥٧) و‹قاتلوا المشركين كافة› (التوبة ٩: ٣٦).[١٧]

ب. بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[١٨]

ج. بآية القتال: ‹قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر› (التوبة ٩: ٢٩).[١٩]

د. ‹أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا› (الحج ٢٢: ٣٩).[٢٠]

ثمة رأي يقول إن الآية محكمة لأنها ترتبط بسبب نزول محدد،[٢١] وهناك رأيان في هذا الشأن: (١) ذلك أنه في غزوة بني المُصْطَلِق (بئر المُرَيْسيع)، وبعد انتهاء المعركة، فإن أحد زعماء الأنصار، ويُدعى عبد الله بن أُبي، قام بإرسال أحد غلمانه للإتيان بالماء، فلما رجع إليه أخبره أنه تأخر لأنه كان ينتظر دوره إلى جانب المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي، وقال: «سَمِّن كَلْبَكَ يأْكُلْك».[٢٢] وهذا الخبر لا نجده في كثير من مصادر التفسير، والسورة مكية، ولهذا قال بعضهم إن هذه الآية مدنية.[٢٣] (٢) ولكن بما أن روح الآية مكية، فإن آخرين رفضوا أن تكون الآية مدنية وتأولوا لها سبب نزول يرتبط بمكة قائلين إن عمر بن الخطاب تعرض في مكة للشتم فأراد أن ينتقم ممن شتمه، لكن الآية جاءت لتحيل بينه وبين الانتقام.[٢٤]

١٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٠.
١٨. نفس المصدر ٤٥٨ ـ ٤٥٩؛ ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٢؛ النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦٢٥.
١٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٠.
٢٠. نفس المصدر.
٢١. نفس المصدر ٤٦٠ ـ ٤٦١.
٢٢. الواحدي، أسباب نزول القرآن ٣٩٣.
٢٣. ابن عاشور، تفسير ٢٥: ٣٣٩.
٢٤. نفس المصدر.

www.christianlib.com

أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا
بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ
جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ
وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ
ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ
عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا

٤٥: ١٤

- قرأ الجمهور: ﴿لِيَجْزِيَ قومًا﴾.[٢٥]
- وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر: «لِنَجْزِيَ قومًا»، بنون التعظيم.[٢٦]
- وقرأ أبو جعفر: «لِيُجزَى قومًا».[٢٧]
- وقُرِئَ: «لِيُجزَى قومٌ».[٢٨]

٢٥. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٤٥.
٢٦. القرطبي، تفسير ١٩: ١٥٢.
٢٧. الطبري، تفسير ٢١: ٨٢.
٢٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٨٥.

www.christianlib.com

اختلفت هذه القراءات حول صيغة الفاعل الذي يجازي، كما يلي:

- فقراءة الجمهور: أخبرت عن الله أنه يجازي.
- وقراءة حمزة والكسائي: فإن الله يخبر عن نفسه.
- وفي قراءة أبي جعفر: الفعل هنا مبنيٌ للمجهول، وإن لم يجزها القراء واعتبروها لحنًا بسبب نصب «قومًا».[٢٩]
- وفي القراءة الأخيرة: الفعل فيها مبني للمجهول (إلا أنها تُخالف رسم المصحف في كلمة «قَوْمٌ»).

وهذه الاختلافات، كما هو واضح، حدثت نتيجة غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى،[٣٠] كما تكررت هذه الظاهرة في العديد من المواضع بالقرآن!

٤٥: ٢٠

- قراءة الجماعة: ‹هَذَا›، وهي تعود على القرآن.[٣١]
- وقُرئ: «هَذَي»، أي هذه،[٣٢] وهذي تستخدم للمفرد المؤنث.
- وقُرئ كذلك: «هَذِهِ»، التي تعود أيضا على الآيات.[٣٣]

لقد سبق أن تكرر هذا الأمر في قراءة ‹هَذَا رَحْمَةٌ› (الكهف ١٨: ٩٨). انظر التعليق على المخطوطات القرآنية القديمة في «مقدمة في القراءات المختلفة»، بالمجلد الثاني من هذا الكتاب ٢: ٢١.

٤٥: ٢٣

راجع قراءة ‹غِشَاوَةً› (البقرة٢: ٧)، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

٤٥: ٢٣

قارن التعليق على (الفرقان ٢٥: ٤٣)، بالمجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ٤٤٠.

---

٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٥٦.
٣٠. الداني، المحكم ٢، ١٨.
٣١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٥٩.
٣٢. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٤٧، وانظر الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٥٩.
٣٣. القرطبي، تفسير ١٩: ١٥٥.

www.christianlib.com

هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ
مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ
حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

٤٥: ٢٤

- قراءة الجماعة: ‹نَمُوتُ وَنَحْيَا›.[٣٤]
- وقرأ ابن مسعود: «نَحْيَا و نَمُوتُ».[٣٥]

ذهب المفسرون إلى أن هؤلاء القوم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، بحسب سياق الآية وما يليها، وذلك واضح فيما ذكره الطبري بقوله: «وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ خَبَره عَنْهُمْ: مَا حَيَاة إِلَّا حَيَاتنَا الدُّنْيَا الَّتِي نَحْنُ فِيهَا لَا حَيَاة سِوَاهَا تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْد الْمَمَات»،[٣٦] إذًا فكرة الحياة بعد الموت غير واردة لديهم.

والسؤال المطروح هو: كيف لهؤلاء أن يقولوا ‹نَمُوتُ وَنَحْيَا›، كما ورد في النص القرآني، إن كانوا لا يؤمنون بالبعث بعد الموت؟

ولتبرير ورود هذه المعضلة، حاول بعض المفسرين إعطاء بعض الاحتمالات على النحو التالي:

- نموت نحن ويحيا أولادنا، كما يقال «ما مات من خلف ابنًا».[٣٧] وهو ما يقال مجازيًا فقط، ويقوله المسلم وغيره، ولو كان هؤلاء «المشركون» يقصدون هذا المعنى لما قالوا في الآية التي تليها: ‹ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ›، إن كانوا فعلاً يعتقدون أنهم استمرار لآبائهم.

٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٦٦.
٣٥. القرطبي، تفسير ١٩: ١٦٤.
٣٦. الطبري، تفسير ٢١: ٩٥.
٣٧. نفس المصدر، والرازي، تفسير ٢٧: ٢٧٠، والزمخشري، الكشاف ٥: ٤٨٧، وقارن القرطبي، تفسير ١٩: ١٦٤.

www.christianlib.com

- يموت بعض ويحيا بعض.[38] هذا الطرح -مثل ما سبقه- يتنافى مع ما جاء في (الزمر ٣٩: ٣)، وعن مجاهد ‹ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى›، قال: «قريش تقوله للأوثان»، وعن تفسير تلك الآية أضاف ابن زيد: «قالوا [أي قريش] هم [أي الأوثان] شفعاؤنا عند الله، وهم الذين يقربوننا إلى الله زلفى يوم القيامة».[39] وهو ما يؤكد إيمانهم بالبعث والقيامة. **وهنا نتساءل:** هل كان أهل قريش يؤمنون بالبعث والقيامة كما تخبرنا (الزمر ٣٩: ٣)، أم لا يؤمنون بذلك كما يظهر من الآية التي نحن بصددها؟
- نكون مواتًا نطفًا في الأصلاب، ونحيا بعد ذلك.[40] والواقع أن محمدًا نفسه كان يعتقد بهذا الطرح، الذي «ثبت في صحيح مسلم وغيره»،[41] حيث يشرح فيه محمد أطوار الجنين، ومدة الحمل حيث قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَع خَلْقه فِي بَطْن أُمّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُون فِي ذَلِكَ عَلَقَة مِثْل ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُون فِي ذَلِكَ مُضْغَة مِثْل ذَلِكَ، ثُمَّ **يُرْسِل اللَّه الْمَلَك، فَيَنْفُخ فِيهِ الرُّوح**...».[42] كما نلاحظ أن الملاك ينزل فينفخ الروح في الجنين بعد مرور مائة وعشرين يومًا، أي أنه كان بدون روح قبل تلك النفخة، وهو عكس ما أثبته العلم.
- على التقديم والتأخير.[43] حيث يلاحظ في هذه الآية التغيير في مواضع الكلمات، وليس فقط الاختلاف في التنقيط.

ومادام هؤلاء القوم لا يؤمنون بالبعث، كما يؤكد سياق هذه الآية، والآية اللاحقة، فبالتالي تكون قراءة ابن مسعود هي الأكثر ترجيحًا.

٤٥: ٢٥ ـ ٢٦

من التحديات الكبيرة التي كانت أمام محمدٍ، طلب قريش الدائم منه تقديم البرهان على صحة ادعائه النبوة، من خلال عمل معجزة أو الإتيان بآيات مختلفة. وكانت إحدى طلباتهم أن يقيم لهم آباءهم من الموت، قائلين له: «إن كنت صادقًا فيما تتلو علينا وتُخبرنا، حتى نصدّق بحقيقة ما تقول».[44]

---

٣٨. الرازي، تفسير ٢٧: ٢٧٠، الطبري، تفسير ٢١: ٩٥، والزمخشري، الكشاف ٥: ٤٨٧، وقارن القرطبي، تفسير ١٩: ١٦٤.
٣٩. الطبري، تفسير ٢٠: ١٥٧، ١٥٨.
٤٠. الرازي، تفسير ٢٧: ٢٧٠، الطبري، تفسير ٢١: ٩٥، والزمخشري، الكشاف ٥: ٤٨٧، وقارن القرطبي، تفسير ١٩: ١٦٤.
٤١. .القرطبي، تفسير ١ : ٢٩٦، وذُكر هذا الحديث في أكثر من تسعين مرجعًا إسلاميًا.
٤٢. نفس المصدر، التشديد مضاف.
٤٣. الرازي، تفسير ٢٧: ٢٧٠، الطبري، تفسير ٢١: ٩٥، والزمخشري، الكشاف ٥: ٤٨٧، وقارن القرطبي، تفسير ١٩: ١٦٤.
٤٤. الطبري، تفسير ٢١: ٩٩.

www.christianlib.com

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا
كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ وَإِذَا
قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن
نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ
يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ
ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧

رد محمد على السائلين القرشيين بقوله لهم إن الأموات سوف يجتمعون سويةً بعد الموت (آية ٢٦). وبهذا الجواب تخلص محمد من طلب الإتيان بمعجزة. ولكن كان بعيدًا عن فعل المعجزة، وبعيدًا عن الحجة، إذ بوسع أي شخص أن يعلن أنه مُرسل من السماء وأنه يعد بمعجزات تحصل يوم القيامة. والطريف أن قول القرآن عن سؤالهم: ‹مَّا كَانَ **حُجَّتَهُمْ** إِلاَّ أَن قَالُوا›، كان على سبيل التهكم، معتبرًا أن قولهم ليس بحجة.[٤٥] فهل كان جواب محمد في الآية (٢٦) حجة؟

---

٤٥. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٨٨.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُميت السورة بـ«سورة الأحقاف» لأن لفظة «الأَحْقَاف» (آية ٢١) وردت في هذه السورة فحسب في القرآن (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٥).

السورة مكية. ولكن يوجد آراء تعزي آيات إلى المدينة، فاستثنى البعض الآية ١٠ قائلين إن الآية تشير إلى إسلام عبد الله بن سلام الذي أسلم بعد الهجرة، والآيات ١٥ ـ ١٨، ٣٥ بدون تحديد السبب (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٥)، ويعلق نولدكه على الرأي القائل بمدنية الآيات إنه بدون أسباب كافية (نولدكه، تاريخ ١٤٤)، ويلاحظ ويري أن الشاهد في الآية لا يشير إلى شخص محدد خلافًا لادعاء أنه يشير إلى عبد الله بن سلام (Wherry 4: 43).

يؤرخ نولدكه زمن السورة في الفترة المكية الثالثة (نولدكه، تاريخ XXXVI).

من مواضيعها

- وحدانية الله (آيات ٣ ـ ٥).
- الدفاع عن دعوى محمد بأصالة القرآن وصدق محمد وأنه ليس مفتريًا (الآيات ٦ ـ ١٢).
- قصة إسلام نفر من الجن (الآيات ٣٠ ـ ٣١).

www.christianlib.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ② مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ③
قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ

٤٦: ٤

أ. ‹قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ›

- القراءة الشائعة: ‹أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ›.
- قرأ ابن مسعود: «أَرَيْتَكُمْ مَن تَعْبدونَ مِنْ دُونِ اللهِ».[1]
- وذكر أبو جعفر النحاس أن ابن مسعود قرأ: «أَرَيْتُمْ مَن تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ».[2]

القراءة الشائعة استخدمت «مَا» وهي للمعبود من غير العاقل، أي الأصنام التي كان يعبدها أهل قريش، بينما استخدام ابن مسعود للحرف «مَنْ» للمعبود من العاقل، وهنا إشارة إلى عبادة الملائكة، ولهذه الإشارة ما يبررها في القرآن حيث جاء في سورة الإسراء: ‹أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا› (الإسراء ١٧: ٤٠)، وفي سورة آل عمران: ‹وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ...› (آل عمران ٣: ٨٠).

والسؤال هو: هل كان أهل قريش يعبدون الأصنام أم الملائكة؟

١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٧٨.
٢. النحاس، إعراب القرآن ٤: ١٥٧.

www.christianlib.com

وللرد على هذا التساؤل، أوضح الرازي بأن أهل قريش كانوا يصورون الأصنام على شكل ملائكة، حيث كانوا يقولون: «إنما صورنا هذه الأشياء على صور الملائكة المعظمين»، وهي صُورٌ على شكل إناث، وسميت بأسماء إناث، كاللات مثلاً.[٣]

واختلاف القراءات هنا يظهر اختلافًا في المعنى والرسم، حيث إن من قرأ بـ «مَنْ»، قرأ على الأصل أي الملائكة، أما القراءة بـ ‹مَا›، فهي إشارة للأصنام التي على شكل الملائكة.

ب. ‹أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ›

- قراءة الجمهور: ‹أَثَارَةٍ›.[٤]
- وقرأ ابن عباس وقتادة وغيرهما عن الأعمش: «أَثَرَةٍ»، بغير ألف.[٥]
- وقرأ علي بن أبي طالب وغيره: «أَثْرَةٍ»، بتسكين الثاء.[٦]
- وقُرئ: «إِثَارَةٍ» بكسر الهمزة.[٧]

لقد اختلف المفسرون في تأويل ‹أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ› حيث ذكر ابن كثير:

> «أو دَلِيل بَيِّن عَلَى هَذَا الْمَسْلَك الَّذِي سَلَكْتُمُوهُ»، وقال مجاهد: «أَوْ أَحَد يَأْثُر عِلْمًا»، وعن قتادة:»خَاصَّة مِنْ عِلْم»، وعن ابن عباس: «أَوْ بَيِّنَة مِنْ الْأَمْر»، وعنه أيضًا: «يَعْنِي الْخَطّ»، وقال سفيان: «لَا أَعْلَم إِلَّا عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَثَرَة مِنْ عِلْم قَالَ الْخَطّ»، ويختم ابن كثير قوله أن: «كُلّ هَذِهِ الْأَقْوَال مُتَقَارِبَة».[٨]

أما الطبري ففي تفسيره لهذا الجزء من الآية ذكر ما يلي:

> «بِمَعْنَى: أَوْ اِئْتُونِي بِبَقِيَّةٍ مِنْ عِلْم»، وعَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن السُّلَمِيّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأهُ «أَوْ أَثَرَة مِنْ عِلْم» بِمَعْنَى: أَوْ خَاصَّة مِنْ عِلْم أُوتِيتُمُوهُ» وعن ابن عباس «قَالَ: خَطّ كَانَ يَخُطّهُ الْعَرَب فِي الْأَرْض»، وَقَالَ آخَرُونَ: «بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: بِبَقِيَّةٍ مِنْ عِلْم».[٩]

---

٣. الرازي، تفسير ٢٨: ٢٩٧.
٤. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٥٦.
٥. ابن جني، المحتسب ٢: ٢٦٤.
٦. نفس المصدر.
٧. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٧٩.
٨. ابن كثير، تفسير ١٣: ٦-٧.
٩. الطبري، تفسير ٢١: ١١٢-١١٤.

www.christianlib.com

ولم يبتعد القرطبي عن هذه التأويلات السابقة.[١٠] فمما سبق نلاحظ أن المفسرين أتوا بأقوال ومعانٍ كثيرة، منها:

- خَاصَّة مِنْ عِلْم.
- بَيِّنَة مِنَ الأَمْر.
- خَط كَانَ يَخُطهُ الْعَرَب فِي الْأَرْض.
- بَقِيَّة مِنْ عِلْم وغيرها من الأقوال.

هذه الاختلافات تظهر أن المفسرين ليس لديهم اليقين في المعنى الحقيقي للكلمة، ولذا تضاربت تفسيراتهم بشأن المعنى. وإذا رجعنا إلى رسم المصحف نجد الكلمة قد جاءت على الشكل التالي ‹اىره›. وفي مخطوطة طوب قابي جاءت الكلمة ‹اىاره›.[١١]

فهل هذه الكلمة كانت في الأصل «إنارة» قبل التنقيط والتشكيل؟ وما يدفع لهذا التساؤل أن هذا المعنى قد ورد في بعض مواضع القرآن، حيث جاء في سورة المائدة هذا الوصف للتوراة: ‹إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...› (المائدة ٥: ٤٤)، والإنجيل في نفس السورة: ‹...وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ...› (المائدة ٥: ٤٦)، وورد في تفسير الطبري لكلمة «وَنُورٌ» أن المعنى: «وَضِيَاء مِنْ عَمَى الْجَهَالَة»؛[١٢] أي أن هذه الكتب نورٌ يُضيء ظلمة الجهل.

وبالرجوع إلى الآية التي نحن بصددها، نجد أن صاحب القرآن يطالب هؤلاء المشركين بالإتيان بكتاب سبق هذا القرآن فيه نورٌ من علمٍ يضيء ظلمة الجهل، أو كما قال الرازي: «العلم نورٌ والجهل ظلمة...ولهذا السبب جرت عادة القرآن بالتعبير عن العلم والإيمان بالنور، وعن الجهل والكفر بالظلمات».[١٣] ويضيف ابن كثير: «وإنما العلم نور يجعله الله في القلب».[١٤]

---

١٠. القرطبي، تفسير ١٩: ١٧٩-١٨٠.
١١. آلتي قولاج، مصحف طوب قابي ٦٦٢، الرقعة ٣٢٩ ب.
١٢. الطبري، تفسير ٨: ٤٨٢.
١٣. الرازي، تفسير ١٧: ٤٤.
١٤. ابن كثير، تفسير ١١: ٣٢٠.

www.christianlib.com

صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ
لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ
كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

٤٦: ٥

- القراءة الشائعة: ‹يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ›.
- وذكر الزمخشري أنه قُرئ: «يَدْعُو غَيْرَ اللهِ مَن لا يستجيب».[١٥]
- وقرأ ابن مسعود: «...مَا لَا يَسْتَجِيبُ»، وعن ابن عطية أنها كذلك في مصحفه.[١٦]

ليس هناك فرق في المعنى بين بين القراءتين الأولى والثانية، لكن القراءة التي ذكرها الزمخشري لا تُوافق رسم المصحف. أما قراءة ابن مسعود فقد جاءت بـ «مَا» لغير العاقل؛ أي أن المدعوين هم أصنام على شكل الملائكة. بينما القراءة الشائعة جاءت بـ ‹مَنْ› للعاقل، مما يؤكد بأن المقصود هنا هو الملائكة، لكن نهاية الآية قد يُفهم منها أن الحديث عن الأصنام الذين ‹هُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ›. ومن ثم قد تكون الأصنام هي المقصودة هنا حيث لا تملك أن تستجيب، وهذا ما ذهب إليه الطبري في قوله: «لَا تُجِيب دُعَاءَهُ أَبَدًا، لِأَنَّهَا حَجَر أَوْ خَشَب أَوْ نَحْو ذَلِكَ»،[١٧] ولكن يبقى الأمر غامضًا هل المقصود في الآية الملائكة أم الأصنام؟

---

١٥. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٩٢.

١٦. النحاس، إعراب القرآن٤: ١٥٩ وانظر الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٨٠، الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٩٢.

١٧. الطبري، تفسير ٢١: ١١٦.

www.christianlib.com

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ
بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

٤٦: ٨

يذكر القرآن أنه كان هناك بعض «المشركين» يقولون عن القرآن إن محمدًا «يختلقه [القرآن] من عند نفسه ثم ينسبه إلى أنه كلام الله».[١٨] وردًا على قول مشركين قرشيين عن محمد إنه اختلق القرآن،[١٩] أجاب محمد: ‹إِنِ افْتَرَيْتُهُ›، فإن الله سيعاقبني أنا. وهنا يعلن محمد استعداده لتحمل نتائج دعوته. ولكنه لم يفسر لنا مصير الذين آمنوا بالقرآن؛ فإن كان هو مستعدًا لتحمل نتائج إيمانه الخاص، فما ذنب الآخرين الذين صدقوا القرآن واتبعوا هذا الدين دون غيره، بناءً على دعوى محمد؟

٤٦: ٩

يقول محمد إنه لا يدري مصيره الآخروي كما مصير الآخرين، وقد نسخت بسورة الفتح (٤٨: ١-٢): ‹إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ›.[٢٠]

١٨. الرازي، تفسير ٢٨: ٧.
١٩. الطبري، تفسير ٢١: ١١٨.
٢٠. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٢ ـ ٨٣، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٦، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٣، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٦٢٧.

www.christianlib.com

٤٦: ٩

- قراءة الجماعة: «بِدْعًا»، بسكون الدال.[٢١]
- وقرأ عكرمة وأبو حيوة وغيرهما: «بِدَعًا»، بفتح الدال.[٢٢]

  - قراءة الجماعة تعني: «أَوَّل مَنْ أُرْسِلَ، قَدْ كَانَ قَبْلِي رُسُل؛ عَنْ اِبْن عَبَّاس وَغَيْره. البِدْعُ: الأول»[٢٣]. والبدْع بالسكون «يعني الشيء الذي يكون أولاً»،[٢٤] وأضاف ابن منظور أن معنى هذه الآية: «ما كنتُ أول مَن أرسِل، قد أُرسل قبلي رسلُ كثيرٌ».[٢٥] وهذا ما ذهب إليه ابن كثير أيضًا في قوله: «أي: لست بأول رسول طرق العالم».[٢٦]
  - وقراءة عكرمة وأبو حيوة: «بِدَعًا»، و«بَدَعَ الشيء يبدعه بدعًا، وابتدعه: أنشأه وبدأه»،[٢٧] وبهذه القراءة فالآية تعني «ما كُنتُ صاحب بدَع».[٢٨]

نجد في الآيتين السابقتين أن «المشركين» قد طعنوا في آيات القرآن لما سمعوها، ووصفوا ما سمعوه بأنه افتراء وسحر مبين. وفي تفسيره للآية السابعة، ذهب الطبري إلى أنهم يعنون: «هذا القرآن خداع يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه، فعل السحر».[٢٩] وأضاف الرازي بأنهم قالوا «إنه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه إلى أنه كلام الله على سبيل الفرية»،[٣٠] وقد جاءت الآية التاسعة لتدافع عن محمد بأن ما يأتي به ليس من اختلاقه وابتداعه وإنما هو مما يوحى إليه، وهذا ما جاءت به قراءة عكرمة، ولذا فهي الأرجح.

---

٢١. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٨٢.
٢٢. ابن خالويه، مختصر ١٤٠؛ الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٨٣.
٢٣. القرطبي، تفسير ١٩: ١٨٣.
٢٤. ابن منظور، لسان العرب ٢٢٩.
٢٥. نفس المصدر.
٢٦. ابن كثير، تفسير ١٣: ٨.
٢٧. ابن منظور، لسان العرب ٢٢٩.
٢٨. القرطبي، تفسير ١٩: ١٨٤.
٢٩. الطبري، تفسير ٢١: ١١٧.
٣٠. الرازي، تفسير ٢٨: ٧.

www.christianlib.com

٤٦: ١٠

سعيًا للتأكيد على صحة القرآن، قالت هذه الآية إن ثمة شاهدًا من بني إسرائيل قد آمن به، إلا أن هوية هذا الشاهد غير مذكورة في الآيات، ولا يمكن الحصول على اسمه إلا من المفسرين الذين لم يتفقوا على شخص واحد بعينه، حيث قالوا:

ج. إنه عبد الله بن سلام.[٣١]

- فإذا أخذنا بهذه الرواية وقبلنا شهادة هذا اليهودي، فإن الآية تقول إنه شهد ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾. وليس في هذه العبارة ما يشير إلى تأكيد صحة القرآن. وقد شرحت بأنها: «على مثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد».[٣٢] وتوسع آخرون في شرحهم، فقالوا إن عبد الله شهد على صحة نبوة محمد وصدق القرآن، وأن ذلك موجود في التوراة.[٣٣]
- إن هذا التفسير غير تاريخي. وقد لاحظ مفسرون ذلك، لأن السورة مكية، وقصة إسلام عبد الله بن سلام جرت في المدينة.[٣٤]

د. إن الشاهد هو موسى.[٣٥]

الإشكالية هنا في عبارة ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾. فمتى آمن موسى بمحمد إذا كان هو المقصود في الآية؟

هـ. فريق آخر قال إن الشاهد في الآية ليس شخصًا محددًا، بل يُقصد بها أن ذِكْر محمد موجود في التوراة، وأن تقدير الكلام هو: «لو أن رجلاً منصفًا عارفًا بالتوراة» لكان قد شهد على صدق محمد.[٣٦]

الآية غير واضحة المعنى والسياق التاريخي. والأرجح أنها ادّعاء من محمد بأن دعوته تتطابق مع شيء مماثل عند بني إسرائيل. وربما كان المقصود بعبارة ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ هو الإشارة إلى شخص يهودي معروف لدى القرشيين، وليس إلى موسى كما يعتقد بعض المفسرين. وفي كل الأحوال، هذه مجرد افتراضات، وليس بالوسع حسمها.

---

٣١. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٩٥، الرازي، تفسير ٢٨: ٩.
٣٢. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٩٦.
٣٣. الطبري، تفسير ٢١: ١٣٠.
٣٤. نفس المصدر ٢١: ١٢٥، ١٢٦.
٣٥. نفس المصدر ٢١: ١٢٤.
٣٦. الرازي، تفسير ٢٨: ١٠.

www.christianlib.com

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ
لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ
خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ
شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

٤٦: ١٢

تقول الآية إن كتاب موسى إمام، وإن القرآن مصدِّق له بلغة عربية. (انظر التعليق في المربع بعنوان: «القرآن يشهد على صحة الكتاب المقدس» (ذيل التعليق على آل عمران ٣ ـ ٤)، الجزء الأول من هذا الكتاب).

www.christianlib.com

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ
أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾
وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا
فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا
كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ
ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ
يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ
أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ
مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ
بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ
أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم
مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذۡ

www.christianlib.com

صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ

٤٦: ١٦

- القراءة الشائعة: ﴿نَتَقَبَّلُ...أَحْسَنَ...وَنَتَجَاوَزُ﴾، بالنون.
- وقرأ الحسن والأعمش وغيرهما: «يَتَقَبَّلُ...أَحْسَنَ...ويَتَجاوَزُ»، بالياء المفتوحة.[٣٧]
- وقرأ نافع وابن كثير وغيرهما: «يُتَقَبَّلُ...أَحْسَنُ...ويُتَجاوَزُ».[٣٨]

تختلف هذه القراءات باختلاف الفاعل فيما بينها، فالقراءة الشائعة بنون العظمة، والحسن بفتح الياء والفاعل هو الله،[٣٩] أما قراءة نافع ومن معه فالفاعل مجهول، وهنا يمكن التكهن بأنه الله، أو جبريل، أو محمد.

والظاهر، كما في الكثير من مواضع القرآن، فالاختلاف الحاصل هو بسبب غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى.[٤٠]

٤٦: ٢٩ ـ ٣٢

رفضت قريش الإيمان بدعوة محمد، فجاءت هذه الآيات تقول إنه ولو كان الإنس (= قريش) قد رفضوا الإيمان بدعوة محمد، فإن ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ استمعوا إلى القرآن وذهبوا إلى قومهم مبشرين به، ومخبرين بنبأ محمد، وأنه يتلو كتابًا سماويًا مثل كتاب موسى أيضًا (الآية ٣٠)، وقالوا إن الإيمان به يجنبهم العذاب في الآخرة (الآية ٣١)، وإن العقاب سينزل بمن لا يؤمن (الآية ٣٢).

٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٤٩٢، وانظر الزمخشري، الكشاف ٥: ٤٩٩.
٣٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ١٦٧.
٣٩. القرطبي، تفسير ١٩: ١٩٩.
٤٠. الداني، المحكم ٢، ١٨.

www.christianlib.com

وتقول الروايات إن عدد الجن كان يتراوح بين سبعة وتسعة،[٤١] وإنهم كانوا يسترقون السمع إلى السماء. فلما وُضع الحراس، صار كل مَن يقترب من السماء للاستماع يُرجم. فعرف الجن أن في الأمر خطبًا جللاً، فتوجه سبعة أو تسعة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى لمعرفة ما يجري. فلما وصلوا تهامة، استمعوا إلى قراءة محمد للقرآن، وكان ذلك عند رجوعه من الطائف.[٤٢]

وأما سبب قول الجن: ‹من بعد مُوسى›، لأن هؤلاء الجن كانوا يدينون باليهودية، ولم يكونوا قد سمعوا برسالة المسيح.[٤٣]

ونعلق

أولاً: يخبر محمد قريشًا أن الجن سمعت قرآنه وذهبت تبشر به. وهذا ادّعاء لا يمكن إثباته، إذ كان يجب على محمدٍ تقديم البرهان على حضور الجن لديه، وهو ما لم يقم به.

ثانيـًا: ما دام الأمر يتعلق باللامنظور، فبإمكان أي شخص أن يدّعي رسالة، ويقول إن الجن من كل حدب وصوب آمن برسالته.

ثالثـًا: بما أن الجن آمن بمحمد، فلماذا لم تحارب معه في معاركه، لا سيما في معركة أُحد التي مُني فيها المسلمون بهزيمة نكراء؟

رابعـًا: إذا أجابنا أحد بأنه لم يؤمن بمحمد سوى هؤلاء النفر من الجن، يبقى السؤال المطروح هو: لمَ لم يُقدّم أولئك الرواد من الجن براهين للإنس كي يؤمنوا بمحمدٍ، إذ كان بوسعهم مساعدة محمد مساعدة كبيرة إن شهدوا له أمام الناس؟

خامسًا: رُويَ أن الجن كانوا يؤمنون باليهودية لأنهم لم يسمعوا بدعوة المسيح. فهل يُعقل أنهم لم يسمعوا عنه على مدى ستمئة سنة، وهم الذين كانوا يسترقون السمع إلى السماء؟

حيثيّات تاريخية

يُروى أن لقاء الجن بمحمد حصل في أثناء عودته من الطائف. والقصة كما وردت في المصادر هي كالتالي:

---

٤١. الطبري، تفسير ٢١: ١٦٤ ـ ١٦٥.

٤٢. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥١٠.

٤٣. نفس المصدر ٥: ٥١٢.

www.christianlib.com

مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ
أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ

في حوالي السنة الثالثة قبل الهجرة (٦١٩ م)، توفي كل من خديجة (زوجة محمد) وأبي طالب (عم محمدٍ). وكانت وفاتهما متقاربة جدًا (بضعة أيام أو أسابيع)؛ وهذان الحدثان زعزعا ثقة محمد بنفسه. كما أن موت أبي طالب أضعف من مركز محمد في مكة، إذ صار عرضة لتحرشات قريش. وفي إحدى المرات نثر قرشيٌّ ترابًا على رأس محمد، فعلّق بالقول: «ما نالت قُرَيْش منّي شيئًا أكره، حَتّى مات أبو طالب».[٤٤]

وفي لجة اليأس، قرر محمد أن يبشر أهل الطائف، وكان يأمل أن يفتح أفقًا جديدًا. فتوجه بصحبة زيد بن حارثة إلى منطقة الطّائف حيث توجد قبيلة ثقيف،[٤٥] فأقام عندها عشَرة أيامٍ دون أنْ يجد من أهلها أيَّةَ استجابةٍ، فرجع إلى بلده. وفي طريق عودته مكث في وادي نخلة أيامًا. وبينما كان يصلّي في إحدى الليالي، تراءى له نفرٌ من الجنّ، وأصغوا إلى القُرْآن (الأحْقَاف ٤٦: ٢٩)؛ فسمع محمد كلامًا يطلب منه أنْ يخبرَ قومَه أنَّ الجنَّ استمعت إلى القُرْآن، وآمنت به (الجِنّ ٧٢: ١)، ورأت ‹أَنَّه يَهْدِي إلى الرُّشْدِ› (الجِنّ ٧٢: ٢).

كان هذا التخيل قوة دعم نفسي لمحمد، فاستمد ثقةً لمواصلة نشاطه الدعوي. وبهذا، فإن محمدًا اصطنع معجزة لنفسه، لا لقريش. ولذلك بقيت قريش رافضة لدعوى محمد، بينما تقوى هو بالمعجزة المتخيلة. (بشأن قوة الخيال عند محمد انظر «جبريل محمد»، بالمجلد الأول من هذا الكتاب ١: ٢١).

٤٤. سيرة ابن هشام ١: ٤١٦، الطبري، تاريخ ١: ٥٥٣ ـ ٥٥٤.
٤٥. سيرة ابن هشام ١: ٤١٩.

www.christianlib.com

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ
قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ
أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ
يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥

٤٦: ٣٣

- قرأ الجمهور: ‹بِقَادِرٍ›.[٤٦]
- وقرأ ابن مسعود: «قَادِرٌ»، بالرفع خبر أَنَّ.[٤٧]
- وقرأ الجحدري وزيد بن علي وآخرون: «يقدِرُ».[٤٨]

قراءة الجمهور جاءت بصيغة اسم الفاعل بباء زائدة، وقد اختلف النحويون في تعليل وجود هذه الباء ‹بقادر›:

- فهي بحسب بعض نحاة البصرة: «هذه الباء كالباء في قوله ‹وكفى بالله›»،[٤٩] لأنها جاءت هنا للتعجب.[٥٠]
- وقال بعض نحاة الكوفة: دخلت هذه الباء على ‹لم›، وذكر الطبري أن دخول الباء هنا للجحد، ردًا على من ينكر على الله أنه يميت ويحيي.[٥١]

---

٤٦. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٦٧.
٤٧. ابن عطية، المحرر الوجيز ٥: ١٠٦.
٤٨. نفس المصدر، وانظر حاشية الطبري، تفسير ٢١: ١٧٥ هامش رقم ١.
٤٩. الرعد١٣: ٤٣، الإسراء ١٧: ٩٦، العنكبوت ٢٩: ٥٢.
٥٠. الطبري، تفسير ٢١: ١٧٦ _ ١١٧.
٥١. نفس المصدر ٢١: ١٧٤.

www.christianlib.com

لهذا اعتبر ابن مسعود هذه الباء زائدة فجعل الكلمة «قَادِرٌ» خبر أَنَّ مرفوع، إلا أنها لا توافق رسم المصحف العثماني «ىمدر»، ولو أعدنا تنقيط رسم المصحف بما يناسب سياق الآية، فمن الجائز أن يأتي الفعل (يقدر)، وهذا ما جاءت به قراءة الجحدري ومن قرأ بها، وهذا يعود بنا إلى أن هذا الاختلاف من الأرجح سببه غياب التنقيط في المصاحف الأولى.

٤٦: ٣٥

في الآية مطالبة لمحمد أن يتحلى بالصبر أسوة بأشداء الرسل سابقًا، مثل نوح - إبراهيم، موسى.[٥٢] وقد نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٥٣]

٤٦: ٣٥

- قرأ الجمهور: «بَلَاغٌ».[٥٤]
- وقرأ الحسن كذلك: «بَلَاغٍ»، بكسر الغين، صفة لـ (نهار).[٥٥]
- وقرأ أبو مجلز وأبو سراج الهذلي وغيرهما: «بَلِّغْ»،[٥٦] على الأمر.[٥٧]

اختلف المفسرون في سبب مجيء قراءة الجماعة بالرفع على الأوجه التالية:

- أن «بلاغٌ» خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هذا القرآن»، قاله الحسن.[٥٨]
- «لم يلبثوا إلا ساعة من نهارٍ، ذلك لُبْثُ بلاغٍ. بمعنى: ذلك بلاغٌ لهم في الدنيا إلى أجلهم. ثم حُذِفت: ذلك لُبْثُ».[٥٩]
- معناه: «هذا القرآن والتذكير بلاغٌ لهم وكفايةٌ إن فكَّروا واعتبروا فتذكَّروا».[٦٠]

والقارئ لهذه الآية يدرك أن هناك قطعًا في المعنى حسب قراءة الجمهور، لذا لابد من تقدير مبتدأ ليُفهَم المعنى المراد.

٥٢. الطبري، تفسير ٢١: ١٧٦ - ١٧٧.
٥٣. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٥، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٦، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٥.
٥٤. الخطيب، معجم القراءات ٨: ٥١٨.
٥٥. العكبري، إعراب القراءات ٢: ٤٨٢.
٥٦. ابن خالويه، مختصر ١٤٠.
٥٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٣٧، انظر الخطيب، معجم القراءات ٨: ٥١٨.
٥٨. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٣٧.
٥٩. الطبري، تفسير ٢١: ١٧٨.
٦٠. نفس المصدر.

www.christianlib.com

أما بالنسبة لقراءة الحسن والتي اعتبرت «بلاغٍ» بالكسر صفة لـ «نهارٍ»، فهي مقبولة إعرابيًا، وإن كانت لا تفيد في إزالة الغموض من المعنى. أما لو أخذنا بقراءة أبي مجلز وأبي سراج وهي صيغة الأمر للنبي «بَلِّغْ»، فهي تأتي ضمن سياق الآية، حيث جاء فيها فعلان بصيغتي الأمر والنهي للنبي وهما (فاصبر- ولا تستعجل) فهنا يمكن أن يكون فعل الأمر أيضًا «بلغ» أي بلغهم القرآن أو التحذير، وقال القرطبي في هذه القراءة: «...فعلى هذه القراءة يكون الوقف على ‹من نهارٍ› ثم يبتدئ: «بَلِّغ»»[٦١] حيث تصبح الآية:

«**فَاصْبِرْ** كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ **وَلَا تَسْتَعْجِلْ** لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ. **بَلِّغْ** فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ»

كما أن هذه القراءة مطابقة تمامًا لرسم المصحف «بلع».

٦١. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٣٧.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمــــــة

تسمى هذه السورة في مصادر الحديث «سورة محمد»، لأن اسم محمد جاء في الآية الثانية منها. وكما ورد لها في التفاسير اسم آخر هو: «سورة القتال»، لأنها اشتملت على مشروعية القتال، في الآية: ‹وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ› (آية ٢٠). وفي روايات البخاري اسم السورة بـ: «سورة الذين كفروا» (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٧١).

السورة مدنية باتفاق العلماء المسلمين. ولكن يوجد رأي يقول إنها مكية، اعتبره ابن عاشور وهمًا ناشئًا عن رواية تقول إن الآية (١٣): ‹وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ›، نزلت لما كان محمد في طريق مغادرته مكة، ولم يصل بعد إلى غار حراء (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٧١).

يؤرخ نولدكه السورة بعد نصر بدر، بناءً على تفسير للآية (٣٠)، إذ يرى أنها تشير إلى ميل لدى أصحاب محمد لعقد سلام مع قريش عقب انتصار بدر (نولدكه، تاريخ ١٧٠). ويتحفظ ويري على هذا الرأي قائلاً «إنه بعد نصر بدر تبدد كل خوف لدى المسلمين» (Wherry, 4: 52)، ويميل لاتباع رأي موير بأن هذه السورة كانت قبل معركة بدر، أي حوالي سنة ١ هجرية (Wherry, 4: 52). أما الحداد، فهو يقدم تاريخًا أبعد من الجميع، إذ يؤرخها في الفترة الواقعة بين غزوتي أحد والخندق (الحداد، أطوار ٨٢٤).

الموضوع الأساسي للسورة هو التحريض على القتال. ففيها أُعلن انتهاء عصر السلام، وجاء زمان قطع الرقاب.

www.christianlib.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ
أَمْثَٰلَهُمْ ٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ
فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ
وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ
قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ٥

٤٧: ٤

تحدد الآية كيفية التعاطي مع العدو في أثناء المعركة، انظر التعليق على (الأنفال ٨: ٦٧)، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

٤٧: ٤

قيل إن هذا الجزئية قد نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)،[١] إذ لم يعد يجوز أن يُفدَى الأسرى ولا يُمَنَّ عليهم، لأن الآية نسخت بآية السيف: ‹فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم› (التوبة ٩: ٥).[٢]

ثمة رأي يقول إنها محكمة، إذ يحق للحاكم قبول الفداء من عدمه.[٣]

١. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٥، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٦، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٦.
٢. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٣: ٥.
٣. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٦.

٤٧: ٤

- القراءة الشائعة: ﴿قُتِلُوا﴾.
- قرأ زيد بن ثابت والحسن وأبو رجاء وغيرهم: «قُتِّلوا».[٤]
- وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وأبو حيوة: «قَتَلوا».[٥]
- وقرأ الحسن: «قَتَّلوا».[٦]
- وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وغيرهم: «قاتَلوا».[٧]

لهذه القراءة معانٍ متعددة بحسب صيغتها، نوضحها فيما يلي:

- القراءة الشائعة ﴿قُتِلوا﴾: المقصود الذين ماتوا في سبيل الله على أيدي المشركين ولكن دون ذكر لأسماء الفاعلين.
- قراءة زيد «قُتِّلوا»: أي الذين قتلهم المشركون واحدًا بعد الآخر مع التكثير.
- قراءة الجحدري «قَتَلوا»: أي المسلمون الذين قتلوا المشركين.
- قراءة الحسن «قَتَّلوا»: أي المسلمون الذين قتلوا المشركين، الواحد تلو الآخر مع التكثير.
- قراءة نافع «قاتَلوا»: أي الذين قاتلوا المشركين وجاهدوا، وهنا يمكن أن يكونوا قد ماتوا قتلاً أو لا، أو مات بعضهم أثناء القتال.

لو أخذنا القراءات التي تشير إلى من قُتِلوا في سبيل الله، فهذا يعني استثناء أولئك الذين لم يُقتَلوا؛ أما لو أخذنا القراءة التي تشير إلى من قاتلوا في سبيل الله، فهي تشمل الأحياء والأموات ممن جاهدوا. ولو دققنا في السبب وراء هذا الاختلاف في القراءات لوجدنا أن غياب التشكيل والتنقيط وألف المد وسط الكلمة من المصاحف الأولى، جعل القرَّاء يقرؤون الكلمة «قىلوا» بحسب قناعاتهم، وذوقهم اللغوي، وفهمهم للآية فيغيروا المعنى وفق اتجاههم. وهكذا رجَّح الطبري، على سبيل المثال، قراءة نافع بقوله: «وأولى القراءات بالصواب قراءة من قرأه: «والذين قاتلوا»».[٨]

---

٤. ابن خالويه، مختصر ١٤١، الخطيب، معجم القراءات ٩: ٥.
٥. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٥٠.
٦. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٦.
٧. انظر الطبري، تفسير ٢١: ١٩٠، هامش ١.
٨. الطبري، تفسير ٢١: ١٩٠. التشديد في الأصل.

www.christianlib.com

وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ
يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ۞أَفَلَمۡ
يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ
ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا
تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن
قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ
طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً
حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ
عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ
تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ
فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ
لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩

www.christianlib.com

٤٧: ١٥

- قراءة الجمهور: ‹لَذَّةٍ›.[٩]
- وقُرئ: «لذَّةً».[١٠]
- وقُرئ: «لذَّةٌ»، بالرفع صفة لأنهار.[١١]

ذكر الزمخشري أنه «قُرئ بالحركات الثلاث، فالجر على صفة الخمر، والرفع على صفة الأنهار، والنصب على العلة».[١٢]

نلاحظ أن القراءات لهذه الكلمة قد جاءت على كل الاحتمالات، من رفع، وجر، ونصب. أي أن هؤلاء القراء لم يكونوا على يقين من القراءة الأصلية، وذلك نتيجة لغياب التشكيل في المصاحف الأولى. وبالتالي فالنص القرآني هو «حمال أوجه»، فكيف يوافق ذلك القول بوحدة النص القرآني؟ ثم يُتَّهم من يخطئ في إعراب آية باللحن!

٤٧: ١٦

الضمير في كلمة ‹مِنْهُم› مبهم. ويقول المفسرون إنه قد يكون عائدًا إلى الناس، أو ربما إلى أهل مكة.[١٣] وقال آخرون: إنهم المنافقون.[١٤] إضافة إلى هذا، يوجد لدينا أمر مبهم آخر. فمن هم الذين ‹أُوتُوا الْعِلْمَ›؟ هذا ما لا تحدده الآية.

٤٧: ١٧

- قراءة الجماعة: ‹آتَاهُمْ›.[١٥]
- وقرأ ابن مسعود والأعمش: «أنطاهم».[١٦]
- وقرئ: «أعطاهم».[١٧]

٩. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٧٩.
١٠. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٤، وانظر الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٢٢.
١١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ١٨٧.
١٢. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٢٢.
١٣. الرازي، تفسير ٢٨: ٥٧.
١٤. الطبري، تفسير ٢١: ٢٠٣.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٦.
١٦. ابن خالويه، مختصر ١٤٢.
١٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٦٤.

www.christianlib.com

اختلف القراء في اللفظ دون المعنى، وهذا الاختلاف دليل على تطور اللغة واللهجات بحسب الزمان والمكان وغيره من العوامل.

- الطاء ترقق تاءً، كما في بعض اللهجات فيقال لكلمة نطفة «نتفة»، وفي ذات الاتجاه، في القراءات بين «أتي» و«أعطى»، ما قاله جيفري في كتابه بخصوص آية (طه ٢٠: ٣٦) حيث يذكر أن ما قرئ في القراءة الشائعة «أوتيت»، هي «أعطيت» في المصاحف القديمة، ويستنتج بناء عليه أن «أوتيت» هي نفسها «أعطيت».[18]
- كما تقلب العين نونًا إذا اقترنت بالطاء، كما هو الحال في قراءات (الكوثر ١٠٨: ١)،[19] وذلك في بعض اللهجات كاللهجة العراقية، واليمنية،[20] ولهجة جنوب سوريا، خصوصًا منطقة حوران وعند بدو الشام مثلاً، فلفظ «أعطى» يصبح «أنطى». وعن ذلك قال ابن منظور: «الإنطاء: الإعطاء، بلغة أهل اليمن. وفي حديث الدعاء: لا مانع لما أنطيت ولا مُنطى لما منعت، قال: هو لغة أهل اليمن في أعطى».[21] كما ذكر الزمخشري حديثًا آخر عن محمد قال فيه: «وأنطوا الثبجة [متوسط الصدقة]».[22]

من المحتمل أن لهذه القراءات جذرًا واحدًا في الأصل، كما يظهر من الشرح، إلا أن كلمة «آتاهم» قد تطورت لتصبح بمعنى «جاءهم»، وكلمة «أعطاهم»، وأنطاهم بمعنى «أمدهم».

٤٧: ٣١

- قراءة الجمهور: ‹أَخْبَارَكُمْ›.[23]
- قرأ معاذ القارئ وأيوب السختياني: «أَخْيَارَكُمْ»، بالياء، أي: أفاضلكم.[24]

الآية تسير في ذات اتجاه الآية السابقة التي تخبر ‹والله يعلم أعمالكم›، أي لا يُخفى عليه شيء من الأعمال، سواءً أكانت صالحة أو طالحة. وكونه يعرف ‹أَخْبَارَكُمْ› فما الداعي لاختبارها؟

18. Jeffery, *Materials for the History of the Text of the Qur'ān* 146. See also Luxenberg, *The Serio Aramaic* 298-299.

١٩. انظر التعليق على قراءات (الكوثر ١٠٨: ١).
٢٠. انظر الخطيب، معجم القراءات ١٠: ٦١٣.
٢١. ابن منظور، لسان العرب ٤٤٦٥.
٢٢. الزمخشري، الكشاف ٦: ٤٤٥.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٣٢.
٢٤. ابن الجوزي، زاد المسير ٧: ٤١٢.

www.christianlib.com

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ
فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ (٢٠) طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ
فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ (٢١) فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ (٢٢) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ
وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ (٢٤) إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ
لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ
فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ (٢٦) فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ (٢٨) أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ (٢٩) وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ
وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ (٣٠) وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ
نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ (٣١) إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ
ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ (٣٢) ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ (٣٣) إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ
ٱللَّهُ لَهُمۡ (٣٤) فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ

www.christianlib.com

وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ٣٥ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟
وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ٣٧ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ
عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ٣٨

أما قراءة معاذ «أَخْيَارَكُمْ»، فتفيد أن الله يختبر أفضلكم وأخيركم بالجهاد والصبر. فبذلك تكون هي القراءة الأكثر ترجيحًا، وخصوصًا أنها توافق رسم المصحف العثماني الذي كان خاليًا من التنقيط.

٤٧: ٣٦

تقول الآية إن الله لم يطلب من المسلمين التضحية بأموالهم، بل الإيمان فحسب. وقد قيل إنها منسوخة بالآية التالية ‹إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ› (محمد ٤٧: ٣٧).[٢٥] وهذه الآية تقول إن سألكم الله أموالكم، فبخلتهم بها، يتكشف الكثير من مكنونات نفوسكم.

ابن الجوزي يرفض أن تكون الآية منسوخة،[٢٦] ولا يقول شرحًا لسبب رفضه، ولكن يبدو أن رفضه يتأتي من سياق النص، فـ (الآية ٣٧) لا تنسخ السابقة بل تضيف توضيحًا مفاده أن الله لم يسأل المسلمين أموالهم (٣٦)، ولو فعل لتكشف الكثير (٣٧). وهذا توضيح وإضافة.

٢٥. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٥، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٧.
٢٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٦٨.

www.christianlib.com

٤٧: ٣٧

- قراءة الجمهور: ‹وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ›.[٢٧]
- وقرأ مجاهد وابن عباس وابن مُحَيْصِن: «وَتَخْرُج أَضْغَانُكُمْ» بِتَاءٍ مَفْتُوحَة وَرَاء مَضْمُومَة. «أَضْغَانُكُمْ» بِالرَّفْع لِكَوْنِهِ [لكونها] الْفَاعِل».[٢٨]
- وقرأ يعقوب الحضرمي وابن عباس: «وَنُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ»، بالنون.[٢٩]

  - قراءة الجمهور: ‹يُخرجْ› ربما تعود على الله،[٣٠] أو البخل،[٣١] أو الرسول.[٣٢]
  - أما قراءة مجاهد: فالأضغان هي التي تخرج.
  - بينما قراءة الحضرمي: فالله هو الذي يخرج الأضغان منكم.

فباختلاف القراءة يختلف المعنى، وهذا راجعٌ بلا شك إلى أن النص القرآني كان خاليًا من التنقيط والتشكيل لمدة طويلة، ثم أضيف التشكيل والتنقيط بعد ذلك بحسب اجتهاد القرّاء وفهمهم لسياق الآية، مما يدحض مقولة وحدانية النص القرآني وعدم تغيره.

---

٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٣٤، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٨٥.
٢٨. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٩١.
٢٩. ابن خالويه، مختصر ١٤٢، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ١٩٧.
٣٠. انظر الطبري، تفسير ٢١: ٢٣١.
٣١. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٩١.
٣٢. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ٨٥.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

التسمية الوحيدة لها «سورة الفتح»، لأن في السورة وعدًا بفتح ما لمحمد (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ١٤١).

السورة مدنية بمعنى أنها من النصوص التي جاءت بعد الهجرة، لا بالمعنى الجغرافي، لأن الرواية الإسلامية تفيد أنها جاءت لما كان محمد بين المدينة ومكة (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ١٤١).

وبما أن السورة مرتبطة بصلح الحديبية فهذا يعني أنها تعود للسنة السادسة هجرية.

الآيات (١ ـ ١٧) تتصل بصلح الحديبية، ولكن الآيات (١٨) وما بعدها فتتعلق بإخضاع يهود خيبر وجوارها، أي السنة السابعة (نولدكه، تاريخ ١٩٤). وبالتالي نحن أمام سورة استغرق زمن إعلانها حوالي السنة.

يوافق ويري على تقسيم السورة إلى مرحلتين، ويرى أن الجزء الثاني قد أضيف من جانب الناسخين لأنه يتصل بانتصار المسلمين على مكة أيضًا (Wherry 4: 58). ويعطيها زمن إعلان من السنة ٧ إلى السنة ٨ هجرية (Wherry 4: 58-59).

ويلخص الحداد تاريخ السورة بالتالي: «نزلت سورة الفتح في تبرئة سياسة النبي في هدنة الحديبية. ويُسمّى ذاك الصلح «فتحًا مبينًا» لأنه كان الفتح السياسي لمكة تمهيدًا للفتح العسكري. وكانت حملة الحديبية الدينية على مكة في أواخر السنة السادسة للهجرة، وفي أشهر حجها أي في مطلع العام ٦٢٨م. تبعتها للحال غزوة خيبر، في آذار ٦٢٨م، للتعويض بغنائمها السهلة على ما فات المسلمين من الغنائم في الحملة السلمية على مكة. وتبعتها في العام التالي، آذار ٦٢٩م، عمرة القضاء إلى مكة، تنفيذًا لبنود معاهدة الحديبية. فنزلت السورة على مراحل تصف نصر الله لنبيّه، ونصر دينه على الدين كله، ولو كره المشركون، وشكك المنافقون» (الحداد، أطوار ٩٢٣).

من مواضيع السورة

- هدنة الحديبية (آيات ٤ ـ ١٠).
- خيبر (آيات ١٨ ـ ٢٠).
- الإشارة إلى رفعة مقام محمد عند الله (آية ٢).

www.christianlib.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ
نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا
مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)
لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ
عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧)
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَن أَوْفَىٰ

١:٤٨

تقول الآية على لسان الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، ثم تضيف: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾. وهذا النص يتألف من:

مقدمة، هي: أن الله ينصر محمدًا نصرًا كبيرًا.

ونتيجة، هي: أن الله يغفر لمحمد كل ذنوبه القديمة واللاحقة.

www.christianlib.com

ما العلاقة بين الفتح والمغفرة؟ كيف أدت هذه المقدمة إلى هذه النتيجة؟ لا جواب.

من جانب آخر، عندما تلا محمد هذا النص قال: «لقد أُنزِلت عليَّ آيةٌ أحبُّ إليَّ مما على وجه الأرض». فسأله المستمعون عن مستقبلهم هم، بما أن الله بيّن له مصيره، فجاءته الآية: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ...﴾ (الفتح ٤٨: ٥).[١] وعليه، تصبح لدينا **نتيجتان لمقدمة الفتح**: (١) غفران جميع ذنوب محمد القديمة والمستجدة. (٢) دخول المؤمنين الجنة!

٤٨: ٢

تقول الآية إن الله غفر لمحمد ما تقدم من أفعاله وما تأخر. وكما ورد على لسان المفسرين: «﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ قبل الرسالة. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعدها».[٢] وأيضًا «هذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها غيره».[٣] قارن التعليق على (الأحزاب ٣٣: ٤٠)، صفحة ٢٠٧.

٤٨: ٩

- قرأ الجمهور: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ ورسوله وتُعزِّرُوه وتُوقِّرُوه...﴾، بتاء المخاطب.[٤]
- وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وابن محيصن والحسن وابن كثير وأبو عمرو ابن العلاء: «لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ ورسوله ويعزِّرُوه ويُوقِّرُوه...»،[٥] بياء الغيبة.

وقد اختلف المفسرون حول معنى ﴿تعزروه﴾، إلى المعاني التالية:[٦] تعظموه، تفخموه، توقروه، تنصروه، أو تنصروه بالسيف، تمنعوا منه، تقاتلون معه بالسيف، تطيعوه، التقوية بالنصرة والمعونة.

ومن هذه الاختلافات، يتضح أن هناك إشكالية واضحة في فهم معنى هذه الآية، وأيضًا لعدم وضوح المقصود بالخطاب فيها: هل هو محمد أم الله؟ فمنهم من ذهب إلى أن المقصود في ﴿تعزروه وتوقروه﴾ هو محمد، ﴿وتسبحوه﴾ هو الله. في حين رأى الآخرون أن الضمائر الثلاثة تعود على الله:

فقد ذكر القرطبي ما يلي:[٧]

---

١. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٩٩. قارن ابن كثير، تفسير ١٣: ٨٦.
٢. القرطبي، تفسير ١٩: ٢٩٩.
٣. ابن كثير، تفسير ١٣: ٨٨.
٤. أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط ٨: ٩٢.
٥. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٤٤-٤٦، وانظر الطبري، تفسير ٢١: ٢٥٠.
٦. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٠٤، قارن الطبري، تفسير ٢١: ٢٥٠-٢٥٢.
٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٠٤-٣٠٥.

www.christianlib.com

‹وتعزروه› أي: تعظموه وتفخموه؛ قاله الحسن والكلبي. والتعزير: التعظيم والتوقير. وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه...وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف...‹وتوقروه› أي: تسوِّدوه؛ قاله السدي. وقيل: تعظموه. والتوقير: التعظيم والتَّرزين أيضًا. والهاء فيهما للنبي (ص). وهنا وقفٌ تام، ثم تبتدئ: ‹وتسبحوه› .أي: تسبحوا الله!

«... عن ابن عباس في قوله: «ويعزروه». يعني الإجلال، «ويوقروه» يعني التعظيم، يعني محمدًا...»[٨] وقد ذكر الرازي أن: «الكنايات المذكورة في قوله تعالى ‹وتعزروه وتوقروه وتسبحوه› راجعة إلى الله تعالى، أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام؟ والأصح هو الأول».[٩]

أما إشكالية القراءة بتاء الخطاب، كقراءة الجمهور، فكيف يكون الخطاب لمحمد كما تؤكد الآية السابقة مباشرة، وفي الآية التي نحن بصددها يصبح الخطاب موجهًا لمحمد مع باقي المسلمين، ويُطلب منه أن يؤمن بالرسول؟! إلا إذا كان الرسول المقصود هو رسولٌ آخر غير محمد.

وبالتالي تكون القراءة بياء الغائب هي الأرجح إذ قد تخلصت من الإشكالية الأخيرة. فيكون المقصود أن الله يأمر أصحاب محمد أن يؤمنوا به وبرسوله.

٤٨: ١٠

- القراءة الشائعة: ‹عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ›.
- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وغيرهم: «عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ».[١٠]

جاءت القراءة الشائعة بـ«هاء» مضمومة ‹عليهُ› في هذه الآية، وهي المرة الوحيدة، خلافًا لما جاءت عليه في بقية القرآن في ١٤٣ موضعًا، حيث جاءت فيها بالكسر «عَلَيْهِ». ومن اللافت للنظر أن معظم علماء الإسلام والمفسرين، قد غضوا النظر عن مناقشة هذا الأمر إلا قلة منهم. ففي إعراب القرآن جاء: «وضُمَّت الهاء مع أنها تُكسر بعد الهاء [الياء] لمجيء سكون بعدها، فيجوز الضم والكسر...».[١١] ونحن نستغرب موضوع ضم الهاء بخلاف أصل القاعدة الذي هو الكسر هنا!

---

٨. السيوطي، الدر المنثور ١٣: ٤٧٢.

٩. الرازي، تفسير ٢٨ : ٨٦.

١٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ٢٠٤.

١١. الدرويش، إعراب القرآن ٧: ٢٢٤.

www.christianlib.com

بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا
لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن
لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ
وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ
إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ
ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ
بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ
إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾
لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ
يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

٤٨: ١٨ ـ ١٩

تقول الآية إن الله أنزل السكينة على الذين بايعوا محمدًا، ووعدهم نصرًا قريبًا (الآية ١٨)، إضافة إلى مغانم كثيرة (الآية ١٩).

www.christianlib.com

﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ
وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ
تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ
قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى

يقول المفسرون إن البيعة هي بيعة أصحاب محمد بالحديبية. وسببها أنه حين وصل محمد إلى مشارف مكة، بصحبة مجموعة كبيرة من المقاتلين، أرسل عثمان بن عفان إلى قريش ليفاوض على دخول المسلمين مكة. وإذ تأخر عثمان عن موعد عودته المفترض، سرى اعتقاد بين المسلمين بأنه قُتل، فدعا محمد أصحابه لتجديد البيعة. وكان عددهم ما بين ألف وثلثمئة إلى ألف وخمسمئة شخص.[١٢]

لم يتوقع محمد أن يسحق قريشًا، ولكنه أراد أن يردّ على اختفاء عثمان باشتباك عسكري مع قريش.[١٣] وحسب المفسرين، فإن وعد الآية بالمغانم الكثيرة تحقق بعد الاستيلاء على أموال يهود خيبر.[١٤] ويضيف البعض أن غنائم خيبر كانت العاجلة، بينما المؤخرة من الغنائم هي ما حصل عليه المسلمون «بعد ذلك الوقت إلى قيام الساعةِ».[١٥] ويقول ابن عباس: «إنها المغانمُ التي تكون إلى يوم القيامة».[١٦]

هذا يعني أن جزاء الإيمان في الإسلام هو المغانم الكثيرة في الحياة الدنيا. والسؤال هو: أي عدالة إلهية هذه عندما يُثاب المرء على إيمانه بالمغانم والأسلاب على حساب الشعوب الأخرى؟

١٢. الطبري، تفسير ٢١: ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٦-٢٧٧؛ والقرطبي، تفسير ١٩: ٣١٤، ٣١٧، وانظر ابن هشام ٢: ٣١٥-٣١٦.
١٣. الطبري، تفسير ٢١: ٢٧٣.
١٤. نفس المصدر ٢١: ٢٧٩.
١٥. نفس المصدر ٢١: ٢٨٠.
١٦. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٢٠.

www.christianlib.com

كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ
عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ
وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ
عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ
ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ
ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ
مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن
دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ
لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي
ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ
فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُمِّيت بـ«سورة الحجرات» لوجود لفظ «الْحُجُرَاتِ» (آية ٤)، وليس للسورة اسم آخر (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٢١٣).

جاءت السورة سنة تسع هجرية (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٢١٣). ويقترب نولدكه من هذا الرأي حيث يقول إن الآيات (١-٥) تشير إلى رسل بني تميم الذين أتوا في السنة التاسعة أو العاشرة هجرية إلى المدينة (نولدكه، تاريخ ١٩٧-١٩٨. قارن Wherry, 4: 68).

من مواضيعها

- آداب التعامل مع محمد (الآيات ١-٤).
- كيفية تسوية الخلافات بين المسلمين (الآيات ٩-١٢).
- التشكيك في إيمان البدو (الآيات ١٤-١٧).

www.christianlib.com

١:٤٩

- قراءة الجمهور: ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾، بضم التاء من «قَدَّم» المضعّف.[١]
- وقرأ ابن مسعود والضحاك وعائشة وغيرهم: «لَا تَقَدَّمُوا»، بفتح التاء والدال،[٢] أصله تتقدَّموا.[٣]
- وقرئ: «لَا تُقْدِمُوا»، مضارع «قَدِم» بكسر الدال من القُدُوم.[٤]

اختلف المفسرون في تأويل ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ على الأقوال التالية:[٥]

- لَا تَعْجَلُوا بِقَضَاءِ أَمْرٍ فِي حُرُوبِكُمْ أَوْ دِينِكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَقْضِي اللهُ لَكُمْ فِيهِ وَرَسُوله.
- لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّة.
- نُهُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ كَلَامه.[٦]
- لا تقدموا أقوالكم وأفعالكم على أقوال محمد وأفعاله، ومن فعل هذا فقد قدم أقواله وأفعاله على الله.
- لَا تَفْتَاتُوا عَلَى محمد بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيه اللهُ عَلَى لِسَانه.
- قيلت فِي قَوْم ذبحوا قَبْل أَنْ يُصَلِّيَ محمد، فَأَمَرَهُمْ محمد أَنْ يُعِيدُوا الذَّبْح.
- يَعْنِي بِذَلِكَ فِي الْقِتَال، وَكَانَ مِنْ أُمُورهمْ لَا يَصْلُح أَنْ يُقْضَى إِلَّا بِأَمْرِهِ.
- لَا تَقْطَعُوا الْأَمْر دُون اللهِ وَرَسُوله.
- لَا تَقْضُوا أَمْرًا دُون محمد.
- لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها.
- أصل في ترك التعرض لأقوال محمد، ووجوب اتباعه والاقتداء به.

هذه الاختلافات في تأويلات المفسرين توضح أن هناك غموضًا في مفهوم: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بين يدي الله ورسوله﴾، حيث جاءت قراءة الجمهور دون ذكر مفعول لفعل ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾، مما حدا بالمفسرين أن يفتحوا باب التأويل والتخمين على مصراعيه! فعلى سبيل المثال ذكر القرطبي ستة أسباب نزول لتبرير هذه القراءة،[٧] يختلف كل سبب عن الآخر، والغريب في الأمر أن نجد

١. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٧٥.
٢. ابن الجوزي، زاد المسير ٧: ٤٥٥.
٣. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٧٥.
٤. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٥٤.
٥. الطبري، تفسير ٢١: ٣٣٥-٣٣٧، والقرطبي، تفسير ١٩: ٣٥٢-٣٥٥.
٦. أي لا تقاطعوه أثناء كلامه.
٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٥٢.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ

أن القاضي أبا بكر بن العربي كان قد سبق وعلّق على خمسة أسباب منها قائلاً: «وهي كلها صحيحة تدخل تحت العموم، والله أعلم ما كان السبب المثير للآية منها، ولعلها نزلت دون سبب، والله أعلم».[٨]

لو ألقينا نظرة على الآيات الأولى من هذه السورة، لاتضح لنا جليًا أن السياق يتحدث عن قواعد وآداب التعامل مع محمد؛ كعدم رفع الصوت فوق صوته، وعدم مناداته كما ينادون بعضهم البعض. وعن هذا التعامل ذكر ابن كثير: «هذه آداب أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول... من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام».[٩] وقد وردت آيات أخرى تصب في ذات الاتجاه، مثل ‹لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...› (النور ٢٤: ٦٣)؛ أي لا تدعوه «يا محمد» وإنما «يا رسول الله. في لِينٍ وتواضعٍ».[١٠]

ذكر ابن عاشور أن هذه السورة «مدنية باتفاق أهل التأويل»[١١]، بعد ما أصبح محمد هو القائد والمعلم والمرشد والحاكم، مما يتطلب بروتوكولاً خاصًا من الواجب تفعيله في كل لقاء بين محمد وأتباعه، لحيازته «مكانة رفيعة»، وبالتالي تصب قراءة ابن مسعود في نفس الاتجاه، حيث يُطلب من المسلم عدم التقدم أمام محمد، أي كما قال الزجاج: «لا تقدّموا قدام الأمير».[١٢]

وبالتالي تكون قراءة ابن مسعود الأكثر ترجيحاً من غيرها.

---

٨. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٥٤.
٩. ابن كثير، تفسير ١٣: ١٣٦.
١٠. الطبري، تفسير ١٧: ٣٨٩.
١١. ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٢١٣.
١٢. ابن الجوزي، زاد المسير ٧: ٤٥٦.

www.christianlib.com

صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ
أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ
ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

٤٩: ٢

- قراءة الجماعة: ‹أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ›.[١٣]
- وقرأ ابن مسعود: «فتَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ».[١٤]

اختلف نحويو البصرة والكوفة في تأويل المعنى، بأن وضعوا الحرف «لا» بدل «أن» ليصبح المعنى: لا تحبط أعمالكم، فالمعنى عند بعض نحويي البصرة هو الخوف من إحباط الأعمال بسبب الجهر.[١٥]

ولذلك أخذت قراءة الجماعة حيزًا من التفسير والتأويل عند المفسرين لبيان سبب منع الجهر بالقول بين يدي الرسول، حيث ذكر المفسرون تأويلات عديدة تصب في ذات المعنى، منها: (١) «انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم، أي: لخشية حبوطها»،[١٦] (٢) «إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري»،[١٧] (٣) تعني: لئلا تحبط، أو كراهة أن تحبط.[١٨]

١٣. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٧٦.
١٤. ابن عطية، المحرر الوجيز ٥: ١٤٥.
١٥. الطبري، تفسير ٢١: ٣٤٣.
١٦. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٥٩.
١٧. ابن كثير، تفسير ١٣: ١٤٢.
١٨. الرازي، تفسير ٢٨: ١١٤.

www.christianlib.com

ونتساءل: إذا كان لا بد من التأويل لمعرفة سبب نهي الجهر بالقول، فهل هو لئلا تُحبَط الأعمال، أم كراهة أن تُحبط الأعمال؟

أما قراءة ابن مسعود فقد جاءت بالفاء لتدل مباشرة على أن ما جاء بعد الفاء قد سببه ما جاء قبلها، وهذا ما ذكره الزمخشري: «و قراءة ابن مسعود: «فتحبط أعمالكم» **أظهر نصًا** بذلك؛ لأن ما بعد الفاء لايكون إلا مسببًا عما قبله...».[19] وهو ما يؤكد أن قراءة ابن مسعود واضحة، سلسة، لا تحتاج إلى تأويل.

٤٩: ٤

- قراءة الجماعة: ‹أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ›.[20]
- وجاء في مصحف ابن مسعود: «أَكْثَرُهُمْ بَنُو تَمِيمٍ لَا يَعْقِلُونَ».[21]

يظهر من أول الآية أن نفرًا من الناس قد نادوا محمدًا من خارج حجرات، ويخبرنا الزمخشري عنها أنها «حجرات نساء الرسول...»،[22] وأن «لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته، ومقيله مع بعض نسائه»،[23] أما عمن نادوه، فيجيب عن ذلك أنهم «وفد بني تميم»،[24] وهو ما يبرر وجودها في مصحف ابن مسعود. وابن مسعود هو أول الأربعة الذين أمر محمدٌ المسلمين بأخذ القرآن عنهم.[25]

ويبدو أن وفد بني تميم لم يكن يعرف الحجرة التي كان بها محمد في تلك اللحظة، «في حال خلوته ببعض حرماته»،[26] أي برفقة أحدى زوجاته، كي يطرقوا بابها ويستأذنوا بالوقوف أمامه.

والسؤال المطروح: لماذا حذفت هذه العبارة من مصحف الإمام؟ وهل سقطت سهوًا؟ أم أُسقطت لسبب ما؟

١٩. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٦٠. التشديد لنا.
٢٠. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٧٨.
٢١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ٢٢٠.
٢٢. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٦٣.
٢٣. نفس المصدر ٥: ٥٦٤.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. القرطبي، تفسير ١: ٩٥.
٢٦. الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٦٥.

www.christianlib.com

رَّحِيمٌ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ
أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ
وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ
بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن
فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠

٤٩: ٦-٧

تُحذِّر الآية السادسة المؤمنين من النتائج السلبيّة المُحتملَة لتصديق ما يأتي به الشخص الفاسق من معلومات أو أنباء، بدون التيقُّن من صحّتها. ويُقرِّر الجزء الأول من الآية السابعة: ‹وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...› أن محمدًا لم يكن ليسمع لصوت أتباعه في أمور كثيرة، لأنه لو فعل لأصابهم بالحُزن والضيق والمشكلات.[٢٧] ومع ذلك، فعلى ما يبدو فإن الجزء الثّاني من الآية يُصحِّح أو يعكس المفهوم الوارد في الجزء الأوّل منها بقوله: ‹...وَلَٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ›. وبكلماتٍ أخرى، يُقرِّر الجزء الثاني أن الله جعل

٢٧. الطبري، تفسير ٢١: ٣٥٤.

www.christianlib.com

إيمان المؤمنين عميقًا في قلوبهم حتى إن المعتقدات الشريرة والأفعال الشريرة وعصيان الله ورسوله محمد صارت كلها أمورًا مكروهة للمسلمين.

وهنا نتساءل

- في الآية (٦) تحذير من مغبة تصديق مَن ينشر الشر بين الناس، فكيف يمهد ذلك لما بعدها في الآية (٧)؟
- أيضاً، يوجد في الجزء الأول من الآية (٧) نقد للمسلمين وتحذير، ولكنها تُختم بالمديح، حيث تقول إن الله قد زيّن، أو حسَّن، الإيمان في قلوبهم. فما هو الرابط بين الجزئين؟

٩ :٤٩

- قرأ الجمهور: ‹اقْتَتَلُوا›، بصيغة الجمع على اعتبار أن الطائفتين هنا بمعنى القوم.[٢٨]
- وقرأ أبو المتوكل وأبو الجون وابن أبي عبلة: «اقْتَتَلتا»،[٢٩] بصيغة المثنى المؤنث.
- وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير وأُبي بن كعب وابن مسعود وغيرهم: «اقْتَتَلا»،[٣٠] على تأويل الرهطين أو النفرين.[٣١]

يقول القرطبي: «الطائفة تتناول الرجل الواحد والجمع والاثنين، فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ».[٣٢] وهذا الكلام لا غبار عليه، ولكن استمرت الآية بذكر الطائفة بصيغة التثنية: ‹بينهما...إحداهما...بينهما...› إذاً كان من المستساغ أن يستمر القرآن بهذه الصيغة وليس بالجمع. ومادامت صيغ التثنية هي الأكثر ذكرًا في الآية فكان من الأجدر موسيقيًا ولغويًا وحسب الفكر الإسلامي الذي يرى في القرآن إعجازًا، أن يأتي الفعل ‹اقتتلوا› بصيغة المثنى «اقتتلتا» والتي تناسب في التأنيث كلمة‹طائفتان›، ويرجح هذه القراءة ما ذكره محيي الدين درويش عن ‹اقتتلوا› بقوله: «البلاغة: الحمل على المعنى، قال: اقتتلوا، والقياس: اقتتلتا، حملاً على المعنى، لأن

٢٨. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ١١١.
٢٩. ابن الجوزي، زاد المسير ٧: ٤٦٣.
٣٠. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٨١.
٣١. انظر الزمخشري، الكشاف ٥: ٥٧١.
٣٢. القرطبي، تفسير ١٩: ٣٧٥.

www.christianlib.com

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ
وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ
وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ
بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ
أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ
لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ۞ قَالَتِ
ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي
قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ
يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥
قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ
بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ
بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨

الطائفتين في معنى القوم والناس، ثم حمل على اللفظ فقال بينهما».[٣٣] وبالتالي تكون قراءة أبي المتوكل أكثر ترجيحاً، وتليها قراءة ابن مسعود.

---

٣٣. الدرويش، إعراب القرآن ٧: ٢٥٤. التشديد لنا.

www.christianlib.com

٤٩: ١١

في الآية إرشاد للمسلمين بألاّ يُحقّرَ المسلمُ مسلمًا آخرَ ولا يقلل من شأنه، وأن لا يعيبه على أي شي. لا بل تنبّه الآية إلى أن مَن يتعرّض للسخرية قد يكون خيراً من الساخر، وهذا تأديب جيد. ولكن هذا التعليم الأخلاقي لم يطبقه القرآن على غير المسلمين، إذ أنه شتمهم حين قال:

- ‹وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ› (البقرة ٢: ٦٥).
- ‹قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ› (المائدة ٥: ٦٠).
- ‹فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ› (الأعراف ٧: ١٦٦).
- ‹إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ› (البينة ٩٨: ٦).

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

تسمى «سورة ق»، وتلفظ سورة «قاف». وقد ورد لها في الإتقان للسيوطي اسم «سورة البَاسِقَات» (السيوطي، الإتقان ٧٩٩)، ويقول ابن عاشور إن هذه التسمية جاءت من الآية (١٠): ‹وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ› (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٢٧٤).

السورة مكية، وثمة من استثنى (الآية ٣٨): ‹وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ›، بناءً على رواية في أسباب النزول تذكر أن الآية جاءت ردًا على ما ورد بمقالة يهودية مفادها إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع (ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٢٧٤). لا يوافق ويري على مدنية (الآية ٣٨)، بل يراها متصلة بالسورة، ويربطها مع الآية ١٥ (Wherry, 4: 73). والسورة وفق تأريخ نولدكه تعود إلى المرحلة المكية الثانية (نولدكه، تاريخ XXXVI).

يجد الحداد في السورة سورتين ممزوجتين «من عهدين مختلفين تجمعهما مجانسة الفاصلة» (الحداد، أطوار ٣٩٣).

من مواضيعها

- الدفاع عن محمد (الآية ٢).
- نقد من رفض البعث بالبرهنة على عظمة الله (الآيات ٣-١٠).
- ذكر البعث (الآيات ١٩-٢١).
- الجنة والنار (الآيات ٢٤-٣٥).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ
بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤
بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ
مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ
وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا

٥٠: ١

في الآية قسَم بدون جواب. لكن المفسرين لم يعجزوا عن إيجاد جواب للقسم، إذ طرحوا الاحتمالات التالية:

١. جواب القسم: ‹بَلْ عَجِبُوا› (ق ٥٠: ٢).[١]

٢. جواب القسم الآية: ‹قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ› (ق ٥٠: ٤)، أي «لقد علمنا» واللام محذوفة لطول الكلام.[٢]

٣. الجواب: ‹مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ› (ق ٥٠: ١٨).[٣]

٤. جواب القسم مضمر تقديره: «إنهم مبعوثون بعد الموت».[٤]

٥. «جوابه محذوف».[٥]

---

١. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٢٨.

٢. الطبري، تفسير ٢١: ٤٠١؛ القرطبي، تفسير ١٩: ٤٢٧؛ الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٣.

٣. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٢٨؛ الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٣.

٤. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٣.

٥. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٢٨.

www.christianlib.com

هذه خمسة احتمالات قدمها الشارحون المسلمون دون أن يرجّحوا واحدًا منها. وهذا يعني أن جواب القسم في الآية ليس واضحاً، بل إن الأمر متروك لاستنتاج القارىء. فهل يُسمى بيانًا أن يأتي القسم دون جوابه، في نص يُقال عنه إنه أكثر النصوص العربية فصاحةً؟! وقد وردت حالة مشابهة في سورة (ص ٣٨: ١-٢).

من جانب آخر، اختلف المفسرون في معنى الحرف ‹ق›، فقالوا:[٦]

- ‹ق›: اسم من أسماء الله أقسم به.
- اسم من أسماء القرآن.
- اختصار: «قُضي والله» أو «قُضِيَ الأمر».
- اسم الجبل المحيط بالأرض.

قول إن «قاف» هو الجبل المحيط بالأرض يشغل الجزء الأكبر من شروحات المفسرين. ويشرح كتّاب القصص، المسلمون، فيقولون إن «قاف» اسم «جبل محيط بالأرض من زُمرُّدة خضراءَ، أخضرَّت السماء منه».[٧] كما نُسب لعلي بن أبي طالب قوله الآتي عن «قاف»: «وخَلَقَ اللهُ تعالى جَبَلاً عَظيمًا من زبرجدة خضراء، خُضرة السَّماء منه، يُقال له جبل قاف، فأحاط بها كلها [أي: كل الأرض]، وهو الذي أقسَمَ اللهُ به فقال: ‹ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ›».[٨]

لم تذكر كتب الجغرافيا القديمة جبل «قاف». كما أن الاكتشافات الجغرافية الحديثة لم تبرهن على وجود هذه السلسلة الزمردية الخضراء. والأرجح هو أن القول بأن قاف هو جبل، جاء من القصص التي وصلت محمداً أو المسلمين دون فهم لسياقها. فثمة في اللغة العبرية مفردة קַו تُلفظ (Qav) وتعني الخط. وأصل الحكاية حسب تيسدل:[9]

> جاء في كتاب حَگيگاه[10] في تفسير الكلمة العبرية «توهو» (תֹהוּ) الواردة في سفر التكوين (الإصحاح أول، الآية الثانية) ما يلي: «توهو (תֹהוּ) هو الخط (קַו) الذي يحيط بجميع العالم قاطبة، ومنه تنبعث الظلمة». فلما تناهى هذا الأمر إلى محمد أو صحابته، توهموا أن (קַו Qav) سلسلة جبال عظيمة اسمها قاف.

٦. الطبري، تفسير ٢١: ٤٠٠-٤٠١؛ القرطبي، تفسير ١٩: ٤٢٥-٤٢٦.

٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٢٥. قارن الطبري، تفسير ٢١: ٤٠١.

٨. الثعلبي، عرائس المجالس ٨.

9. St. Clair-Tisdall, *The Original Sources* 119-121.

10. *Hagigah* xi. § 1.

www.christianlib.com

بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾
وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا
بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا

٥٠: ١٤، ٤٥

أ. ‹ٱلۡأَيۡكَةِ›

- قراءة الجمهور: ‹ٱلۡأَيۡكَةِ›.[11]
- وقرأ نافع وأبو جعفر وغيرهما: «لَـيۡكَةِ».[12]

(انظر التعليق على قراءات (الحجر ١٥:٧٨)، المجلد الثاني من هذا الكتاب، ٢: ١٧٦).

ب. ‹وَعِيدِ›، وانظر نفس الكلمة في الآية ٤٥ من نفس السورة

- القراءة الشائعة: ‹وَعِيدِ›.
- وقرأ يعقوب وسلام وورش: «وَعِيدِي»، بالياء. وقد قرأ ورش بنفس القراءة للآية ٤٥.[13]

١١. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٠١.
١٢. نفس المصدر.
١٣. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٠٢، ١٢٠، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ٢٣٢.

www.christianlib.com

ذكر ابن عاشور سبب حذف الياء عند معظم القرّاء، وفي رسم المصحف بقوله: «وحذفت ياء المتكلم التي أضيفت إليها ‹وعيد› للرعي على الفاصلة وهو كثير»،[١٤] أي أن حذف الياء هنا لم يكن سهواً من كاتب القرآن، وإنما حذف مقصود لتوافق وتناغم أواخر الآيات: ‹..وعيد... جديد... الوريد.. عتيد... تحيد... الوعيد...›، ولذا نجد قرّاء القرآن في تجويدهم يقفون على هذه الكلمة (ومثيلاتها) بالسكون، فلا يشعر المستمع بأي ركاكة في التعبير. فعلى سبيل المثال نجد في (الزمر ٣٩: ١٧، ١٨): ‹فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ...›، فكلمة عبادِ قرأها الكثير من القراء بالياء «عبادي»، والبعض الآخر من القراء «عبادِ»،[١٥] وبذلك أيضًا فسرها علماء الإسلام!

والسؤال هنا: هل القرآن شعر، أو سجع للكهان حتى يحذف حرف الياء من النص القرآني «للرعي على الفاصلة»؟ ألم يقل صاحب القرآن: ‹وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ›؟[١٦] فلماذا حذفت الياء، أليس هذا تحريفًا؟

٥٠: ١٧

كان يجب أن تُكتب كلمة ‹قعيد› بالمثنى: «قعيدين»، على النصب لأنها حال. ولا يمكن اعتبارها مرفوعة كصفة لـ ‹المتلقيان› للاعتبارات التالية: (١) كون «قعيد» نكرة بينما الموصوف ‹المتلقيان› مُعرَّف بـ «ال»، (٢) الحديث يدور عن الملكين ‹المتلقيان› بالمثنى، بينما وردت ‹قعيد› بالمفرد!

ولكن الكلمة وردت بصيغة المفرد مراعاةً للسجع، فضحّت الآية بقواعد اللغة حفاظًا على النسق الشعري. ولكن المفسرين اقترحوا الاحتمالات التالية:

- «لم يقل: عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيدٌ»،[١٧] بل «حذف الأول لدلالة الثاني عليه».[١٨]
- بينما قال آخرون: «‹قعيدٌ›. يريد: قعودٌ عن اليمين وعن الشمال. فجعل ‹قعيدٌ› جمعاً».[١٩]

---

١٤. ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٢٩٧.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٨: ١٤٧، ١٤٨.
١٦. الحاقة ٦٩: ٤١-٤٢.
١٧. الطبري، تفسير ٢١: ٤٢٣.
١٨. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٣٨.
١٩. الطبري، تفسير ٢١: ٤٢٣-٤٢٤.

www.christianlib.com

لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ
مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ
مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ
غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣

ورغم أن هذين الرأيين وردا في «من غرائب آي التنزيل»، إلاّ أن مؤلفه وضع احتمال تضحية الآية بالدقة اللغوية لصالح الصيغة الشعرية، فقال: «وقيل: إنما لم يقل قعيدان رعاية لفواصل السورة».[٢٠]

٥٠: ١٩

كان أبو بكر يقرأ «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالموتِ»،[٢١] وقد رُوي أن شخصًا طعن في دقة القرآن، محتجًا بقراءة أبي بكر.[٢٢] ولا يذكر القرطبي اسم الطاعن، ولا تفصيل الطعن الذي استند على قراءة أبي بكر. وأهمية هذا الخبر تكمن في أنه يطلعنا على أنه بسبب تعدد القراءات، تعرّض القرآن للطعن حتى في العهود المبكرة للإسلام.

٥٠: ١٩

- قراءة الجماعة: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحق﴾.[٢٣]
- قرأ أبي بن كعب وسعيد بن جبير: «وجاءت سكرات الموت بالحق».[٢٤]
- قرأ ابن مسعود وابن عمران: «وجاءت سكرات الحق بالموت».[٢٥]
- قرأ أبو بكر وأبي بن كعب وابن مسعود (وأيضًا في مصحفه): «وجاءت سكرة الحق بالموت».[٢٦]

٢٠. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٤. التشديد لنا.
٢١. الطبري، تفسير ٢١: ٤٢٧-٤٢٨.
٢٢. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٤١-٤٤٢.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٠٥.
٢٤. نفس المصدر ٩: ١٠٥- ١٠٦.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٠٦.
٢٦. نفس المصدر، وانظر الطبري، تفسير ٢١: ٤٢٧- ٤٢٨.

www.christianlib.com

اختلفت القراءات بين تقديم وتأخير وجمع وإفراد، أما المفسرون فقد اختلفوا حول معنى كلمة «الحق» على النحو التالي:[٢٧] (١) الله (٢) الموت. كما اختلفوا حول «سكرة» على المعاني التالية: (١) الحق،[٢٨] (٢) الموت.[٢٩]

وبالرجوع إلى تفاسير هذه الآية يُلاحظ التخبط الواضح للمفسرين حول معناها، فعلى سبيل المثال ذكر الطبري أن معنى الآية يُصبح «جاءت سكرة الله بالموت».[٣٠]

اختلاف القراءات واختلاف المفسرين في معانيها يُظهر غموض الآية، كما يؤكد عدم صحة مقولة حفظ القرآن في الصدور.

٥٠: ٢٢

- قرأ الجمهور: ‹كُنْتَ...عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ›، بفتح التاء والكاف حملاً على لفظ ‹كل› في التذكير.[٣١]
- وقرأ الجحدري: «كُنْتِ...عَنْكِ غِطَاءَكِ فَبَصَرُكِ»، بالكسر مراعاة للنفس.[٣٢]

قراءة الجمهور بصيغة التذكير على اعتبار أن ‹كل› مذكر، ولكن إضافتها إلى ‹نفس› في الآية التي سبقتها جعلها تأخذ صيغة التأنيث لإضافتها لمؤنث، والتي أكدت عليها صيغة الفعل ‹جاءت›، وهو ما قرأ به الجحدري؛ أما الجمهور فقد استندوا في قراءتهم إلى أن سياق الآيات السابقة واللاحقة تتحدث بصيغة المذكر (المشركون)،[٣٣] وهذه حالات نجدها كثيراً في القرآن، والسبب خلو المصاحف الأولى من التنقيط والتشكيل، وبالتالي اختيار القارئ للصيغة التي يراها مناسبة في نظره. وما يلفت النظر هو ما جاء بعد هاتين القراءتين: ‹فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ›، من تفسيرات غير واضحة لهذه العبارة، كالتالي: (١) أَنتَ الْيَوْم نَافِذ الْبَصَر.[٣٤] (٢) قوي نافذ يرى ما كان محجوبًا عنك.[٣٥] (٣) نظرك إلى لسان ميزانك حين

٢٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٤١.
٢٨. نفس المصدر.
٢٩. الطبري، تفسير ٢١: ٤٢٨.
٣٠. نفس المصدر.
٣١. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١٠٧.
٣٢. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ١٢٤، عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ٢٣٤.
٣٣. انظر ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٣٠٧-٣٠٨.
٣٤. الطبري، تفسير ٢١: ٤٣٥.
٣٥. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٤٦.

www.christianlib.com

توزن سيئاتك وحسناتك، قاله مجاهد والضحاك.[٣٦] (٤) يعاين ما يصير إليه من ثواب وعقاب.[٣٧] (٥) يعني أن الكافر يُحشر وبصره حديد، ثم يزرقّ ويعمى.[٣٨]

في عبارة ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، كلمة حديد من الجائز أن تكون تعبيرًا مجازيًا يصف البصر يوم الحساب. وهذا التعبير المجازي يكون الغرض منه توضيح الفكرة في صورة بلاغية جلية. ولكننا في هذه الحالة نجد أن الأمر قد استعصى حتى على المفسرين، كما يتضح من هذه المعاني المختلفة! مما يجعلنا نتساءل عن أصل هذه الكلمة، في ظل غياب التنقيط والتشكيل في المصاحف الأولى، فهل كانت هذه الكلمة في الأصل «جديد»؟ خصوصًا أن السياق عن يوم القيامة، وما يليه من حساب وعقاب. وحيث إن الآية (٢١) تتحدث عن النفس سواءً من الأشرار كما يتضح من الآيات ٢٤-٢٧، أو من الأخيار كما في آيات ٣١-٣٥، فلا شك أن هذا البصر يكون ذا طبيعة جديدة[٣٩] تناسب الأبدية، في الجنة أم في النار.

وبالرجوع إلى القراءتين السابق ذكرهما، نرى أن قراءة الجحدري بالكسر هي الأرجح، لارتباطها بالنفس سواءً للأشرار أم للأخيار.

٥٠: ٢٤

وردت كلمة ﴿أَلْقِيَا﴾ بصيغة المثنى وحقها المفرد. وهذا ما دفع بالشارحين المسلمين إلى البحث عن مخارج، فقالوا إن سبب تثنية ﴿أَلْقِيَا﴾ هو: (١) «إن في النار خزنة ولهم عدد فلا يمتنع أن يكون خطاباً للاثنين وأن يكون كما جعل على المكلف في الدنيا رقيبين فكذلك في الآخرة يُوكل به ملكين من الخزنة».[٤٠] (٢) للتأكيد: مثل ألقِ ألقِ.[٤١] (٣) قيل بمخاطبة المفرد بصيغة الجمع حينئذ.[٤٢] ويُحكى أن ذلك سمع بصيغة الأمر، فيقال للرجل: «ويلَك ارحَلاها وازْجُراها»[٤٣] وبالغ البعض في التعليل، فقالوا إن هذه هي الصيغة الصحيحة في كلام العرب آنذاك.[٤٤] فإن كان ذلك صحيحًا، فلماذا لم يجرِ

٣٦. ابن الجوزي، زاد المسير ٨: ١٤، القرطبي، تفسير ١٩: ٤٤٦.
٣٧. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٤٦.
٣٨. نفس المصدر.
٣٩. ليست كما كانت عليه في دار الدنيا.
٤٠. الهمداني، تنزيه القرآن عن المطاعن ٣٩٧.
٤١. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٤؛ تنزيه القرآن عن المطاعن، ٣٩٧.
٤٢. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٥.
٤٣. الطبري، تفسير ٢١: ٤٣٧.
٤٤. القرطبي، تفسير ١٩: ٤٤٧.

www.christianlib.com

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى
جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ
رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ
قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ

الخطاب على هذا النسق في كل القرآن. (٤) الأمر للملكين المذكورين من قبل في ‹وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ› (ق ٥٠: ٢١).[٤٥]

إن تعدد الأقوال يشير إلى حيرة الشارحين. ولكننا نميل إلى تقدير الطبري الذي رأى أن صيغة الخطاب بالمثنى جاءت على عادة الشعراء الذين كانوا يقولون: «يا صاحِبَيَّ، يا خليلَيَّ»،[٤٦] وقد جاءت هذه الآية في منتصف الدعوة المكية، حين كانت اللغة الشعرية لم تزل المسيطرة على القرآن.

٥٠: ٣٠

رداً على سؤال: «كيف تصح مخاطبة النار وهي جماد» قال الشارحون:

«إن المراد نقول لخزنة جهنم...[و] يحتمل أن يكون المراد استجابة جهنم لما يريده الله من حصول أهلها فيها».[٤٧] بينما يُروى عن ابن عباس ما يلي: إن الله وعد أن يملأ ‹جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ› (السجدة ٣٢: ١٣). وحينما يأتي يوم القيامة، تبدأ عملية سياقة الناس إلى النار، فيدفعون فوجًا فوجًا، لكن جهنم لا تمتلىء، فتقول لله: «ألستَ قد أقسمت لتَملأني من الجِنَّة والناس أجمعين؟»، فيضع الله

٤٥. الرازي، من غرائب آي التنزيل ٤٨٥.
٤٦. الطبري، تفسير ٢١: ٤٣٨.
٤٧. الهمداني، تنزيه القرآن عن المطاعن ٣٩٨.

www.christianlib.com

«قدمه عليها» فتعلن حينئذ أنها امتلأت. ويختم ابن عباس: «ولم يَكُن يَمْلؤُها شيءٌ، حتى وجدت مسَّ قدم الله»، قارن أيضًا روايات وضع الله قدمه على جنهم.[٤٨] وأما سبب هذا الحوار بين الله وجهنم، ودوس الله عليها، فراجع «لما سبق من وعدِهِ إيَّاها أنه يَمْلَؤُها من الجِنَّةِ والناس أجمعين».[٤٩]

يُعتبر هذا الكلام منتهى الخفة في التعامل مع الذات الإلهية، واحتار المفسرون في السؤال المطروح للآية.

٥٠: ٣٠

- القراءة الشائعة: ‹نَقُولُ› بنون التعظيم، «على وجه الإخبار من الله عن نفسه».[٥٠]
- قرأ نافع وأبو بكر والمفضل عن عاصم: «يَقُولُ»، بياء الغيبة.[٥١]
- قرأ ابن مسعود والحسن والأعمش: « يُقَالُ» مبني للمجهول.[٥٢]

- ○ القراءة الشائعة بنون التعظيم‹نَقُولُ›، بمعنى أن الله يُخبر عن نفسه كما قال الخطيب،
- ○ أما عن قراءة نافع، فيذكر ابن عاشور أنها استوت «جريًا على مقتضى ظاهر ما سبقه من قوله: ‹قال لا تختصموا لديَّ›.وقراءة الباقين بالنون على الالتفات تابع لتبديل طريق الإخبار من الحديث عن غائب إلى حديث عن حاضر».[٥٣]
- ○ وقراءة ابن مسعود «يُقَالُ» مبني للمجهول، تحتمل أن الله هو الذي قال أو أنه الملاك المكلف بجهنم.

يختلف المعنى باختلاف القراءة، مما يؤكد حرية القرّاء الأوائل في اختيار المعنى بحسب استحسانهم.[٥٤]

---

٤٨. راجع الطبري، تفسير ٢١: ٤٤٤-٤٤٥، ٤٤٦-٤٤٨.

٤٩. نفس المصدر ٢١: ٤٤٣.

٥٠. الخطيب، معجم القراءات ٩: ١١١.

٥١. ابن الجوزي، زاد المسير ٨: ١٩.

٥٢. ابن جني، المحتسب ٢: ٢٨٤.

٥٣. ابن عاشور، تفسير ٢٦: ٣١٧.

٥٤. شجَّع محمد أصحابه على هذا الاختلاف بقوله: «اختلاف أمتي رحمة» (البيضاوي، تفسير ٣: ١٣٩)، والاختلاف يجوز فيه الخطأ، إلا أنه من الغريب أن هذا الخطأ يُؤجَر عليه! حيث طمأنَ محمد أتباعه بقوله: «مَنْ اجتهد فأصاب فله أجران ومَنْ أخطأ فله أجر واحد» (البيضاوي، تفسير ٣: ١٣٩).

www.christianlib.com

لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ
ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم
بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ
أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى
سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

٥٠: ٣٢

- قرأ الجمهور: ‹تُوعَدُونَ› بتاء الخطاب.[٥٥]
- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يُوعَدُونَ»، بياء الغيبة.[٥٦]

راجع القراءات المختلفة في (ص ٣٨: ٥٣)، صفحة ٢٨٣.

٥٠: ٣٩

في الآية أمر لمحمد بالتحلي بالصبر على مقولات بحقه صدرت من المشركين و أهل الكتاب،[٥٧] وقد نُسِخت هذه الآية إما بـ:

أ. بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٥٨]

ب. أو بآية القتال (التوبة ٩: ٢٩).[٥٩]

---

٥٥. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٨: ١٢٦.
٥٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٦: ٢٣٦.
٥٧. الطبري، تفسير ٢١: ٤٦٦-٤٦٧، وانظر الزمخشري، الكشاف ٥: ٦٠٥.
٥٨. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٦.
٥٩. النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٢٠.

www.christianlib.com

طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾
وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ
بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾
يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

٥٠: ٤٠

تطلب الآية التسبيح بعد «أدبار السجود». وقد عُرضت في شأن توقيته الآراء التالية: (١) الركعتان بعد صلاة المغرب.[٦٠] ويعلق أحد الشرّاح بأن الآية تقول: ‹وَأَدْبَارَ السُّجُودِ›، بينما تقول آية أخرى ‹وَأَدْبَارَ النُّجُومِ› (الطور ٥٢: ٤٩)، وإن إحدى الصياغتين تشير إلى الصبح والثانية إلى المغرب. ويؤكد الشارح أنه ليس بوسعه أن يميز متى يكون ‹أَدْبَارَ السُّجُودِ› ومتى يكون ‹أَدْبَارَ النجوم›.[٦١] (٢) وقال آخر إن المقصود هو التسبيح عقب كل صلاة.[٦٢]

بما أن محمدًا قد أُمِر بالتسبيح، وأن كثيرًا من أفعاله هي سُنة، فلمَ لم يسأله المسلمون الأوائل عن الموعد المحدد أو المعنى الدقيق لعبارتي ‹أَدْبَارَ السُّجُودِ› و ‹أَدْبَارَ النجوم›؟

٥٠: ٤٥

تصف الآية محمدًا بأنه لا يملك التسلط على من رفضه، وقد نُسِخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥).[٦٣]

---

٦٠. الطبري، تفسير ٢١: ٤٦٩-٤٧١.
٦١. نفس المصدر ٢١: ٤٧٠.
٦٢. نفس المصدر ٢١: ٤٧٣.
٦٣. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٨٦، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٥٧، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٧٠.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

أسمـــاء الله

www.christianlib.com

أسمـــاء الله

لإله القرآن أسماء أطلق عليها القرآن «الأَسْمَاء الْحُسْنَى».[١] ويعتمد أبو حامد الغزالي في كتابه: «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحُسنى» على حديث لمحمد يقول: «إِنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا... مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».[٢]

يُلاحـظ في الجـدول أنـه كثـيرًا مـا يـأتي ذِكـر اسمَيْن لله، مثـل ‹الْعَلِيـمُ الْحَكِيـمُ[٣]› ـ ‹التَّـوَّابُ الرَّحِيـمُ[٤]› ـ ‹ الْعَزِيـزُ الرَّحِيـمُ[٥]› ـ ‹السَّـمِيعُ الْعَلِيـمُ›.[٦]

وهـا هي القائمة التي يعتمدها الغزالي في كتابه:

---

١. الأعـراف ٧: ١٨٠؛ الإسراء ١٧: ١١٠؛ طه ٢٠: ٨؛ الحديد ٥٧: ٣؛ الحشر ٥٩: ٢٤.

٢. الطبري، تفسير ١٠: ٥٩٦؛ القرطبي، تفسير ٩: ٣٩١.

٣. البقرة ٢: ٣٢.

٤. البقرة ٢: ٣٧.

٥. الشعراء ٢٦: ٩.

٦. الدخان ٤٤: ٦.

www.christianlib.com

م	الاسم	الشاهد القرآني	ملاحظات
	اسماء الله		
١	الله		تقارب الألف مرّة.
٢	الرحمن	الفاتحة ١: ٣	
٣	الرحيم	الفاتحة ١: ٣	
٤	المَلِك	يوسف ١٢: ٧٢	
٥	القُدُّوس	الحشر ٥٩: ٢٣	
٦	السَّلاَم	الحشر ٥٩: ٢٣	
٧	المُؤْمِن	الحشر ٥٩: ٢٣	
٨	المُهَيْمِن	الحشر ٥٩: ٢٣	
٩	العَزِيز	الشعراء ٢٦: ٢١٧	تأتي المفردة غالبًا مقترنة بالرحيم: ‹الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ› (الشعراء ٢٦: ٩).
١٠	الجَبَّار	الحشر ٥٩: ٢٣	
١١	المُتَكَبِّر	الحشر ٥٩: ٢٣	
١٢	الخَالق	الحشر ٥٩: ٢٤	
١٣	البَارِىء	الحشر ٥٩: ٢٤	
١٤	المُصَوِّر	الحشر ٥٩: ٢٤	
١٥	الغَفَّار	ص ٣٨: ٦٦	
١٦	القَهَّار	ص ٣٨: ٦٥	
١٧	الوَهَّاب	آل عمران: ٣: ٨	
١٨	الرَّزَّاق	الذاريات ٥١: ٥٨	
١٩	الفَتَّاح	سبأ ٣٤: ٢٦	
٢٠	العَلِيم	الحجر ١٥: ٨٦	تأتي كثيرًا مقترنة بالسميع: ‹السَّمِيعُ الْعَلِيمُ› (الدخان ٤٤: ٦).
٢١	القَابِض		البقرة ٢: ٢٤٥ وصف لعمل الله.
٢٢	البَاسِط	----	الشورى ٤٢: ١٢ وصف لعمل الله.
٢٣	الخَافِض	----	الواقعة ٥٦: ٣ وصف لعمل الله.
٢٤	الرَّافِع	----	الأنعام ٦: ٨٣ وصف لعمل الله.
٢٥	المُعِزّ	----	آل عمران ٣: ٢٦ وصف لعمل الله.
٢٦	المُذِلّ	----	آل عمران ٣: ٢٦ وصف لعمل الله.
٢٧	السَّمِيع	الشعراء ٢٦: ٢٢٠	أغلبها مقترنة بالعليم: ‹سَمِيعٌ عَلِيمٌ› (البقرة ٢: ٢٢٧).
٢٨	البَصِير	غافر ٤٠: ٢٠	كلها مقترنة بالسميع: ‹السَّمِيعُ الْبَصِيرُ›.
٢٩	الحَكَم	----	التين ٩٥: ٨

www.christianlib.com

اسماء الله

م	الاسم	الشاهد القرآني	ملاحظات
٣٠	العَدْل	----	الانعام ٦: ١١٥، النحل ١٦: ٩٠.
٣١	اللَّطِيف	الأنعام ٦: ١٠٣	جاءت المفردة مرّتيْن مقترنتيْن بالخبير: ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.
٣٢	الخَبِير	الأنعام ٦: ١٨	
٣٣	الحَلِيم	البقرة ٢: ٢٣٥	أغلبها جاء مقترنًا بالغفور، مثل: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢: ٢٢٥). و﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر ٣٥: ١٤).
٣٤	العَظِيم	النبأ ٧٨: ٢	نجدها ٣ مرّات مقترنة بالرب ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الحاقة ٦٩: ٥٢؛ الواقعة ٥٦: ٧٤، ٩٦.
٣٥	الغَفُور	البروج ٨٥: ١٤	غالبًا مقترنة بالرحيم: ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الحجر ١٥: ٤٩).
٣٦	الشَّكُور	فاطر ٣٥: ٣٠	أغلبها مرفقة بالغفور: ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر ٣٥: ٣٠، ٣٤، والشورى ٤٢: ٢٣).
٣٧	العَلِيّ	الشورى ٤٢: ٤	
٣٨	الكَبِير	الرعد ١٣: ٩	
٣٩	الحَفِيظ	الشورى ٤٢: ٦	
٤٠	المُقِيت	النساء ٤: ٨٥	
٤١	الحَسِيب	النساء ٤: ٨٦	
٤٢	الجَلِيل	----	الرحمن ٥٥: ٢٧.
٤٣	الكَرِيم	المؤمنون ٢٣: ١١٦. ٢٧: ٤٠	
٤٤	الرَّقِيب	النساء ٤: ١	
٤٥	المُجِيب	هود ١١: ٦١	
٤٦	الوَاسِع	النساء ٤: ١٣٠	أغلبها مقترنة بصفة العليم: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢: ١١٥).
٤٧	الحَكِيم	آل عمران ٣: ٦	أتت غالبًا مقترنة بالعزيز: ﴿فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال ٨: ٦٧).
٤٨	الوَدُود	هود ١١: ٩٠؛ البروج ٨٥: ١٤	
٤٩	المَجِيد	هود ١١: ٧٣	
٥٠	البَاعِث	الحج ٢٢: ٧	
٥١	الشَّهِيد	البروج ٨٥: ٩	
٥٢	الحَق	النور ٢٤: ٢٥	
٥٣	الوَكِيل	الإسراء ١٧: ٦٥	
٥٤	القَوِيّ	الحج ٢٢: ٧٤	غالبًا مقترنة بالعزيز: ﴿الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى ٤٢: ١٩).
٥٥	المَتِين	الذاريات ٥١: ٥٨	
٥٦	الوَلِيّ	الشورى ٤٢: ٩	

www.christianlib.com

اسمـــاء الله			
م	الاسم	الشاهد القرآني	ملاحظات
٥٧	الحَمِيد	البروج ٨٥: ٨	أغلبها مقترن بالغني: ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر ٣٥: ١٥).
٥٨	المُحْصِي	----	الجن ٧٢: ٢٨، مريم ١٩: ٩٤، يس ٣٦: ١٢
٥٩	المُبْدِيء	----	العنكبوت ٢٩: ٢٠، السجدة ٣٢: ٧، البروج ٨٥: ١٣
٦٠	المُعِيد	----	البروج ٨٥: ١٣
٦١	المُحْيِي	----	البقرة ٢: ٢٨، الروم ٣٠: ٥٠
٦٢	المُمِيت	----	البقرة ٢: ٢٨، الحج ٢٢: ٦٦
٦٣	الحَيّ	آل عمران ٣: ٣، البقرة ٢: ٢٥٥	
٦٤	القَيُّوم	آل عمران ٣: ٣، البقرة ٢: ٢٥٥	
٦٥	الوَاجِد	----	البقرة ٢: ٢٣٦، الذاريات ٥١: ٤٧
٦٦	المَاجِد	----	البروج ٨٥: ١٥
٦٧	الوَاحِد	الرعد ١٣: ١٦	كلها مقترن بالقهار: ﴿الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.
٦٨	الصَّمَد	الإخلاص ١١٢: ٢	
٦٩	القَادِر	الإنعام ٦: ٦٥	
٧٠	المُقْتَدِر	القمر ٥٤: ٤٢	
٧١	المُقَدِّم	----	جاء هذا الاسم فقط في الحديث
٧٢	المُؤَخِّر	----	النحل ١٦: ٦١، إبراهيم ١٤: ١٠، ٤٢
٧٣	الأَوَّل	الحديد ٥٧: ٣	
٧٤	الآخِر	الحديد ٥٧: ٣	
٧٥	الظَّاهِر	الحديد ٥٧: ٣	
٧٦	البَاطِن	الحديد ٥٧: ٣	مـرّة واحـدة. تحتـوي هـذه الآيـة على أربعـة صفـات تُسـمّى أم الصفـات. وهـذه الآيـة هي محـل تقديـر كبـير مـن جانـب الصوفيـين.[7]
٧٧	البَرّ	الطور ٥٢: ٢٨	
٧٨	التَّوَّاب	البقرة ٢: ٣٧	كلها مقترنة بالرحيم: ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.
٧٩	المُنْتَقِم	----	إبراهيم ١٤: ٤٧، السجدة ٣٢: ٢٢
٨٠	العَفُوّ	النساء ٤: ٤٣، الحج ٢٢: ٦٠	
٨١	الرَّؤُوف	البقرة ٢: ١٤٣	أغلبها مقترن برحيم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور ٢٤: ٢٠).

7. Zwemer, 44.

www.christianlib.com

اسمـــاء الله

م	الاسم	الشاهد القرآني	ملاحظات
٨٢	مَالِكُ المُلْكِ	آل عمران ٣: ٢٦	
٨٣	ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ	الرحمن ٥٥: ٢٧	
٨٤	الوَالِي	----	الرعد ١٣: ١١
٨٥	المُتَعَالِي	الرعد ١٣: ٩	
٨٦	المُقْسِط	----	آل عمران ٣: ١٨
٨٧	الجَامِع	آل عمران ٣: ٩، النساء ٤: ١٤٠	
٨٨	الغَنِيّ	محمد ٤٧: ٣٨، البقرة ٢: ٢٦٧	أغلبها مرفقة بالحميد: ‹الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ› (لقمان ٣١: ٢٦).
٨٩	المُغْنِي	----	الضُحى ٩٣: ٨
٩٠	المَانِع	----	
٩١	الضَّارّ	----	الزمر ٣٩: ٣٨، والفتح ٤٨: ١١
٩٢	النَّافِع	----	الفتح ٤٨: ١١
٩٣	النُّور	النور ٢٤: ٣٥	
٩٤	الهَادِي	الفرقان ٢٥: ٣١	
٩٥	البَدِيع	البقرة ٢: ١١٧	
٩٦	البَاقِي	----	طه ٢٠: ٧٣
٩٧	الوارث	الحجر ١٥: ٢٣	
٩٨	الرشيد	----	الكهف ١٨: ١٠
٩٩	الصبور	----	

الأسماء «الحُسنى» هي تسع وتسعون تضم أسماءً وردت في القرآن، وأخرى غير موجودة فيه، ففي هذه القائمة لا نجد أسماء وردت في القرآن، بل جاءت كوصف لعمل من أعمال الله في آية قرآنية أو أكثر، مثلاً كما يتضح من الخانة ٢٥ في الجدول السابق فاسم «المُعز» جاء كوصف لعمل الله في الآية ‹ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ **وَتُعِزُّ** مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ...› (آل عمران ٣: ٢٦)، وهناك أمثلة أخرى مشابهة كما يلي:

www.christianlib.com

الاسم في القرآن	مرادفها في القائمة
رب[٨]	ليس لها مرادف
أحد[٩]	الواحد
الْقَاهِرُ[١٠]	القهار
شَاكِرٌ[١١]	الشكور

ولدينا ثلاثون اسمًا ليست موجودة في القرآن: البَاسِطُ، البَاعِثُ، البَاقِي، الجَلِيلُ، الحَكَمُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، الرشيدُ، الصبورُ، الضَّارُّ، العَدْلُ، العَفُوُّ، القَابِضُ، المَاجِدُ، المَانِعُ، المُبْدِيءُ، المُحْصِي، المُحْيِي، المُذِلُّ، المُعِزُّ، المُعِيدُ، المُغْنِي، المُقَدِّمُ، المُقْسِطُ، المُمِيتُ، المُنْتَقِمُ، المُؤَخِّرُ، النَّافِعُ، الوَاجِدُ، الوَالِي.

تحتوي «أسماء الله» على مفردات متعاكسة

القابض × الباسط

الخافض × الرافع

المعز × المذل

المبدئ × المعيد

المحي × المميت

المقدم × المؤخر

الضار × النافع

تحتوي «أسماء الله» على مترادفات

الرحمنُ = الرحيمُ = الوَدُودُ = الرَّءُوفُ

القَادِرُ = المُقْتَدِرُ

الخالقُ = البَارِئ = المُصَوِّرُ = الخلاق

السَّلاَمُ = القُدُّوسُ

٨. المدثر ٧٤: ٣.
٩. الإخلاص ١١٢: ١.
١٠. الأنعام ٦: ١٨.
١١. البقرة ٢: ١٥٨.

www.christianlib.com

أيضًا، لا يحتوي الجدول على نزعة محُدَّدة في الأسماء، فثمة نوع من التوازن، فالأسماء المُعبِّرة عن الرحمة تساوي الأسماء المُعبِّرة عن القسوة:

الرحمة	الرحمنُ ـ الرحيمُ ـ المُعزّ ـ العَفُوُّ ـ الغَفورُ ـ الغَفَّارُ ـ الرَّءُوفُ ـ الوَدُودُ
القسوة	القَهَّارُ ـ المُذِلُّ ـ المُقِيتُ ـ الضَّارُّ ـ المُهَيْمِنُ ـ العَزِيزُ ـ الجَبَّارُ ـ المُتَكَبِّرُ

ولدينا آية تحتوي على تسعة أسماء: ‹هُوَ اللهُ، الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ. سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ›.[١٢] وهذه الآية في سورة الحشر التي تحتوي على «ذكر اسم الله وضمائره وصفاته أربعين مرّة»،[١٣] وتتصل بشكل وثيق بالمعركة ضد قبيلة بني النضير اليهودية، ويعود تاريخها لحوالي سنة ٤ هجرية.[١٤] ويربط ابن عاشور احتواء السورة على صفات التمجيد هذه بنصر محمد والمسلمين على قبيلة بني النضير اليهودية، حيث جاءت أسماء الله هنا لتشير إلى عظمة الله، والصفات التي تجعل المسلم يلتصق بالله، والصفات المُعبِّرة عن البطش والجبروت على أعداء المسلمين.[١٥] ويبدو لنا من تحليل ابن عاشور أن هذه الآية تعبير عن نشوة انتصار ملكت قلب محمدٍ.

١٢. الحشر ٥٩: ٢٣.

١٣. ابن عاشور، تفسير ٢٨: ١١٧.

١٤. نولدكه، تاريخ ١٨٥.

١٥. ابن عاشور، تفسير ٢٨: ١١٧ ـ ١١٨.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

الكلمات الأجنبية في القرآن

www.christianlib.com

www.christianlib.com

الكلمات الأجنبية في القرآن

يُرجِع بعض الباحثين المسلمين أصول عديد من كلمات القرآن إلى أصول غير عربية. ومن أهم من بحث هذا الموضوع، العالم الإسلامي جلالُ الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. عاش السيوطي، في القاهرةِ في مصرَ (٨٤٩ - ٩١١ هـ/ ١٤٤٥ - ١٥٠٥م)، وكان غزيرَ الإنتاج إلى حدٍّ كبيرٍ، ومن بين أهمِّ كتاباتِه مؤلَّفُه الشاملُ «الإتقانُ في علومِ القرآنِ». حيث يحدّدُ السيوطيُّ في دراستِهِ النقديةِ للقرآنِ آياتٍ عديدةً يَعُدُّها، مع باحثين مسلمين آخرين، غيرَ عربيةٍ. ويشيرُ السيوطيُّ إلى الأصولِ اللُغويةِ الممكنةِ لهذه الكلماتِ، حيث يبيّنُ أن هذه الكلماتِ الأجنبيةَ المحتملةَ تنتمي إلى ما يزيدُ عن خمسَةَ عشرةَ لغةً. وهو لا يستطيعُ تحديدَ أصولِ بعضِ الكلماتِ، ولا يستطيعُ أحيانًا أن يُحدِّد معانيها.

ومن الأمورِ ذاتِ الدلالةِ أن نذكرَ أن السيوطيَّ يعتمدُ في المقامِ الأولِ على تفاسيرِ الباحثين المسلمين، وعلى سياقِ الآياتِ أحيانًا للوصولِ إلى استنتاجاتِه، بدلًا من الرجوعِ إلى علماءِ اللغة والباحثين الملمّين باللغاتِ غيرِ العربيةِ.

نعْرِضُ، في الجدولين التاليين، الكلمات الأجنبية التي يناقشُها ويحلّلُها السيوطي في كتابِه «الإتقان في علوم القرآن» . ويدرجُ الجدولُ (١) «الكلمات الأجنبية في القرآن، بحسب الترتيب الأبجدي»، حيثما تردُ. أمّا الجدولُ (٢) «الكلمات الأجنبية في القرآن، بحسب اللغة»، حسبَ تصنيفِ السيوطيِّ لأصولِها اللُغويةِ. وتوضِّح العلامة التالية (---) حالاتِ الحذفِ والإغفالِ من قِبَلِ السيوطيِّ نفسِه.

www.christianlib.com

(١) الكلماتُ الأجنبية في القرآن، بحسب الترتيب الأبجدي

الكلمة	الآية	أصلها	معناها	صفحة
أباريق	الواقعة ٥٦: ١٨	فارسي	طَرِيقُ الْمَاءِ أَوْ صَبُّ الْمَاءِ عَلَى هِينَةٍ	٩٤١
أَبًّا	عبس ٨٠: ٣١	مغربي	الْحَشِيشُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ	٩٤١
ابْلَعِي	هود ١١: ٤٤	حبشي	ازْدَرِدِيهِ	٩٤٢
		هندي	اشربي	
أَخْلَدَ	الأعراف ٧: ١٧٦	عبري	ركن	٩٤٢
الأَرَائِكِ	الكهف ١٨: ٣١	حبشي	السُّرُرُ	٩٤٢
آزَرَ	الأنعام ٦: ٧٤	لغة نبي الله إبراهيم	أعوج أو مُخْطِئُ	٩٤٣
أَسباطًا	الأعراف ٧: ١٦٠	بلغة أسباط بني إسرائيل	قبائل	٩٤٣
إِسْتَبْرَقٍ	الرحمن ٥٥: ٥٤	أعجمي	الدِّيبَاج الْغَلِيظ	٩٤٣
أَسْفَار	الجمعة ٦٢: ٥	سرياني	كُتُب	٩٤٣
		نبطي	كُتُب	
إِصْرِي	آل عمران ٣: ٨١	نبطي	عهدي	٩٤٣
أَكْوَاب	الزخرف ٤٣: ٧١	نبطي	الأكواز، أو جِرَارٌ لَيْسَتْ لَهَا عُرًى	٩٤٣-٩٤٤
إِلاًّ	التوبة ٩: ٨	نبطي	اسم الله	٩٤٤
أَلِيمٌ	البقرة ٢: ١٠	زنجي	الموجع	٩٤٤
		عبري	الموجع	
إِنَاهُ	الأحزاب ٣٣: ٥٣	مغربي	نضجه	٩٤٤
		بربري	نضجه	
أَوَّاهٌ	هود ١١: ٧٥	حبشي	الْمُوقِنُ، الرحيم	٩٤٥
		عبري	دعاء	
أَوَّابٌ	ص ٣٨: ١٧	حبشي	الْمُسَبِّحُ	٩٤٥-٩٤٦
الأُولى	القصص ٢٨: ٧٠	قبطي	الأَخِرة	٩٤٦
الأَخِرة			الأولى	٩٤٦
بَطَائِنُهَا	الرحمن ٥٥: ٥٤	قبطي	ظَوَاهِرُهَا	٩٤٦
بَعِير	يوسف ١٢: ٦٥	عبري	حِمَارٍ، كُلُّ مَا يُحْمَلُ عليه	٩٤٦

www.christianlib.com

الكلمة	الآية	أصلها	معناها	صفحة
بِيَعٌ	الحج ٢٢: ٤٠	فارسي	-	٩٤٧
التَّنُور	هود ١١: ٤٠	فارسي	-	٩٤٧
تَتْبِيراً	الإسراء ١٧: ٧	نبطي	تَبَّرَه	٩٤٧
تَحْتِ	مريم ١٩: ٢٤	نبطي	بَطْنِ	٩٤٧
الْجِبْتِ	النساء ٤: ٥١	حبشي	الشَّيْطَانِ، الساحر	٩٤٧-٩٤٨
جَهَنَّمُ	البقرة ٢: ٢٠٦	أعجمي	-	٩٤٨
		فارسي	-	
		عبري	أصلها كهنام	
حرام	الأنبياء ٢١: ٩٥	حبشي	وَجَبَ	٩٤٨
حَصَب	الأنبياء ٢١: ٩٨	زنجي	حَطَب	٩٤٨
حِطَّة	البقرة ٢: ٥٨	عبري	صَوَابًا	٩٤٨
حَوَارِيُّونَ	آل عمران ٣: ٥٢	نبطي	الْغَسَّالُونَ	٩٤٨
حُوبًا	النساء ٤: ٢	حبشي	إِثْمًا	٩٤٩
دَرَسْتَ	الأنعام ٦: ١٠٥	عبري	قرأتَ	٩٤٩
دُرِّيٌّ	النور ٢٤: ٣٥	حبشي	المضيء	٩٤٩
بِدِينَارٍ	آل عمران ٣: ٧٥	فارسي	-	٩٤٩
رَاعِنَا	البقرة ٢: ١٠٤	عبري	سبٌ بلغة اليهود	٩٤٩
الرَّبَّانِيُّون	المائدة ٥: ٤٤	عبري/سرياني	-	٩٥٠
رِبِّيُّونَ	آل عمران ٣: ١٤٦	سرياني	-	٩٥٠
الرَّحْمَانِ	الفاتحة ١: ١	عبري	-	٩٥٠
الرَّسِّ	الفرقان ٢٥: ٣٨	أعجمي	البئر	٩٥١
الرَّقِيمِ	الكهف ١٨: ٩	رومي	اللوح، الكتاب، الدواة	٩٥١
رَمْزًا	آل عمران ٣: ٤١	عبري	تحريك الشفتين بالعبرية	٩٥١
رَهْوًا	الدخان ٤٤: ٢٤	نبطي	سهلاً دمثًا	٩٥١
		سرياني	ساكنًا	
الرُّومُ	الروم ٣٠: ٢	أعجمي	اسم لهذا الجيل من الناس	٩٥١
زَنجَبِيلاً	الإنسان ٧٦: ١٧	فارسي	-	٩٥٢
سُجَّدًا	البقرة ٢: ٥٨	سرياني	مُقْنِعِي الرؤوس	٩٥٢

www.christianlib.com

الكلمة	الآية	أصلها	معناها	صفحة
السِّجِلِّ	الأنبياء ٢١: ١٠٤	حبشي	الرجل، الكتاب	٩٥٢
		فارسي	-	
سِجِّيلٍ	هود ١١: ٨٢	فارسي	أولها حجارة وآخرها طين	٩٥٢
سِجِّينٍ	المطففين ٨٣: ٧	أعجمي	-	٩٥٣
سُرَادِقُهَا	الكهف ١٨: ٢٩	فارسي	دهليز، ستر الدار	٩٥٣
سَرِيًّا	مريم ١٩: ٢٤	سرياني	نهر	٩٥٣
		نبطي/يوناني	-	
سَفَرَةٍ	عبس ٨٠: ١٥	نبطي	القراء	٩٥٣
سَقَرَ	القمر ٥٤: ٤٨	أعجمي	-	٩٥٤
سَكَرًا	النحل ١٦: ٦٧	حبشي	الخل	٩٥٤
سلسبيلاً	الإنسان ٧٦: ١٨	أعجمي	سَنَا	٩٥٤
سُنْدُسٍ	الكهف ١٨: ٣١	فارسي	رقيق الديباج	٩٥٤
		هندي	-	
سَيِّدَهَا	يوسف ١٢: ٢٥	قبطي	زوجها	٩٥٥
سِينِينَ	التين ٩٥: ٢	حبشي	الحسن	٩٥٥
سَيْنَاءَ	المؤمنون ٢٣: ٢٠	نبطي	الحسن	٩٥٥
شَطْرَ	البقرة ٢: ١٤٤	حبشي	تلقاء	٩٥٥
شَهْرُ	البقرة ٢: ١٨٥	سرياني	-	٩٥٦
الصِّرَاطَ	الفاتحة ١: ٦	رومي	الطريق	٩٥٦
فَصُرْهُنَّ	البقرة ٢: ٢٦٠	نبطي	فشقِّقْهن	٩٥٦
		رومي	فقطِّعْهُنَّ	٩٥٧
صَلَوَاتٌ	الحج ٢٢: ٤٠	عبري	كنائس اليهود، وأصلها: صَلُوتا	٩٥٧
طَهَ	طه ٢٠: ١	نبطي/حبشي	يا رجل	٩٥٧- ٩٥٨
الطَّاغُوتِ	البقرة ٢: ٢٥٦	حبشي	الكاهن	٩٥٨
طَفِقَا	الأعراف ٧: ٢٢	رومي	قَصَدا	٩٥٨
طُوبَى	الرعد ١٣: ٢٩	حبشي/هندي	الجنة	٩٥٨
الطُّورَ	البقرة ٢: ٦٣	سرياني/نبطي	الجبل	٩٥٨- ٩٥٩
طُوًى	طه ٢٠: ١٢	أعجمي	ليلاً	٩٥٩
		عبري	رجل	
عَبَّدتَّ	الشعراء ٢٦: ٢٢	نبطي	قَتَلْتَ	٩٥٩

www.christianlib.com

الكلمة	الآية	أصلها	معناها	صفحة
عَدْنٍ	التوبة ٩: ٧٢	سرياني/رومي	جنات كروم وأعناب	٩٥٩
العَرِمِ	سبأ ٣٤: ١٦	حبشي	المُسَنَّاة (سد بفتحاتٍ للمياه)	٩٥٩- ٩٦٠
غسَّاقٌ	ص ٣٨: ٥٧	تركي	البارد المنتن	٩٦٠
		طخاري	منتن	
غِيضَ	هود ١١: ٤٤	حبشي	نَقَصَ	٩٦٠
الفردوس	الكهف ١٨: ١٠٧	رومي	البستان	٩٦٠
		نبطي	الكرم	
فومها	البقرة ٢: ٦١	عبري	الحنطة	٩٦١
قَرَاطِيسَ	الأنعام ٦: ٩١	أعجمي	-	٩٦١
القِسْطِ	آل عمران ٣: ١٨	رومي	العدل	٩٦١
القِسْطَاسُ	الإسراء ١٧: ٣٥	رومي	العدل، الميزان	٩٦١
قَسْوَرَةٍ	المدثر ٧٤: ٥١	حبشي	الأسد	٩٦٢
قِطَّنَا	ص ٣٨: ١٦	نبطي	كتابنا	٩٦٢
قفل	محمد ٤٧: ٢٤	فارسي	-	٩٦٢
القُمَّلَ	الأعراف ٧: ١٣٣	عبري/سرياني	الدبا (الجراد قبل أن يطير، أو الجراد الصغير)	٩٦٢
قِنْطَارٍ	آل عمران ٣: ٧٥	رومي	اثنتا عشرة ألف أوقية	٩٦٢
		سرياني	ملء جلد ثور ذهبًا أو فضة	٩٦٢-٩٦٣
		بربري	ألف مثقال	٩٦٣
		إفريقي	ثمانية آلاف مثقال	٩٦٣
القَيُّومُ	البقرة ٢: ٢٥٥	سرياني	الذي لا ينام	٩٦٣
كافُورًا	الإنسان ٧٦: ٥	فارسي	-	٩٦٣
كَفِّرْ	آل عمران ٣: ١٩٣	نبطي	امْحُ	٩٦٣
كَفَّرَ عنهم	محمد ٤٧: ٢	عبري	امْحُ عنهم	٩٦٣
كِفْلَيْنِ	الحديد ٥٧: ٢٨	حبشي	ضِعْفين	٩٦٣
كَنزٌ	هود ١١: ١٢	فارسي	-	٩٦٤
كُوِّرَتْ	التكوير ٨١: ١	فارسي	غُوِّرت	٩٦٤
لِّينَةٍ	الحشر ٥٩: ٥	يهود يثرب	النخلة	٩٦٤
مُتَّكَئًا	يوسف ١٢: ٣١	حبشي	الترنج	٩٦٤
المَجُوسَ	الحج ٢٢: ١٧	أعجمي	-	٩٦٤

www.christianlib.com

الكلمة	الآية	أصلها	معناها	صفحة
المَرْجَانُ	الرحمن ٥٥: ٢٢	أعجمي	–	٩٦٥
مَرْقُومٌ	المطففين ٨٣: ٩	عبري	مكتوب	٩٦٥
مُزْجَاةٍ	يوسف ١٢: ٨٨	أعجمي/قبطي	قليلة	٩٦٥
مِسْكٌ	المطففين ٨٣: ٢٦	فارسي	–	٩٦٥
مِشْكَاةٍ	النور ٢٤: ٣٥	حبشي	الكوة	٩٦٥
مقاليد	الزمر ٣٩: ٦٣	فارسي	مفاتيح	٩٦٥-٩٦٦
مَلَكُوتَ	الأنعام ٦: ٧٥	نبطي	الملك	٩٦٦
مناصٍ	ص ٣٨: ٣	نبطي	فرار	٩٦٦
مِنسَأَتَهُ	سبأ ٣٤: ١٤	حبشي	العصا	٩٦٦
مُنفَطِرٌ	المزمل ٧٣: ١٨	حبشي	ممتلىء	٩٦٧
المُهْلِ	الكهف ١٨: ٢٩	مغربي/بربري	عكر الزيت	٩٦٧
نَاشِئَةَ	المزمل ٧٣: ٦	حبشي	نَاشِئَةَ الليل: قيام الليل	٩٦٧
ن	القلم ٦٨: ١	فارسي	اصنع ما شئت	٩٦٨
هُدنَا	الأعراف ٧: ١٥٦	عبري	تبنا	٩٦٨
هود	البقرة ٢: ١٣٥	أعجمي	يهود	٩٦٨
هَوْنًا	الفرقان ٢٥: ٦٣	سرياني/عبري	حلماءً	٩٦٨
هَيتَ لك	يوسف ١٢: ٢٣	قبطي/سرياني/حوراني	هلم لك	٩٦٩
		عبري	أصلها: هِيتلَخْ، أي تعالَهْ	
وَرَآءَ	البقرة ٢: ١٠١	نبطي	أمام	٩٧٠
وَرْدَةً	الرحمن ٥٥: ٣٧	أعجمي	–	٩٧٠
وَزَرَ	القيامة ٧٥: ١١	نبطي	الجبل، والملجأ	٩٧٠
اليَاقُوتُ	الرحمن ٥٥: ٥٨	فارسي	–	٩٧٠
يَحُورَ	الانشقاق ٨٤: ١٤	حبشي	يرجع	٩٧٠
يس	يس ٣٦: ١	حبشي	يا إنسان، أو يا رجل	٩٧١
يَصِدُّونَ	الزخرف ٤٣: ٥٧	حبشي	يَضِجُّون	٩٧١
يُصْهَرُ	الحج ٢٢: ٢٠	مغربي	يُنْضَجُ	٩٧١
اليَمِّ	الأعراف ٧: ١٣٦	سرياني/عبراني/قبطي	البحر	٩٧١
اليَهُودُ	البقرة ٢: ١١٣	أعجمي	المنسوبون إلى يهوذا بن يعقوب	٩٧٢

www.christianlib.com

(٢) الكلماتُ الأجنبية في القرآن، بحسب اللغة

أصلها	الكلمة	الآية	معناها	صفحة
أعجمي	الْيَهُودُ	البقرة ٢: ١١٣	المنسوبون إلى يهوذا بن يعقوب	٩٧٢
	هود	البقرة ٢: ١٣٥	يهود	٩٦٨
	جَهَنَّمُ	البقرة ٢: ٢٠٦	-	٩٤٨
	قَرَاطِيسَ	الأنعام ٦: ٩١	-	٩٦١
	مُزْجَاةٍ	يوسف ١٢: ٨٨	قليلة	٩٦٥
	طُوًى	طه ٢٠: ١٢	ليلاً	٩٥٩
	الْمَجُوسَ	الحج ٢٢: ١٧	-	٩٦٤
	الرَّسِّ	الفرقان ٢٥: ٣٨	البئر	٩٥١
	الرُّومُ	الروم ٣٠: ٢	اسم لهذا الجيل من الناس	٩٥١
	سَقَرَ	القمر ٥٤: ٤٨	-	٩٥٤
	الْمَرْجَانُ	الرحمن ٥٥: ٢٢	-	٩٦٥
	وَرْدَةً	الرحمن ٥٥: ٣٧	-	٩٧٠
	إِسْتَبْرَقٍ	الرحمن ٥٥: ٥٤	الدِّيبَاج الْغَلِيظ	٩٤٣
	سلسبيلاً	الإنسان ٧٦: ١٨	سَنَا	٩٥٤
	سِجِّينٍ	المطففين ٨٣: ٧	-	٩٥٣
إفريقي	قِنْطَارٍ	آل عمران ٣: ٧٥	ثمانية آلاف مثقال	٩٦٣
بربري	قِنْطَارٍ	آل عمران ٣: ٧٥	ألف مثقال	٩٦٣
	الْمُهْلِ	الكهف ١٨: ٢٩	عكر الزيت	٩٦٧
	إِنَاهُ	الأحزاب ٣٣: ٥٣	نضجه	٩٤٤
تركي	غسَّاقٌ	ص ٣٨: ٥٧	البارد المنتن	٩٦٠
حبشي	حُوبًا	النساء ٤: ٢	إِثْمًا	٩٤٩
	الْجِبْتِ	النساء ٤: ٥١	الشَّيْطَانِ، الساحر	٩٤٧-٩٤٨
	ابْلَعِي	هود ١١: ٤٤	ازْدَرِدِيهِ	٩٤٢
	أَوَّاهٌ	هود ١١: ٧٥	الْمُوقِن، الرحيم	٩٤٥
	الأَرَائِكِ	الكهف ١٨: ٣١	السُّرُر	٩٤٢
	حرامَ	الأنبياء ٢١: ٩٥	وَجَبَ	٩٤٨
	أَوَّابٌ	ص ٣٨: ١٧	الْمُسَبِّح	٩٤٥-٩٤٦

www.christianlib.com

أصلها	الكلمة	الآية	معناها	صفحة
حبشي	شَطْرَ	البقرة ٢: ١٤٤	تلقاء	٩٥٥
	الطَّاغُوتِ	البقرة ٢: ٢٥٦	الكاهن	٩٥٨
	غِيضَ	هود ١١: ٤٤	نَقَص	٩٦٠
	مُتَّكَئًا	يوسف ١٢: ٣١	الترنج؟	٩٦٤
	طُوبَى	الرعد ١٣: ٢٩	الجنة	٩٥٨
	سَكَرًا	النحل ١٦: ٦٧	الخل	٩٥٤
	طَهَ	طه ٢٠: ١	يا رجل	٩٥٧، ٩٥٨
	السِّجِلِّ	الأنبياء ٢١: ١٠٤	الرجل، أو الكتاب	٩٥٢
	مِشْكَاةٍ	النور ٢٤: ٣٥	الكوة	٩٦٥
	دُرِّيٌّ	النور ٢٤: ٣٥	المضيء	٩٤٩
	مِنسَأَتَهُ	سبأ ٣٤: ١٤	العصا	٩٦٦
	العَرِمِ	سبأ ٣٤: ١٦	المُسَنَّاة (سد بفتحاتٍ للمياه)	٩٥٩، ٩٦٠
	يس	يس ٣٦: ١	يا إنسان، أو يا رجل	٩٧١
	يَصِدُّونَ	الزخرف ٤٣: ٥٧	يَضِجُّون	٩٧١
	كِفْلَيْنِ	الحديد ٥٧: ٢٨	ضِعْفين	٩٦٣
	نَاشِئَةَ	المزمل ٧٣: ٦	نَاشِئَةَ الليل: قيام الليل	٩٦٧
	مُنفَطِرٌ	المزمل ٧٣: ١٨	ممتلىء	٩٦٧
	قَسْوَرَةٍ	المدثر ٧٤: ٥١	الأسد	٩٦٢
	يَحُورَ	الانشقاق ٨٤: ١٤	يرجع	٩٧٠
	سِينِينَ	التين ٩٥: ٢	الحسن	٩٥٥
حوراني	هَيتَ لك	يوسف ١٢: ٢٣	هلم لك	٩٦٩
رومي	الصِّرَاطَ	الفاتحة ١: ٦	الطريق	٩٥٦
	فَصُرْهُنَّ	البقرة ٢: ٢٦٠	فقطِّعهُنَّ	٩٥٧
	القِسْطِ	آل عمران ٣: ١٨	العدل	٩٦١
	قِنطَارٍ	آل عمران ٣: ٧٥	اثنتا عشرة ألف أوقية	٩٦٢
	طَفِقَا	الأعراف ٧: ٢٢	قصدا	٩٥٨
	عَدْنٍ	التوبة ٩: ٧٢	جنات كروم وأعناب	٩٥٩
	القِسْطَاسِ	الإسراء ١٧: ٣٥	العدل، الميزان	٩٦١
	الرَّقِيمِ	الكهف ١٨: ٩	اللوح، الكتاب، الدواة	٩٥١
	الفردوس	الكهف ١٨: ١٠٧	البستان	٩٦٠

www.christianlib.com

أصلها	الكلمة	الآية	معناها	صفحة
زنجي	أَلِيمٌ	البقرة ٢: ١٠	موجع	٩٤٤
	حَصَبُ	الأنبياء ٢١: ٩٨	حَطَب	٩٤٨
سرياني	سُجَّدًا	البقرة ٢: ٥٨	مُقْنِعو الرؤوس	٩٥٢
	الطُّورَ	البقرة ٢: ٦٣	الجبل	٩٥٨، ٩٥٩
	شَهْرُ	البقرة ٢: ١٨٥	-	٩٥٦
	القَيُّومُ	البقرة ٢: ٢٥٥	الذي لاينام	٩٦٣
	قِنْطَارٍ	آل عمران ٣: ٧٥	ملء جلد ثور ذهبًا أو فضة	٩٦٢-٩٦٣
	رِبِّيُّونَ	آل عمران ٣: ١٤٦	-	٩٥٠
	الرَّبَّانِيُّونَ	المائدة ٥: ٤٤	-	٩٥٠
	القُمَّلَ	الأعراف ٧: ١٣٣	الدبا (الجراد قبل أن يطير، أو الجراد (الصغير	٩٦٢
	اليَمِّ	الأعراف ٧: ١٣٦	البحر	٩٧١
	عَدْنٍ	التوبة ٩: ٧٢	جنات كروم وأعناب	٩٥٩
	هَيتَ لك	يوسف ١٢: ٢٣	هلم لك	٩٦٩
	سَرِيًّا	مريم ١٩: ٢٤	نهر	٩٥٣
	هَوْنًا	الفرقان ٢٥: ٦٣	حلماء	٩٦٨
	رَهوًا	الدخان ٤٤: ٢٤	ساكنًا	٩٥١
	أَسْفَارًا	الجمعة ٦٢: ٥	كُتُب	٩٤٣
طخاري	غَسَّاقٌ	ص ٣٨: ٥٧	منتن	٩٦٠
عبري	الرَّحْمَانِ	الفاتحة ١: ١	-	٩٥٠
	أَلِيمٌ	البقرة ٢: ١٠	الموجع	٩٤٤
	حِطَّةٌ	البقرة ٢: ٥٨	صَوَابًا	٩٤٨
	رَاعِنَا	البقرة ٢: ١٠٤	سبُّ بلغة اليهود	٩٤٩
	جَهَنَّمُ	البقرة ٢: ٢٠٦	أصلها كهنام	٩٤٨
	الرَّبَّانِيُّونَ	المائدة ٥: ٤٤	-	٩٥٠
	دَرَسْتَ	الأنعام ٦: ١٠٥	قرأتَ	٩٤٩
	أَسباطًا	الأعراف ٧: ١٦٠	قبائل	٩٤٣
	أَخْلَدَ	الأعراف ٧: ١٧٦	ركن	٩٤٢
	أَوَّاهٌ	هود ١١: ٧٥	دعاء	٩٤٥
	بَعِيرٍ	يوسف ١٢: ٦٥	حِمَار، كُلُّ مَا يُحْمَلُ عليه	٩٤٦

www.christianlib.com

أصلها	الكلمة	الآية	معناها	صفحة
عبري	فومها	البقرة ٢: ٦١	الحنطة	٩٦١
	رَمزًا	آل عمران ٣: ٤١	تحريك الشفتين بالعبرية	٩٥١
	القُمَّل	الأعراف ٧: ١٣٣	الدبا (الجراد قبل أن يطير، أو الجراد الصغير)	٩٦٢
	اليَمّ	الأعراف ٧: ١٣٦	البحر	٩٧١
	هُدنَا	الأعراف ٧: ١٥٦	تبنا	٩٦٨
	هَيتَ لك	يوسف ١٢: ٢٣	أصلها: هِيتلَخ، أي تعالَهْ	٩٦٩
	طُوًى	طه ٢٠: ١٢	رجل	٩٥٩
	صَلَوَاتٌ	الحج ٢٢: ٤٠	كنيس (معابد) اليهود، وأصلها: صَلُوتا	٩٥٧
	هَوْنًا	الفرقان ٢٥: ٦٣	حلماءُ	٩٦٨
	كَفَّر عنهم	محمد ٤٧: ٢	امْحُ عنهم	٩٦٣
	لِّينَةٍ	الحشر ٥٩: ٥	النخلة	٩٦٤
	مَّرْقُومٌ	المطففين ٨٣: ٩	مكتوب	٩٦٥
فارسي	جَهَنَّم	البقرة ٢: ٢٠٦	-	٩٤٨
	بِدِينَار	آل عمران ٣: ٧٥	-	٩٤٩
	كَنزٌ	هود ١١: ١٢	-	٩٦٤
	التَّنُور	هود ١١: ٤٠	-	٩٤٧
	سِجِّيل	هود ١١: ٨٢	أولها حجارة وآخرها طين	٩٥٢
	سُرَادِقُهَا	الكهف ١٨: ٢٩	دهليز، ستر الدار	٩٥٣
	سُندُس	الكهف ١٨: ٣١	رقيق الديباج	٩٥٤
	السِّجِلّ	الأنبياء ٢١: ١٠٤	-	٩٥٢
	بِيَعٌ	الحج ٢٢: ٤٠	-	٩٤٧
	مقاليدُ	الزمر ٣٩: ٦٣	مفاتيح	٩٦٥-٩٦٦
	قفل	محمد ٤٧: ٢٤	-	٩٦٢
	اليَاقُوت	الرحمن ٥٥: ٥٨	-	٩٧٠
	أباريق	الواقعة ٥٦: ١٨	طَرِيقُ الْمَاءِ أَوْ صَبُّ الْمَاءِ عَلَى هِينَةٍ	٩٤١
	ن	القلم ٦٨: ١	اصنع ما شئت	٩٦٨
	كَافُورًا	الإنسان ٧٦: ٥	-	٩٦٣
	زَنجَبِيلاً	الإنسان ٧٦: ١٧	-	٩٥٢
	كُوِّرَتْ	التكوير ٨١: ١	غُوِّرت	٩٦٤
	مِسْكٌ	المطففين ٨٣: ٢٦	-	٩٦٥

www.christianlib.com

أصلها	الكلمة	الآية	معناها	صفحة
قبطي	اليَمِّ	الأعراف ٧: ١٣٦	البحر	٩٧١
	هَيتَ لك	يوسف ١٢: ٢٣	هلم لك	٩٦٩
	سَيِّدَهَا	يوسف ١٢: ٢٥	زوجها	٩٥٥
	مُّزْجَاةٍ	يوسف ١٢: ٨٨	قليلة	٩٦٥
	الأولى	القصص ٢٨: ٧٠	الأخِرة	٩٤٦
	الأخِرة	القصص ٢٨: ٧٠	الأولى	٩٤٦
	بَطَائِنُهَا	الرحمن ٥٥: ٥٤	ظَوَاهِرُهَا	٩٤٦
لغة نبي الله إبراهيم	آزَرَ	الأنعام ٦: ٧٤	أعوج أو مُخْطِئ	٩٤٣
مغربي	المُهْلِ	الكهف ١٨: ٢٩	عكر الزيت	٩٦٧
	يُصْهَرُ	الحج ٢٢: ٢٠	يُنْضَجُ	٩٧١
	إِنَاهُ	الأحزاب ٣٣: ٥٣	نضجه	٩٤٤
	أَبًّا	عبس ٨٠: ٣١	الحَشِيش بِلُغَةِ أَهْلِ المَغْرِبِ	٩٤١
نبطي	الطُّورَ	البقرة ٢: ٦٣	الجبل	٩٥٨، ٩٥٩
	فَصُرْهُنَّ	البقرة ٢: ٢٦٠	فشققهن	٩٥٦
	حَوَارِيُّونَ	آل عمران ٣: ٥٢	الْغَسَّالُونَ	٩٤٨
	إِصْرِي	آل عمران ٣: ٨١	عهدي	٩٤٣
	إِلًّا	التوبة ٩: ٨	اسم الله	٩٤٤
	تَتْبِيراً	الإسراء ١٧: ٧	تَبَّرَه	٩٤٧
	الفردوس	الكهف ١٨: ١٠٧	الكرم	٩٦٠
	تَحْتِ	مريم ١٩: ٢٤	بَطْنِ	٩٤٧
	سَرِيًّا	مريم ١٩: ٢٤	-	٩٥٣
	طَهَ	طه ٢٠: ١	يا رجل	٩٥٧، ٩٥٨
	سَيْنَاءَ	المؤمنون ٢٣: ٢٠	الحسن	٩٥٥
	عَبَّدتَّ	الشعراء ٢٦: ٢٢	قَتَّلْتَ	٩٥٩
	قِطَّنَا	ص ٣٨: ١٦	كتابنا	٩٦٢
	أَكْوَابٍ	الزخرف ٤٣: ٧١	الأكواز، أو جِرَارٌ لَيْسَتْ لَهَا عُرًى	٩٤٣-٩٤٤
	رَهْوًا	الدخان ٤٤: ٢٤	سهلاً دمثًا	٩٥١
	أَسْفَارًا	الجمعة ٦٢: ٥	كُتُب	٩٤٣
	سَفَرَةٍ	عبس ٨٠: ١٥	القراء	٩٥٣

www.christianlib.com

أصلها	الكلمة	الآية	معناها	صفحة
نبطي	وَرَآءَ	البقرة ٢: ١٠١	أمام	٩٧٠
	كَفَّرَ	آل عمران ٣: ١٩٣	امْحُ	٩٦٣
	مَلَكُوتَ	الأنعام ٦: ٧٥	الملك	٩٦٦
	مناصٍ	ص ٣٨: ٣	فرار	٩٦٦
	وَزَرَ	القيامة ٧٥: ١١	الجبل، والملجأ	٩٧٠
هندي	ابْلَعِي	هود ١١: ٤٤	اشربي	٩٤٢
	طُوبَى	الرعد ١٣: ٢٩	الجنة	٩٥٨
	سُندُسٍ	الكهف ١٨: ٣١	-	٩٥٤
يوناني	سَرِيًا	مريم ١٩: ٢٤	-	٩٥٣

آراء حول تصنيف السيوطي

يشكّكُ اللغويون المحدثون في قدرٍ كبيرٍ من المعلوماتِ التي يوردُها السيوطيُّ حول أصلِ لغاتِ هذه الكلماتِ الأجنبيةِ في النص القرآني ومعانيها. وينتقدون اعتمادَه على تفاسيرِ الباحثين المسلمين في تطويرِ تصنيفاتِه لهذه الكلماتِ الأجنبيةِ بدلًا من البحثِ العلميِّ والتثبيتِ الملموسِ أو القابلِ للملاحظةِ ضِمنَ اللغاتِ الأجنبيةِ. وقد أدّى هذا الافتقار إلى البحثِ الموضوعيِّ لأصولِ تلك الكلماتِ غيرِ العربيةِ إلى تصنيفاتٍ ذات مصداقية قليلةٍ وبالتالي شكٌّ في أهميتِها.

نشر المستشرقُ آرثر جفري (١٨٩٢ - ١٩٥٩ م)، وهو باحثٌ معتبرٌ في مجالِ اللغاتِ الساميةِ، في عام ١٩٣٨ م النصَّ التأسيسيَّ، «المفردات الأجنبية للقرآن»، والذي ما زال يمثّلُ خلاصةً وافيةً هامةً للبحثِ اللغويِ للقرآنِ. ويقدم جفري في تناولِه لأبحاثِ المسلمين بشكلٍ عام، وتصنيفاتِ السيوطيِّ للكلماتِ الأجنبيةِ في القرآنِ بشكلٍ خاصٍّ، تعليقاتٍ جديرةً بالملاحظةِ:

- من اللغاتِ التي ذكرها السيوطيُّ في تصنيفِه التركيةُ، والتي لم يكن لها أيُّ تأثيرٍ في اللغةِ العربيةِ «حتى فترة متقدمة من العصرِ الإسلاميِّ في القاهرةِ في مصرَ (٨٤٩ - ٩١١ هـ/ ١٤٤٥-١٥٠٥م)، أي بعد تلقّي محمدٍ الوحيَ».[1] (انظر ص ٣٨: ٥٧ «غساق»، في جدول «الكلماتُ الأجنبية في القرآن، بحسب اللغة»، صفحة ٤٥٩).

1. Jeffery, *The Foreign Vocabulary* 29.

www.christianlib.com

- بعضِ اللغاتِ الأخرى، مثل الهنديةِ والزنجيةِ، يحتملُ أن السببَ وراءَ إدراجِها في التصنيفِ هو أن الباحثين المسلمين «كانوا في حيرة كاملةٍ من تفسيرِ الكلمات، ولهذا أشاروا إلى أصلٍ في زاويةٍ نائيةٍ من زوايا الأرضِ، وربما راقهم هذا الأمر على أساسِ أنه أفضلُ من تقديمِ أيةِ إشارةٍ إلى الأصولِ على الإطلاقِ.»[٢]
- بعضُ الكلماتِ التي عُدَّتْ أجنبيةً في تصنيفِ السيوطيِّ، كانت في واقعِ الأمرِ عربيةً؛ مثلًا: (يوسف ١٢: ٢٣ «هَيْتَ لك»؛ الشعراء ٢٦: ٢٢ «عَبَّدْتَ»؛ هود ١١: ٤٤ «ابلعي»؛ الأعراف ٧: ١٧٦ «أَخْلَدَ»؛ الأنبياء ٢١: ٩٨ «حَصَبُ»). وتصنَّفُ هذه الكلمات، وهي مجرد عيّنةٍ، خطًأ على أنها قبطيةٌ ونبطية، وهندية/ حبشية، وعبرية وزنجية على التوالي.[٣]
- وعلى نقيضِ ذلك، «كشفتِ الدراساتُ الحديثةُ وجودَ كلماتٍ كثيرةٍ أكثر ذاتِ الأصلِ الأجنبيِّ في مفرداتِ القرآنِ مما لاحظه الباحثون المسلمون.[٤] فقد احتاج محمدٌ في تعليمِ إخوتِه العربِ عن هذا الدينِ الجديدِ، الإسلامِ، إلى استعارةِ مصطلحاتٍ وتعبيراتٍ دينيةٍ وثقافيةٍ من لغاتٍ أخرى لأن المفرداتِ العربيةَ الأصليةَ لم تكن كافيةً «للتعبيرِ عن أفكارِه الجديدةِ كلِّها».[٥] وفي واقعِ الأمرِ، فإن كثيرًا من هذه الكلماتِ غيرِ العربيةِ قد سبق استيعابُها أو تمثُّلُها في اللغةِ العربيةِ من خلالِ القبائلِ العربيةِ المسيحيةِ والتعاملِ التجاريِّ بين العربِ مع اليهودِ والمسيحيين والفُرس.[٦] (ويناقشُ آرثر جفري نفسُه في كتابِه ما يزيدُ عن ثلاثِ مئة كلمةٍ عربيةٍ في القرآنِ.)

ويفتقرُ تصنيفُ السيوطيِّ، فضلًا عن ذلك، إلى التحديدِ الهادفِ. فعلى سبيلِ المثالِ، فإن وصفَ كلمةٍ بأنها «إفريقيةٌ» أو «هنديةٌ» تصنيفٌ واسعٌ جدًا. فقد كانت إفريقيا والهند وما تزالان موطنين لشعوبٍ كثيرةٍ ولغاتٍ كثيرة. وبطريقةٍ مماثلةٍ، يمكنُ أن تشيرَ «اليونانية» إلى اللغةِ الإغريقيةِ الكلاسيكيةِ القديمةِ أو اليونانيةِ البيزنطيةِ. وفي بعضِ الأحيانِ، يقدِّمُ هذا «التحديدُ بالقولِ إن الكلمةَ الأجنبيةَ نفسَها موجودةٌ في عدةِ لغاتٍ (مثلًا: الرعد ١٣: ٢٩ «طوبى»، حبشية هندية)، وهي

2. Jeffery, *The Foreign Vocabulary* 19, 30.
3. Ibid. 33-34.
4. Ibid. 37.
5. Ibid. 38.
6. Ibid.

www.christianlib.com

لغاتٌ لا صلةَ بينها من حيث تاريخُها وأصولُها وأشكالُها ومعانيها. (انظر جدول «الكلماتُ الأجنبية في القرآن، بحسب الترتيب الأبجدي»، صفحة ٤٥٤).

ومن السماتِ الأخرى لتصنيفِ السيوطيِّ إدخالُ اللغةِ الزنجية كأصلٍ محتملٍ للكلماتِ. و قد ذكر المقدسي في وصفهم ما يلي: «وأمّا الزنجُ فقومٌ سودُ الألوانِ، فطسُ الأنوفِ، جعادُ الشَّعرِ، قليلو الفَهمِ والفطنةِ».[٧]

كما يتحدّثُ ابنُ خلدون عن شعبٍ يقطنُ جنوبَ النيلِ، وهو شعبُ «الملم»، ويضيف:[٨]

> ... هم كفار ويكتوون في وجوهِهم وأصداغِهم. وأهلُ غانةَ والتكرورِ يغيرون عليهم، ويسبونهم ويبيعونهم للتجارِ، فيجلبونهم إلى المغربِ (شمال إفريقيا). وكلُّهم عامّةُ رقيقُهم. وليس وراءهم في الجنوبِ عمرانٌ يُعتبرُ، إلاّ أناسيُّ أقربُ إلى الحيوانِ العجمِ من الناطقِ يسكنون الفيافي والكهوفَ، ويأكلون العشبَ والحبوبَ غيرَ مهيّأة. وربما يأكلُ بعضُهم بعضًا، وليسوا في عِدادِ البشرِ.

وجاء في حديث روتْهُ عائشة، زوجة محمد المفضلة، أن محمدًا طلب من أتباعِه أن لا يرتّبوا زيجاتٍ لنسلِهم إلاّ مع أشخاصٍ أكفاء وأن يبتعدوا عن الزنج لأنهم خلائقُ مشوهةٌ «تخيّروا لنُطفكم، وإياكم والزنوج؛ فإنه خلْقٌ مشوّه».[٩] وعلى الرغم من هذا الازدراء الصارخ، إلا أن معظم العلماء المسلمين، بما فيهم الألباني، يعتبرون هذا الحديث ضعيفًا.

لكن، في الواقع هناك أحاديث أخرى صحيحة تشترك في تلك الإيحاءات العنصرية البغيضة تجاه السود التي تلمح إلى أنهم أقل شأنًا، وعلى سبيل المثال ففي حديث عن محمدٍ «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ [أسود] كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ».[١٠] و جاء أيضًا في حديثٍ آخر لمحمد: «لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ. فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ. وَلَا تَزَوَّجُوهُنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ. فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ. وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ. وَلَأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ.»[١١]

مع هذه النظرة السلبية تجاه السود، لماذا استخدم هذا القرآن «المعجز» كلمات أولئك الأشخاص «الناقصين»[١٢]؟

٧. المقدسي، كتاب البدء ٤: ٧٠
٨. مقدمة ابن خلدون ١: ١٥٤
٩. الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢: ١٥٩. التشديد لنا.
١٠. صحيح البخاري، كتاب الأحكام ٦: ٢٦١٢. التشديد لنا.
١١. ابن ماجة، السنن ٣: ٦٣، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين. التشديد لنا.
١٢. والمقصود الكلمات الزنجية، والإفريقية، والحبشية التي استخدمها القرآن.

www.christianlib.com

وفي ضوءِ البحثِ الإسلاميِّ المحدودِ والذاتيِّ (غيرِ الموضوعيِّ) والمعلوماتِ المغلوطة والمضلّلةِ وعدمِ الدقة وحالات الإغفال في هذا التصنيف للكلمات الأجنبية في القرآن، فإن مؤلَّف السيوطيِّ لا يضيفُ الكثير إلى حقل هذه الدراسة.

غيرَ أن مؤلَّفَ السيوطي يقدّمُ بالفعلِ أدلةً قويةً على نوعٍ آخرَ:

- إقرار الباحثين المسلمين بوجودِ كلماتٍ أجنبيةٍ (غيرِ عربيةٍ) في القرآنِ،
- معضلة هؤلاء الباحثين أنفسِهم في تصنيفِ هذه الكلماتِ غيرِ المألوفةِ وتعريفِها.

ويرى جفري أن لجوءَ الباحثين المسلمين إلى اعتماد التخمينِ والتكهّنِ والافتراض غير المدعوم في محاولةِ لتفسير ما لا يمكنُ تفسيرُه، هو مجرد «عباءةٍ تغطّي جهلَهم».[١٣]

وتُناقِضُ النقطتان السابقتان (أي استخدامُ كلماتٍ غيرِ عربيةٍ، إضافةً إلى كلماتٍ غامضةٍ غيرِ مفهومةٍ في النصّ القرآنيِّ) الاعتقادَ الإسلامي أن القرآنَ كإعلانٍ للهِ مكتوبٌ «بلسان عربيٍّ مبين»،[١٤] وأيضًا «قرآنًا عربيًا لقومٍ يعلمون».[١٥]

---

13. Jeffery, *The Foreign Vocabulary* 31; see also 19, 30.

١٤. انظر الشعراء ٢٦: ١٩٢- ١٩٦.
١٥. فُصِّلَت ٤١: ٣.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

فهرست الأعلام

www.christianlib.com

فهـرست الأعـــلام

أبو بكر (حوالي ٥١ ق. هـ - ١٣ هـ/ حوالي ٥٧٣-٦٣٤ م)

كان أبو بكر تاجرًا غنيًا من قبيلة قريش، ومن أوائل أتباع محمد. وقد صارت ابنته عائشة الزوجة الثالثة لمحمد، المفضلة لديه. رافق أبو بكر محمدًا في العديد من الغزوات المبكرة، وأصبح الخليفة الأول، خلفًا له لحكم الإمبراطورية الإسلامية الناشئة. استمرت خلافته بضع سنوات فقط.

أُبَيّ بن كَعْب بن قَيْس (ت حوالي ٢١ هـ/ ح ٦٤٢ م)

من الأنصار من قبيلة الخزرج، وله إطلاع على الكتب المقدسة. ومن القلائل الذين كانوا يجيدون الكتابة في مجتمعه آنذاك. وبعد أن اعتنق الإسلام، صار يكتب لمحمد آيات الوحي، واعتبره محمد واحد من الأربعة الذين إئتمنهم على القرآن.

أبو إسحاق الزجاج (٢٤١-٣١١ هـ/ ٨٥٥-٩٢٣ م)

هو إبراهيم بن السريّ بن سهل، عالم لغوي كبير، عاش في بغداد. له تصنيفات كثيرة في علوم اللغة العربية وأيضا في علوم القرآن، أشهرها: «معاني القرآن وإعرابه».

أبو هُرَيْرة (ت ٥٩ هـ/ ٦٧٩ م)

عبد الرحمن بن صخر الدوسي. روي أن اسمه كان «عبد شمس» قبل اسلامه فى المدينة، ولما أسلم سماه محمد «عبد الرحمن»، فكان يصاحب محمداً ويجالسه وقتاً طويلاً. ولهذا عُرف عنه حفظه للأحاديث المحمدية. ثمة جدل بشأنه، فأهل السنة يرونه محل ثقةً ، بينما ينظر إليه الشيعة بعين الشك، وفي المصادر التاريخية تفاصيل عن عدم أمانته حينما تولى إدارة البحرين أيام عمر بن الخطاب.

www.christianlib.com

الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥ هـ/ ٦٦٠-٧١٤ م)

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، وُلد في الطّائف. عمل الحجاج في شرطة الدولة الأموية، وتدرج في المناصب إلى أن أصبح والياً على العراق، فحكمها بالحديد والنار وله فضل ترسيخ سلطة الأمويين فيها. عُرف عنه فصاحة اللسان. وذكرت المصادر أنه أدخل بعض التعديلات على أحد عشر موضِعاً في القرآن.

الحسن البصري (٢١هـ-١١٠هـ/ ٦٤٢-٧٢٨ م)

هو الحسنُ بن يِسار، ويلقب بأبي سعيد، ولد في المدينة، ثم انتقل إلى البصرة حيث تلقى العلم، وبعد سنوات أصبح أشهر فقهاء عصره. أثناء حياته كانت الفتن منتشرة في العراق، لكن الحسن أيد سياسة السلم بين الاهالى.

جواد علي (١٩٠٧-١٩٨٧ م)

مؤرخ عراقي كبير، كان قد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٩ عن رسالته بعنوان «المهدي وسفرائه الأربعة». وبعد عودته إلى العراق صار أمين سر لجنة التأليف والترجمة. وفي سنة ١٩٥٦ أصبح عضواً في المجمع العلمي العراقي. كما عمل استاذاً في قسم التاريخ بكلية التربية ببغداد. وعمل أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨).

من أشهر مؤلفاته العمل الموسوعي المسمى: «تاريخ العرب قبل الإسلام» (ثمانية مجلدات)، الذي صدر عن المجمع العلمي العراقي بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠.

حفصة بنت عمر (حوالي ١٧ ق. هـ-٤٥ هـ/ ٦٠٥-٦٦٥ م)

هي ابنة عُمر بن الخطَّاب، أقرب صحابة محمد والخليفة الثاني له، أصبحت حفصة أرملة شابة قبل أن تصير زوجة محمد الرابعة سنة ٣ هـ (٦٢٥ م). حفظت القرآن، وكان لها مصحفها الخاص.

www.christianlib.com

خديجة بنت خويلد (حوالي ٦٨-٣ ق. هـ/ ٥٥٦ ـ ٦٢٠ م)

خديجة هي الزوجة الأولى لمحمد، وبقيت كزوجته الوحيدة حتى وفاتها عن عمر خمس وستون عامًا. تزوجت خديجة محمدًا عندما كانت في الأربعين من عمرها وكان هو في أوائل العشرينات. كانت قبل زواجها من محمد سيدة أعمال ثرية ومؤثرة، ذات اتصالات اجتماعية مهمة. تعرفت على محمد عندما عينته ليكون ممثلها التجاري وليقود قوافلها.

اعتمد محمد بشكل كبير على دعم خديجة له ونصائحها وذكائها التجاري. أثبتت خديجة حبها لمحمد وولائها وتفانيها، مما كان له أثر حاسم في نجاح دعوته، حيث كانت أول من اعترف بنبوته. وعرفته بابن عمها، ورقة بن نوفل، الذي لعب دورًا أساسيًا في نقل معرفته لبعض أجزاء من الكتاب المقدس إلى محمد مما ساعد لاحقًا في ظهور الإسلام.

الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٢ هـ / ٧١٨-٧٨٩ م)

وُلد في عمان، ثم انتقل إلى البصرة. كان يحب حضور حلقات الفقهاء وعلماء اللغة والنحو. قرأ ترجمات عن العلوم الرياضية والإيقاع الموسيقي عند اليونان. وقد مكنه شغفه وثراء معرفته من وضع علم العروض، وتصنيف أول معجم منهجي للغة العربية سماه «معجم العين. وهو أول من صنف النقط، ورسمه في كتاب، وذكر علله، كما كان أول من وضع حركات الإعراب، والشدة، ورأس عين صغيرة للتدليل على وجود الهمزة.

زيد بن ثابت (ت حوالي ٤٥ هـ/ ٦٥٥ م)

زيد بن ثابت من قبيلة الخزرج الأنصارية. كان واحدا من الذين يكتبون الوحي لمحمد، ويحكى أن محمداً طلب منه تعلم العبرية والسريانية، فقيل انه تعلمهما فى اسابيع قليلة. وليس لدينا ما يشير إلى أنه كان بالفعل يتقن أحدى هاتين اللغتين.

شارك زيد بن ثابت في جميع لجان جمع القرآن من عهد أبي بكر إلى عهد عثمان. وتواترت الأخبار عن انتقاد ابن مسعود لتعيينه في رئاسة آخر اللجان ـ لجنة عثمان.

www.christianlib.com

سَعِيد بن جُبَيْر (٤٥-٩٥ هـ/ ٦٦٥-٦١٤ م)

من الجيل الثاني من المسلمين، ذو أصل حبشي، سكن الكوفة، واشتغل بتدريس العلوم الدينية الإسلامية. ولما نشبت ثورة ضد الأمويين بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث، انخرط بها. وبعد فشل الثورة، توارى عن الأنظار، لكن قُبض عليه لاحقا، وأُعدم بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي.

عائِشة بنت أبي بكرٍ (٩ ق هـ-٥٨ هـ/ ٦١٣-٦٧٨ م)

ابنة أبي بكر، صاحب محمد ورفيق دعوته، تزوجها محمد وليس لها من العمر إلا ست سنوات، بينما تجاوز هو الخمسين. وقد استحوذت على قلب محمد، ربما لأنه لم يتزوج بِكرًا سواها. ولها مكانة كبيرة لدى السنة، أما الشيعة فيطعنون فيها لأنها أسفرت عن توجيه العداء لعلي بن أبي طالب.

عبّاس عبد النور (ولد في ١٩٢٧ م)

هذا الاسم، على الأرجح، هو اسم مستعار لهذا الكاتب والناقد المعاصر للقرآن. ولد في مصر وأمضى معظم حياته كمسلم متدين وشيخ صوفي. أصبح لاحقًا إمامًا وخطيبًا في مسجد. حصل على درجة الدكتوراه، وعمل كباحث، وأستاذ جامعي. كتب العديد من الكتب الفلسفية والعلمية، أهمها كتابه المثير للجدل «محنتي مع القرآن والله في القرآن». ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الانجليزية تحت عنوان "My Ordeal with the Qur'an and God in the Qur'an".

بعد عقود من قمع شكوكه حول إيمانه والصراعات التي يراها بين العلم والدين، أعرب علنًا في سن الثمانين عن استنتاجاته الأخيرة حول القرآن وتصويره لله في كتابه الاستفزازي، الذي نشر في عام ٢٠٠٤ م. وبالنسبة له ، فإن كان القرآن نصًا مناسبًا في توقيته (القرن السابع الميلادي)، ولكن بسبب قابليته للخطأ البشري، فإنه مليء بالأخطاء والتضليل، والتي لا ينبغي أخذها وتطبيقها في عالم حديث.

عبد الله بنُ عبّاس (٣ ق هـ-٦٨ هـ/ ٦١٩-٦٨٧ م)

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ويُعرف في المصادر الإسلامية بلقبه فحسب، «ابن عباس». وُلد ابن عباس في مكة، ورافق محمداً في فتاويه، فاُشتهر برواية الأحاديث المحمدية. لقبه البعض «ترجمان القرآن».

www.christianlib.com

عَبْدُ الله بنُ مَسْعودٍ (ت حوالي ٣٢ هجرية/ ٦٥٣ م)

من كبار صحابة محمدٍ، وكان ابن مسعود شجاعاً في إيمانه، إذ رُوي أنه أول من قرأ القرآن جهراً في مكة. وقد خدم ابن مسعود محمداً، فصار أمين أسراره ورفيقه في رحلاته. وشارك في جميع معارك محمدٍ. ولكن لم يُطلب منه المشاركة في لجان جمع القرآن، وما أثار حنقه أن عثمان بن عفان لما شكل لجنة لإصدار نسخة رسمية، استبعده منها.

عثمان بن عفَّان (٤٧ ق. هـ - ٣٥ هـ/ ٥٧٦-٦٥٦ م)

كان عثمان تاجرًا ثريًا، اعتنق الإسلام في مراحله الأولى و أصبح رفيق محمد. ولقب عثمان بذي النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات البرطوش. أصبح عثمان الخليفة الثالث بعد اغتيال عمر (٢٣ هـ). ولاحقًا تم اغتيال عثمان (٣٥ هـ) من قبل مجموعة من المسلمين الذين اعترضوا على سياساته، يقودهم محمد بن أبو بكر الخليفة الأول.

كان تجميع القرآن من أتباع محمد هو الإنجاز الأبرز لعثمان، حيث وحد المسلمين على نسخته التي قام بجمعها، حيث شكَّل لجنة برئاسة زيد بن ثابت لتحقيق هذه المهمة. كان حرق المخطوطات الأولى للقرآن من أبرز النتائج المؤسفة لهذا العمل، في حماسته أن يكون هناك مخطوطة موحدة للمسلمين، بهذا حرم عثمان الأجيال القادمة من المخطوطات التي ربما تسلط الضوء على بعض الأسرار التي قد توضحها النسخ الأولى للقرآن التي أُحرِقَت.

عبيد بن عمير (ت ٦٨هـ)

هو عبيد بن عمير بن قتادة المكي. وُلد اثناء حياة محمدٍ، كان مفسراً وواعظاً. وهو من كبار التابعين، أي الجيل الثاني من المسلمي.

علي بن أبي طالب (حوالي ٢٣ ق هـ - ٤٠هـ/ ٦٠٠ - ٦٦١ م)

هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب. وابن عم محمدٍ، وصهره، ذلك أن فاطمة بنت محمد كانت زوجته. يعتبر أول الفتيان إسلاماً. وقد شارك في أغلب معارك محمدٍ. يعتقد الشيعة أنه الخليفة الشرعي لمحمدٍ، وأن الخلفاء الثلاثة الأوائل اغتصبوا حقه في الخلافة. اعتلى كرسي الخلافة سنة (٣٥ هـ/ ٦٥٦ م). وحفلت سنوات خلافته بالفتن والنزاعات بين المسلمين. وهذا ما أدى إلى اغتياله

www.christianlib.com

في الكوفة. وقد جمعت خطبه وأقواله في كتاب «نهج البلاغة». وموثوقية الكتاب محل نقاش بين الباحثين الحياديين.

عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ/ ٥٨٤-٦٤٤ م)

قرشي من آل عُدي. ولهذا يطلق عليه لقب القرشي العَدوِيّ. آمن بدعوة محمد وصار ثاني شخص في حلقة محمد الضيقة بعد أبي بكر، الخليفة الأول. والجدير بالذكر أنه في أكثر من حالة رأى رأيًا معينًا، فأتى القرآن مؤيداً لرأيه في ظاهرة عُرفت «بموافقات عمرَ».

عمرو بن العاص (ت ٦٨٢ م)

قرشي كان معروفاً عنه الدهاء. بعد أن بدأ نجم محمد يعلو، ذهب عمرو بن العاص إلى المدينة سنة ٨ هجرية وأعلن إسلامه. كان ذلك عشية فتح مكة، مما يدل على بعد رؤية منه لأنه كان يرى آفاق نجاح محمدٍ. وقد تسلم قيادة حملات عسكرية. وفي فترة حكم عمر بن الخطاب، قاد حملة لاحتلال مصر، نجح فيها ثم صار حاكماً عليها لبعض الوقت. دعم معاوية بن أبي سفيان في مواجهة علي بن أبي طالب حينما اشتد الصراع بين الطرفين على الحكم.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

تعريفات مختارة

www.christianlib.com

تعريفـات مختـــارة

الالتِفات

مصطلح في علوم القرآن يشير إلى الانتقال من ضمير إلى آخر. وأنواعه:

١. الانتقال من ضمير المتكلم إلى المخاطب: ‹وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ› (يس ٣٦: ٢٢)؛ والأصل: «أرجع».

٢. الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب: ‹إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ› (الفتح ٤٨: ١، ٢). والأصل: «لنغفر لكَ»؛

٣. من المخاطب إلى الغائب: ‹حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم› (يونس ١٠: ٢٢). والأصل «بكم»؛

٤. من الغائب إلى المتكلم: ‹وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا› (فصلت ٤١: ١٢)، والسياق يفترض «وزيَّن».

وتذكر كتب علوم القرآن بنودًا كثيرةً للالتفات، أبرزها نقل الكلام من خطاب الواحدِ أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، ومثاله: ‹وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ› (يونس ١٠: ٨٧).

www.christianlib.com

الإنجيل

هو كتاب الله المُنزَّل على نبي الله عيسى بن مريم بحسب العقيدة الإسلامية ، وقد أعلن القرآن عن ذلك في مواضع كثيرة (المائدة ٥ :٤٦). والمشهور من قول الفقهاء أن الإنجيل الذي أُنزل على عيسى بن مريم نسخ بعض أحكام التوراة (آل عمران ٣: ٥٠)، أما الإنجيل (البشارة) الحالي الموجود بين يدي النصارى فقد تعرض بحسب الفكر الإسلامي إلى التحريف والتزوير لأنه لا يذكر البشارة بمحمد (النبي الأميّ). وعلى النقيض، فالقرآن يُطالب النصارى الحكم بالإنجيل وينعت من لم يحكم به منهم أنه فاسق (المائدة ٥ :٤٧)! بل يرفعهم (النصارى) درجات فوق الذين كفروا (أي اليهود) (آل عمران ٣: ٥٥) إلى يوم القيامة.

الأنصار

هم كل من ناصر النبي محمد من سكان المدينة (يثرب)، أي الأوس والخزرج، بعد أن هاجر إليهم من مكة ومن معه من المهاجرين. فقد ناصروه باعتناقهم للإسلام وانضمامهم له في غزواته ضد قريش، وكانوا عونًا له في بناء الدولة «السياسية المحمدية». وقد طمعوا في الخلافة بعده نظرًا للدور الكبير الذي لعبوه في نشر دعوته، فقُتِل سعد بن عبادة الأنصاري (زعيمهم) بحسرته بعيدًا عن مجلس الشورى المزعوم (في اجتماع السقيفة) وقيل أن الجن رمته بالسهام.

أهل الكتاب

يطلق القرآن اسم ‹أهل الكتاب› على اليهود والمسيحيين. و تعود التسمية لأن لديهم كتب سماوية، التوراة والزبور والإنجيل. ويذكر القرآن أن أهل الكتاب يؤمنون بكتبٍ محرفةٍ (البقرة ٢: ٧٥؛ المائدة ٥: ١٥).

وفي جانب آخر ثمة غموض فيمن يُدرج بقائمة أهل الكتاب، ففي أحد النصوص يُدخل القرآن الصابئين في تعريف واحد مع اليهود والمسيحين (البقرة ٢: ٦٢؛ المائدة ٥: ٦٩)، دون أن يتضح ما هو الكتاب السماوي الذي يجعلهم ينتمون للتصنيف نفسه.

وقد اتسم موقف القرآن بعداء شديد نحو اليهود والمسيحيين، فكال لهم اتهامات أنهم يقولون أن لله ولدًا (التوبة ٩: ٣٠). ووصف اليهود أنهم قردة (البقرة ٢: ٦٥). وطلب من المسلمين عدم مصادقة اليهود والمسيحيين (المائدة ٥: ٥١). كما فرض على أهل الكتاب دفع الجزية (انظر تعريف الجزية).

www.christianlib.com

آية الرجم

الزاني المحصن (أي المتزوج)، والزانية المحصنة (أي المتزوجة)، والمُحْصَنات (العَفائِفُ من النساء): من أُحْصِنَّ بأَزْواجِهِنَّ. وحكمهم في الشريعة الإسلامية هو الرجم حتى الموت. فمن أين جاء هذا الحكم؟ جاء في تفسير ابن كثير حديث رواه النسائي عن آية الرجم هذا نصها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»؛ فهي من الآيات التي كانت متضمنة في سورة لأحزاب، فنسخ حرفها وبقي حكمها بقول أهل السُنة. وقد تمنى عمر بن الخطاب أن يُضيف هذه ية للقرآن إلا أنه خاف أن يُتهم بالزيادة فيه؛ وبالتالي تكون هذه الآية مما أسقط عمدًا من القرآن.

آية منسوخة

الآية المنسوخة هي ثلاثة أنواع: (١) آية موجودة في القرآن ألغي حكمها واستبدل بحكمٍ غيره. (٢) آية ألغي حرفها وبقي حكمها بمعنى أنها لم تعد مدونة في القرآن لكن حكمها موجود في الشريعة الإسلامية. (٣) آية ألغي حرفها وحكمها، بمعنى أنها لم تعد مدونة في القرآن ولا يُعمَل بحكمها في الشريعة. والجدير بالذكر أن الأخبار الخالصة لا يجوز أن يدخلها النسخ؛ ولو دخلها النسخ لكان هذا كذبًا، فعلى سبيل المثال: لو قلنا «جاء فلانٌ البارحة»، فهذا خبر، فإذا نسخناه بقولنا «لم يأت فلان البارحة، بل أتى اليوم» يصبح ما قلناه سابقًا كذبًا، وبالتالي لا يجوز أن يُنعت كلام الله بالكذب. وكذلك فلا يجوز نسخ «صفات الله».

البسملة

جاء في لسان العرب: بسمل الرجل إذا كتب باسم الله، ويقال: قد أكثرتَ من البسملة أي منْ قولِ باسمِ اللهِ. وقد أجمع فقهاء الإسلام على أن البسملة هي القول «بسم الله الرحمن الرحيم». وهذه البسملة موجودة في أول كل سورة قرآنية، إلا سورة التوبة لأنها تدعو للقتال، أي أن عدم ذكرها جاء تماشيًا مع عادة العرب أنهم كانوا لا يُبسملون عند كتابة خطاب يدعو إلى الحرب. أما سورة النمل فقد تكررت البسملة فيها مرتين في أول السورة وفي الآية الثلاثين منها.

www.christianlib.com

الترجوم

كلمة عبرية آرامية تعني الترجمة والتفسير للتوراة من أجل المجامع، وكان الترجوم لفترة طويلة يتناقل بطريقة شفهية ، فيتكيف مع الجمهور أو الوضع الذي يعيش فيه المؤمنون (اليهود) ، لهذا نحن أمام عدد من النسخات الترجومية لأسفار موسى الخمسة. أما التفسير الذي نجده في الترجوم، فهو يرتبط بالنشاط التأويلي القديم لدى اليهود. ويسمى المدراش.

التلمود

التلمود، ويعني التعليم. وهو أهم كتاب في التراث اليهودي. ويضم أعمالًا وتعاليمًا وآراء علماء اليهود القدماء بشأن شرح وتطوير القوانين الدينية والمدنية للتوراة على مدى ثماني قرون (من ٣٠٠ ق. م إلى ٥٠٠ م). وللتلمود روايتان، الأولى التلمود البابلي (**تلمود بافلي** Bavli) والثانية التلمود الأورشليمي (تلمود يروشاليم). وتشير هذه الأسماء إلى أصولهما.

أنجز التلمود البابلي حوالي سنة ٥٠٠، وبعد ١٠٠ سنة من التلمود الأورشليمي. وهو أكثر غنى وشمولية. وهو الأكثر رسمية؛ وحينما يدور الحديث عن التلمود يُقصد به على الأغلب التلمود البابلي.

الجاهلية

اسم الْجَاهِلِيَّةِ من اسم الفاعل «جاهل». وقد أطلق المسلمون صفة الْجَاهِلِيَّةِ على حال شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. والتسمية لدى المسلمين لا تشير إلى حالة العلم عند عرب قبل الإسلام، بل إلى الجهل بالإسلام، أو الدين السماوي. وقد وردت في القرآن (آل عمران ٣: ١٥٤؛ الأحزاب ٣٣: ٣٣؛ الفتح ٤٨: ٢٦).

تسمية الجاهلية وإن كانت تطلق بالعموم على كل ما سبق الإسلام، إلا أن الميل الأكثر في الأدب الإسلامي هو في تطبيقها على الشعراء قبل الإسلام، فيقال عنهم: شعراء الجاهلية.

www.christianlib.com

الجزية

يقسم الفكر الإسلامي الشعب في الدولة الإسلامية إلى فئتين: (أ) المسلمين و(ب) الذميين. ويفرض على الذميين دفع أتاوة سنويًا، مقابل الأمان، ويسميه عقد الذمة اتباعًا لحكم القرآن (التوبة ٩: ٢٩). ومن يرفض دفع الجزية من أهل الكتاب يُعاقب بالقتل.

الجزية هي غير الضريبة بالمفهوم المعاصر. فتدفع الجزية على الفرد الذي بلغ سن البلوغ سواء كان منتجاً أو لا، وبغض النظر عن قيمة الدخل الذي يتحصله المرء.

تشترط آية التوبة أن يدفع الذمي الجزية وهو صاغر، أي أن يكون حال الدافع في صِغار وذل. فعلى سبيل المثال يطلب من المتسلّم المسلم أن يمسك بخُناق من يعطي الجزية ويقول له: «أدّ الجِزْيَة».

الذِكر

وهو ما يجري على اللسان، وجاء في القرآن بمعانٍ عديدة منها: (١) الكتاب (الحجر ١٥: ٦ و٩)، (٢) الإنجيل، لأنه في سورة النحل والأنبياء أنزل (الذكر) على رجال قبل الإسلام. كما ورد بكل وضوح الذكر في أواخر سورة الأنبياء بمعنى التوراة، أو الكتاب الذي أنزل قبل الزبور (الأنبياء ٢١: ١٠٥)، وقد فرق النص القرآني بين القرآن والذكر حيث قال: ‹ص والقرآن ذي الذكر›، وبالتالي فالذكر هو الأصل والقرآن هو الفرع (سورة ص ٣٨: ١).

الذميون

الذميون هم أهل الكتاب الذين يعيشون تحت حكم الدولة الإسلامية ويلتزمون دفع الجزية (انظر تعريفي: «أهل الكتاب» و«الجزية»).

الذين هادوا

بحسب العقيدة الإسلامية، (الذين هادوا) هم بنو إسرائيل (البقرة ٢: ٦٢)، ومعنى هادوا كانوا يهودًا أو دانوا بدين اليهود. وأصل اسم اليهود منقول في العربية من العبرانية، وهو في العبرانية «يهوذا» بذال معجمة. وهو عَلَم أحد أسباط إسرائيل. وقد انقسمت مملكة إسرائيل بعد موت سليمان بن داود سنة ٩٧٥ ق م، إلى مملكتين: مملكة يهوذا (وعاصمتها أورشليم)، ومملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة، وقد أخبرنا ابن عاشور أن قوم مملكة السامرة انحرفوا عن الديانة الموسوية وعبدوا الأوثان إلى أن قُهروا على يد ملوك الآشوريين واستعبدوا بنقلهم إلى بلاد آشور. أما مملكة يهوذا فقد بقيت إلى سنة ١٢٠ ق م.

www.christianlib.com

رمضان

هو شهر من الأشهر القمرية، يصوم فيه المسلمون منذ السنة الثانية للهجرة المحمدية (٦٢٤ م). والصيام في اللغة «مطلق الإمساك عن الشيء»، وأما في الاصطلاح الشرعي فهو «الإمساك عن المفطرات يومًا كاملاً، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس». ورمضان هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن بحسب الآية (البقرة ٢: ١٨٥).

جاء في لسان العرب قول مُطَرّز: كان مجاهد يكره أن يُجمَعَ رمضان (جمع رمضان: رمضانات ورماضين وأرمِضاء وأرمِضَةٌ وأرمُضٌ) ، ويقول: بلغني أنه إسم من أسماء الله عز وجل؛ قال ابن دُرَيْدٍ: لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمَّوها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق رمضان أيا َ رَمَضِ الحرِّ وشدَّته، فسُمِّيَ بِهِ، بحسب ابن منظور.

الزبور

هو كتاب الله المُنزَّل على نبي الله داود بحسب القرآن (النساء ٤: ١٦٣، والإسراء ١٧: ٥٥)، وقد أخبرنا القرطبي على أن الزبور كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هو حِكَم ومواعظ، والزبر الكتابة، والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب. وكان داود عليه السلام حسن الصوت؛ وفي المعتقد الإسلامي، كان إذا أخذ داود في قراءة الزبور، اجتمع إليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته (سبأ ٣٤: ١٠).

الصراط

يرد لفظ الصراط بالقرآن مقترنًا بـ «المستقيم»، و الصراط بمعنى الطريق، وللكلمة دلالة دينية. فكلمة صراط ترد في آداب يوم القيامة الإسلامي لتصف ما يُعتقد أنه الطريق الذي يجب أن يعبره كل إنسان للجنة، وتقع النار تحت هذا الصراط (الطريق)، وأن الخاطئ يسقط منه بينما يجتازه المؤمن. و استعمل القرآن نفسه كلمة صراط بمعنى الطريق، ولم يربط القرآن بين هذه اللفظة وبين الاعتقاد الموجود في المصادر الإسلامية. ويرى كثير من المستشرقين أن مصدر الفكرة زرادشتي. وأنها مأخوذة من الاعتقاد بخصوص «جسر تشينفات»، أو «جسر المحتشدين»، الذي يجب على الجميع عبوره قبل أن يستطيعوا دخول الجنة. وحسب الاعتقاد الزرادشتي فإن أرواح المتقين وحدها قادرة على عبور هذه الجسر، بينا يسقط الأشرار منه إلى أسفل النار.

www.christianlib.com

الفاحشة

هي كل قبيح من القول والفعل، وكل أمرٍ لا يكون مُوافقًا للحق. وغالبًا ما تُعرفُ الفاحشة بفعل الزنى (الإسراء ١٧: ٣٢)، وعرفت كذلك بالمنكر والمكروه من التقليد والمعاصي (الأعراف ٧: ٢٨).

الفاصلة

يعرف الزركشي الفاصلة بأنها كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع.

الفرق بين الصدقة والزكاة

الصدقة هي عطاء غير مفروض على الشخص المتصدق بل هي عمل تطوعي، يقوم به الفرد من باب التقرب إلى الله،والتودد إلى المعطى له. وهنا تصبح الصدقة أقرب إلى الهدية؛ لذلك كان محمد لا يقبل الصدقة بل يقبل الهدية (١).

أما الزكاة فهي عطاء مفروض وقيمته (ربع العشر بمعنى اثنين ونصف في المائة) وتقترن الزكاة بالصلاة في القرآن (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (البقرة ٢: ٤٣) والزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة. ولا تجوز إلا لمن جاء ذكرهم في القرآن (التوبة ٩: ٦٠) من فقراء ومساكين ومن العاملين عليها (الذين يجمعون الزكاة) والمؤلفة قلوبهم (هم صنف من الكفار يُعطوا ليتألفوا على الإسلام وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف ولكن يُسلمون بالعطاء والإحسان)، والرِّقاب (تؤدى لتحرير العبد المسلم) ولصالح الغارمين (المديونون: لا يقدرون إرجاع القروض) كما تؤدى الزكاة وفي سبيل الله (الغزوات والجهاد) ولصالح ابن السبيل (عابر السبيل المسلم).

الفرقان

هو اسم السورة الخامسة والعشرين بحسب ترتيب المصحف. وجاء (الفرقان) بمعنى الكتاب (الفرقان ٢٥: ١)، وكذلك بمعنى ما يُفرِّقُ بين الحق والباطل (الأنفال ٨: ٤١)، وهو كذلك كتابُ أُنزِلَ على موسى بمعنى التوراة (الأنبياء ٢١: ٤٨).

www.christianlib.com

القدرية

الذين يقولون بالقدر. والمصطلح له تطبيق مزدوج، فالقائلون بالجبر يطلقونه على المعتزلة لأنهم يعلنون إن الإنسان صاحب أفعاله، في حين أن المعتزلة يسمون الجبريةَ قدريةً لأنهم يقولون إن الله خالق أفعال الإنسان بالمطلق.

وعند الجرجاني في كتابه التعريفات: القدرية «هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله».

الكعبة

هو بناء مربع موجود فى مكة، و يعود تاريخ بنائه، حسب التراث الإسلامي، إلى عهد أبي الأنبياء إبراهيم الذي قام ببنائه بمساعدة ابنه إسماعيل، بل ومن العلماء المسلمين من يُرجع بناء الكعبة إلى عهد أبينا آدم، وفيهم من قال إن الملائكة قد بنتها قبل خلق الإنسان. فهي قبلة المسلمين في صلاتهم و يطوفون حولها في حجهم وإلى زيارتها تشتاق قلوبهم. سميت بالبيت الحرام لأن الله حرم القتال فيها، رغم أن جنود بني أمية استحلوا قتل المسلمين أتباع عبد الله بن الزبير فيها ٧٣هـ؛ وفي عهد أبي طاهر زعيم القرامطة سنة ٣١٧هـ/٩٣٠م أُبيحت الكعبة فقتل القرامطة الحجيج وسرقوا الحجر الأسود يوم التروية . كما أن لكعبة مكة إسم آخر :هو «الكعبة الشامية».

اللحن اللغوي

هو تعبير يُطلق على ترك الصواب في قراءة القرآن والنشيد . قال ابن بري وغيره: للحن ستة معانٍ: (١) الخطأ في الإعراب، (٢) اللغة، (٣) الغناء، (٤) الفطنة، (٥) التعريض، (٦) المعنى. فاللحْنُ اللغوي هو الخطأ في اللغة، واللحن الذي هو التعريض والإيماء أي الإشارة دون الإفصاح.

المحصنات

لقد جاء في القرآن ثلاثة تعريفات لكلمة المحصنات. الأول: المرأة العفيفة الشريفة، فشرفها وأخلاقها يكونان حصنًا لها من الرذيلة، وأعطى كمثال: (١) مريم العذراء (الأنبياء ٢١: ٩١، والتحريم ٦٦: ١٢). (٢) المرأة المتزوجة (النساء ٤: ٢٤)، التي يكون زوجُها حاميًا لها أما المحصنة التي وقعت في السبي فيجوز وطئها بعد استبراء رحمها . (٣) الحرائر من النساء (النساء ٤: ٢٥).

أما الرجل المحصن فهو الرجل المتزوج .

www.christianlib.com

المعتزلة

هم فرقة كلامية اختارت لنفسها هذا الاسم (المعتزلة)، أو تقبلته حتى تكون فرقة مُحايدة، ولا تُناصر أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة ، والخوارج) على الآخر في مسألة السياسية الدينية.

ظهرت هذه الفرقة في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ-١٣١هـ) في البصرة وقد ازدهرت في العصر العباسي، ومن أشهر المعتزلة : الجاحظ، والخليفة المأمون، والرازي، وابن الراوندي. وقد سميت كذلك هذه الفرقة (المعتزلة) باسم القدرية (يقولون إن الله غيرُ خالقٍ لأكساب الناس)، والعدلية، والموحِّدة. أهم أقوال المعتزلة: القول بأن الله تعالى قديم الذات وليس الصفات، كلامه مُحدَث وبالتالي فالقرآن مخلوق، وإرادته والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاتها، ورؤية الله تعالى بالإبصار في دار القرار (دار الآخرة) دون تشبيه أو تجسيم. وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها ، وسموا هذا النمط توحيدًا(الموحِّدة)، واتفقوا كذلك على أن العبد قادر، خالق لأفعاله: خيرها وشرّها (القدرية).. والمعتزلة يجمعون على القول بأصول خمسة وهي: (١)التوحيد ، (٢) العدل ، (٣) الوعد والوعيد ، (٤) المنزلة بين المنزلتين ، (٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المكي/ المدني

في كتب علوم القرآن ينقسم النص القرآني إلى قسمين: القرآن المكي، وهو الذي تُلى على مسامع الناس في الفترة قبل الهجرة إلى المدينة. والقرآن المدني وهو الذي أعلن بعد الهجرة.

مدراش ربّا

مدراش في القاموس العبري-العربي معناه: تفسير، تأويل، شرح، بحث، دراسة . أما كلمة مدراش ربّا فمعناها: مجموعة التفاسير والأساطير حول الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس المعروفة بالتوراة. وتم تدوين هذه التفاسير وجعلها سفرًا ضخمًا بعدما كانت شفاهية قبل أواخر القرن الثالث الميلادي. وأشهر من دونها الربّاني «بارنحماني»، وهناك مدراش آخر يدعى «مدراش تنحوما»، جمعه الرّباني «تنحوما» بعد قرن من ظهور مدراش «بارنحماني».

لجنة عثمان

هي مجموعة كلفها عثمان بن عفان بكتابة المصحف إبان فتوحات أرمينية وأذربيجان (٢٥هـ) حيث حذر حذيفة بن اليمان الخليفة من اختلاف المسلمين في قراءتهم للقرآن فأرسل الخليفة

www.christianlib.com

لحفصة بنت عمر (زوج الرسول)، أن ترسل له الصحف التي جُمعت في عهد أبي بكر وعمر لنسخ مصحف على أن يردها إليها، فوافقت حفصة على هذا الطلب، فاستدعى رهطًا من قريش هم: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير، وطلب منهم أن يكتبوه بلسان قريش في حالة اختلاف زيد بن ثابت مع الثلاثة الباقين، فعند انتهائهم من تدوينه أرسل عثمان بن عفان نسخًا للأمصار ثم أحرق المصاحف التي كانت بين أيدي المسلمين مثل مصحف ابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرها من المصاحف الأخرى. اعترض ابن مسعود على مصحف عثمان بن عفان وقال عن زيد بن ثابت، المسؤول الرئيسي عن جمع المصحف: «فكيف تأمروني أنْ أقرأ قراءة زيد، ولقد قرأت من فِيِّ رسولِ اللهِ بضعاً وسبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب بين الصِّبيان». «فو الذي لا إله غيره لقد أخذت من في رسول الله بضعا و سبعين سورة و زيد بن ثابت غلام له ذؤابتان يلعب مع الغلمان».

مصحف ابن مسعود

تتفق المصادر الإسلامية على أن مصحف ابن مسعود هو مصحف موجود قبل مصحف عثمان بن عفان ويتطابق ترتيب السور بينهما، في ثمانية مواضع بحسب الإتقان للسيوطي، إلا أن مصحف ابن مسعود لا يحتوي على فاتحة الكتاب ولا المعوذتين (الفاتحة ١، الفلق ١١٣، الناس ١١٤). حيث جاء في الإتقان للسيوطي بإيجاز: وليس فيه الحمد ولا المعوذتان. لقد حذف ابن مسعود سورة الفاتحة من مصحفه لأنه اعتبرها دعاءً لختمها بقول «آمين»، أما المعوذتان فقد اعتبرهما مما كان محمد يتعوذ بها من الجان وعين الإنسان.

www.christianlib.com

مصحف أُبيّ بن كعب

يُعتبر من المصاحف التي كانت موجودة قبل مصحف عثمان بن عفان، حيث يحتوي على سورتين لا نجدهما في مصحف عثمان . وترد هاتان السورتان تارةً باسمهيما الخاصّين: «سورة الخلع»، و«سورة الحفد»، وتارة باسم الاختصار: «سورتا القنوت»، أو «دعاء القنوت»، أو «دعاء الفجر».

سورة الخلع

بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهُمَّ إنا نستعينك، ونستغفرك، ونثني عليك، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك.

سورة الحفد

بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهُمَّ إيّاك نعبدُ، ولك نصلّي ونسجدُ، وإليكَ نسعى ونحفدُ، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إنَّ عذابك بالكفارِ ملحقُ .

إن دفعنا بأن هاتين السورتين دعاء، فماذا نسمي سورة الفاتحة، وخصوصًا أنها تنتهي بقول «آمين»؟ وربما هذا هو السبب الذي جعل ابن مسعود يحذفها من مصحفه!

مصحف عائشة

أَمَرَتْ عائشة بكتابة مصحف حتى تكون على مستوى ضُرتها (حفصة) حيث ورثت صحف القرآن التي جمعت في عهد أبي حفصة (عمر بن الخطاب)، وعهد أبي عائشة (أبي بكر)، بل وتتفوق عليها بمعرفتها للقرآن وما نقص منه في هذه الصحف! غير أن عثمان بن عفان لم يعبأ بمصحفها بل أحرقه مع باقي المصاحف، وأمر بالأخذ بصحف حفصة. يذكر لنا السجستاني، في كتابه المصاحف، أنه كان لعائشة مصحفًا أمرت أحد مواليها أن يكتبه لها وأمرته أن يتوقف عند بعض الآيات لتمليه ما هو غير موجود في صحف حفصة الذي اعتمد عليه عثمان بن عفان في جمعه للقرآن، مثل «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» (البقرة ٢ :٢٣٨) ثم أمرته أن يُضيف: «والصلاة العصر». ثم قالت: سمعتها من رسول الله (صلعم). وكذلك «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» (الأحزاب ٣٣ :٥٦) ثم أضافت: «وعلى الذين يصلّون الصفوف الأولى».

www.christianlib.com

مصحف علي بن أبي طالب

يعتقد الشيعة الإمامية أن مصحف علي موجود لا محالة، إلا أنهم اختلفوا في ما يحتويه ، فمنهم من قال إن فيه كل ما يحتاج إليه الناس من الأحكام الشرعية، اعتقادًا أن من أملاه إياه هو رسول الله. ويُسمونه بالجامعة وهي الصحيفة التي طولها سبعون ذراعًا، ومنهم من قال إن عليًّا تفرغ لكتابته مباشرة بعد وفاة محمد، وهو قرآن بحسب الناسخ والمنسوخ، وترتيبه بحسب النزول. أما أهل السنة فلا يعتقدون بوجود مثل هذا المصحف لأنه حتى ولو كان عليًّا بالفعل قد كتبه، فلابد أن عثمان بن عفان قد أمر بحرقه. وهذا ما لم يصدقه نولدكه في كتابه تاريخ القرآن حيث يقول: كتابة علي بن أبي طالب لمصحفه بحسب ترتيب السور زمنيًّا رواية لا تستحق التصديق. ذلك لأن هذا الترتيب يفترض فترة عمل تفسيريّ علميّ طويلة. هذا إذا لم يكن القيام بهذا الترتيب مستحيلاً لأنّ محمد نفسه، في التدوين الذي أمر به، كان يربط الآيات الحديثة بالقديمة.

المهاجرون

هم أتباع محمد الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة في المرة الأولى، حيث أن دعوته لم تجد أذانًا صاغية فاشتد الصراع بين أهل قريش والقلة التي تبعته. أما في المرة الثانية فكانت الهجرة معه إلى المدينة (يثرب)، حيث تحول من الجهاد الديني إلى الجهاد السياسي بعد أن قويت شوكته.

النفاق

حسب تعريف الجرجاني في كتاب التعريفات، المنافق «هو الذي يُضمر الكفر اعتقاداً ويُظهر الإيمان قولاً». والعقيدة الإسلامية تقصد بالمنافق من يشهر إسلامه وهو غير مؤمن بالإسلام.

يأجوج ومأجوج

شعبين ورد ذكرهما في القرآن (الكهف ١٨: ٩٣، الأنبياء ٢١: ٩٦)، الذي يروي أن ذا القرنين لما بلغ أقصى الأرض اشتكى له قومٌ خطر يأجوج ومأجوج، فقام ببناء سدٍ. ويحفل التراث الإسلامي المتعلق بنهاية العالم بأخبار عنهم؛ إذ يربط بين انطلاق يأجوج ومأجوج لغزو البلدان واقتراب نهاية العالم، ولكن الله في النهاية سيضع حدًا لوجودهم.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

قائمة المراجع العربية

www.christianlib.com

قائمة المراجع العربية

ملاحظة: «الـ» التعريف و «ابن» و«أبو» في أول الاسم لا تدرج في الترتيب الأبجدي للبحث. فعلى سبيل المثال، للبحث عن «ابن الأثير» يتم استبعاد «ابن» و«الـ» التعريف من الاسم، فيكون البحث فقط عن «أثير». وللبحث عن «ابن أبي شيبة» يتم استبعاد «ابن» و«أبي» من الاسم، حيث يكون البحث فقط عن «شيبة».

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم. **المُصنَّف**. تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم الحيدان. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء ١٦.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري. **أسَد الغابة في معرفة الصحابة**. تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.

_____ الأجزاء من الأول إلى السادس، د.ت.

_____ الجزء السابع، ١٩٩٤ م.

_____ الجزء الثامن، ١٩٩٦ م.

الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل. **مَقَالَاتُ الإسْلَاميين واختْلافُ المُصَلّين**. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠ م.

الأشوح، صبري. **إعجاز القراءات القرآنية: دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القرّاء**. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٨ م.

الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: وأثرها السيء في الأمة**. الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٢ م، ١٤ مجلدًا.

الأنْصَارِيّ، مُرْتَضَى. **التقية**. تحقيق: فارس الحسُون. الطبعة الأولى. قُم: مؤسسة قائم آل محمد، ١٤١٢هـ

www.christianlib.com

الباز، محمد. حدائق الجنس: فتاوى الشيوخ.. وفنون كتب التراث. القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م.

البحراني، السيد هاشم. البرهان في تفسير القرآن. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٦ ثمانية مجلدات.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح [المعروف بصحيح البخاري]. تحقيق: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب. الطبعة الأولى. القاهرة: المطبعة السلفية.

ـــــ الجزء الأول، ١٤٠٠ هـ.

ـــــ الجزء الثاني، ١٤٠٣ هـ.

ـــــ الجزء الثالث، ١٤٠٠ هـ.

ـــــ الجزء الرابع، ١٤٠٠ هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. تفسير البغوي «معالم التنزيل». تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ـــــ الأجزاء من الأول إلى الثالث، ١٤٠٩ هـ.

ـــــ الأجزاء من الرابع إلى السادس، ١٤١١ هـ.

ـــــ الأجزاء السابع والثامن، ١٤١٢ هـ.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. تحقيق: عبد المعطي قلعجي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، القاهرة: دار الريان للتراث. ١٩٨٨ م، سبعة أجزاء.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. مرقَـاةُ المفَاتيـح شرح مشكاة المصابيـح. تحقيق: جمال عيتاني. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء ١١.

آلتى قولاج، طيّار، المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان. تقديم: ذكر الدين إحسان أوغلي. إستنبول: منظمة المؤتمر الإسلامي، ٢٠٠٧ م.

ـــــ نسخة متحف طوب قابي سراي.

ـــــ نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة. جزءان.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.

ـــــ مقدمة في أصول التفسير. تحقيق: عدنان زرزور. الطبعة الثانية. سوريا، ١٩٧٢ م.

ـــــ مجموعة فتاوى ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. السعودية: مجمع الملك فهد. ٢٠٠٤ م، سبعة وثلاثون جزءًا.

الجُرجَاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. كتاب أسرار البلاغة. تحقيق: محمد محمد شاكر. القاهرة/ جدة: دار المدني، ١٩٩١ م.

www.christianlib.com

الجُرجَاني، عليّ بن محمَّد الشَّريف. **كتاب التعريفات**. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٥ م.

جواد علي. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. الطبعة الثانية. العراق: جامعة بغداد، ١٩٩٣م، عشرة أجزاء.

الجواليقي، أبو منصُور. **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**. تحقيق: ف. عبد الرحيم. الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، ١٩٩٠ م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي.
ـــــ **زاد المسير في علم التفسير**. الطبعة الثالثة. بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٤ م، تسعة أجزاء.
ـــــ **فُنوُن الأفنان في عُيُون عُلوُم القُرْآن**. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٧ م.
ـــــ **كتاب الموضوعات**. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. الطبعة الأولى. المدينة: المكتبة السلفية، ١٩٦٦ م.
ـــــ **نَواسخ القرآن**. تحقيق: محمد أشرف علي الملباري. الطبعة الأولى. السعودية: المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٤ م.

جولدتسهر، إجنتس. **مذاهب التفسير الإسلامي**. تحقيق: عبد الحليم النجّار. القاهرة: مكتبة الخانجي، بَغداد: مكتبة المِثنّى، ١٩٥٥ م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان.
ـــــ **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار. مصر: دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ١٩٥٢ م.
ـــــ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤ م، جزئين.

الحبيب، ياسر. **الفاحشة الوجه الآخر لعائشة**. الطبعة الثانية. لندن: هيئة خادم المهدي، ٢٠١١ م.

الحداد، يوسف درّة.
ـــــ **إعجاز القرآن**. الطبعة الثانية. جونيه، لبنان: منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٢ م.
ـــــ **أطوار الدعوة القرآنية**. سلسلة القرآن والكتاب (٢). الطبعة الثانية. جونيه، لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٨٦ م.

الحريري، أبو موسى (الأب جوزيف قزي).
ـــــ **عالم المعجزات**، سلسلة الحقيقة الصعبة (٣). بيروت، ١٩٨٢ م.
ـــــ **مَسيحُ القُرْآن وَمَسيحُ المُسْلمين**. سلسلة الحقيقة الصعبة (١٧)، بيروت: دار لأجل المعرفة، ٢٠٠٦ م.
ـــــ **بَيْن المَسيحيَّة والإِسْلاَم**. سلسلة الحقيقة الصعبة (١٨)، بيروت: دار لأجل المعرفة، ٢٠٠٦ م.

ابن حزم الأندلسي، أبو عبد الله محمد. **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**. تحقيق: عبد الغفار سُليمان البنداري. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م.

www.christianlib.com

الحلبي، علي بن برهان الدّين. **السِّيرة الحلبية في سَيرة الأمين المأمون**. بيروت: دار المعرفة، د. ت. ثلاثة أجزاء.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧ م، خمسة أجزاء.

ابن حنبل، أحمد. **مسند الإمام أحمد**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ـــــ الأجزاء: الأول إلى الخامس، ١٩٩٥ م.
ـــــ الأجزاء: السادس إلى العاشر، ١٩٩٦ م.
ـــــ الأجزاء: الحادي عشر إلى التاسع عشر، ١٩٩٧ م.

ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الحنبلي. **صفة الجنّة وما أعد الله لأهلِها من النَّعيم**. مراجعة: نجم عبد الرحمن خلف. عمان. الأردن: دار البشير، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧ م.

ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن. **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**. تحقيق: بشير محمد عيون. الطائف: مكتبة المؤيد، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٩٨٨ م.

الحنفي، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي. **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**. ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ م، ثمانية أجزاء.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. **تفسير البحر المحيط**. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وآخرون. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م، ثمانية أجزاء.

ابن خالويه، أبي عبد الحسين بن أحمد.
ـــــ **إعراب القراءات السبع وعللها**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٢ م.
ـــــ **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**. القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت.

ابن الخطيب. **كتاب الفرقان**. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

الخطيب، عبد اللطيف محمد. **معجم القراءات**. الطبعة الأولى. دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٢ م، ستة أجزاء.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون**. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. دمشق: دار يعرب، ٢٠٠٤ م، جزءان.

أبو خليل، شوقي. **الإسلام في قفص الاتهام**. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦ م.

خوشابا، شليمون أيشو، وعمانوئيل يوخنا. **زهريرا قاموس عربي- سرياني**. دهوك، العراق: مطبعة هاوار، ٢٠٠٠ م.

www.christianlib.com

الدارقطني، علي بن عمر. **سنن الدارقطني بذيله التعليق المغني على الدارقطني**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤ م، ستة أجزاء.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد.
ـــــ **البَيان في عدِّ آي القُرآن**. تحقيق: غانم قدوري الحمد. الطبعة الأولى. الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٩٤ م.
ـــــ **المحكم في نقط المصاحف**. تحقيق: عزة حسن. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م.
ـــــ **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**. دراسة وتحقيق: نورة بنت حسن بنت فهد الحميد. الطبعة الأولى. الرياض: دار التدمرية، ٢٠١٠ م.

الدَّارِمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام. **مُسنَدي الدَّارِمي** [المعروف بـ «سُنن الدَّارِمي»]. تحقيق: حسين سَليم أسد الدّارَاني. الرياض: دار المغني للنشر والتّوزيع، ٢٠٠٠ م.

الدرويش، محيي الدين. **إعراب القرآن الكريم وبيانه**. الطبعة السابعة. دمشق وبيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م، تسعة مجلدات.

الدمياطي، أحمد بن محمد البَنَّا. **إتحافُ فضلاء البشر بالقِراءاتِ الأربعة عَشَر**. تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل. بيروت: عالم الكتب، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٧ م.

الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان.
ـــــ **تهذيب سير أعلام النبلاء**. تهذيب: أحمد فايز الحمصي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩١ م، ثلاثة أجزاء.
ـــــ **سير أعلام النبلاء**. تريب: حسان عبد المنان. بيروت: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤ م، ثلاثة أجزاء.
ـــــ **طبقات القرّاء**. تحقيق: أحمد خان. الرياض، ١٩٩٧.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **غرائب آي التنزيل**. تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي. طبعة أولى. الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩١ م.

الرازي، محمد فخر الدين بن عمر. **تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١ م، إثنان وثلاثون جزءًا.

الرافعي، مصطفى صادق. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**. بيروت: دار الكتاب، ٢٠٠٥.

الرّصافي، معروف. **كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس**. الطبعة الأولى. ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٢ م.

www.christianlib.com

الرِّيشهري، محمد. **ميزان الحكمة**. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الحديث، ٢٠١٠ م، تسعة أجزاء.

رينولدز، جبرائيل سعيد.**القرآن في محيطه التاريخي**. ترجمة: سعد الله السعدي. بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٢ م.

الزحيلي، وهبة. **التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم**. الطبعة الثانية. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٤ م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البُرهان في عُلوم القُرآن**. تحقيق: أبو الفضل الدمياطي. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦ م.

الزِركلي، خير الدّين. **الأعلام**. الطبعة الخامسة عشر. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨ م، ستة أجزاء.

أبو زيد، نصر حامد. **مَفهوم النَّص ـ دراسة في عُلومِ القرآن**. الطبعة الثانية. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤ م.

ستيبتشفيتش، ألكسندر. **تاريخ الكتاب**. سلسلة عالم المعرفة (١٦٩، ١٧٠). ترجمة: محمد الأرناؤوط. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٩٩٣ م.

السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي. **كتاب المصاحف**. تحقيق: محب الدين عبد السبحان واعظ. الطبعة الأولى. بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢ م، مجلدان.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢ م.

ابن سعد. **كتاب الطبقات الكبير**. تحقيق: علي محمد عمر. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١ م. أحد عشر جزءًا.

ابن سلامة، أبو القاسم هبة الله. **الناسخ والمنسوخ**. تحقيق: ماهر عبد العظيم الطنطاوي. الطبعة الثانية. القاهرة: لبابي الحلبي، ١٩٦٧ م.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. **الرّوضُ الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هِشام**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

www.christianlib.com

السُّيُوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
ــــــ **الإتقَان في عُلومِ القُرآنِ**. تحقيق: مركز الدّراسات القرآنية. السعودية: مجمع الملك فهد. د. ت، سبعة أجزاء.
ــــــ **أَسْرارُ تَرتيب القرآن**. الطبعة الثانية. مصر: دار الاعتصام، ١٩٧٨ م.
ــــــ **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
ــــــ **جامع الأحاديث، الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير**. جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، وأحمد عبد الجواد. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٤ م.
ــــــ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة. الطبعة الأولى. القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ٢٠٠٣ م، سبعة عشر جزءًا.
ــــــ **أسباب النزول: المسمى «لُبَابُ النُقول في أسباب النّزول»**. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ٢٠٠٢ م.

الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي. **الموافقات في أصول الشريعة**. شرح: عبد الله دراز. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت، أربعة أجزاء.

لشعرواي، محمد متولي. **المرأة في القرآن الكريم**. القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٩٨ م.

شعلة، أبو عبد الله. **صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ**. تحقيق: محمد إبراهيم عبد الرحمن فارس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥ م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكمي. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. إشراف: بكر بن عبد الله أبوزيد. جدة: دار علم الفوائد، د.ت، سبعة أجزاء.

أبو شهبَة، مُحَمَّد مُحَمَّد. **المدخل لدِراسة القرآن الكريم**. الطبعة الثالثة. الرياض: دار اللواء، ١٩٨٧ م.

الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم. **المِلَل والنّحل**. تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣ م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. **فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. الطبعة الرابعة. مراجعة: يوسف الغوش. بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧ م.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم. **المصنف**. تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم اللحيدان. الطبعة الأولى. السعودية: مكتبة الرشد، ٢٠٠٤ م، ستة عشر جزءًا.

الشيخلي، بهجت عبد الواحد. **بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز: إعرابًا وتفسيرًا بالإيجاز**. عمَّان/الخليل: دنديس، ٢٠٠١ م، عشرة أجزاء.

الشيرازي، ناصر مكارم. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**. قم: مدرسة الإمام علي، خمسة عشر مجلدًا.

www.christianlib.com

ابن أبي الصلت، أمية. **ديوان أمية بن أبي الصلت**. تحقيق: سجيع جميل الجبيلي. الطبعة الأولى. بيروت: دار صادر، ١٩٩٨ م.

ابن الضُّرِيس البجلي، أبي عبد الله محمد بن أيوب. **فَضائل القُرآن وما أنزل من القُرآن بمكّة ومَا أُنزِلَ بالمَدينَة**. تحقيق: عروة بديْر. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧ م.

الطباطبائي، محمد حسين. **الميزان في تفسير القرآن**. تصحيح: حسين الأعلمي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٧م، ٢٢ جزءًا.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. **المُعَجمُ الأوسَط**. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م، عشرة مجلدات.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

ـــــــ **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٨٧ م، ستة مجلدات.

ـــــــ **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة. الطبعة الأولى. القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١ م، ستة وعشرون جزءًا.

الطهراني، السيد مير علي الحائري. **تفسير مقتنيات الدرر**. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد وحيد الطبسي الحائري، قم: دار الكتاب الإسلامي، ٢٠١٢ م، إثنا عشر مجلدًا.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. **التبيان في تفسير القرآن**. تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت، عشرة أجزاء.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م، ثلاثون جزءًا.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق: علي محمد البجاوي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م، أربعة مجلدات.

عبد الكريم، خليل. **الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية**. القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٠ م.

عَبْدُ النّور، عَبّاس. **مِحْنَتي مَعَ القُرْآن وَمَعَ الله فِي القُرْآن**. طبعة تجريبيّة. دمنهور، ٢٠٠٤ م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. **أحكام القرآن**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. **الإصابة في تمييز الصحابة**. تحقيق: طه محمد الزيني. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٣ م، ثلاثة عشر جزءًا.

www.christianlib.com

العشماوي، محمد سعيد. **معالم الإسلام**. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م، ستة أجزاء.

العقاد، عباس محمود. **المرأة في القرآن**. ضمن موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١ م، المجلد الرابع.

العكبري، أبو البقاء. **إعراب القراءات الشواذ**. تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز. الطبعة الأولى. بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦ م، جزئان.

العلوي، هادي.

ـــــ **من قاموس التّراث**. دمشق: دار الأهالي، ١٩٨٨ م.

ـــــ **فصول عن المرأة**. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٦ م.

العمادي، حامد بن علي. **الدُرُ المُستَطَاب في مُوافقاتِ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ وأبي بكر وعلي أبي تراب وترجمتهم مع عدة من الأصحاب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ م.

عمايرة، اسماعيل أحمد. **جوانب من التفسير النفسي والاجتماعي للغة**. مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية، المجلد الرابع، العدد الأول، يونيو ١٩٩٦ م، ١٠٥-١٢٨.

عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم. **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء**. الطبعة الثانية. الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٨ م.

ابن عمرو، إسماعيل المقرئ. **اللغات في القرآن**. تحقيق: صلاح الدين المنجد. القاهرة: مطبعة الرسالة، د. ت.

عيد ، عبد الرزاق. **سدنة هياكل الوهم، نقد العقل الفقهي، يوسف القرضاوي بين التسامح والإرهاب**. بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥ م.

الغزالي، أبو حامد. **آداب النّكاح وكسر الشهوتين**. سوسة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٠ م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم.

ـــــ **أدب الكاتب**. تحقيق: محمد الدالي. بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

ـــــ **تأويل مشكل القرآن**. تحقيق: السيد أحمد صقر. الطبعة الثانية. القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣ م.

ـــــ **تفسير غريب القرآن**. تحقيق: السيد أحمد صقر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨ م.

القرضاوي ، يوسف. **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤ م.

www.christianlib.com

القرعاوي، سليمان بن صالح، ومحمد علي الحسن. **البيان في علوم القرآن: مع مدخل في أصول التفسير ومصادره**. الطبعة الرابعة. الأحساء: المعالم الثقافية، ٢٠١٠ م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. **الجامع في أحكام القرآن والبيان فيما تضمنه من السنة وآي الفرقان**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦ م، أربع وعشرون جزءًا.

قطب، سيد. **في ظلال القرآن**. الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، بيروت، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣ م.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين مُحمّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي. **حَادي الأَرواح إلى بِلاَدِ الأفرَاح**. القاهرة: مكتبة المتَنبِي، د. ت.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل.

____ **البداية والنهاية**. تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٧ م - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء ٢١.

____ **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد وآخرون. الطبعة الأولى. الجيزة: مؤسسة قرطبة، والشيخ للتراث، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. ٢٠٠٠ م، خمسة عشر جزءًا.

الكلبي، محمد بن أحمد بن جُزيّ. **التسهيل لعلوم التنزيل**. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١ م. مجلدان.

الكُلَينِي. **أصول الكافي**. الطبعة الأولى. بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٥ م، ثمانية أجزاء.

الكناني، أبو الحسن بن علي بن محمد. **تنزيه الشَريعة المَرفُوعة عن الأخبَار الشنيعة المَوضوعة**. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١ م. مجلدان.

ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني. **السُنَن**. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، أحمد برهوم. دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩ م. خمسة أجزاء.

المازني، إبراهيم عبد القادر. **قبض الريح**. القاهرة: دار كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١١ م.

المباركفوري، صيفي الرحمن. **منَّة المُنعم في شَرح صحيح مسلم**. الطبعة الأولى. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م.

ابن مجاهد. **كتاب السبعة في القراءات**. تحقيق: شوقي ضيف. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨ م.

www.christianlib.com

المجلسي، الباقر. **بحار الأنوار**. تحقيق: لجنة من العلماء، تنقيح: علي النمازي الشاهرودي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨ م، مائة وعشرة أجزاء.

مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط**. الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

مجموعة من المؤلفين. **دائرة المعارف الإسلامية**. الطبعة الأولى. الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨ م.

مجموعة من المؤلفين. **مُعْجَمُ اللاَّهوْت الكِتابي**. الطبعة الخامسة. بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٥ م.

مجهول. **كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين**. بيروت، ١٨٦٩ م.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيُوطيّ. **القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الإمامين الجليلين، مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي [المعروف بتفسير الجلالين]**. تقديم: عبد القادر الأرناؤوط. دمشق : دار ابن كثير، ١٩٨٦ م.

محمود، إبراهيم. **جغرافية الملذات: الجنس في الجنة**. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٨ م.

مذكرة تفسيرية للهدف الاستراتيجي العام للجماعة في أمريكا الشمالية. سنة ١٩٩١ م.

مروّة، حسين. **النّزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**. الطبعة السادسة. بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٨ م.

المصحف بقراءة حفص. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، وهذه النسخة «هدية لمستخدمي اللغة العربية في أرجاء المعمورة»، مسجلة تحت رقم إيداع: ١٤٢٩/٥٨٣٤ – رقم ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٨٠١٠.

المقدسي، المطهر بن طاهر. **كتاب البدء والتاريخ**. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.

مكي، أبو محمد بن أبي طالب القيسي. **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**. تحقيق: أحمد حسن فرحات. الطبعة الأولى. جدّة: دار المنارة، ١٩٨٦ م.

منا، يعقوب أوجين. **قاموس كلداني – عربي**. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات مركز بابل، ١٩٧٥ م.

المناوي، محمد. **فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (شرح المناوي على كتاب الجامع الصغير للسيوطي)**. الطبعة الثانية. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٢ م.

ابن منظور. **لسان العرب**. تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف، د. ت.

www.christianlib.com

النّحاس، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل.
ـــــ **إعراب القرآن**. تحقيق: زهير غازي زاهد. الطبعة الثانية. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥ م، خمسة أجزاء.
ـــــ **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك**. تحقيق: سليمان بن ابراهيم بن عبد الله اللاحم. الطبعة الأولى. القاهرة: مؤسسة الرسالة، ١٩٩١ م، ثلاثة أجزاء.

ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب. **الفهرست**. تحقيق: رضا ـ تجدّد. طهران، ١٩٧١ م.

نولدكه، تيودر. **تاريخ القرآن**. ترجمة: جورج تامر. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة كونراد ـ أدناور الألمانية، ٢٠٠٤ م.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن حزام. الطبعة الأولى. القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، سبعة عشر جزء.
ـــــ **صحيح مسلم بشرح النووي**. ١٩٢٩ م، الأجزاء: من الأول إلى العاشر.
ـــــ **صحيح مسلم بشرح النووي**. ١٩٣٠ م، الأجزاء: من الحادي عشر إلى السابع عشر.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله.
ـــــ **كتاب معرفة علوم الحديث**. الطبعة الثانية. نشر وتصحيح: معظم حسين. بيروت: المكتبة العلمية السعودية: منشورات المكتبة العلمية، ١٩٧٧ م.
ـــــ **المستدرك على الصحيحين**. الطبعة الثانية. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م. خمسة أجزاء.

ابن هشام. **سيرة ابن هشام**. تحقيق: مصطفى الساقة، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي. بيروت: المكتبة العلمية، أربعة مجلدات.

الهمداني، عبد الجبار بن أحمد. **تنزيه القرآن عن المطاعن**. بيروت: دار النهضة الحديثة، د.ت.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. **بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤ م، عشرة أجزاء.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. **أسباب نزول القرآن**. تحقيق: كمال بسيوني زغلول. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م.

الوادعي، مقبل بن هادي. **الصحيح المسند من أسباب النزول**. الطبعة الثانية. اليمن: مكتبة صنعاء الأثرية، ٢٠٠٤ م.

اليَعْقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. **تاريخ اليَعْقوبي**. بيروت: دار صادر، د. ت.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

قائمة المراجع الأجنبية

www.christianlib.com

قـائمة المراجـع الأجنبيـة

Bladel, Kevin van. "The Alexander Legend in the Qur'ān 18:83–102." *The Qur'ān in Its Historical Context*. Ed. Gabriel Said Reynolds. London: Routledge, AD 2008. 175-203. Print.

Butler, Trent C. *Holman Bible Dictionary*. Nashville: Holman Bible, AD 1991.

De Lacy, Phillip, ed. and trans. *Galen: On Semen* (*Corpus Medicorum Graecorum, 5, 3, 1*). Berlin: Akademie Verlag, AD 1992. Print.

Déroche, François and Sergio Noja Noseda, eds. *Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 à 61) de la British Library*. Lesa (Novara): Fondazione Ferni Noja Noseda di Studi arabo islamici, 2001. Print. Vol. 2 of *Sources de la transmission manuscrite du texte* coranique. 2 vols. to date. AD 1998- .

Encyclopædia Britannica. Encyclopædia Britannica Online. Encyclopædia Britannica Inc., AD 2016. Web. <http://www.britannica.com>.

Encyclopaedia Judaica. Eds. Fred Skolnik and Michael Berenbaum. 2nd ed. 22 vols. Detroit: MacMillan-Thomson Gale, AD 2007. Print.

The Encyclopedia of Islām: A Dictionary of the Geography, Ethnography and Biography of the Muhammedan Peoples. Eds. M. Th. Houtsma, et al. 4 vols. plus supplement. Leiden: Brill, AD 1911. Print.

The Encyclopedia of Islām: New Edition. 13 vols. (inc. supplements and index). AD 1960-2004. Leiden: Brill, AD 1986-2004. Print.

Encyclopaedia of the Qur'ān. Gen. ed. Jane Dammen McAuliffe. 5 vols. plus index. Boston: Brill, AD 2001. Print.

Freedman, H., trans. and ed. and Maurice Simon. *Midrash Rabbah*. Vol. 1. London: Soncino, AD 1939. Print.

Geiger, Abraham. *Judaism and Islam*. Madras: M.D.C.S.P.C.K. AD 1898. Print.

www.christianlib.com

Griffith, Sidney. "Christian Lore and the Arabic Qur'ān: the 'Companions of the Cave' in Surat al-Kahf and in Syriac Christian Tradition." *The Qur'ān in Its Historical Context*. Ed. Gabriel Said Reynolds. London: Routledge, AD 2008. 109-137. Print.

Jeffery, Arthur. *Materials for the History of the Text of the Qur'ā*. Leiden: Brill, AD 1937. Print

---. *The Foreign Vocabulary of the Qur'an* [FVQ]. Baroda: Oriental Institute, AD 1938. Print.

Johnson, M. D. "Life of Adam and Eve." Trans. and Introd. . *The Old Testament Pseudepigrapha*. Ed. James H. Charlesworth. Vol. 2. New York: Doubleday, AD 1985. 249-295. Print.

Lundquist, John M. *The Temple of Jerusalem: Past, Present and Future*. London and Westport, CT: Praeger, AD 2008. Print.

Luxenberg, Christoph. "Relikte syro-aramäischer Buchstaben in frühen Korankodizes im *ḥiǧāzī*- und *kūfī*-Duktus [Relics of Syro-Aramaic Letters in Early Koran Codices in *Ḥiǧāzī* and *Kūfī* Style]. *Der frühe Islam: Eine historisch-kritische Rekonstruktion anhand zeitgenössischer Quellen* [*The Early Islam: A Historic-Critical Reconstruction on the Basis of Contemporary Sources*]. Ed. Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Schiler, AD 2007. 377-414. Print.

---. "Keine Schlacht von Badr Zu syrischen Buchstaben in frühen Koranmanuskripten" [Relics of Syro-Aramaic Letters in Early Koran Codices in *Ḥiǧāzī* and *Kūfī* Style]. *Von Koran zum Islam* [*From the Qur'ān to Islam*]. Vol. 4. Ed. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Schiler, AD 2009. 642-676. Print.

---. *The Syro-Aramaic Reading of the Koran*: *A Contribution to the Decoding of the Language of the Koran*. Berlin: Verlag Hans Schiler, AD 2007. Print.

Möller, Lennart. *The Exodus Case: New Discoveries of the Historical Exodus*. 3rd ext. ed. Greenville: Casscom Media/Scandinavia House, AD 2008. Print.

Puin, Elisabeth. "Ein früher Koranpalimpsest aus Ṣan'ā' (DAM 01-27.1), Teil II." *Vom Koran zum Islam: Schriften zur frühen Islamgeschichte und zum Koran, Band 4* [Vol. 4]. Eds. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Hans Schiler, AD 2009. 523-581. Print.

---. "Ein früher Koranpalimpsest aus Ṣan'ā' (DAM 01-27.1), Teil III: Ein nicht-'uṭmānischer Koran." *Die Entstehung einer Weltreligion I: Schriften zur frühen Islamgeschichte und zum Koran, Band 5* [Vol. 5]: *Von der koranischen Bewegung zum Frühislam*. Eds. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Hans Schiler, AD 2010. 233-296. Print.

---. "Ein früher Koranpalimpsest aus Ṣan'ā' (DAM 01-27.1), Teil IV: Die Scriptio inferior auf den Blättern 17, 18 und 19 der Handschrift DAM 01-27.1 (Sure 9:106-ende, dann 19:1-67 und weiter)." *Die Entstehung einer Weltreligion II: Schriften zur frühen Islamgeschichte und zum Koran, Band 6* [Vol. 6]: *Von der koranischen Bewegung zum Frühislam*. Eds. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Hans Schiler, AD 2012. 311-397. Print.

www.christianlib.com

The Qur'ān: An Encyclopedia. Ed. Oliver Leaman. London: Routledge, AD 2006. Print.

St. Clair-Tisdall, W[illiam]. *The Original Sources of the Qur'an* [OSQ]. London: Society for Promoting Christian Knowledge, AD 1911. Print.

Ünal, Ali. *The Qur'an with Annotated Interpretation in Modern English.* Somerset, NJ: Light, AD 2007. Print.

Weil, G. *The Bible, the Koran, and the Talmud or Biblical Legends of the Musselmans.* New York: Harper, AD 1846. Print.

Wherry, E[lwood] M[orris]. *A Comprehensive Commentary on The Qurán: Comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse with Additional Notes and Emendation.* 4 vols. London: Paul, Trench, Trübner, AD 1898. Print.

Early Qur'ānic Manuscripts

Arabe 328a. Bibliothèque nationale de France (BnF). Paris. مخطوطة باريس أ

Déroche, Francois, and Sergio Noja Noseda. *Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: Les manuscrits de style higāzī.* Le manuscript arabe 328(a) de la Bibliothèque nationale de France. Vol 1. Lesa, Italy: Fondazione Ferni Noja Noseda di Studi arabo islamici, AD 1998. Print. Projet Amari.

Arabe 328b. Bibliothèque nationale de France (BnF). Paris. مخطوطة باريس ب

Déroche, François. *La transmission écrite du Coran dans les débuts de l'islam: Le codex Parisino-petropolitanus.* Leiden-Boston: Brill, AD 2009. Print.

E20. St. Petersburg Institute of Oriental Studies. St. Petersburg. مخطوطة سان بيترسبرج

Rezvan, Efim. "New Folios from "Uthmānic Qur'ān' I. (Library of Administration for Muslim Affairs of the Republic of Uzbekistan)." *Manuscripta Orientalia: International Journal for Oriental Manuscript Research* 10.1 (Mar. 2004): 69-70. Print.

---."The Qur'an and Its World: VI. Emergence of the Canon: The Struggle for Uniformity." *Manuscripta Orientalia: International Journal for Oriental Manuscript Research* 4.2 (June 1998): 13-47. Print.

---. "The Qur'an and Its World: VIII/2. West-Östlichen Divans (the Qur'an in Russia)." *Manuscripta Orientalia: International Journal for Oriental Manuscript Research* 5.1 (Mar. 1999): 32-64. Print.

www.christianlib.com

Kodex Meknes. Tareq Rajab Museum of Islamic Calligraphy. Kuwait. مصحف مكناس

Corpus Coranicum (http://www.corpuscoranicum.de/handschriften/index/sure/5/vers/31?handschrift=2)

Mingana Islamic Arabic 1572a. University of Birmingham. مخطوطة برمنجهام

"Collections: Mingana-Islamic Arabic-Islamic Arabic 1572a." *VMR.bham.ac.uk*. Virtual Manuscript Room (University of Birmingham), 12 Sept. 2017. Web.(http://vmr.bham.ac.uk/Collections/Mingana/Islamic_Arabic_1572a/table/).

Or. 2165. British Library. London. المخطوطة البريطانية

Déroche, Francois, and Sergio Noja Noseda. *Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: Les manuscrits de style hiǵāzi*. Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 a 61) de la British Library. Vol 2.1. Lesa, Italy: Fondazione Ferni Noja Noseda di Studi arabo islamici, AD 2001. Print. Projet Amari.

Samarkand codex. Hast Imam Library. Tashkent. مصحف سمرقند

Coran coufique de Samarcand (facsimile). Eds. W. Ouspensky and S. Pissaref. St. Petersburg: Institute of Archaeology, AD 1905. Print.

Small, Keith E. *Textual Criticism and Qur'ān Manuscripts*. Lanham: Lexington Books, AD 2011. Print.

San'ā' Manuscripts مخطوطات صنعاء

DAM 01-25.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.

DAM 01-27.1. Al-Maktaba al-Sharqiyya and Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.

DAM 01-29.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.

DAM 01-32.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.

DAM 20-33.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.

القرآن

تحلیل و بیان

۳

WATERLIFE
PUBLISHING

orders@WaterLifePublishing.com
www.WaterLifePublishing.com

ISBN 978-1-935577-61-4
US$39.95
53995>
9 781935 577614